٢٦٣

تاريخ المصريين

مُذكرات أحمد حسين

رئيس مصر الفتاة

أحمد حسين

رئيس مجلس الادارة

د. ناصر الأنصارى

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مديرا التحرير

محمود الجزار

هنــاء عمــر

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مُذكراتُ أحمدُ حسين

رئيس مصر الفتاة

أحمد حسين

الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٧

حسين ، أحمد ، ١٩١١ ـ ١٩٨٢
مذكرات أحمد حسين رئيس مصر الفتاة/ أحمد حسين.ــ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
٣٩٧ ص ؛ ٢٠ سم.ـ (تاريخ المصريين)
تدمك ٣ ٤٥٤ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ حسين ، أحمد ، ١٩١١ ـ ١٩٨٢ ـ المذكرات
٢ ـ السياسيون المصريون
(أ) العنوان :
٩٢٠

تقـــــديم

يسرنى أن أقـدم للقـارىء العزيز هـذا الكتـاب ، الذى يتضمن مذكرات أحمـد حسـين ، رئيس جماعـة مصر الفتـاة .

ويعد أحمـد حسـين زعيم الحركة الفاشـية فى مصر ، وقد لعب دورا مهمـا انطـلاقا من هـذا الاتجـاه فى تاريخ الحـركة الوطنيـة المصريـة . ومن ثم فان الحـكم عليـه يجب أن ينطـلق من هذا المفهوم .

وهـذه المذكرات ليسـت هى المذكرات الأولى التى كتبهـا أحمـد حسـين ، فقـد سـبق له أن كتب عـددا من الكتب التى تتضـمن أطرافـا من حيـاته ، وقد اسـتندت اليها فى اعـداد رسـالتى للمـاجستير والدكتوراه حول « تطور الحـركة الوطنيـة فى مصر » (أربعـة أجزاء) فى كتابـة دوره الوطنى فى تـاريخ مصـر .

وكان اهم ما كتب احمـد حسـين فى هـذا الصـدد كتابـه « ايمـانى » ، و « من وراء القضـبان » ، وقصصـه الثـلاث « أزهـار » ، و « احترقت القـاهرة » ، و « الدكتور خالد » .

ثم الكتـاب الذى بين أيدينـا .

وقد رحبت بنشره حين عرضه على نجله السيد مجدى أحمد حسين ، أملا فى أن يضىء بعض جوانب الحركة الوطنية !

وعلى الرغم من أنى عشت معارضا لاتجاه أحمد حسين الفاشى ، الا أنى رحبت بنشره تمشيا مع الاتجاه الليبرالى الذى اعتنقه ، ولأنى آليت منذ توليت رئاسة تحرير سلسلة تاريخ المصريين ، الا أخضع هذه السلسلة لاتجاهاتى السياسية ! وايمانا منى ان تاريخ مصر هو من حق الشعب المصرى ، وليس حكرا على أى اتجاه !

والله الموفق ؟

أ. د. عبد العظيم رمضان

ذكريـات الطفـولة

حيـــاة مواطـــن

يخطىء الناس عندما يتصـورون ان العظمـاء وحدهم الذين يجب عليهم أن يكتبوا مذكراتهم ، ويخطىء الأفراد العاديون أنفسهم عندما يتصـورون ان حيـاتهم ليســت جديرة بالتسجيل ، أجل ان في كتابة حيـاة العظماء قدوة للناس وحافزا لهم .. ولكن في كتابة حيـاة الأفراد العاديين سـلوى لملايين النـاس ، الذين يظنون انهم ليســوا شيئا مذكورا في هـذه الحياة وهم منهـا كل شيء ، انهم الحروف التي بدونها لا يتم طبع كتـاب ، انهم اللبنـة التي بغيرها لا يمكن أن يقوم بناء ، انهم الحياة بكل جلالها وروعتا .

فعندما يكتب مواطن عادى تاريخ حياتـه .. فانه يكتب عن ملايين المواطنين ، وسـيرى كل انسان نفسـه في هذا الذى كتب فيشعر بالسـعادة والطمأنينـة ، لأنه يرى صورته في المرآة ، ويدرك أنه جزء من هذا الكون له خطره وله قيمته .

وعلى هذا الأسـاس رأيت أن أمضى في كتابة هذه المذكرات .. مذكرات مواطن حريصـا على أن يرى الناس فيهـا انفسهم .. وأن أكتبها في صـدق وفي غير تكلف .. واذا كان هذا هو طابعى واسـلوبى في كل ما أكتب فانى سـأكون حريصا على التزام ذلك

أكثر وأكثر فى هذه المذكرات .. فرب خاطر يبدو لى سخيفا فاذا كتب فاذا به يريح اعصاب مواطن آخر يعن له مثل هذا الخاطر فيقسو على نفسه جاهلا أنه خاطر يعن لكل الناس .

ورب تجربة قد يحجم الانسان عن ذكرها قد تحل مشكلة عند آخر .

ورب أمر يبدو لى تافها ولكنه يفسر مغلقا عند مواطن آخر .

واذن فلأكتب .. لأكتب كل شىء .. يتوارد على خاطرى من تاريخ حياتى البعيد .. فلأكتب ولأسترسل منطلقا من كل القيود ليكون فى ذلك حافز لكل مواطن آخر أن يكتب دون خوف .. ودون خشية فان حياة كل انسان عندما تعرض على الناس فانها الانسانية كلها التى تعرض .

الفائدة التاريخية

على أن هناك فائدة محققة من كتابة مثل هذه المذكرات عن حياة مواطن عاش حتى كتابة هذه السطور أكثر من أربعين سنة .. ذلك انها ستحمل حتما بعض وقائع التاريخ وستنقل الى جيل جديد وكل الأجيال المقبلة صورة من عصر مضى وانقضى ولا سبيل لتصوره وادراكه الا من خلال امثال هذه السير سيرة أحد المواطنين .

ان علماء التاريخ قد يتصورون العصور بصورة علمية بعد تحليل ودراسة واستجماع لكل الحوادث والظروف .. ولكن هذه ستبقى فى النهاية دراسة موضوعية علمية ليس فيها روح الفن .. الفن الذى لا تستطيع أن تتذوقه الا من خلال

انسان يحدثك عما يحسه هو وعما يتصوره هو وعما تنبض به مشاعره الخاصة بقطع النظر عن أى عنصر آخر .

فأنت فى مثل هذه المذكرات ستدرك بعض الحقائق التاريخية كما استقرت فى ذهن مواطن عاش فى هذا العصر لا كما تصورها الكتب او المقالات أو الدراسات .

ذكريات من الطفولة

فى ذهنى صور صاحبتنى منذ الطفولة المبكرة ولا تزال راسية فى نفسى حتى الآن أستطيع أن أذكرها فى جلاء ووضوح رغم تقادم السنين .

والحوادث المادية تحدد السن التى انطبعت فيها هذه الصور ، لقد ولدت فى ٨ مارس سنة ١٩١١ وقامت الحرب العالمية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩١٤ ، فكان عمرى عند قيام الحرب حوالى أربع سنوات ، وهذه الصورة العجيبة التى مازالت تختزنها ذاكرتى تتصل بموضوع الحرب ويبدو من تصرفى فيها اننى كنت ممعنا فى الطفولة فلابد انها كانت فى السنة الأولى من الحرب أو الثانية عندما كان عمرى يتراوح ما بين الرابعة والخامسة .

استيقظت ذات صباح من نومى وقد علمت فيما بعد أن يقظتى كانت قبيل الفجر . فسمعت ما ملأنى رعبا .. صوت قنابل تدوى ويعقبها صياح من نوع ما ، وغطيت راسى باللحاف من الفزع ورحت أنصت فاذا صوت القنابل يدوى بصورة رهيبة يلاحقها هذا الصياح .. وبدا الأمر يأخذ صورة موسيقية بالنسبة لأذنى وان كان ذلك لم يقلل من فزعى .

« طب .... إيد .... ه » كان صــوت القنبلة يدوى مكتوما محدثا هذا الصــوت « طب » ثم يعقبه الصياح ... إيد .... ه » .

وبدا يدهشــنى تشــابه الصـيــاح وأنه يســير على وتيرة واحدة ، ورحت أســأل نفسى كيف سأصيح هــذه الصيحة عندما يأتى دورنا وتنزل القنبلة على بيتنــا ؟ وبعد قليل كنت أتمرن على احداث هذا الصــوت الذى يعقب نزول القنــابل .. ووجدتنى أرفــع عقـيرتى تحت اللحــاف مقــلدا الصــياح الذى أســمعه « إيــ ... ه » ويظهــر أنى نمت بعــد ذلك واستيقظت لأرى الشمس مشرقة والبيت لم يهدم والحيــاة كما هى .. وقد عرفت فيما بعد .. ولست أعرف متى عرفت فهى صــور فى راسى كمــا قلت لا ترتبط ببداية معينة ولا تتصــل بنهاية ... عرفت فيما بعد أن هــذا الذى كنت أسمعه لم يكن صــوت قنابل ، وانمــا كانت امراة تعجن وهذا الصــوت « طب » لم يكن ســوى صوت عمليــة العجن عندما تغترف العاجنــة بيديها غرفــة من مخلوط الدقيق والمــاء وترفعها فى الهواء ثم تهوى بها على بقية المخلوط فيحدث هذه الفرقعــة التى ترامت لأذنى كأنهــا صــوت قنبلة « طب » . أما الصياح الذى كان يعقب هذا الصــوت فلم يكن الا ترجيع آذان الديكة عند الفجر ، وهــكذا عانى الطفل من ويلات الحرب فى صــورة كابوس ابتعثه عجين امرأة وصياح ديك .. وانى أتصــور الآن أن هذا الحــادث لا يمكن أن يكون قد وقع لى الا بعد أن اغارت مناطيد « سبلن »على « مصر » وقذفت بعض القنابل فاهلكت عددا كبيرا من ســكان القــاهرة .. لابد أن يكون الرعب والفزع قد عم البــلاد .. ولابد أنهم تحدثوا أمامى بمــا وقع .. وهذه هى الصــورة التى عانى منها الطفل أهوال ما سمع .

فى حى طولون

وهذه الواقعة تجرنا الى السؤال عن المكان الذى جرت فيه هذه الواقعة او بالأحرى أين كنا نسكن ونقيم ولعلك قد أدركت من التعليق على الحادثة السابقة اننا كنا نقيم فى القاهرة ، ولعلك أدركت أيضا من عنوان هذه الفقرة اننا كنا نقيم فى حى طولون فوق قمة أحد تلال العاصمة بالغرب ، مما يسمى قلعة الكبش . أما الحارة التى كنا نقيم فيها فاسمها حارة الجمالة فى منطقة يطلق عليها « العمرى » نسبة الى سيدى العمرى احد الأولياء فى هذه المنطقة .. وسأتكلم كثيرا عن طولون بطبيعة الحال وعن حارة الجمالة ولكن اسجل هنا أقدم الصور فى ذاكرتى تلك التى أحملها من طفولتى المبكرة .

تمساح

مازلت أذكر نفسى وأنا ارتجف بشدة اذ اجتاز هذا القسم من الحارة حيث يوجد منزل الشيخ ضيف ، والذى يوجد فوق بابه تمساح كبير . لقد كبرت بعد ذلك وأدركت ان هذا التمساح ميت ولا ينبغى أن يخشاه الانسان ومع ذلك فلازالت صورة قوية فى نفسى صورة الاضطراب والفزع ، وأنا اجتاز هذا القسم من الحارة ، ولا أستطيع أبدا اجتيازه الا عدوا أو وأنا مغمض العينين ولا أفتحهما الا بعد أن أكون متأكدا اننى خلفت البيت ورائى .

أكان حلما

صورة ثالثة لم تستطع الأيام أن تنزعها من ذاكرتى ولم أستطع أن أجزم فى الماضى ، ولا أستطيع ان أجزم الآن أوقعت هذه الصورة فى الواقع أم انها كانت حلما ؟ غنى عن البيان

انني فى طفولتى كنت على ثقة انها وقعت ولكن كلما كبرت فى السن راجعت نفسى وتصورت انها كانت حلما وليس عندى تاريخ أستطيع ان احدد به عمرى وقتذاك .. اليس من العجب أن يحمل انسان حلما معه منذ سنواته الأولى فى الحياة ليذكره وهو فى سن الأربعين بكل هذا الوضوح والنصاعة ؟

- كان فى بيتنا حجرة مما يسمونها (مسروقة) وكنا نضع فيها المخلفات (والكراكيب) ، وفى ذات ليلة ساد البيت هرج ومرج فى الليل وتجمعنا كلنا ونزلنا الى هذه المسروقة ومازلت أذكر المصباح الكبير الذى كان يحمله أحد افراد العائلة ، وفتح باب المسروقة لنرى جالسا خلفه عفريت فى صور انسان وكان يرتدى « طرطورا » عاليا وملابسه ذات ألوان مبهجة وكان يجلس دون حراك وينظر الينا فى هدوء ونحن ننظر اليه ولم أكن فى حالة رعب او فزع . وهذه هى الصورة التى لا تزال ذاكرتى تختزنها . آكان ذلك حلما رايته .. ام كان حقا واقعا بمعنى ان أخا لى وقد كان يحب المزاح قد لعب هذا الدور ليفزعنا أو ليفزعنى أنا بصفة خاصة . لست اعرف ما هى حقيقة الأمر . بطبيعة الحال عندما كبرت قليلا كنت أستوضح هذه النقطة فلم يكن أحد يوضحها لى بأكثر من أن هذا لم يحدث .. على اية حال فقد كانت هذه المسروقة كالتمساح المعلق على باب الشيخ ضيف ، كلاهما منطقة يصيبنى بالخوف والهلع كلما مررت بهما ، فكنت اذا صعدت السلم أو هبطت منه لا استطيع الا أن أعدوه اذا ما اقتربت من المسروقة .. أما فى الليل فقد كان من المستحيل على ما أذكر أن اجسر على النزول منفردا لأمر امام هذه المسروقة .. فهل كان هذا الشعور نتيجة لهذا الحادث الذى حدثتك عنه من رؤية عفريت فى صورة انسان فى هذه المسروقة ؟ .. أمأن رؤية العفريت الآدمى فى الحلم جاءت نتيجة الخوف المستمر من هذه المسروقة تلك مسالة لا أستطيع الفصل فيها .

أخــى الأكبــر

ومازالت ذاكرتى تختزن صــورا لا يمكن الا أن تكون من طفولتى المبكرة ذلك ان الحوادث المـادية تضعها فى فترة قبل انقضاء الحرب العالميـة الأولى لأنها ترتبط بأخ كبير لى مات قبل نهايـة الحرب العالميـة الأولى اى فى سـنة ١٩١٧ ، ولمـا كنت مولودا فى سنة ١٩١١ ، كما قدمت فلابد أن هذه الصــور فى خلال السنوات الست من حياتى الأولى .

كان أخى هذا شـابا يافعا جميل الطلعـة ، أنيق الملبس ، ذكى الفؤاد ولست أذكر شيئا من جمـال صــورته ولا من أناقـة ملبسـه ولكن بعد ان كبرت فى السـن كنت ارى هذه الملابس وقد احتفظت والدتى بهـا فى « دولاب » خـاص تستعرضهـا كل يوم وتبكى ابنـ ـا الحبيب ، وكانت أمى هى التى تحدثنى عن جمـال أخى الأكبر الراحل واسـمه « محمد » والذى كان موظفـا فى وزارة الأوقـاف ، وكانت تعرض على ملابسـه وتعرضها على النـاس أجمعين لتريهم مقدار أناقـة اخى وتعرض عليهم صـورته لتريهم مقدار بهاء طلعتـه .. وحقـا كانت الملابس فى مثل هذا التـاريخ المبكر آية على أناقة لابسها ، فقد تألفت من بنطلونات من الصوف الأبيض وجاكتـات من الصــوف الكحـلى او البنى ، وبدل من « الجبردين » ، وبدل أخرى من الحرير ، وفى مثل هذا الوقت المبكر أى منذ أربعين سـنة تقريبـا فان ارتداء شـاب من عائلة صغيرة لمثل هذه الملابس يحمل فى طياته من غير شـك دلالة كبيرة . وكل معلوماتى عن هذا الأخ الكبير انما تلقيتها عن والدتى التى كانت تندب حظهـا العاثر كلمـا وقع نظرها على ، ولم يكن لها من قول تردده الا أنها كانت على استعداد أن تضحى بى وبعشرة مثلى ويبقى لها ابنهـا الحبيب « محمد » كانت تنظر لى ولشقيقى

الاخرين مصطفى وعبد الفتـاح ، وتبدى دهشتها فى أن ثلاثتنا نعيش ونحيا ويذهب هو .. مع انها كانت تؤثر لو ذهبنـا نحن الثلاثة وبقى هو .. ولم يكن ذلك مظهر قســوة من والدتى يرحمها الله ، ولكنـه كان يظهر احساسـا عميقا بهول مصيبتها فى ابنهـا الذى كانت تعتز به وتفخر على العالمين كان يأخذ بلبها بطبيعـة الحـال أن ترى حارة الجمـالة كلها وقلوب عذاراها تخفق لرؤية محمد افندى وهو يخرج وهو يدخل .. كانت أمى تجد السـعادة كلها عندما ترى الهمس من خلف (شيش) الشبابيك ! يتزايد حتى ينقلب الى ضجيج كلما دخل ابنها أو خرج .

كانت كل فتيـات الحـارة يحلمن بأن يصبحن عروسـا لمحمد أفندى ابن الأفندى .. ولكن هيهات .. فلم يكن فى حـارة الجمالة من يليق بسيد العرسـان ، ان أمه (الست أم الأفندى) لا ترضى بعروس لابنهـا الا من أولاد الذوات .. لابد من ابنـة « بك » على الأقل فهى وحدها التى تليق بمحمد ، ولقد خطبت له بالفعل ابنة بك لا أعرف اذا كان « بك » حقيقيا أم لا ولكن فى ذلك الوقت البعيد لم تكن كلمـة « بك »تستعمل كاستعمالها فى الوقت الحـاضر .. فلابد أنه كان « بك » بالفعل ، ومازلت احفظ حتى الآن أن اسـمه كان صـادق بك ولقد كانت سـعادة أمى عظيمـة عنـدما وافقوا على الزواج رغم أن والد العـريس « أفنـدى » .

وكتب الكتـاب بالفعل وقدمت الشـبكة ودفع المهر وحدد الوقت لحفـلة الزفـاف .. وفيم تنتظر والدتى حفلة الزفاف بفارغ الصبر لتفرح بابنهـا الجميل اذا بالموت يختطفه من بين يديهـا فيمرض بالتيفود ، ثم يموت فى صيف أحد الأعوام السابقة على نهاية الحرب فى مدينـة الاسكندرية ، حيث كان والدى يذهب اليها

كل عام باعتباره موظفا فى ديوان السلطان فى معية السلطان..
مات اخى فى هذه الظروف التى سقتها اليك . ونستطيع ان نقدر فجيعة امى فيه .. لقد كان يمكن ان تجن المسكينة من الحزن لولا ايمان عميق بالله ، رأيت مظاهره بعد ان كبرت من خلال احاديثها التى كانت تعتز فيها بهذا الايمان .. فهى لم (تصوت عليه) ولم تلطم خدودها ولم تقطع ثيابها ، ولم تصطبغ « بالنيلة » ولكنها كانت تبكى وتهتف « صبرنى يارب » « صبرنى يارب » كانت تقول لى امى وكلما وجدت النار توشك أن تشتعل فى صدرى رحت أضرب على ركبتى حتى لا ألطم على خدودى .. ولقد عاشت امى بعد وفاة اخى عشر سنوات لا أظن أنه راقت لها فيها دمعة ، أو انقطعت عن ذكره طوال هذه العشر سنوات . كانت تبكى كلما صلت وكانت تصلى كثيرا جدا ، وتقول : انها تسدد ما عليها من حساب ، فهى لم تبدأ الصلاة الا فى سن الخامسة عشر .. اذن فقد فاتتها الصلاة ثمانى سنوات اذ كانت يجب أن تصلى منذ السابعة (هكذا قالوا لها) ، فعليها اذن أن تعيد هذه الصلوات كلها مضافة الى السنن والنوافل ولذلك كانت تستغرق كل يوم ساعات فى الصلاة .. وما رايتها الا دامعة العينين باكية .. وان كان ذلك قد خف كثيرا فىالسنوات الأخيرة من حياتها ولكنه لم ينقطع أبدا . ولم تكف حتى بعد ان كبرت عن ان تقارن بينى وبين هذا الأخ الراحل ، وكيف اننى لا أساوى « بصلة » بالنسبة اليه ، وتروح تعدد محاسنه التى لا تنتهى وتعدد مظاهر طاعته لأبيه التى لم تكن نظهر مثلها .. كانت تحدثنى كيف أن أباه يلطمه على وجهه ، وهو موظف فى الحكومة فلا يزيد على أن يقبل يد أبيه مستغفرا .. فأين هذا مما نظهره نحن من تمرد على ارادة والدى .. كان يشترى لها روايات (اللص الشريف سنكلر) ويطالعها لها كلها فقد كان يقضى كل سهراته معها يطالع لها فى هذه الروايات ويطالع لها فى مناسبات

اخرى فى كتب الدين ويفقهها فى الصـلاة ، وقد حفزنى ذلك يوما ما على ان اشـترى كتابا فى وصف الجنـة والنار لأتلوه عليهـا محاولا استرضاءها .. ومازالت مذكرتى تحمل صـورتى وأنـا جالس على الحصيرة أتلو على والدتى وصف النار فيقشعر بدنها .. واتلو لها وصف الجنـة فيتهلل وجهها بشرا !

قـــدر

على أن الحـادث الذى كانت والدتى تقصـه على فى معرض التفجع على أخى الراحل اكثر من غيره .. وكلما امتد العمر بنـا سويا كانت تكثر من ذكره : هو انني كنت مريضـا ابان مرض اخى الأكبر بنفس الحمى .. وفى رأسى صـورتى وأنـا راقد فى حجرة خالية من الأثاث .. ثم ياتى اقوام فيأخذوننى من الحجرة وعند هذا القدر تنتهى الصورة .

تقول أمى لقد طلب أن يراك محمد وقد استفاق من غيبوبته فقد كان يحبك .. وتنهمر الدموع من عينيهـا وتسترسل قائلة كان يرانى دائمـا الى جوارك فيقول : وأين أحمد فاقول له فى الحجرة الثانيـة فيقول اذهبى واجلسى معه واهتمى به فان أحمد خسـارة .. فكانت ترد عليه (يروح يا أخويا احمد فى سـتين داهية وأنت تخف) ، فيقول لها حرام يا نينة تقولى كده أحمد خسـارة قومى اقعدى جنبـه . وتجهش أمى بالبكاء وتقول .. « ثم مات النافع .. مات الفـالح .. وبقى الشقى يا ليتكم متم جميعا وبقى هو » ..

هـذا هو الشقيق الاكبر الذى احتل الجـانب الاكبر من تكييف طفولتى على ما يظهر فانى مازلت احفظ حتى الآن صـورا

مضيئة فى ذاكرتى وبالبحث عن ملابسات هذه الصور اراها كلها ترتبط به .. فانا أرى نفسى فى مكان بعيد عن مصر ، عرفت بعد ان كبرت انه كان مدينة بنها التى نقل أخى ليعمل موظفا بها . وقد اصطحبنى معه لأقيم معه بضعة أيام .

فقد كان لا يحتمل فراقى .. وأرى نفسى محل رعاية بعض الناس او بالأحرى بعض السيدات والفتيات ، ويظهر لى انه كان يتركنى فى بيوت بعض زملائه الموظفين ولهم أخوات أو بنات وكلهن يطمعن فى زواج « محمد افندى » فكن يدللن أخاه الصغير ويغمرنه بالعطف والحنان والحلوى والشيكولاته عساه يكون سفير خير عند أخيه .

يا فتى العصر

وفى صورة أخرى أرى نفسى مرتديا بدلة بحار ، وانسان ما يحملنى ليوقفنى على كرسى ويطلب منى أن أخطب . وأغلب ظنى ان هذا الانسان كان أخى الذى كان يصحبنى معه فى كل مكان .. ومازالت صورة البيت الذى كنت اتردد عليه اكثر من مرة فى مخيلتى .. ولقد اعتدت أن أمر عليه بعد ان كبرت .. انه بيت فى « الصليبة » له باب حديدى .. وقد حدث ان قابلنى بعد أن كبرت بعض سكان هذا البيت وحاول أن يذكرونى بايام الطفولة .. ايام ان كان أخى الكبير يأخذنى معه الى هناك ويطلب منى ان أقول الخطبة التى علمنى اياها .. ولقد قالوا لى انها خطبة كان عنوانها « يا فتى العصر » وكانت تدور حول التنديد بفتى العصر الذى فقد معالم الرجولة ، وأصبح يميل الى

التخنث وترجيج الحاجب ، والبطالة والكسل ، وليس فى ذاكرتى شىء من هذه الخطبة .. ولكن الصورة لاتزال ناصعة .. صورتى وأنا أحمل فوق الكرسى أو المائدة لأقول شيئا والناس من حولى مرددة معجبة .

ريالات كثيرة

على أن الصورة المحفورة فى نفسى من هذا العهد البعيد .. صورة والدى يوم جنازة أخى .. وكنا فى الاسكندرية وكان والدى يبدو كاسف البال ، ولكنه متمالك الأعصاب .. ويحمل فى يده عديدا من الريالات الفضية ينفق منها على مصاريف الجنازة .. وقد استوقفنى منظر هذه الريالات اللامعة ، ولاتزال عالقة فى ذاكرتى .. ولقد علمت بعد أن كبرت اننى كنت دائم الاشارة الى هذا المنظر ، فحدثتنى والدتى انه استدان فى هذا اليوم نقودا من موظف كبير كان يبره ويوده وهو المرحوم محمود بك من رجال المسية ، فأسعفه فى ذلك اليوم بما كان لديه من المال وكان على صورة هذه الريالات الفضية .

صور من الاسكندرية

ولا يزال للاسكندرية ورحلاتى اليها مع والدى أيام الطفولة بعض صور لاتزال عالقة برأسى حتى الآن ، لأنها لم تبارحها أبدا .. صورتى وقد أرسلت على ما أذكر لأشترى قطعة من الجبن « الرومى » من احد البقالين .. واثناء عودتى الى المنزل وقفت فى منعطف من الطريق وفتحت ورقة الجبنة الرومى وأخذت قطعة فأكلتها .. وهأنذا بعد حوالى اربعين سنة من هذا التاريخ لا أزال أحس طعم هذه الجبنة على لسانى ولست أذكر اننى تذوقت طول حياتى جبنة رومية تصل الى طعم هذه المرة .

من فـوق سراى راس التـين

وصــورة اخرى أرى نفسى فيها على ســطوح سراى رأس التين ، حيث كان يعمل والدى وقد راحوا يرونني المناظير المكبرة الموجودة فوق السطوح ورحت انظر فيها الى المراكب الداخلة الى الميناء من عرض البحر .

حــول الترســة

والصــورة الأخيرة التى لاتزال عالقــة برأسى هى صــورة تجمع الناس بالقرب من شــاطىء البحر حول ترســة اصطادوها . وقد فاتنى أن اقول لك اننا كنــا نســكن دائما فى حى الأنفوشى ليكون والدى قريبــا من محل عمله فى السراى .

هذه هى الصــورة التى مازلت أحملها من طفولتى المبكرة عن الاسكندرية ، ويجب ان تكون كل هذه الصــور فى حديث عن الأعوام السابقــة على تولى الســلطان احمد السلطنة ، لأنه بمجرد ان مات الســلطان حسين وعين بدله السلطان فؤاد كف عن ان ياخذ أبى فى معيته الى الاسكندرية ، بل انهم نقلوه بعد ذلك الى وزارة المــالية ، وتوقفنا عن الذهــاب الى الاسكندرية فهى كلهــا من الطفولة المبكرة ، وقبل أن أبلغ السابعة بل السادســة على الأرجــح .

والى هنا تنتهى الصــورة المعلقة فى ذهنى والتى لا أستطيع أن اربطها بحوادث متسقة . وهنــاك صــورة معاصرة لها لاتزال فى ذهنى ولكنهــا اكثر اتساقا واتصــالا بما بعدها ، فانهــا ترتبط بالحوادث والأشخاص والأماكن التى درجت فيهــا ، ولذلك فاننى

استطيع أن أذكرها بشيء من التسلسل والمنطق أكثر من هذه الصور المتقطعة .

الكتـــاب

فلا يزال فى ذاكرتى منظر الكتاب الذى كنت أذهب اليه وأنا طفل صغير جدا من غير شك أى قبل الخامسة ، فلابد أن يكون ذهابى الى الكتاب فى وقت مبكر جدا فلازلت أذكر المدرسة الأولية التى انتقلت اليها بعد الكتاب .. وكيف انتقلت بعد ذلك الى مدرسة البهية البرهانية التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية بسنة تحضيرى ، وكان عمرى يقل عن ست سنوات فلابد أن كان ذهابى الى الكتاب ما بين الرابعة والخامسة . ولاتزال من ذكريات الكتاب فى رأسى روائحه .. ورائحة الحبر فى المحابر ، وهى مليئة بقطع من القماش ونحن نغط القلم ونضغط على القماش المبلل بالحبر لنستطيع أن نكتب .. لاتزال هذه الرائحة فى ذاكرتى .. وكان فى مدخل الكتاب رجل أو امرأة لا أذكر يبيعان الطعام للأولاد ، ماء اللفت فى طبق صغير فنغمس هذا الماء بالخبز أو بالأحرى نفتت فيه الخبز فيصبح له طعم جميل جدا لايزال عالقا بذاكرتى ومازال منظر الفلقة وأحد الأولاد يمدونه ليضربه سيدنا .. لايزال هذا المنظر مرسوما فى الذاكرة ، ولكنى لا أذكر أن هذه الفلقة استعملت معى أبدا .. ولعل ذلك انما كان يرجع لأننى ابن الأفندى .. الأفندى الكبير الموظف فى ديوان السلطان .. وبعد ذلك فى الحكومة ومازالت صورة اللوح الصفيح حيث كنا نكتب عليه بالقلم البسط آيات من القرآن لنحفظها عالقة بذاكرتى .. ولاتزال ذكرى غامضة عالقة بذاكرتى . ان هناك بعض الاشكالات كانت تدور حول خطى وانه ليس حسنا .. واننى لم أكن من صبيان الكتاب الممتازين ، ولم أكن من الخائبين كذلك .

وكنت أحمل كل أسبوع قرشا صاغا للعريف ، وهذا هو كل ما أذكره عن أيام الكتاب .

فى حـــارة الجمـــالة

ولنتحدث الآن عن حارة الجمالة حيث ولدت ودرجت ونشأت وترعرعت وحيث لايزال كل ما يتصـــل بها عالقا بذهنى واضحا كل الوضـــوح ، ذلك انه ظل متسلسلا مستمرا على الزمن بعد أن كبرت . لاتزال الحـــارة هنـــاك فى حى طولون .. فى منطقـــة منه تسمى منطقة « العمرى » ولاتزال حارة الجمالة تحمل هـــذا الاسم على لوحة مصلحة التنظيم الزرقاء . التى كانت موجودة هنـــاك منذ ذلك الأمد البعيد ، ولعل هذا يصـــور لك أهمية الحـــارة . والحارة مسدودة فى نهايتها بحوش « الجمالة » ، ولكن فتحـــة تتفرع منها قبيـــل بيتنا كانت تقودنا الى الجبل .. الى جبـــل طولون وقلعـــة الكبش ومنذ طفولتنا وفى هذه الحـــارة ثلاثة أماكن بارزة بيت الشيخ ضيف الذى سبقت الاشـــارة اليه والذى يحمل فوق شراعـــة بابه تمساحا محنطـــا .. والبيت الثـــانى هو بيت الأفندى . والمؤسسة الثالثة فى هذه الحـــارة التى يشار اليهـــا بالبنان هى حوش الجمالة فى نهاية الحارة .

الشــــيخ ضـــيف

فأما بيت الشيخ ضيف فبيت كبير متســـع كان يفوق بيتنا من حيث الاتســـاع والضخامة ، ومن حيث الأهميـــة والشهرة .. فقد كان الشيخ ضيف شيخ طريقـــة كما قدمت .. وكانت الحارة أو بالأحرى ســـكانها يراقبون فى حســـد وشـــعور مستمر بالحرمان

سبيل الهدايا الذى كان لا ينقطع عن هذا البيت .. وليس لهذه الهدايا والعربات المحملة صورة فى رأسى ولكن أحاديث والدتى عنها لاتزال ترن فى أذنى ، فقد كانت كل الأسرة تتحدث عنها فيعدون أقفصة الفراخ التى وصلت او الديوك الرومى او الخراف او القمح أو الزبد أو أنواع الفواكه .. كل ذلك يتقاطر من أنحاء القطر لشيخ الطريقة .. ولم أشهد شيخ الطريقة الكبير ولكنى مازلت أحفظ صورة شيخ الطريقة الصغير الشيخ ضيف الصغير .

والصورة التى تحفظها ذاكرتى هى صورة شيخ (مقلوظ) وأعنى (بالمقلوظ) انه من هؤلاء الذين يسبكون عمامتهم ويهتمون بقيافتهم .. ويحبون الحرير والألوان المبهجة . وكان بيت الشيخ ضيف فى ثلث الحارة الأول حيث يتصل بشارع العمرى .. وكان بيتنا يأتى فى الثلث الأخير من الحارة .. وكان مشهورا بأنه بيت الأفندى ، وأحسب أن الساعة قد حانت لنتحدث قليلا عن هذا الأفندى الذى هو والدى .

الأفنـــدى

ولد الأفندى فى بلدة كفر البطيخ من أعمال مركز دمياط .. وسمى « محمودا » وكان اسم أبيه حسينا واسم جده محمدا واسم جده الأكبر ذهب ، ولقد قص على والدى فيما بعد أن مسقط رأس الأسرة كان فى الصعيد ، وفرض عليهم أن يأخذوا أرضا فهربوا من الصعيد واتجهوا نحو الشمال لينجوا بأنفسهم من أن تكون لهم أرض وما يتبعها من تكاليف والتزامات .. واستقر بهم الحال فى كفر البطيخ ، وكانوا يشتغلون بتجارة المواشى . وكان حسين والد أبى هو أول من اشتغل كاتبا فى بعض التفاتيش وليس يحضرنى اسم التفتيش .

وولد له ابى ، ومن حديث ابى عن تاريخ حياته مسائل تستوقف النظر من حيث نضجه المبكر .. فعندما بلغ الثامنة من حياته لم يكن يعرف القراءة والكتابة فحسب ، بل انه أنشا كتابا كان يعلم فيه الناس ممن هم أكبر منه سنا ، وكان يتقاضى - كأى عريف - أجرا على تعليمه .

وكان الكبر قد اصاب اباه فى عينيه فلم يعد يحسن الاضطلاع بعمله ، فكان أبى الذى لم يزل صبيا يقوم بعمله خير قيام ورضى رؤساء أبيه عن عمله . فأبقوا الشيخ فى منصبه مادام ابنه يؤدى عمله .. وفى يوم من الأيام جاء مفتش يزور التفتيش فطلب مقابلة كاتب الحسابات فجاءوه بابى الذى كان لا يتجاوز العشر سنوات على ما اذكر .. وذهل المفتش أن يكون ذلك كاتب الحسابات وبان الغضب على وجهه فافهموه القصة .. ونصها : مرض الكاتب الأصلى بعينيه وأن ابنه يقوم بعمله .. فقال لهم وكيف يستطيع ذلك الصغير أن يقوم بالعمل ؟ ! .. فاجابوه سترى أنه يحذق عمله .. وبدا المفتش يسأل الصبى عن حسابات التفتيش والصبى يرد بوجه يثير الدهشة .. وبدا الاطلاع على الدفاتر فكانت لا تقل احكاما عن الاجابات الشفوية .. ورضى المفتش وابتهج بهذا الصبى الصغير ..

ابن الحادية عشرة يزيد دخل الأسرة

وكان هذا الحادث العارض بدء انقلاب فى حياة الأسرة . فقد ازداد الصبى ثقة بنفسه وشعورا بكيانه ، وتطلعت نفسه لاستغلال شخصيته فانتهز فرصة خلو وظيفة كاتب حسابات فى أحد فروع هذا التفتيش الأخرى وذهب بنفسه ليقابل المفتش الذى سبق له أن امتحنه واعجب به ، وطلب أن يشغل هذه الوظيفة

الخالية .. قال له المفتش : وماذا تفعل بأبيك الذى لن يستطيع العمل ؟ فأجاب محمود : ان أبى يستطيع أن يزاول العمل بنفسه ، فاذا لم يستطع فان من حقه أن يستريح وسأحمل له المرتب الذى احصل عليه ، وأجرى امتحان للصبى الذى لا أظن انه كان يزيد على أحد عشر عاما فى ذلك الوقت، ونجح فى الامتحان وتلقى الوظيفة ذات المرتب الضخم ، فقد كان لا يقل عن « مائتى قرش » ومائتا قرش فى ذلك الوقت اى من ستين عاما كانت شيئا مذكورا « ستون عاما وقت كتابة المذكرات عام ١٩٥١ أى أكثر من مائة سنة اليوم » .

وقد غضب ابوه بطبيعة الحال لهذا التصرف .. فقد بدا يشقى فى عمله ويتكشف عجز بصره بالتدريج ، ولكن ابنه عالج الموقف بان عين لأبيه صبيا مساعدا بخمسين قرشا فى الشهر ليؤدى له مطالعة الأرقام واثباتها تحت اشرافه ، وفى نفس الوقت ساق لأبيه المرتب الذى حصل عليه فى أول الشهر ، وهكذا لم يستطع والده الا أن يسكت عن تصرفات ابنه الكبير والتى انتهت بزيادة دخل الأسرة .

ولعل هذا الحادث يكشف عن شعور والدى العميق بشخصيته وحرصه الشديد على الاستقلال بهذه الشخصية وهو بعض ما أورثنى اياه فى مقدمة ما أورث .

وبدأت قصة الأفندى من ذلك التاريخ : شاب ممتاز فى حسابات الدوائر يتميز بالنشاط والحيوية والحزم ، وبهذه الصفات راح ينتقل من عمل الى عمل فى التماس الترقى والنضوج .

واستقر به النوى فى مدينة سمنود كاتبا للحسابات فى دائرة السيد عبد العال ، وفى سمنود تعرف بأسرة والدتى وكان يرى

أياما ولعله كان موظفا معه فى الدائرة أو فى عمل مشابه .. ويقول أبى انه أعجب بصورة أبيها الذى كان أبيض الوجه جميل الطلعة ، فتصور أبى أن لو كان لهذا الرجل بنت فلابد أن تكون جميلة خاصة وأن اخا لها يبدو بدوره حسن الصورة .. ولقد كان للرجل بالفعل ابنة تدعى هانم ولم يكن تصوره بعيدا عن الحقيقة ، فقد كانت على جانب كبير من الجمال فى مقياس أهل الريف وكانت بيضاء اللون .. ممشوقة القد وكان هذا يكفى لجعلها تحفة فى هذا الوسط ، غير أن الذى لاشك فيه « أنها كانت تحفة بالفعل من حيث اخلاصها لزوجها وتفانيها فى خدمته وفى الصبر معه على شظف الحياة وفى تدبيرها شئون بيته وأولادهما كأحسن ما تفعل سيدة ممن يطلق عليهم ستات البيوت » .

كان الراتب فى ذلك الوقت قد وصل الى ثلاثمائة قرش أو لعله كان أكثر من ذلك قليلا .. وكان هذا الراتب قمينا أن يجعل الزوجين وما شرعا يرزقانه من أولاد يعيشون حياة معقولة .. ولكن محمودا كان يعتبر نفسه مسئولا فى ذات الوقت عن الأسرة الكبرى التى خلفها فى الريف .. أسرة أبيه وأمه واخواته البنات اللائى لم يكن لهن عائل غيره ، بعد أن انتهى أبوه الى التقاعد نهائيا لاشتداد العجز عليه ، ولقد حدثتنى والدتى عن صنوف الحرمان التى عانتها مع ابى فى هذه الحياة الأولى ، حيث كان يرسل كل شىء الى عائلته ويعيشون هم على الكفاف .. وكانت تقص فى حسرة شديدة كيف أنه كان يحدث فى بعض الأوقات أن تأتيهم هدية من هنا وهناك ولتكن عنبا مثلا فتمنى والدتى نفسها بأنها ستأكل العنب الذى حرمت منه طويلا ويتلمظ اخوتى الصغار فى ذلك الوقت لهذا العنب ، فاذا بقرار والدى يصدر بأن سلة العنب سيعاد شحنها للسفر الى كفر البطيخ لأمه وأبيه واخوته .. وتحتج والدتى فينتهرها فتبكى .. فيقول لها « يا مجنونة هؤلاء اناس محرومون من كل شىء .. أما نحن

فباستطاعتنا ونحن نعيش فى المدينة أن نحصل غدا على قفة عنب.. ولكن قفة العنب هذه لم تكن تأتى ابدا .. أو هكذا كانت تقص على والدتى ..

وكانت الأمور تسير على هذه الوتيرة فكل شيء يصل الى يده يسرع به الى البلد ..ثم بدت عليه ظاهرة جديدة وهى رغبته فى اقامة المآدب لزملائه ومعارفه اذا وقع فى يده ما يمكن أن يصلح لاقامة مأدبة .. تقول أمى أهداهم بعض الناس فى مناسبة من المناسبات ديكا روميا ولم تصدر الأوامر بترحيله الى البلد ففرحت بذلك وابتهجت وهى ترى الديك يملأ عليها الحياة بهجة وأمانى حلوة .. ولكنها فوجئت فى يوم من الأيام أن الباشكاتب وفلانا وفلانا مدعوون لتناول الغداء عندهم فى يوم معين وأن الديك الرومى سيكون هو محور المأدبة .

وقنعت والدتى هى وأولادها بالمرق وبعض حواشى الديك كجناح وما أشبه .. وربما تخلف عن الضيوف بعض البقايا التى لم يمتد اليها كرم كاتب الحسابات الحاتمى .

هذه هى الصورة التى عاشت عليها والدتى طول حياتها الأولى فى الريف قبل أن تنتقل الأسرة الى القاهرة وهى فترة استغرقت عشرين سنة على الأقل .. ويضاف اليها الانتقال من بلد الى بلد التماسا لرزق أوسع وراتب اكبر .. فقد كبر كاتب الحسابات وزادت مطامحه فكان كلما سمع عن وظيفة أكثر قدرا أو أكثر راتبا تقدم لها ، ويظهر أن كتبة الحسابات فى ذلك الوقت البعيد كانوا نادرين جدا ، أو أن والدى كان ممتازا جدا فى عمله بحيث انه لم يشك فى يوم من الأيام من عدم وجود العمل ، كما أنه لم يكن يتردد فى أن يترك العمل اذا لم يعجبه .. ولقد كان يستقيل من عمله لأتفه الأسباب اذا تصور أن كبرياءه

مست أو أنه ليس محل الثقة الكاملة .. ولقد كنت وأنا صغير في السن أتميز غيظا وهو يقص علينا كيف خرج من هذا العمل او ذاك لأن صاحب العمل راجعه في قوله .. أو لأنه قابله بغير الوجه الذي اعتاد ان يقابله به .

في دائرة عزيز باشا عزت

عمل والدي في كثير من التفاتيش الحكومية والأهلية .. ومن الأسماء التي لاتزال عالقة في ذهني بلدة « بشبيش » وكثيرا ما جاء ذكرها في أحاديث والدي ووالدتي .. ولكن القصة المستفيضة التي ظللت أسمعها منذ طفولتي المبكرة حتى آخر أيام حياة والدي هي قصة عمله كاتبا للحسابات في دائرة عزيز باشا عزت وما بلغه من المكانة في هذه الدائرة ومن الحظوة عند عزيز عزت .

ولقد بدا والدي كاتبا عاديا أو ممتازا للحسابات ولعل راتبه كان قد وصل في ذلك الوقت الى ستة أو سبعة جنيهات .. ثم اكتشف ان هناك في الدائرة قطعة كبيرة من الأرض البور فاقترح أن تستصلح هذه الأرض فقال الفنيون بعدم امكان استصلاحها ، فتطوع والدي بأن يقوم بالعمل اذا أعطى السلطة الكافية فمنحه عزيز عزت السلطة اللازمة فكتب الى التفاتيش المختلفة التي تتبع الدائرة يطلب أن ترسل لهذه المنطقة بعض المواشي ، فتجمع له اربعون زوجا من الثيران وفحول الجاموس والأدوات والرجال اللازمون للعمل ثم راح يعمل بهمة لا تعرف الكلل ، فان هو الا شهران حتى استطاع أن يستصلح مائتي فدان على ما أذكر تقدم الفلاحون لاستئجارها بأربعة جنيهات للفدان .. ونجحت المحاولة بذلك نجاحا منقطع النظير .. فرأى

عزيز عزت ان يكافىء والدى على هذا النجاح فعرض عليه أن يزيد فى راتبه بضعة جنيهات أو أن يستصحبه معه الى استنبول عاصمة السلطنة لمشاهدتها . . فاختار والدى السفر الى استنبول وقد كان السفر اليها فى ذلك الوقت بمثابة السفر الى أمريكا هذه الأيام حلما يخالج الكثيرين فى أحلامهم .

وسافر والدى الى استنبول فى ركاب عزيز عزت . . وقد ملأت هذه السفرة ما بقى من حياته التى استمرت اربعين سنة بعد ذلك التاريخ . . ولقد شببنا جميعا نسمع أقاصيص والدى فى خلال رحلته الى استنبول . . ولم يكن هناك سبيل لادخال السعادة على نفسه أكثر من ان تطلب منه أن يحدثنا عن رحلته الى استنبول . . ولقد كنت وانا فى أول شبابى أستهجن هذه الحكايات التى سمعتها أكثر من مرة . . ولكنى بعد أن كبرت لم يكن هناك ما يسعدنى أكثر من ان اجلس اليه ثم أدير الحديث حتى أصل الى بعض ما يؤدى الى استذكار حوادث استنبول ، ثم اطلب منه أن يقص علينا القصة . فتلمع عيناه وتشيع فى نفسه الغبطة والرضى ، ثم يشرع يقص وكأنه يقص للمرة الأولى فى حياته حوادث لم تطرق أسماعنا من قبل .

ولا عجب فى ذلك فقد كانت هذه الرحلة بالنسبة اليه فى شبابه المبكر قمة ما وصل اليه من النجاح . . فهذا الفلاح الصغير الذى خرج من كفر البطيخ ليعمل بمائتى قرش لاطعام أسرته الخاصة وأسرة والده . . قد وصل الى حد أن يسافر فى ركاب أحد الكبراء الى دار السعادة ويشاهد متاحفها وقصورها . . ويجالس الأتراك ويلمس مظاهر عظمتهم التى كان يتطلع المصريون فى ذلك الوقت لسماعها . والتقط والدى بضع كلمات تركية خلال رحلته فكانت مما يترنم به من حين لآخر .

وعنـدما يقص قصصـه يتوبلها بهذه الكلمات التركية فتجعـل لقصته رونقـا .

اسـتقالة لها دوى المـدافع

وعاد أخيرا من استنبول فى ركاب الباشـا الكبير فوجد موظفى الدائرة جميعا وقد قلبوا له ظهر المجن ، فقد أشفقوا على أنفسهم ، من الحظوة التى نالها والنجـاح الذى حققه باصـلاح المـائتى فدان مع انه ليس الا كاتب حسابات ، وقد كان أولى بهذا العمـل نظار الزراعـة ومأمورها من الفنيين .. كان أولى به المفتشـون ووكيل الدائرة الكبيرة ، ولذلك فقد اتحد الجميـع على النيل من والدى والدس له عند عزيز عزت .. كان مما فعلوه أن كتبوا تقريرا يظهرون به أخطـاء عملية الاصـلاح وأنه ترتب عليها هـلاك عشرة أزواج من المواشى وهزل باقى مواشى الدائرة ، وأن عمليـة الاصلاح قد انتهت الى اصـلاح مائتى فدان فقط لا الف فدان .. وصوروا العملية على انهـا كانت عملية فاشلة نتيجة تصـدى رجل غير مختص ، واسرفوا فى اظهـار ما أصـاب المواشى بعد كارثة موت عشرة أزواج وهزال الباقى واشرافه على الموت ..

ويقول والدى انه دعى ذات يوم ليقابل الباشـا فدخل عليـه فالفاه متجهما ، وبادره بالقول بأنه قد ظهر له (أى الباشـا) أنه تسرع فى مكافأته على ما قام به من عمل ، فقد ماتت المواشى ، والحى منها فى طريقـه الى الموت ، وأن هذا العمل كان تدخلا من كاتب الحسابات فيما لا يعنيـه .. وأنه وضـع نفسـه فى غير محلهـا وكان والدى يذكر حتى آخر لحظـة من حياتـه كيف رد عـلى عزيز عزت .. وكان يذكر حتى الاشـارة والايماءة ويحس بذات الانفعال الذى احس به ساعتئذ وكيف عزت عليه نفسـه الى درجة انه كاد ان يسب هذا الباشـا الذى اظهر كل هذا الغبـاء ..

ولكنه تمالك نفسه ، وقال لسعادته فى هدوء .. ان هذه العشرة أزواج من المواشى التى قيل انها هلكت انما ذبحتها بنفسى وبعت للفلاحين بنصف سعرها الأصلى ، وعلى ذلك لايمكن أن تعتبر هالكة .. أما القول بأن باقى المواشى قد ذبل بعد عملية الاصلاح .. فاصلاحه سهل ميسور وموسم واحد تأكل فيه المواشى جيدا يزول اثر المجهود الذى بذلته .. وفى مقابل ذلك اصلحنا مائتى فدان دفع الفلاحون ايجارها أى ثمانمائة جنيه وستظل الدائرة تتقاضى هذا المبلغ الى ما شاء الله .. أى أن الباشا يحاسبنى على أننى أضعت على الدائرة مائة جنيه ، فى ثمن المواشى فى مقابل ثمانمائة جنيه تأتيه كل عام ، ولست أتصور كيف يكون ذلك محل اتهام او محل غضب !

واسرع عزيز عزت وقد تجلت له هذه الحقائق يصلح من مركزه فيقول انا لست غاضبا ، وانما أردت أن ألفت نظرك الى ان يكون عملك برفق وهوادة وفى حدود المعقول .. فقال والدى هذا ما سأحاول ان أعمله ان شاء الله ولكن فى مكان آخر غير هذا المكان ، لأنى أرجو أن تعتبرنى يا باشا مستقيلا .. وصدق عزيز عزت ان يتجرأ هذا الكاتب الصغير على أن يتحداه بهذا الأسلوب ويتحدث عن الاستقالة فانفجر غاضبا ساخطا ، وطلب من والدى أن يسحب هذه الكلمة وأن يعتذر عنها ، ولكن الكاتب الصغير أصر على موقفه .. وقال للباشا اننى مقدر لسعادتك كل عطفك وجميلك وأياديك على ، ولكننى كنت أعمل حتى الآن منطلقا فى ظل الاعتقاد أننى حائز على ثقة الباشا .. أما وقد تبين لى اننى قد أفقد هذه الثقة فى أى لحظة لدس دساس او خديعة حاسد موتور فاننى لن أستطيع أن أبقى فى هذا الجو والمحيط .. قال ذلك وحيا الباشا وانصرف .

وعبثا حاول بعض الوسطاء أن يؤثروا عليه ليعدل عن استقالته التى اصر عليها اصرارا عجيبا كنت كما قدمت الومه عليه .. ولكنه كان يظهر اعتزازه بهذا الموقف .

ولست أستطيع أن اتتبع وظائفه التى انتقل اليها بعد ذلك.. ولكن قصة أخرى لا أستطيع أن اغفلها لكثرة ما قيلت أمامي ولأنها تحدد تماما صورة والدى .

فى دائرة كمال الدين حسين بنجع حمادى

ولقد وقعت هذه القصة أثناء هذه الفتنة التى نجح الأعداء فى اشعالها بين المسلمين والأقباط ليتمكنوا من توطيد استعمارهم فى البلاد .. فعقدت هذه المؤتمرات التى ألف الأقباط فيها جبهة .. وعقد المسلمون مؤتمرا معارضا مؤلفين جبهة ثانية .

وفى ذلك الوقت اختير والدى باعتباره مسلما ليكون باشكاتبا فى تفتيش الأمير كمال الدين حسين فى نجع حمادى ، وقد كانت هذه اول مرة يرقى فيها الى مرتبة الباشكاتب واول مرة يذهب فيها باشكاتب مسلم . ولقد ذهب والدى مستصحبا أسرته وفى نفسه آمال عريضة وعزم وطيد على أن يبنى مستقبله الذى يتناسب مع مواهبه ونشاطه واقتداره ، ولقد اشترط قبل سفره أن يعطى سلطة مطلقة فمنحه اياها مفتش الدائرة التركى ، ولكن الخلافات الطائفية كانت على أشدها فى هذه الفترة كما قدمنا ، ولذلك فقد فوجىء والدى بمجرد ذهابه الى مقر عمله بمقاطعة كل موظفي التفتيش له وقد كانت جمهرتهم الكبرى من الأقباط .

يقول والدي لم يذهب احد للسلام عليه أو استقباله ، وعندما وصل الى مقر التفتيش فى اليوم التالي لاستلام العمل

وجده قاعا صفصفا الا من بعض الفراشـين والخدم . سـأل عن الموظفين .. عن شعبة الحسابات .. وعن المخزنجى فقيل له انهم مشغولون بسـوق البلدة وان عادتهم يوم السـوق أن يحضروا متأخرين أو لا يحضروا على الاطلاق .. فى هذا اليوم .

وتكرر الحـادث فى اليوم التـالى ، وهنـا رأى الباشكاتب الجديد أن الأمر يحتـاج الى حزم شديد ، فكتب اعلانا يحتم فيه على جميع الموظفين أن يكونوا موجودين فى مكاتبهم الساعة الثامنة صباحا ، ومن يتأخر عن الموعد يخصـم منه مرتب اليوم ، فاذا تكرر غيابه يخصـم أسبوع من مرتبه .. فاذا غاب بعد ذلك يفصل من العمل فورا .

ودهش الموظفون لهذه اللهجة التى يخـاطبهم بها الباشكاتب فلم يسبق لهم أن سمعوا من قبل مثل هـذا الخطـاب الصـارم وبداوا يتراجعون عن موقفهم بعض الشىء ، فانتظم بعضهم فى العمل ولكن البعض الآخر رأى أن يمضى فى التحـدى حتى النهـاية ، والمسألة عندهم لم تزد على حرب الأعصاب فى تصورهم .

وطبق الباشـكاتب الجزاء على من تأخروا اول مرة فكتب قرارا بخصـم يوم من راتبهم وعهد به الى كاتب الحسابات للعمل به عنـد صرف المرتبـات .. حـاول الكاتب أن يلتمس العذر للمتأخرين ويطلب السـماح عنهم ، ولكن الباشكاتب أصر .. ومضى المتخلفون فى مناوراتهم فعادوا للتـأخر فكتب قرار خصـم الأسبوع من مرتباتهم .. وجاء كاتب الحسابات ومعه بعض زملائه يبينون للباشكاتب خطورة هذه السياسـة المنطوية فى نظرهم على التحدى .. والمسـألة يجب أن تكون مسـألة تعاون .. فرد عليهم الباشكاتب بأنهم يجب ان يقولوا ذلك لزملائهم ، فهو لا يعـرف لـماذا يخاصمونه ولـماذا لا يرغبون فى التعـاون معه ؟ .. وسـألهم

فى اى عمل يجوز للموظفين أن يذهبوا للعمل وقتما يشاءون ويخرجوا منه عندما يريدون .. فقالوا له عشنا على ذلك طول السنين .. فقال لهم لا اظن ذلك .. وحتى لو كانت هذه طريقة من سبقونى فانها ليست طريقتى .. قد يسمح رئيس العمل غير الشريف لموظفيه بالتهاون فى عملهم أما الموظف المستقيم الذى يعرف واجبه فلا يسمح بهذا العبث .. ولم يقتنع القوم بهذا الذى قيل ، ولما كان موعد تنفيذ عقوبة الخصم من الراتب لم يحن بعد .. فقد مضى النفر الذى أخذ على عاتقه ازعاج هذا الباشكاتب المسلم الجديد فى الاخلال بالأوامر فتخلف واحد منهم عن الحضور فى المواعيد المقررة عمدا .. فما كان من الباشكاتب الا أن أرسل الى مقر الدائرة فى القاهرة يطلب فصل هذا الموظف وأن يجاب طلبه فورا ليستطيع مزاولة عمله واقرار النظام فى التفتيش .. وفوجىء الموظفون بقرار الفصل يأتى من القاهرة لهذا الموظف المخالف .. وكان ذلك آخر ما يتصوره القوم ، فالمسألة اذن جد لا هزل .. وهذا الباشكاتب لم يلق بالا لهذا الجو الذى بدأ يحيط به ، وفى خلال هذه الفترة كان قد بدأ يطلع على الدفاتر وعلى الحسابات ويكتشف اختلاسات وأموالا ضائعة .. واهمالا شديدا عاد على الدائرة بأكبر الخسائر .. ومرة أخرى دعا الباشكاتب الموظفين .. وأراهم هذا الذى اكتشفه فى الدفاتر وأنه لن يسمح باستمرار هذا العبث .. وانه اذا كان سيتغاضى عن الأشياء الماضية التى سبقت حضوره ، فهو لن يتسامح مع أى أحد كان ابتداء من الساعة التى أصبح فيها مسئولا عن العمل ، لا تهاون ولا اختلاسات ولا استغلالا للنفوذ .. ومرة أخرى شعر الجميع بأن الجو أصبح خانقا وان هذا الباشكاتب لا يحتمل ويجب التخلص منه بأى شكل من الأشكال .

وفى يوم جمعـة وكان الباشكاتب فى بيته طلب أحد النـاس أن يقابله فاستقبله ، وكان القادم يريد الالتحـاق بوظيفـة راتبها مائة وخمسون قرشـا فى الشهر وتعجب والدى أن يجيئه الشخص فى البيت يوم الجمعـة وأحس أن فى الأمر شـيئا .. وفى هـذه الأثناء كان أخى محمد ـ وكان لايزال صغيرا فى ذلك الوقت ـ قد دخل الى الحجرة يلسب .. فاذا بالرجل يعطيـه فى يده قرطاسـا من الورق فأخذه والدى من يده فوجده ثقيـلا بعض الشىء ولما فتحه اذا به يكتشف ان هذا القرطاس لا يحوى أقل من ١٢ جنيهـا ذهبيا فسأل الرجل عن معنى هذا فقـال له هذه هدية صـغيرة للمحروس وبنا يعمر بيتك ما أنت حتعمر بيتنا ، قـال له ولكن الوظيفـة التى تتطلبها بمائة وخمسين قرشـا أى ان هذا المبلغ هو راتب تسـع شهور تقريبـا ، فأجاب الرجل هذا كله فضلة خيرك ، وسكت والدى قليـلا وأطرق مفكرا ثم سـأل الرجل الك اقارب يعملون فى التفتيش ؟ قـال نعم أنـا ابن عم فلان ، فقـال والدى خذ نقودك أولا وان شـاء الله يكون خيرا ، وخرج الرجل مسرورا ومغتبطا .

وفى اليوم التـالى جمع والدى الموظفـين واخبرهم بانه قد أرسـل الى مصر يطلب فصـل (فلان) بالتلغراف وقص عليهم ما حدث بالأمس وان أمثال هذا الالاعيب لا تجوز عليـه وهو لايمكن أن يرتشى .. وعبثا يحـاول الموظف المفصـول ان يتنصـل من الموضوع وان يقسـم بأن لا علم له به ولا دخل له فيه .. وتحولت المسألة عند هـذا القدر الى مسـألة حياة أو موت بين الموظفـين وكانت اغلبيتهم من الأقبـاط .. فارسلوا الشـكاوى تترى من هذا الباشكاتب ، وفى هذه الأثنـاء كان المفتش التركى الذى عين والدى وأعطـاه السـلطة المطلقـة قد حل محـله مفتش مسيحى

جديد .. وكانت زيارة واحدة من هذا المفتش للتفتيش كافية لأن تجعل والدى يدرك أنه لن يكون باستطاعته أن يواصل عمله فى الحدود التى رسمها لنفسه ، ولذلك فقد أسرع الى القاهرة وقدم استقالته ، ومرة أخرى حاولوا عبثا أن يثنوه عنها وأنه ما عليه الا الا يكون جامدا أو متزمتا .. وان يكون مرنا بعض الشىء وبحبوحا .. وقد كانت هذه آخر خلة يمكن أن يوجد فيها ذرة واحدة فى خلق الرجل ، ولذلك فقد طويت صفحة نجع حمادى عند هذا القدر .

فى المعية السنية

وتنقل والدى على ما أذكر فى بضعة أعمال أخرى كان من بينها مجلس مديرية الغربية . وفى هذه الأثناء كان قدتعرف على موظف كبير فى ديوان السلطان الذى كان يطلق عليه فى ذلك الوقت « المعية » وكان هذا الموظف الكبير يسمى محمود بك محمد وهو رئيس الادارة الغربية على ما أذكر ، وقد أحب فى والدى اخلاصه فى العمل ونشاطه وغيرته وخلقه القوى فرجاه والدى ان يوجد له عملا فى السراى ووعده الرجل خيرا .. وجاءت فرصته عندما احتاجوا الى كاتب حسابات فقال لهم محمود بك محمد عندى لكم القوى الأمين ، وأصبح محمود افندى حسين كاتب حسابات فى المعية ، وهكذا وصل هذا الريفى الذى خرج من كفر البطيخ الى أن يكون موظفا فى المعية أى فى أرقى بيئة فى مصر .. وأصبح يتعامل مع الباشوات والكبراء الذين رضوا كل الرضا عن محمود افندى .

وكان طبيعيا أن يصبح مقر محمود أفندى مدينة القاهرة وأن يسعى أول ما يسعى أن يكون له بيت يملكه ، وقد كانت البيوت وملكية البيوت هى أعظم ما ترنو اليه نفسه منذ غادر بلدته حتى

آخر يوم فى حياته ، ومع ذلك فقد قدر له أن يخرج من الدنيـا وهو لا يملك شيئا من حطام الدنيا .

اشترى محمود أفندى هـذا البيت فى حـارة الجمالة بثمانين من الجنيهـات جمعها من كده وتعبه طوال سنوات .

ففى خـلال هذه المدة كان أبوه قد مات وكذلك امه ولم يعد يرسل القسـم الأكبر من راتبـه الى أسرته فى البلد كمـا كان يفعل .. وارتفع راتبـه فى هذه الأثنـاء ولعله كان يتقاضى فى المعية خمسة عشر جنيها كل شهر على وجه التقريب .

ولذلك فقد اشترى البيت وهو مؤلف من ثلاثة أدوار الدور الأرضى وهو عبـارة عن حوش وبه حجرتان أو بالأحرى (مندرتان) ثم دور أول يتالف من (فسحة) وثلاث حجرات ، ثم دور أعلى على غرار الدور الأول وسطح ومازلت أذكر كيف كان سطوح هذا البيت متصـلا بسطوح البيت المجاور ولم يكن له دائر يحيط به وكيف أجرى والدى بمجرد شراء البيت عمـارة به فانتزع بلاط الحوش القديم (المعصرانى) وجىء ببلاط جميل ملون من الأسمنت و « بلط » السـطوح وبنى له دائرا فاصبح مصيفا جميـلا ننـام فيه أيام الصيف فى الليـالى المقمرة وكان ذلك من أعظم المتع .

وطلى البيت بالزيت وادخل اليه المـاء وهكذا أصبح جميـلا نظيفا ولكنه لايزال فى حارة الجمالة ، على أن وجوده فى حـارة الجمالة فى الواقع ميزة من أكبر المزايـا فلو كان هذا البيت فى غير هذه الحـارة لمـا كانت له كل هـذه الشـهرة وهذا التفوق .. ولو كان محمود أفندى حسين يسـكن فى غير حارة الجمالة لمـا كان له كل هذا الخطر فى روحته وجيئته ولمـا كان بيت الأفندى أحد المعالم الثلاثة فى حارة الجمالة .

ونصل الآن الى المكان الاشــهر فى الحــارة ذلك الذى سميت باسمه نصــل الى حوش الجمالة ولابد أنه كان اقدم مكان فى هذه الحارة وأنها تأسست من بعده وحوله .

ان هذه المنطقــة تقع كما قدمت فيما يســمى جبل طولون ولابد ان للجمالة والجمــال كان لهم صولة وجولة فى الزمن القديم فكان هذا (الحوش) مركزا للالتقاء والســكنى والتخزين ، ولكن عندما يبدأ تاريخنــا هذا لم يكن هــذا الحوش مسكنا للجمــالة ولكن كان مسكنا لعمال قطع الأحجار (الدباشــة) وكانت العربات التى تخزن به هى عربات الدبش ، وكان سكان هذا الحوش الكبير هم من عمــال الدبش والحجــارة على عكس باقى سكان الحــارة والذين كانــوا من صغــار الموظفــين أو صغــار التجــار وكبــار الأسطوات .. فكان هذا القسم والحــالة هذه يعتبر منطقة حراما بالنسبة للأولاد الصغار لم يكن يسمح لنا أن نختلط بأولاد الحوش ولا ان نشاطرهم الألعاب .. ان فى باقى أولاد الحــارة من يصــح الاختلاط بهم (مع الاحتياط) وأما الحوش والاقتراب من الحوش فقد كان مبعث رعب شــديد مما يقال حوله من اشاعات وعن نوع سكانه .. وهو مبعث رعب من ناحيــة العقاب الذى يحل بنا من الأسرة اذا نحن اقتربنــا منه فضــلا عن الدخول اليه والامتزاج بســكانه .

ولكنى مع ذلك غامرت أكثر من مرة بالدخول الى ما وراء هذا الســتار الحديدى ومازالت ذاكرتى تحفظ من هذه المغامرات صــورتين واضحتين كل الوضــوح . أما الصــورة الأولى فلعب أطفال الحوش بعمل عربات صغيرة من الصفيح على صــورة عربات الدبش الكبرى ، ثم يربطون بهذه العربات كلابا كأنها الخيول أو البغــال التى تجر العربات بأنواع مختلفــة من الدبش وقطــع الفخار الأحمر على غرار أنواع الأحجــار المختلفــة التى يتعامل

فيها آباؤهم .. ومازلت اذكر حتى الآن الانفعال الشـديد الذى احسست به وانا أرى الأولاد يلعبون بهذه الدمية الحية وشـديد رغبتى فى أن تكون لى عربـة من هذه العربات يجرها كلب .. ولكن لم أجرؤ على الوصـول الى هـذه الدرجة فاكتفيت بالمراقبة وبالعدو مع الأولاد من حول هذه العربات داخل الحوش العظيم .

اما الصـورة الثانيـة عن مغامرتى داخل هذا الحوش والتى لاتزال محفورة فى ذهنى كذلك فصورة زار اقامه الأولاد والفتيـات على غرار حفلات الزار الكبرى .

وفى هـذه الحفلة تطورت فى الاجتراء ودخلت بيتا من البيوت حيث كانت تقام هذه الحفـلة .. وأقيم الكرسى واحضر الأولاد حمصا وفولا سـودانيا وبعض الملبس (الأرواح) ووضعوه فوق الكرسى قياسـا على كرسى الزار الذى يحمل كل أنواع المكسرات والفواكه .. وبدأت الطبول تدق والصبيان والفتيـات يرقصـن رقصة الزار (يفاروا) وفى هذا الجو الصـاخب أحسست أننى تماديت فى الاجتراء على مخالفة القوانين فانسحبت من الحفـلة خائفا مذعورا .. ولست أذكر الآن اذا كنت قد عوقبت على الاجتراء أم لا من والدتى .. ولكن الذى اذكره .. أننى لم اعد الى هـذا الحوش بعد ذلك ولعل مرجع ذلك الى اننى كبرت فى السـن ... او لأننى بدأت اتصـل بالعالم الخـارجى .. خارج حدود الحارة .. فقد كان التطور يقتضى أن انقل الى مدرسـة أولية .. وتقع هذه المدرسة خارج نطـاق الحارة والمنطقـة التى تجاورها .. ولعلها تقع فى شـارع طولون الأصلى .. على أية حال لاتزال هذه المدرسة هناك .. وباتصـالى بهذه المدرسـة انفصلت عن اولاد الكتـاب وبيئة الكتاب وأصبحت أرتدى بدلة بدلا من الجلباب فى الكتاب .. ولابد أن لذلك تأثيرا فى عدم ترددى على حوش الجمالة .

فى المدرســة الأوليــة

ليس هناك ما يتصــل فى ذاكرتى من أيامى فى هذه المدرســة الا ما يتصــل بالمــأكولات الشهية والحلوى التى كنت أحصــل عليها بمصروفى اليومى أثنــاء ذهــابى الى المدرســة أو بعد خروجى منها او فى وقت الفسحة فى الظهر .

كان مصروفى اليومى مليما .. وقد كان هذا المليم له قوة شرائية عجيبة لا نتخيلها هذه الأيام .

كان هناك أمام المدرســة دكان يبيع (السجق المحمر والكبدة والفشــة وكل متعلقات الخروف) .. وكنت أقف أمام دكان الرجل وهو يحمر قطعــة السجق الخاصــة بى والتى قد تكون أحيانا بنصف مليم .. وأحيانا بمليم كامل فتكون كبيرة الحجم . ومازال منظر صينية الكبدة والدهن ســائل بها وهو يفرقع ويطشطش فوق النار .. لايزال منظر الرجل وهو يقذف بقطعــة السجق فى هذا الســائل الدهنى الحــار فلا تكاد توضــع به حتى تنبعث منها رائحة زكية مع تطــاير رشاش الدهن .. لاتزال هذه الصورة منطبعة فى ذهنى كأحلى ما يوجد فى ذهن الانسان من ذكريات .

وكان هناك (الكسكسى) الذى يمكن الحصــول على طبق منه بنصف مليم أو طبق بمليم كامل .. وهو بدوره طبق فاخر كان يخفق له الفــؤاد . أو طبق من (الكشرى) ، هــذا الأرز والعدس (أبو جبة) والذى لا يستكمل طعمــه الجميل الا بعد أن نغرقــه بماء الشطة (الدقــة) ، وهنــاك سيدة الجميــع « البسبوســة » وكانت الســعادة الكبرى هى الحصــول على قطعة منها .. ونقف مرة أخرى أمام صينية الرجل ، حيث يقطع

بسكينته قطعة صغيرة وفوقها .. (لوزة) ولكنهـا لا تأخذ أبهتها وجمالها الا بعد ان تحمر فى السـمن وبعد أن نرجوه أن يغرقهـا بالسـمن .

وكانت هنـاك البليلة .. بليلة الذرة لا بليلة القمح .. وكان هنـاك دكان آخر يبيـع الحـلوى والملبس والأرواح وكان اجمـل ما يستهوينا .. نوع من الحـلوى فى حجم الريال يلصـق على شريط من الورق ويسـمى « خد البنت » وحلوى براغيث الست وكان هناك « العلى لوز ».

وكانت هنـاك الدندورمة المصنوعـة من اللبن الحليب .. وكانت لا تكاد العربة تظهر حتى نحيط بها ونصعد على عجلاتها فى انتظار ما اشتريناه ، وكان هنـاك غزل البنـات وكان مشهد الآلة وهى تصنعه أمامنـا احـدى متع الطفولـة .. (ولايزال ممتعـا حتى الآن) .

وكان هنـاك صنفان من الحـلوى لايثيران الاهتمـام أمـام المدرسة لأنهما كانتا مألوفتين فى داخل حارة الجمالة .. وتلك هى « حلاوة زمان يا عنبر » ، وهى هذه الحـلوى التى يلفها الرجل على عصـا طويلة وفى آخر العصـا (شخشيخة) فقد كان باعتها يرتادون أصـغر الأزقـة ، وأما النوع الثـانى فهو ما يسـمونه (بسكويت بنيليا) وهو بسكويت رقيق يصنع على صـورة قرطاس الورق .. وهذا أيضـا كان باعته ينفذون الى حارة الجمالة .

ولذلك فلم يكونا يقارنان بهذه الأصناف الفاخرة التى ذكرتها لك .. والتى كانت تجعل الذهاب الى المدرسـة متعة المتع لأنها السبيل الى تمكينى من الاتصـال بهذا العـالم الزاخر بكل هذه الحلوى والمـأكولات .

هذا هو كل ما تحفظه ذاكرتى عن أيامى فى المدرسة الأولية مضافة الى هذا الحادث الآخر الذى أوشكت صورته أن تمحى من ذاكرتى .

ها نحن نقف فى الطابور فى حوش المدرسة .. وهذا واحد يخرجنى من الصف .. وغمغمات عطف .. وحديث عن مرض فى عينى .. وعدت الى البيت ولقد كنت فرحا لرجوعى الى البيت .. ويظهر أننى كنت مصابا برمد صديدى فى عينى .. فقد بقيت بعد ذلك فى البيت أعالج من هذا المرض ولازلت اذكر (ماء البوريك) وصورة الزجاجة التى تحمله .. وتنتهى الصورة عند هذا القدر .. وعندما شفيت لم أرجع الى هذه المدرسة ولكنى أدخلت الى مدرسة أخرى هى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية وهى تقع فى درب الجماميز .. وذهابى الى هذه المدرسة الأخيرة كان يخرج بى من الحارة ومن الحى ويلقى بى فى أحضان القاهرة ، ولذلك فان التاريخ يوشك أن يتسق وتبدأ معالم أيام الدراسة فى الظهور ، ولذلك فقبل أن نمضى فى هذا القسم من ذكرياتنا المرتبة والمنسقة .. فلنرجع ثانية الى مرحلة الطفولة الأولى ولنحفر فى أعماق الذكريات .. عن صور لاتزال باقية فى الذاكرة .. فان كل صورة من هذه الصور تتصل بشىء يلقى الضوء على سرد الحوادث فيما بعد .

ابو شنب

من العبث أن نتحدث عن ذكريات حارة الجمالة وما يتصل بها دون أن أذكر أحد الأسماء الداوية الذى كان يتردد فى كل يوم عشر مرات ، وذلك هو ابو شنب (الزيات) أو باللغة المصرية (البقال) كان دكانه فى الشارع العمومى الذى تبدأ منه الحارة وكان يقع فى مواجهة هذا المدخل .. ولما لم يكن

فى بيتنا خـادم بطبيعة الحـال فقد كنت أنـا فى طفولتى الوسـيلة الوحيدة للحصـول على حاجيات البيت من هذا الدكان ، وخاصة الفول المدمس فى الصـباح ، وكان الزحـام يشـتد ولكن ابن الأفندى كان يجد دائما رعاية خاصـة ، ليحصـل على نصيبه من الفول فى (السلطانيـة) ويعود .. حاملا السلطانية طوال حـارة الجمـالة .

وفى خلال النهـار قد يتردد مرتين أو ثلاثا على أبى شنب ، وكانت هذه هى نهايـة الدنيا بالنسبة له .

قد كان ابو شـنب فى الطريق العـام ولا ينبغى التجـاوز يمينا أو شـمالا بأى حال من الأحوال .. وكان ابن الأفندى يسير فى الحـارة وهى هادئة حتى اذا اقترب من دكان أبى شنب تجلت الحيـاة ، كما لو كانت بحرا متلاطم الأمواج فتدب القشعريرة الى نفس الطفل الصغير فلا يكاد يحصـل على مطلوبه حتى يسرع الى الحارة الى دار الأمان .

حسـن الطبـاخ

واذا كان اسم أبى شنب يدوى فى الحـارة باعتباره زيات المنطقة المشهور ، فقد كان هنـاك اسم آخر لا يقل شهرة ويذكر من حين لآخر بشتى المناسـبات وذلك هو اسـم حسـن الطبـاخ فتوة طولون .

كان اسمه يتردد باعتبـاره بطل طولون وحامى حمـاه .. ان مجرد ذكر اسمه يجعل الفرائص ترتعد ولكن لا على أبنـاء طولون أن يخـافوا منه فهو فتوة طولون ولايمكن ان يعتدى على أحد من طولون .. لأن أحدا لا يفكر فى طولون ان يعتدى عليه .. لقد بايعه الحى على الزعـامة والقيـادة فاصبح مسموع الكلمـة

مهيب الجانب .. وغنى عن البيان اننى لم أر حسن الطباخ هذا أبدا وقد اكون رأيته مرة ، لكن اسمه كان يتردد كما قلمت على ألسنة الأطفال .. كما يذكر فى البيت أحيانا على سبيل الاستهجان ، ونموذج للأشرار الذى لا ينبغى على أن أتصف بصفاتهم .

ولكن حسن الطباخ بالرغم من ذلك كله كان له دوى فى هذه الفترة من حياتنا ..

ومازلت أذكر كيف عدت فى يوم من الأيام من المدرسة فاذا بى أرى الحى قائما على ساق وقدم .. ووقع نظرى على بعض الأشخاص فى طريقى يسيل الدم من رؤوسهم .. ووجدت بقعا من الدم على الأرض فى مكان آخر .. وعلى الوجوه اكفهرار وفى الجو سحاب وضباب ، وسألت الناس ماذا حدث واذا بى أعلم أن فتوات الحسينية أو المذبح لا أذكر الآن جيدا .. كانوا فى صراع مع فتوات طولون فوق الجبل وانهم تقاذفوا بالطوب بواسطة (المقاليع) واستطاع فتوات طولون ان يهزموا فتوات المذبح فهربوا من الجبل وفتوات طولون فى اقفيتهم فاعتدى فتوات المذبح فى أثناء هزيمتهم ومرورهم فى شوارع الحى على (السكان المدنيين) . وكان الجميع يبدون اشمئزازهم واستنكارهم لهذا الخروج على قواعد (الفتونة) فالمبارزة بين الفتوات فى الجبل فى مواجهة الفتوات المتبارزين ، أما أن يعتدى على المارة وعلى السكان الآمنين .. فليس هذا من الرجولة فى شىء ولا من الشهامة فى شىء .. وكانت الكلمة التى تجرى على الأفواه هى ضرورة الانتقام .. وكان السؤال الذى يسأله كل انسان فى الحى وماذا فعل حسن الطباخ .. وأين كان حسن الطباخ .

المبارزات فى الجبل

وعلى ذكر المبارزات فى الجبل فانه يخيل الى أن طفولتى قد تأثرت الى حد كبير بهذه البيئة فى طولون ، فقد كان أعظم ما أصبو اليه بعد أن كبرت قليلا أى فى سن السابعة والثامنة أن أتسلل مع ابن عمى عبد الحميد حسين لنصعد الى هذه التلال المحيطة بنا .. ولقد كانت رياضة من أجمل الرياضات أن نتسلق هذه القمم من تل الى تل .. ولقد كانت هذه التلال تبدو لنا فى ذلك الوقت أنها قمم مرتفعة شامخة الارتفاع .. كانت تبدو بالنسبة لطفولتنا كما لو كانت قمة أحد جبال الهملايا .. وكنا نقدم على تسلقها بنفس الروح التى سنتسلق بها أعظم القمم فى العالم .. فقد كانت مغامرة وكانت مخاطرة .. ولكننا كنا نقدم عليها شاعرين لذلك بلذة لا نعدلها لذة .

وأذكر أننا ذهبنا مع صبيان الحارة فى مرة من المرات وكانوا يقلدون الفتوات الكبار فى المبارزة فوق الجبل بالتقاذف بالأحجار .. ومازلت أذكر كيف تتبعت هؤلاء الغلمان عن بعد فقد كانوا جميعا من أبناء حوش الجمالة وكنت مأخوذا ومعجبا بالطريقة التى كانوا يقذفون بها الأحجار وقطع (الشقافة) والتى كانت تطير فى السماء حتى لا تكاد العين تراها .. وقد حاولت أن أقلدهم فأقذف الأحجار الى مدى بعيد فلم أوفق .

على أننى كنت أعود دائما من جولاتى فى هذا الجبل وأنا شديد الاعتزاز والثقة بالنفس لقدرتى على السير فى هذه الأماكن (المقطوعة) وتسلق الجبال والنزول منها بسرعة .. وكنت أرى بعد أن دخلت المدرسة الابتدائية ان هذه نقطة امتياز لا تتوافر لهؤلاء الطلاب الصغار الذين كانوا لا يعرفون شيئا عن هذه الحياة التى نحياها فى طولون .

الله حى عباس جى

وهذه صورة أخرى حية من صور حارة الجمالة ولعلها الصورة الوحيدة التى كتبت عنها بعد أن كبرت وبدأت جهاد مصر الفتاة فى عام ١٩٣٥ كتبت فى مجلة الصرخة لسان حال مصر الفتاة مقالا تحدثت فيه عن هذه الصورة الحية من ذكريات الطفولة .. صورة الشيخ على وسيفه الخشبى .

والشيخ على رجل مجذوب على وجه التحقيق كما بدا لى بعد أن شاهدت الرجل وبعد أن كبرت فى السن وكان لايزال باقيا على قيد الحياة ..

فرأيت فى عينيه ما يدل على حالته العقلية غير الطبيعية .. ولعل هذه الحالة غير الطبيعية هى التى أنقذته من القبض والاعتقال والا فقد كان يقول أقوالا خطرة ويدربنا نحن الأطفال على تمرينات وطنية كبرى ..

من يدرى اذا كان كفاحى ضد الانجليز طول حياتى .. لم يكن نتيجة تعاليم هذا المجذوب .

كان يرتدى جلبابا وعمامة وفى رقبته بعض المسابح وفى يده سيف خشبى وفى اليد الثانية بوق ينفخ فيه اذا ما حل بالحارة فتتجمع حوله الأطفال والصبيان .. ولو دوى ببوقه فى نصف الليل لتركنا أسرتنا وهرعنا اليه .. ولو حال آباؤنا ضدنا لملأنا البيت عويلا وبكاء .

كانت صيحة البوق « تو تو تو .. تو » نداء لا يمكن أن يقاوم .. ولا يكاد يدوى النفير حتى يلتف الصبيان ويردوا على

صيحة البوق بقولهم : « صلوا على النبى » وتبدأ القصة بهذا الأسلوب الشيخ على يدوى بنفيره « تو تو .. تو تو » والصبيان يردون « صلوا على النبى » حتى اذا اجتمع الشمل وتكامل العدد . بدأ الشيخ على يجرى ونحن نجرى خلفه هاتفين مع هتافه « الله حى ٠٠ عباس جى » « الله حى ٠٠ عباس جى » ولم نكن نفهم من هو عباس هذا ، ولكن الصيحة كانت جميلة ٠ الله حى عباس جى ٠٠ ومن الواضح الآن أن ذلك كان فى خلال فترة الحرب عندما حال الانجليز بين عباس وبين العودة الى مصر وعينوا السلطان حسين سلطانا على مصر ٠

ولقد حدث أن أرسلت تركيا حملة على مصر وكان معروفا ان الخديوى سيكون على رأسها عندما تدخل الى مصر ٠٠ ولابد أن صاحبنا الشيخ على كان يشير الى هذا المعنى وهو يحملنا على أن نردد معه « الله حى عباس جى » ولعلك تدرك الآن خطورة هذه الدعوة التى كان يدعو اليها الشيخ ٠٠ ولكنه كان مجذوبا وكان سيفه خشبيا .. وأتباعه من الأطفال .. ولذلك ترك وشأنه .. ترك يلقن الأطفال فى الحوارى والأزقة قصة الوطنية الخالصة ويغرس فى نفوسهم بذرة الحرب ضد الانجليز لتحرير البلاد ٠

كان هتافنا الثانى اذا فرغنا من أنشودة الله حى عباس جى ٠٠ « يا عزيز كبة تأخذ الانجليز ٠٠ يا عزيز كبة تأخذ الانجليز وعندما نصل الى هذا القدر نصيح جميعا بالشيخ على ٠٠ الحرب ٠٠ الحرب شيخ على عاوزين الحرب . وهنا تصل المظاهرة الى ذروتها .. وتصل الرواية الى عقدتها فنحن الصبية نمثل الانجليز فننقض على الشيخ على لنصرعه ، فاذا بالرجل ينفخ فى بوقه ويهجم علينا ملوحا بالسيف فى الهواء فنسقط جميعا على الارض موتى ٠ هكذا كانت بعض تعليمات الشيخ على ٠٠ يجب أن يقع الأولاد صرعى على الأرض

جميعا بمجرد أن ينفخ فى البوق ويلوح بالسيف لأن الانجليز يجب أن يموتوا عن بكرة أبيهم ..

وينهض الأولاد بعد ذلك فرحين بهذه الرواية ، وتسير خلف الشيخ على مرة أخرى مبتدئين بالبداية .. تو تو .. تو صلوا على النبى .. الله حى .. عباس جى . يا عزيز كبة تاخذ الانجليز ..

من هو الشيخ على هذا .. ما هو أصله .. ما هو مصيره .. لماذا أخذت هويته هذا اللون العجيب من قيادة الصبيان للهتاف لعباس الخديوى ولمحاربة الانجليز . كل هذه مسائل لم أشغل ذهنى فى ذلك الوقت بحلها لأنه لم يكن يقوى على مجرد التفكير فيها .. لقد تقبلت الظاهرة كما هى .. ولقد ظللت أرى الشيخ على بعد أن كبرت وحتى بعد أن غادرنا حارة الجمالة .. وانتقلنا الى الشوارع الخارجية .. أذكر أننى رأيته مرتين أو ثلاثا يسير وحيدا فى بعض الطرقات العامة كدرب الجماميز أو شارع مراسينة، وكان بذات المنظر الجلباب والعمامة والسيف الخشبى والبوق النحاسى .. فيستوقفنى لبعض لحظات ويهتف شىء فى أعماق قلبى « الشيخ على » ثم أنصرف عنه ساخرا بهذه الخزعبلات .. أما الآن وأنا فى سن الثانية والأربعين فانى أقف أمام هذه الشخصية ولا أستطيع الا أن أعترف لها بأنها غرست فى نفوسنا نحن الأطفال هذه الدعوة التى ما كان لآبائنا أو لمدارسنا أو للكتب أو الصحف أن تغرسها فى نفوسنا « يا عزيز كبة تأخذ الانجليز » .

حراميـة وضبـاط

وثمة لعبة أخرى شغلت كثيرا من طفولتنا فى هذه الفترة هى لعبة « حرامية وضباط » واللعبة مشهورة وربما كان الأطفال يلعبونها حتى الآن .. ولكننا كنا نمارس هذه اللعبة بصورة عجيبة .. تبدو لى الآن فذة ومحيرة فلست أعرف كيف أتيح لنا ذلك ..

وميدان هذه اللعبة كان بعيدا عن حارة الجمالة ، كان خارج حارة الجمالة فى شارع العمرى وفى حارة صغيرة تتفرع منه تسمى « عطفة الزيادة » وكان يقع على هذا الشــارع بيت لعمى شقيق والدى وهو المرحوم اسماعيل حسين ٠٠ وكان يعمل فى وزارة الأشغال على ما أذكر ولكنه كان رجلا تقيا من المتمسكين بأحكام الدين على طريقة أهل السنة (السبكية) من أتباع الشيخ خطاب الكبير .. وكان الرجل بالرغم من وظيفته الصغيرة محترما وجادا فى الحياة حتى استطاع أن يبنى له بيتا خاصا به فى هذه المنطقة ٠٠ وكان له ابن يسمى زكى فكنت أذهب لابن عمى لألعب معه وكانت منطقتهم تعتبر أرقى من منطقة حارة الجمالة وبها بيوت محترمة يسكنها بعض متوسطى الحال ٠٠ وكان ممن يســكنون فى هذه المنطقة الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وكان لا يزال شيخا فى ذلك الوقت يلبس العمامة وكان ممن يترددون عليه ويزورونه صاحبه الشيخ طه حسين ٠٠ وهذه معلومات لم أعرفها الا بعد أن كبرت بطبيعة الحال ٠٠ وكل الذى عرفته فى ذلك الوقت أن فى هذا البيت الكبير المواجه لبيت عمى سيدة تمت الى أسرتنا برابطة من نوع ما فتزورها والدتى من حين لآخر وأزورها معها فكنت أرى بيتا جيدا وأثاثات فخمة تجعل قلبى يخفق ٠٠ وهذه هى السيدة التى تزوجها الشيخ أحمد حسن الزيات ولقد علمت بعد أن أصبحت رجلا أن طه حسين كان يتردد عليه ويجلس معه مع شلة من الأدباء فى مندرة هذا البيت وان أخا لى وهو التالى فى السن لأخى محمد الذى مات كان يتردد على هذا البيت ويحضر الندوات الأدبية التى كانت تعقد فى بيت الشيخ الزيات .. ويستمع لطه حسين ٠

هذا هو أحد البيوت وهؤلاء سكانه ، حيث كنا نلعب لعبتنا التى أشرت اليها لعبة « الحرامية والضباط » ٠

نقطة العجب فى لعبة عسكر وحرامية ، أننا كنا نرتدى بعض الملابس العسكرية « جاكيتات » وكانت هذه الملابس محلاوة بالألوان الزاهيـة ، وعلى صـدرها أحيانا بعض النياشين .. وكنا نمسك سيوفا مصنوعة من الحديد على صورة صليب ·· وكان أكثر اللعب بهذا الطراز من السيوف ولكن الامر وصل فى بعض الأحوال الى استعمال سيوف طبيعية أو على الأقل (أجربة) السيوف الحقيقية ··

وكنا نقسم أنفسـنا الى فرق ودوريات والى رتب ، فهذا عسكرى ، وهذا ضابط وهذا قائد ·· ثم نرسـم خططا ، وانى لأتساءل الآن : من الذى كان ينفق على شراء هذه الملابس وهـذه الأسلحة ؟ فلا أستطيع أن أعرف ·· ولم أكن أعرف فى ذلك الوقت ·· لقد كنا ندخل بيتا من البيوت فى هذه المنطقة ، وبعض من فيه من السكان يقسموننـا ويوزعون علينـا هذه الملابس ثم يجمعونها بعد انتهاء اللعب ·

ولقد فكرت على ما أذكر فى ذلك الوقت أن أعمل على الحصول على بعض هذه السـيوف وهذه الملابس ، فسـألت عن مصـدرها فقيل لى انها تبـاع فى سوق العصر ، ان الحصول عليها سـهل وميسور ·· وبالتأكيد لم يكن هناك مال ·· ولم أستطع الحصول على هـذه الأسلحة أو هذه الملابس فظللنا نقبل الأدوار الثانوية مع هؤلاء الكبار الذين يحرزون هذه الملابس ونسير فى ركابهم ونصدع بأوامرهم ·

وانى لأتساءل : هل يوجد فى مصر الآن أطفال يلهون فى حارة من الحارات بمثل هذا الأسلوب ، ويصل بهم الأمر الى حد شراء ملابس ضباط وعساكر ؟

تستوقفنى الآن هذه السلسلة المستمرة من ألعاب الطفولة التى اتيحت لى ·· فمن صعود الى الجبل وممارسة للحرب بالمقلاع

وقذف الأحجار •• ومن الهتاف يا عزيز يا عزيز كبة تاخذ الانجليز والمحاربة مع الشيخ على المجذوب •• الى هذه اللعبة المنظمة فى صورة الحرامية والضباط ، ونحن مرتدون ملابس الجنود والضباط •• أتساءل : هل لذلك كله تأثير فى تكوين مزاجى وآرائى وعقيدتى التى تكونت لى على مر الحياة ؟

لا أستطيع الآن وأنا أستعرض هذه البيئة الا أن أشعر أن تأثيرها لابد أنه كان عميقا فى نفسى •• على أن الذى لا شك فيه ومما لا يحتمل الجدل أن الحوادث التالية •• حوادث ثورة سنة ١٩١٩ ، ونصيب حى طولون فيها كان هو العامل الحاسم الذى وضع بذرة حياتى المستقبلة ، وأنها ستدور كلها حول الصراع من أجل الشعب وحرية الشعب وكرامة الشعب •

على أننى اريد أن انتهى أولا من هذه الصور المتناثرة التى لا تزال تناوش ذاكرتى عن طفولتى المبكرة ، لأنتهى منها جملة قبل أن أنتقل الى المرحلة الثانية مرحلة الدراسة الابتدائية واندلاع ثورة سنة ١٩١٩ ، حيث تأخذ ذكرياتى تسلسلا تاريخيا متسقا •

مصطفى فى السلطة العسكرية

ومصطفى هو شقيقى الذى يكبرنى فى العمر مباشرة ببضعة أعوام ، لقد كنا أربعة أشقاء محمد وعبد الفتاح ومصطفى وأنا وقد مات محمد على ما قدمت لك واحتل عبد الفتاح مكانه فى وزارة الأوقاف فلم يتم تعليمه ولم يحصل على البكالوريا التى رسب فيها، وكان يصغره فى السن مصطفى الذى حصل على شهادة الكفاءة من المدرسة الخديوية وانتقل الى السنة الثالثة ولكنه اختار أن يهجر المدرسة ، وأن يلتحق بالسلطة العسكرية الانجليزية • موظفا بها•• وكانت السلطة الانجليزية تستخدم المصريين فى ذلك الوقت بصورة

واسعة ، وكانت تغرى الشباب بالمرتبات التى تدفعها لهم • ومصطفى شاب طموح متحرر مغامر ، سوف نتحدث عنه طويلا فى مناسبات مقبلة • لقد كان لى أستاذا – من غير شك – ولست أحسب أن فى تاريخ حياتى كلها من أحدث أثرا عميقا فى حياتى بمقدار ما أحدث مصطفى مما سأستعرضه فيما بعد •• ولقد بدأ مصطفى فى طفولتى المبكرة يلفت نظرى اليه ويشغلنى ويحملنى على التطلع اليه فى شغف وفى حب •

فها هو يتمرد على والدى ويخرج عن طاعته بمبارحته المدرسة والالتحاق بالسلطة العسكرية •• لقد كان والدى وقد لاحظ عليه النجاح المستمر والتوفق الدائم فى الدراسة يعلق عليه الآمال الكبار فى اتمام التعليم •• وعندما نجح فى الكفاءة ازدادت آمال والدى وضوحا •• فاذا به يفجعه بهذه (العملة) واذا به يهجر المدرسة بدون اذن والدى أو علمه •• واذا به يخطره بخطاب أنه التحق بالسلطة العسكرية كاتبا بها •• ونستطيع أن نتصور غضب والدى وحنقه عليه وكيف أعلن براءته منه •• ولكن ها هو مصطفى يأتى فى أجازة •• ان والدى ليس فى المنزل وانى لأراه الآن وهو يقدم لوالدتى الهدايا التى جاء يحملها لها من عمله فى السلطة •• ووالدتى مبهورة الأنفاس فى فرح شديد •• فهذا سكر ناعم بكمية كبيرة ، ويظهر أن السكر كان عزيزا فى ذلك الوقت •• وهذه علب لحم •• وهذه علب لبن مجفف وهذه كوبونات جاز وهذا أرز • وهذه نقود فوق ذلك كله فقد جاء يحمل نقودا كثيرة من مرتبه الكبير الذى يصرف له •

وقد تصالح والدى معه على ما يظهر ونزل عند الأمر الواقع خاصة ان الفتى فى نهاية الأمر جاء بكل الراتب الذى يتقاضاه ولعله كان خمسة عشر جنيها وهى بالنسبة لشاب صغير فى ذلك الوقت كانت شيئا كثيرا •

وهكذا يطير به والدى ويرى أن الفتى ليس سيئا الى الحد الذى تصوره .. كل الذى نعيه أنه كان يريد أن يتم التعليم ويحصل على شهادة علمية فأما وقد أبى الا أن يقف عند هذا القدر فهذا شأنه .. أو لم يبدأ هو بنفسه الحياة بغير شهادة على الاطلاق .. فلماذا لا يبدأ ابنه الحياة العملية بشهادة الكفاءة .. وها هو يتقاضى خمسة عشر جنيها وهو لا يزال فى السادسة عشرا من حياته .. لا بأس بالموقف .. ويتم الصلح ولا يبقى فى النفس الا الاشفاق عليه من الخطر ، وهذا الاشفاق يبدده مصطفى عن نفس والده ، فهو يعمل فى مكاتب مصر الجديدة .. أو فى العباسية .. ولن يذهب الى ميدان القتال ، وقد ينتقل الى الاسماعلية ولكنه يعمل فى القاهرة أكثر الوقت ..

ومازلت أذكر كيف عاد مصطفى فى أحد الأيام وهو منزعج فلم يكد يرانى حتى صاح الحمد لله .. ويتابع الحديث لقد كنت شديد الخوف أن تلعب بالرصاصة التى جئت بها . لقد أحضر معه فيما أحضر رصاصة من رصاص البنادق لنتفرج عليها . وبعد أن خرج الى عمله تذكر أنه تركها فى (البوريه) وأن البوريه لا مفتاح يغلقه ، وأننى قد أفتحه واعبث بالرصاصة وقد تنطلق فى وجهى أو يحدث لى منها أذى على أى صورة من الصور .. هكذا تصور فترك عمله مسرعا وجاء الى البيت ليطمئن ، ولذلك فعندما دفع نظره على ورآنى سليما معافى هتف هتافه الذى قدمته وهو الحمد لله .. ثم أخذ الرصاصة ووضعها فى جيبه وانصرف الى عمله ثانية .

لاتزال هذه القصة واضحة فى راسى بهذا التفصيل ، فقد كان منظر الرصاصة مثيرا بالفعل ولقد حفر منظرها فى راسى وهو يرينا اياها لأول مرة .. وهو يخرجها من (البوريه) ويضعها فى جيبه خوفا من أن أعبث بها .

ولقد بدأ يخالجنى شعور بالاهمية بعد أن رأيت وسمعت من قصص أخى مصطفى عن حياتهم فى السلطة ما سمعت ‥ اننى أعرف ما لا يعرفه بقية الأولاد ‥ ولى أخ مغامر يختلف عن بقيـة الاخوان ٠

خيـــال الظـــل

ولكى أنتهى الآن من هذه الصور المتناثرة أشير الى خيال الظل وكثيرون من القراء الذين يطالعون الآن هذه السطور لا يعرفون ما هو المقصود بخيـال الظـــل ، ولست أعرف كيف أقربـه الى أذهانهم ‥ ان خيال الظل فى ذلك الوقت كان هو ما يقابل السينما فى الوقت الحاضر بطريقة بدائية بطبيعة الحال ٠ فقد كان يصنع من الورق المقوى صور بعض الشخصيات والحيوانات ثم يؤتى فى الليل بشاشة بيضـاء من القماش ويوضع خلفها مصـباح مضىء وتحرك هذه الصور أمام المصباح فيبدو ظلها على الشاشة ، حيث يراها المتفرجون الذين يجلسون فى الناحية الأخرى من الشاشة ، ثم تحرك هذه الصور بواسطة شخص يحركها (عن بعد بحيث لا يظهر ظله على الشاشـة) ، بواسطة عصى صغيرة تثبت فى أجزاء الصـورة المتحركة أى فى أيديها وأرجلها ورأسـها ، بحيث يرى خيال الصورة وهو يحرك قدميه ويحرك يديه ويحرك رأسه ‥ ويتكلم الرجل الذى يحرك هذه الأشباح بمختلف الأصوات فيقلد صوت الرجل أو السيدة أو الطفل أو الحمار أو الحصان ٠

وعلى هذا الأساس كانت توضع روايات قصيرة يشترك فى تمثيلها ثلاثة أبطال أو أربعة ٠

وتستطيع أن تتصور تاثير هذه اللعبة فى نفس طفل صغير مصرى كيف تلهب خياله وتستولى على كل حواسه ٠ وكان عهدى

بخيال الظل ما كان يصـنعه أخى مصطفى من هذه الألاعيب فى البيت . فكان يقص الورق على شكل صـور مختلفة ثم ينصب الشاشـة فى الليل ويروح يعرض على باعتبارى المتفرج الوحيد لألاعيبـه وقصصـه .

ولكن حدث فى ذات يوم أن أعلن عن وجود حفلة لخيال الظل فى بيت كبير فى منطقة بطولون تسمى الركبيـة وسيشتهر هذا البيت فى التاريخ المقبل باسم بيت القباقيبى . وقد كان هذا البيت يقع فى منطقة تبعد كثيرا عن حارة الجمالة أى عن بيتنا .. وكانت الحفـلة تقـام فى المساء ومع ذلك فقد تسـللت من العصر من بيتنـا وذهبت الى مكان هذه الحفـلة .. وكان الدخول اليهـا (بتكلة) أى مليمين .. وظللت أنتظر حتى جـاء الليل وأظلمت الدنيا وسمح لنا بالدخول . وكانت الشاشة المقامة فى حجم كبير وكانت مضاءة وعليها ظـل الشخصيتين اللتين سـتلعبان الدور الأكبر فى الرواية التى ستعرض . وقد خفق قلبى لرؤية هذا المنظر فهو يخالف هذه الصور الصغيرة التى كان يصنعها أخى مصطفى فى البيت .. هنا شىء رائع على أصله بكل جلاله وروعته .

ومضى الوقت وأوغلنا فى الليل دون أن يبدأ العرض المنتظر.. وبدأ يداخلنى الرعب والخوف لتأخرى عن البيت فلم يسبق لى أن تأخرت هكذا . ولم أفكر فى الانزعـاج الذى سأحدثه لأهـلى بطبيعة الحال . ولكنى بالرغم من طفولتى بدأت أحس بالحرج فى تأخر العرض الى هـذا الوقت .. ومع ذلك فلم أستطع أن أبارح المكان قبل أن أشاهد التمثيلية .. وفى تلك الأثناء كان شقيقاى يبحثان عنى فى كل مكان باعتبارى قد ضللت الطريق أو فقدت.. ولست أعرف كيف اهتدوا فى نهاية الأمر الى مكانى فاذا بى أفاجأ بأخى مصطفى وهو يأتى ليسحبنى من هذا المكان ، ومازلت أذكر حتى الآن هذه البسمة التى ارتسمت على وجهه عندما وقع بصره

على .. بسمة اعجاب أن تصل بى المغامرة الى حد الوصول الى هذا المكان والدخول الى هذه الحفلة .. ويلوح لى الآن أنه لولاه لما اكتشف أحد مكانى فلابد أنهم فى بحثهم الطويل سمعوا بموضوع حفلة خيال الظل فتبادر الى ذهنه أننى قد أكون ذهبت اليها .. وكان تقديره صائبا فهو أكثر الناس فهما لعقليتى .

هل ضربت فى هذه الليلة أم لم أضرب لا أستطيع أن أذكر الآن ! .. وقد يكون وجود أخى مصطفى الى جوارى حاميا لى من الضرب .. وكثيرا ما كانت أمى تشير الى أنى مجدود الحظ وأننى لا أضرب كثيرا كما كان الشأن بالنسبة لأخى الكبير .. وأننا قد ولدنا فى عهد تطور فيه والدى فلم يعد يضرب كثيرا ..

حب القطط

ومما يتصل بطفولتى اتصالا وثيقا جدا هو تعلقى الشديد بالقطط والذى كان مصدر خلاف دائم بينى وبين والدتى التى كان فى قلبها من الرحمة مالا يجعلها تكره القطط أو تعتدى عليها ، ولكنها كانت دائمة تحذيرى منها .. ولا يزال فى ذاكرتى حتى الآن كيف كنت لا أنام الا وقطتى على صدرى .. وصوت والدتى فى أذنى مستنكرة ذلك ، وان أنفاس القطة ستضر بصحتى عندما تختلط بأنفاسى ، ولكننى لم أكن ألقى بالى الى تحذيراتها ، ولم تكن هى تصل الى حد انتزاع القطة من فوق صدرى أو من أحضانى . وقد ظل تعلقى بالقطط معى طول حياتى يختفى تحت ضغط الظروف ثم يعاود الظهور ثانية ، وعندما أصبح لى بيت وأصبحت سيد البيت فكرت فى افساح المجال لقطة فى البيت ، ولكنى سرعان ما اكتشفت أنها قد تكون خطرا على أولادى الصغار فقد حدث أكثر من مرة أن (لطشت) القطة احد أولادى فكنا نسرع بالتخلص منها .. وأنا أعيش الآن بغير قطة فى البيت .. مع أن طفولتى كانت تنبىء أن القطط جزء لا يتجزأ من حياتى ..

أخى عبد الفتاح يتزوج

واقعة لاتزال بعض صور منها عالقة بذهنى وهى من حوادث الطفولة ...

لقد سبق أن أشرت الى أن أخى عبد الفتاح ـ والذى أصبح أخى الكبير بعد وفاة محمد ـ حل محله فى وظيفته فى وزارة الأوقاف فعين كاتبا بها . ولم يكد يوظف حتى طالب بحقه فى الزواج .. فشرعت والدتى تبحث له عن زوجة من أسرة كريمة .. ولقد حدثتك عن رحلة والدى الى اسطنبول وتعلقه بالأتراك ولذلك فقد كان من أقصى أمانيه هذه المرة أن يصاهر أسرة ذات أصل تركى .. ولقد كان وجوده فى ديوان السلطان سبيلا لتعرفه بمن يسمى حسين بك سكوتى أحد كبار موظفى القسم التركى بالديوان ، وربما كان رئيس هذا القسم بالذات .. وقد استطاعت شخصية والدى أن تنجح فى الحصول على موافقة الرجل على زواج أخى بابنته الكبرى وكانت تسمى عادل بلغتهم التركية .. وعديلة بلغتنا المصرية .. وقد كادت أمى تجن من الفرح وهى تصهر الى هذه الأسرة التركية الكريمة العريقة . وعندما توجهنا للمرة الأولى لزيارتهم فى البيت الذى كان يقع فى حارة تسمى باسم صهرنا الجديد الكبير « حارة سكوتى » وكانت تقع الى جوار جامع طولون .. عندما ذهبت مع والدتى الى هذا البيت القديم والمبنى على الطراز العربى القديم .. أبهاء ضخمة وأفنية من داخل البيت تفتح عليها النوافذ وأسقف تنفذ الضوء من خلال (مناور ـ أو شخاشيخ) ذات زجاج ملون .. عندما رحت كطفل صغير يتدحرج من مكان الى مكان فدخلت الى الحمام الرخامى .. وسقفه على شكل القبة وقد ركب بها الزجاج الملون .. كل ذلك جعلنى أشعر أننى قد انتقلت الى عالم ثان وأننا أصبحنا من العظماء . وكانت عروس أخى عادل وأخوتها ليلى وحافظ ومنيرة على جمال تركى لا نعرفه فى حارة

الجمالة ، ولا فى البيئة التى تحيط بنا ٠٠ فكنت اذا ذهبت الى هذا البيت فكأنى قد انتقلت الى عالم الأحلام ٠٠ وكانت السعادة الكبرى عندما يحجزوننى لتناول الغداء فكنت أجلس على المائدة فى جو شاهق من حيث الارتفاع بالنسبة للطبلية التى كنا نأكل عليها فى بيتنا ٠٠ فلم نكن نعرف المائدة وانما كان طعامنا على صينية وتوضع هذه الصينية فوق كرسى مرتفع بعض الشىء عن الأرض ثم نجلس حولها ٠٠ أما الموائد وتناول الأكل حول الموائد فهذه دنيا جديدة بالنسبة لى ٠٠ وكنت اذا رجعت الى بيتنا احتاطت بى أمى وأختى يسألوننى عن كل شىء من أحوال بيت نسايبنا الجدد فأقص عليها كل شىء ٠٠ وأشرح لها تفاصيل الطعام وماذا كانوا يقولون ٠٠ وماذا يفعلون ٠

ويظهر أننى نجحت فى هذه البيئة الجديدة نجاحا لا بأس به فكانوا يشجعوننى على كثرة الزيارة ٠٠ ومن ناحية أخرى كنت أشد حرصا منهم على الاستمتاع بهذا النعيم الجديد الذى صرت اليه ٠٠ فقد كنت أجلس فتحيط بى هذه السيدات الراقيات ٠٠ وكنت أقص عليهن بعض النكات التى كنت أسمعها من أخوى فكان صدور هذه النكت من صبى صغير فى السابعة من عمره يقابل بابتهاج عجيب ٠

وقد وصلت سعادتى الى ذروتها عندما صنعت لى العروس الجديدة (طاقية) من الحرير عدت بها الى البيت وكأننى حصلت على كنز ٠٠ على أن سعادة أمى بهذه الطاقية التى صنعتها ابنتها المقبلة كان يفوق سعادتى ٠

والحق ان هذا الزواج كان مصدر سعادة فى هذه الفترة لا للعريس بل لكل أسرتنا ٠٠ وأنا فى الطليعة ٠٠ فقد أتاح لى هذا الزواج أن أتصل بهذا العالم العلوى السماوى وكان كل ما فيه

جديد بالنسبة لى ورائع .. وكنت فخورا كل الفخر بأنه أصـهر الى حسين بك سكوتى التركى الأصيل أى أنه قد خطب لابنه بنت الأكابر .. وكانت أمى سعيدة بطبيعتها الخيرة بأن حلمها القديم فى أن تزوج ابنا لها من أسرة كريمة قد تحقق .. وأنه ستصبح لها زوجة ابن أى بنتا .. وكانت أمى شديدة الشوق الى أن تكون لها بنت فلقد رزقت عددا كبيرا من الأولاد لم يكن فيهم الا بنت واحدة تسمى فهيمة . ولقـد ماتت فهيمة ولم ترزق بعـد ذلك ببنات .. ولم يبق لها الا ثلاثة أولاد بعـد وفاة أخى الكبير .. ويبدو لى أنها كانت شديدة الشوق أن تكون لها بنت .. وكانت تهيىء نفسها لاستقبال زوجة ابنها كائنة من كانت أحسن استقبال. بل ان زوجة ابنها وقد أصبحت من أسرة تركية عريقة لم تعد تسمع من والدتى الا أنها ستكون خادمتها وأنها لن تحملها على مزاولة أى عمل بيدها وستوفر عليها مؤونة أى جهد .. ولقد برت والدتى بهذا العهد .. فلم يكن الزفاف يتم فى حفلة متواضـعة بسبب (حزننا) .. حتى أخلى الدور العلوى من بيتنا فى حارة الجمالة للعروس الجديدة بعد أن أعد اعدادا جديدا .. يتناسب مع الأثاثات الفاخرة التى جاءت بها العروس . ولقد كانت الأثاثات فاخرة بل أكثر من فاخرة بالنسبة لنـا ولحارة الجمالة .. ولكنها فى طبيعتها لم تكن كالأثاثات التى دخلت بها شقيقتها من قبل .. وذلك بسبب ارتفاع الأسعار فى ذلك الوقت بمناسبة الحرب .. ولكن هذا الذى جاء كان بالنسبة لنا كما قلت شيئا لا يخطر على الذهن .. ولم تكن العروس تفعل شيئا وكانت والدتى هى التى تقوم بعمل كل شىء فى البيت رافضة أن تلوث العروس يدها بأى عمل من الأعمال ، وقد استمتع الزوجان بشهر عسلهما ، والذى كان شهر عسل بالنسبة لى كذلك .. فقد كان أخى يخرج للنزهة مع عروسه فى بعض الجهات الخلوية .. كانا يركبان الترام حتى نهايته فى شبرا أو فى الهرم .. ويظهر أن أحد رجال البوليس أو أحد الأشخاص تعرض لهما فى بعض الجولات ظنا منه أنهما

عاشقان وليسا زوجين . فرأيا أن يصطحباني معهما فى هذه الجولات ليكون مظهر الأسرة أكثر وضوحا ، على ذلك فقد بدأت أخذ نصيبى من شهر العسل وهكذا كان هذا الزواج ينبوع سعادة كاملة بالنسبة لى ، وعند هذا القدر ينتهى هذا القسم من خواطرى وذكرياتى لننتقل خطوة جديدة حيث تتسق الصورة وتترابط الحوادث وتتصل بحوادث الحياة العامة الجارية .

ذكريات الصبا

وأخيرا جاءت الساعة التى كان يتعين على أن اذهب فيها الى المدرسة الخديوية لأكشف فيها كشفا طبيا تمهيدا لقبولى فيها تلميذا . وكانت فكرة الكشف الطبى على محنة من أكبر المحن التى مرت على فى حياتى حتى ذلك الوقت والتى كانت تملأنى رعبا فقد كنت أنطوى طوال السنوات الماضية على سر يتصل بمرض يملأنى خجلا وكنت فى فزع أن يكتشف هذا السر أحد .

ان نشأتى فى هذا الحى الوطنى الذى لا تتوافر فيه الصحة قد أصابتنى فى رأسى بنوع من الأمراض الجلدية التى تصيب الرأس ولابد أن تكون العدوى قد جاءتنى عن طريق أحد هؤلاء الحلاقين من الذين يعملون فى الحى والذين تتداول أيديهم وأمواسهم عشرات الرءوس التى تسيل بهذا المرض المخجل (القراع) . لم يكن هذا المرض كما قدمت مستفحلا ولم يصل الى مرتبة القراع ، فقد كانت رأسى كلها مكسوة بالشعر بحيث ان هذا المرض الجلدى لم يكن يرى الا اذا فحص جلد الرأس عن كثب وبعد ازالة الشعر ، ولقد مضت على سنوات وأنا أعالجه .. ولقد كان العلاج فى بادىء الأمر على نطاق واسع ولكنه لم يجهز على المرض فظل يعاودنى ، وكنت أعالجه بوضع مرهم الزئبق على رأسى فتختفى آثار المرض ولكنه لا يلبث أن يعود الى الظهور على صورة قشور ناتئة فى رأسى ، ولكنها كما قدمت مغطاة بالشعر فهى لا ترى أو تلحظ . ولم يكن

هناك مجال لاكتشاف هذا المرض فى رأسى أيام مدرسة محمد على . فلما جاءت اللحظة التى تقدمت فيها للكشف الطبى بالمدرسة الخديوية علمت أنه سيكون من بين عناصر الكشف الطبى فحص الرؤوس فامتلأت بالرعب والفزع وساورتنى الهواجس وانتابنى القلق وبدأت لا أعرف النوم بالليل كلما أقترب وقت هذا الكشف الطبى ، واقترب الدكتور .. لم يعد يفصله عنى سوى طالبين أو ثلاثة .. لم يفصله عنى الا طالب واحد « يارب رحماك يارب .. يارب انقذنى يارب .. يارب لا تخجلنى يارب » .

وكان الكشف على يومين : اليوم الأول كشف على قوة النظر وعلى سلامة الجسد وقد اجتزت هذا بنجاح بطبيعة الحال ..

وجاء اليوم الثانى اليوم المترقب .. حيث يكشف على رؤوسنا وعلى جلودنا خوفا من أن يكون بها جرب .

ووقفنا نحن المتقدمين للالتحاق بالمدرسة صفا واحدا وطلب منا أن نخلع الطرابيش وأن نمد أيدينا الى الأمام ، وبدأ الطبيب من بداية الصف يفحص رؤوس الطلاب وينظر الى أيديهم . وكان مكانى فى الثلث الأخير من الصف .

ويالها من محنة ويالها من تجربة قاسية .. هانذا أكتب هذه السطور بعد ما يقرب من ثلاثين سنة ، ومع ذلك فلا زلت أحس بالآلام التى عانيتها فى هذه اللحظة آلام الخجل الذى سيصيبنى أمام هذه الجموع عندما ينظر الطبيب الى رأسى ثم يخرجنى من الصف باعتبارى مريضا بالقراع .

وبدأت أستغيث بربى وأردد تعويذتى التى ظللت الوذ بها طول عمرى كلما وقعت فى شدة .. « يارب .. يارب .. يارب » .

وكان الطبيب يفحص بدقة ويتوقف طويلا أما رؤوس الطلاب ومن حين لآخر يخرج واحدا من بين الصفوف فيخفق قلبي ويصفر وجهي ويفيض ماء الحياة من نفسي لأني أتصور أن مصيري سيكون كمصير هؤلاء البؤساء الذين أخرجهم ، وكان ما يرعبني هو الخجل الذي سينالني أمام هؤلاء الطلاب .

وكان الطبيب يقترب مني رويدا رويدا وكنت أنظر الى اقترابه برعب ، كما ينظر الانسان الى كارثة تقترب من الانسان لتدهمه أو قطار ليمزقه تحت عجلاته .

لقد وقعت الواقعة الدكتور يمسك برأسي ينظر اليها في لمحة خاطفة ثم يتركها وينصرف عني الى من بجواري .. الله اكبر هل نجوت .. هل انتهى الأمر .. نعم لقد نجوت ولم يكتشف الطبيب في راسي شيئا فهو لم ينظر الى قمة رأسي حيث توجد آثار المرض ولكنه نظر الى جانبي الرأس فلم يجد بهما شيئا ولعل الرجل كان قد تعب أو سئم ، فلم يعد يحقق أو يدقق ومادامت رأسي موفورة الشعر فلا يمكن أن أكون مريضا .. بل لعل ما كنت أتصوره مرضا خطيرا هو في حقيقته ليس شيئا .. أو لعل الله قد صرفه .

كيفما كان الأمر فقد انتهى كل شيء وانا الآن طالب في المدرسة الخديوية رائع الرأس موفور الكرامة .

وقد كان هذا الموقف هو آخر عهدي بهذا المرض الجلدي في رأسي وكثيرا ما كان يقال لي انه يزول من نفسه عندما اجتاز دور المراهقة وهذا هو ما حدث بالفعل فلم يزعجني بعد ذلك .. ولقد شغلت عنه بالتدريج ثم لم اعد افكر فيه لأنه كان قد اختفى نهائيا .. وان كنت ظللت فترة طويلة اتوهم أنه لا يزال هناك .

انا الآن فى المدرســة الخديوية وياله من جو عبق بالخطورة والتطور الكبير الذى حدث فى حيــاتى . ان شارع درب الجماميز الذى تقع فيه المدرسة الخديوية ليس جديدا على فقد كانت مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية التى دخلتها فى السنوات الأولى تجاور المدوسة الخديوية ، بل ان ضخامة قصر المدرسة الخديوية ليست شيئا جديدا على فان قصر مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية لم يكن يقل ضخامة أو فخامة ، ولكن شتان ما بين الفترتين ، لقد كنت فى الأولى طفلا صغيرا لا أســتطيع أن أحس واقدر ما يحيط بى أما الآن فقد أصبحت شابا ذا خطر ، ولذلك فقد كان مبنى المدرسة الخديوية يؤثر فى كيانى تأثيرا عميقا ويشعرنى بأننى قد دخلت الى عالم جديد من الرجولة والخطورة • عندما كنا نقف فى فنائها الخلفى وبه هذه الأشجار الضخمة العتيقة كان ذلك يملؤنى نشوة ويهزنى هزا •• عندما كنا نتجول فى حديقتها الخارجية ونصل الى ملعب كرة القدم أو نصعد على السلالم الرخامية فى طريقنا الى الفصول ثم نصعد الى هذه الصــــالة الكبرى التى تحيط بهــا الفصول •• عندما كنا ندور أمام أبواب معامل الطبيعة والكيمياء التى لم ندخلهـــا بعد •• كان كل ذلك يهز كيانى هزا ويغمرنى بالسعادة لأنه يشعرنى أننى قد دخلت عالما جديدا سيجعل منى انسانا ذا شأن وخطر ، على أنه لا معامل الطبيعة والكيمياء ولا فخامة البناء ولا ملاعب التنس وكرة القدم أو حديقة المدرسة وما بها من أكشـــاك •• لم يكن كل ذلك هو الذى يملأ على فراغ حيــاتى الجديدة •• بقدر ما كنت أعد نفسى له من الالتحاق بفرقة تمثيل المدرسة •

فقد كان للمدرسة الخديوية شهرة ذائعة فى عالم التمثيل •• وكان فيها أحد دعائم النهضة المسرحية فى مصر وهو المرحوم محمود مراد الذى كان مدرسا بالمدرسة ثم هام بفن التمثيل فارسـلته الحكومة فى بعثة لدراسة المسرح فى الخارج وعـاد من الخارج

ليجعل من فرقة التمثيل بالمدرسة الخديوية شيئا جليلا وذا خطر . ولم أكد ادخل الى المدرسة حتى كنت شديد اللهفة فى أن أسمع كل شيء عن حركة التمثيل فى المدرسة وسرعان ما علمت أن فرقة تمثيل المدرسة قد قدمت مسرحية غنائية أو بالأحرى « أوبرا » اسمها توت عنخ آمون ، وهى من تأليف « محمود مراد » وتلحين « سيد درويش » . ومن قبل قدمت فرقة المدرسة مسرحية مجد رمسيس و هى غنائية أخرى وقد بلغ من عظمة هذه الأخيرة أن مثلتها فرقة المدرسة على أكبر المسارح فى مصر ، وهو مسرح « الكورسال » ، وحضر الحفلة وزراء مصر وعلى راسهم سعد زغلول زعيم البلاد .

كل ذلك وعيته وأحطت به بمجرد دخولى الى المدرسة ، وعلمت فوق ذلك أن « محمود مراد » قد اختارته وزارة المعارف ليكون مفتشا للتمثيل فى المدارس كلها فلا يقف نشاطه عند المدرسة الخديوية وحدها .

وبدأت أتلهف على هذه الساعة التى يعلن فيها أن فرقة التمثيل قد بدات نشاطها وأنها فى حاجة لمن ينضم اليها لكى ابادر الى هذا الانضمام .

وجاء اليوم الموعود واعلن ان جمعية التمثيل قد فتحت ابوابها لمن يريد أن ينضم اليها .

وذهبت الى الحجرة التى أعلن أنه سيكون الاجتماع بها وقلبى يخفق بالاحتمالات التى تنتظرنى .

كنت قد شغلت طول الاجازة الصيفية بتمثيل بعض المقطوعات وشهدت حجرتى فى البيت و « حوش » منزلنا صراخى وزعيقى

وبكائى ونحيبى مقلدا بعض ما كنت أرى وأسمع على مسرح حديقة الأزبكية من مآس وتمثيليات .

وكان سيد فتحى يشاركنى هذه المحاولات قبل أن يسافر الى اسيوط حيث نقل والده الى هناك .

وكانت هناك مقطوعة تمثل صبيا بائسا يتوسل الى شخص يضطهده ان يكف عن اضطهاده مسترحما اياه . وكنت أتصور نفسى وانا القى هذه المقطوعة أننى قد بلغت فيها ذروة الاتقان . وكنت على ثقة أننى سادهش سامعى فى جمعية التمثيل بالمدرسة الخديوية عندما القى أمامهم هذه المقطوعة .

وسأل رئيس جمعية التمثيل عما اذا كان هناك من يرغب فى الانضمام الى الجمعية فتقدمنا له نحن الراغبين فى الانضمام ، فطلب من كل منا أن يلقى مقطوعة أو قصيدة . وسبقنى أشخاص ألقوا بعض القصائد الشعرية .. أو طالعوا فى احد الكتب فأحسست بمقدار تفوقى على هؤلاء حيث سالقى مقطوعة تمثيلية وسوف أبكى وأتضرع وأتوسل .

وجاءت اللحظة التى دعيت فيها لالقاء ما عندى .. وتقدمت فى لهفة الى وسط الحجرة والعيون تشخص الى من كل جانب ، وبدأت ألقى مقطوعتى محاولا التأثير على السامعين بكل قوة وفوجىء القوم .. فوجئوا بصبى صغير يحاول أن يكون ممثلا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فيحاول أن يبكى وأن يتضرع وأن يركع على قدميه ويتوسل ويختنق صوته ثم يسقط على الأرض اعياء .

ويبدو ان ادائى لم يلق استحسانا ، ولم يقل لى أحد شيئا ولم يعلق أحد على ما قلت .. ولكن كان من الواضح اننى لم ألفت النظر عن صورة من الصور .

ولم يتطور الأمر الى أبعد من ذلك فقد دعينا بعد بضعة أيام لمقابلة الأستاذ محمود مراد وسماع الرواية التى اسمها لتمثل هذا العــام ٠

وذهبت فى الموعد المضروب وكان هناك حشــد كبير من الطــلاب .. ورأيت محمود مراد لأول مرة ، ثم بدأ يتلو علينــا الرواية ولعل اسمها (فى سبيل المبدأ) وهى على خلاف رواياته السابقة لم تكن غنائية ، وكان أشخاصها لا يزيدون على خمسة او ستة من الممثلين ٠٠٠ وقد اختاروا لهم أعضاء من القدامى المعروفين لهم وبدأوا فى عمل التجارب ، وسرعان ما وجدتنى غير راض عن الرواية لأنها كانت تافهة بالقياس الى المسرحيات الضخمة التى كنت أشهدها على المسارح العمومية ٠٠ ولما لم يكن لى دور فى الرواية فقد بدأت لا أحضر التجارب ولا أهتــم بالتردد على الجمعية ٠٠ بل لقد انقطعت عنها انقطاعا تاما بعد ذلك ساخطا عليها مصابا بخيبة أمل فيها ٠

وهكذا مرت السنة الأولى من حيــاتى فى المدرســة الخديوية دون ان أشق طريقى أو أنجح فى ابراز شخصيتى فى بيئة التمثيل بها ، وان كانت هوايتى للتمثيل ومواظبتى على شهود التمثيل فى مسرح الحديقة وفى مسرح رمسيس قد ضاعف فى حماسى ونشاطى وافتتانى بالتمثيل ٠

العــام الدراسى

وليس هناك الكثير مما يروى عن ذكرياتى العامة عن هذا العام الدراسى لقد بدأنا نطالع كتاب كليلة ودمنة فى درس العربى وكان شيئا يشعرنى بالأهمية وبضخامة التطور الذى تطورنا اليه ضــمن كتاب « تهذيب البنين » الذى يحوى حكايات ومقطوعات

صغيرة أو كتاب القراءة الرشيدة الى كتاب كليلة ودمنة ٠٠ لقد كان تطورا كبيرا ٠٠ وكان يدرس لنا العربية شيخ يسمى الشيخ الكيلانى من أقدم مدرسى اللغة العربية ٠

وكان يدرس لنا اللغة الانجليزية مدرس مسيحي مهذب الى أبعد حدود التهذيب يسمى نجيب بك مقــار ، وقد كان مناداة المدرسين برتبة (بك) هو أحد مظاهر التطور والانتقال ، فمدرسونا فى المدارس الابتدائية ينادون (بافندى) (اما مدرسونا الآن فينادون بكلمة (يا بك) ، ولست أعرف هل الطلاب الذين اختاروا هذا النداء أم المدرسون هم الذين فرضوه على الطلاب ، فالذى لا شك فيه أننا كنا نستمتع بهذا النداء نحن الطلاب لأنه كان يشعرنا أننا قد انتقلنا الى عالم أرقى من هذا الذى كنا فيه .

وكان من المتفق عليــه أن (لا ضرب) هنــا ولا ايذاء فقــد أصبحنا رجالا لا نضرب ، وكان مدرس الانجليزية نجيب بك مقار يأبى الا ان يخاطبنــا نحن الطــلاب لاحقــا اسماءنا بكلمة أفندى فيقول لى يا أحمد أفندى ويقول لزميلى يا عباس أفندى ، وكان ذلك يسعدنا كل السعادة ٠ وكانت علوم الهندسة وما بها من نظريات تدور حول المثلثات المتساوية الأضلاع والمتساوية الساقين وكيف أن مجموع زوايا أى مثلث تساوى قائمتين ، كل ذلك مضافا الى علم الجبر يساعد على اشعارنا بأننا دخلنا فى مرحلة العلوم العالية وأننا أصبحنا طلابا ذوى شان كبير ٠

أما علم الطبيعة فقد كان على أن أطرب له كل الطرب ، وخاصة فى ناحية تجاربه العملية التى كان يجريها أمامنا المدرس ٠٠ ولكنى كنت أكره من الطبيعة قسمها الرياضى وبقدر ما كنت مشغوفا بهذه الأسرار التى يكشفها لى علم الطبيعة ، بقدر ما كنت أمقت المعادلات التى تعتبر الجزء الأهم والأخطر فى الطبيعة .

وكان من الواضح أن درس الانجليزية بدوره تطور تطورا كبيرا فبعد ان كنا نطالع في هذه السلسلة من كتب المطالعات التى تقابل القراءة الرشيدة فى اللغة العربية أعطيت لنا كتب مجلدة النطالع فيها ، كما قدم لنا كتاب القواعد الانجليزية الشهيرة فى ذلك الوقت والمسمى (برانكبرى) أى نسبته الى اسم مؤلفه وهو مطبوع فى لندن ٠

ولعل ذلك هو كل ما لا يزال عالقا بذهنى عن تطور الدراسة فى هذه السنة ٠

أما زملاء الدراسة فقد كان هناك فراغ كبير وفجوة ضخمة نتيجة افتراقى عن سيد فتحى وضوان الذى ذهب الى أسيوط كما قدمت ٠٠ ولولا أن هذا الانتقال من التعليم الابتدائى الى الثانوى ومن محمد على الى الخديوية قد حمل فى طياته الكثير من المؤثرات لكان شعورى بهذا الفراغ عميقا ٠

ومع ذلك فقد أسرعت أنا وسيد الى سد هذا الفراغ فأصبحنا نتراسل بطريقة منظمة فأبعث له كل أسبوع رسالة وأتلقى منه رسالة وكلتا الرسالتين مطولتان ، نتحدث فيهما عن كل صغيرة وكبيرة مما يدور حولنا ، بل مما يدور فى داخل نفوسنا . ولست أعرف أى نزوة حملتنا على أن نوقع هذه الرسائل بامضاء هارون الرشيد وجعفر فكنت أوقع له على هذه الخطابات بامضاء هارون الرشيد وكان يوقع خطاباته بامضاء جعفر أو لعل الأمر كان على العكس فكان توقيعى هو جعفر ولعل فتحى يذكر الآن هذا الواقعة ويحددها ٠

ثم كتب لى سيد فتحى بعد فترة من الزمن يقترح استبدال هذين الاسمين هارون وجعفر باسمى أوسطو وسقراط ،

لنبتعد عن دائرة الاتهام (بالتحشيش) ، فليس سوى الحشاشين ومتعاطى المخدرات من يتخيلون أنفســهم ملوكا ووزراء ٠٠ بل وهارون وجعفرا وأبا نواس على وجه التحديد ٠

ولست اذكر أيضا أينا كان يوقع سقراط وأينا أرســطو واظن أنى كنت أنا الذى أوقع بتوقيع سقراط وسيد يوقع خطاباته بامضاء أرسطو .

ولعل هذا الاقتراح من ناحية ســيد فتحى يدل على نزعته الأدبية الفلسفية التى بدأت تتجلى فيه منذ هذه اللحظة والتى ظلت تتطور فيه حتى بلغت القمة ٠

وعلى هذه الوتيرة رحنا نتبادل الرسائل المطولة التى نتحدث فيها الى بعضنا ، كمــا كنا نتحدث عندما كنــا متلازمين فكانت هذه الخطابات مبعث سرور وبهجة سواء فى كتابتها او مطالعته الرد عليها .. وهكذا ظلت الصلة الروحيــة بيننا على أوثق ما تكون .. بل لقد زادها البعد وهذا الأسلوب من التراسل قوة وتمكينا ٠

ولم تستطع البيئة الجديدة أن تقدم لى فى هذا العام صديقا أو زميلا من طراز فتحى ٠٠ وانما كان لى زميل ضمن من يمكن وصفهم بانه زميل دراسة وهو عباس حلمى مصطفى ، واذا أردت الاسم بتمامه فهو عبــاس حلمى مصطفى حتحوت ٠ وقد لازمنى ملازمة لطيفة فكان يصاحبنى ويذاكر معى ويأنس الى ولكن نظرا لأن والده كان ضابطا فى البوليس أو الجيش لا أذكر بالضبط فقد كان يبدو أن عباس قد نشأ فى ظل الضغط العسكرى فكان بعيدا عن الانطلاق فى المجــالات التى كنت أنطلق فيها ولذلك فقد ظلت زمالتنا فى حدود القسم المدرسى ٠

ولعل زميلى الآن أحد كبار ضباط البوليس وأنا أخط الآن هذه السطور لابد أنه « بكباشى » • وقد ورد ذكر اسمه أمامى بضع مرات فى هذه العشرين سنة الأخيرة بمناسبة توليه البوليس فى بعض المراكز واحتكاكه بأعضاء الحزب •

ولقد قيل لى دائمـا انه يذكر لهم علاقتـه بى •• ولقد رأيته مرة ورحنا نستعرض معا هذه الألفـاظ والعبارات التى اعتدنا أن نرددها ونحن صغار •

ويصادفنى فى الحياة وبخاصة فى عالم القضاء بعض من كانوا رفقاء لنا فى هذه السنة الدراسية •

ومنهم القاضى محمود اسماعيل وكانت علاقتى بابن عمه أحمد اسماعيل أقرب وأوثق ••• ومازلت أذكر عندما دعانا فى أحد الأيام الى زيارته فى البيت وكان بيتهم فى الزمالك ولأول مرة دخلت فى بيت من هذه البيوت فوقفت مشدوها ومذهولا أن يكون أحد رفقائنا فى الدراسة يعيش فى مثل هذا القصر •

وكان أحمد اسماعيل يقول لى ان ابن عمه محمود اسماعيل أكثر ثراء منه وقصر أسرته يزيد فخامة فكان ذلك يدهشنى فوق ادهاشى •• وبدأت أنظر لابن عمه محمود اسماعيل من طرف خفى وكان يؤلف مع بعض نظرائه شلة مازلت أذكر أبرز أعضاء هذه الشلة وكان يسـمى فيظى .. وكان من الواضح ان هذه شـلة الأغنياء ، فلم نندمج بها ، وليس سوى أحمد اسماعيل من أبنـاء هذه الطبقة من كان يخالطنا .. نحن أبناء الشعب .

ولا يزال عالقا فى ذهنى من أحداث هذه السنة والتى لابد أن تكون هى سـنة ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ الدراسية مصرع السردار

لى ستاك » وما ترتب على مصرعه من سقوط وزارة سعد زغلول بعد توجيه انذار خطير لها ، وكان ابسط شروط هذا الانذار هو دفع نصف مليون جنيه لورثة السيرلى ستاك ، وأقسى شروط هذا الانذار ما جاء به من فصل السودان عن مصر وطرد فرقة الجيش المصرى التى كانت ترابط به واطلاق يد حكومة السودان فى أن تتصرف فى مياه النيل كما يحلو لها .

وكان من بين الشروط الأخرى أن يشرف الانجليز على تحقيق الحادث وأن يبطش بكل من له يد فيه مهما كانت مكانته أو منزلته .

واحتل الانجليز جمارك الاسكندرية ريثما تنفذ طلباتهم .

وقد ذهب اللورد اللنبى الى مجلس الوزراء لتبليغ هذا الانذار فى مظاهرة عسكرية كبرى ، فركب حصانه على رأس فرقة من خمسمائة « خيال » مدججين بالسلاح وذلك لارهاب الحكومة والشعب .

ومن عجب أن سعد زغلول قد قبل بعض بنود هذا الانذار ، وأعلن استعداد الحكومة لدفع التعويض المطلوب وقدره نصف مليون جنيه ، بل وكتب به شيكا بالفعل أمضاه وزير المالية على الشمسى ، الذى كان قد اختير للمالية منذ أيام فكان ذلك هو العمل الوحيد الذى قام به .

كما قبل سعد زغلول القسم الخاص باتساع نطاق التحقيق ومعاقبة المسئولين ، ثم استقال بعد أن قبل هذه الطلبات بدعوى أنه يرفض باقى ما جاء فى الانذار . مع أن المنطق كان يقضى على سعد زغلول بأنه وقد اعتزم الاستقالة فكان عليه أن يبادر بها

لاظهار احتجاجه وألا يقبل من طلبات الانجليز قليلا أو كثيرا ..
ولكن هكذا كان سعد زغلول ينطوى على كثير من التناقض فى أقواله وتصرفاته .

وقد أعقب سعد زغلول وزارة زيور باشا التى وصفت بأنها وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه وقد قبلت طلبات الانجليز مائة فى المائة وسحب الجيش المصرى من السودان واطلقت يد حكومة السودان فى ماء النيل . وبدا التحقيق على نطاق واسع فى قضية السردار فقبض على كثير من أعضاء الوفد وعلى رأسهم مكرم وماهر والنقراشى وكل من اشتهر بالنشاط فضلا عن التطرف .

الدعــوة الى مقاطعة الانجليز

وقد ردت مصر على هذا العدوان الانجليزى باعلان مقاطعة البضــائع الانجليزية وتألفت اللجان فى كل مكان لتنفيذ هذه المقاطعة .

وكان أظهر اســلوب لهذه المقاطعة هو خلع اربطة الرقبة باعتبارها صناعة انجليزية وأن تصنع (كوفية) من المنســوجات الوطنية بدلا منها ، وقد كنت فى مقدمة من بادروا بشراء هــذه (الكوفية) المصنوعة بأيد مصرية كمــا بدأنا نستعمل المناديل المحلاوى بدلا من مناديل الجيب العادية . ومازلت أحتفظ ببعض الصور التى أخذت لى فى ذلك الوقت وأنا بهذا الشعار .

ولكن هذه الحركة لم تستمر كما هى العــادة بكل أسف فى مصر . فالمصريون يتحمسون حتى ليصلوا الى ذروة الحماســة فى لحظة ولا تلبث هذه الحماسة ان تختفى بنفس السرعة وبنفس القوة التى اشتعلت بها .

أيرجع ذلك الى طبيعة جونا ومنخنا .. أم أن هذه هى سمة الشعوب التى فقدت حريتها واستقلالها ورسفت فى اغلال العبودية .. أم أن هذه طبيعة خاصة بالشعب المصرى . لا أستطيع أن أعلل هذه الظاهرة فقد عشت بعد ذلك التاريخ الذى أتحدث عنه قرابة سبع وعشرين سنة أعانى من هذه الظاهرة ما أعانى وحتى الآن لا أستطيع التفسير لأن الظروف السابقة لا تزال قائمة فلا يزال الانجليز فى بلادنا ولا يزال جونا ومناخنا وظروفنا هى ذات الظروف ولا يزال الشعب هو الشعب بجهله وفقره ومرضه وعناصره التى يتالف منها .

ولايزال الشعب فى مجموعه يتحمس حتى ليصل الى ذروة الحماسة ثم تفتر حماسته بنفس القوة وبنفس السرعة .

وكل أعمالنا لا تزال كما كانت تتصف دائما بالدفعة وبالنزوة والارتجال ولا تعرف الخطط المدروسة والارادة الثابتة والعزم الصادق الذى لا يكل ولا يمل ولا يلين ولا يتأثر بمرور الزمن أو عواديه .

ولذلك فقد جاء الوقت الذى فترت فيه حركة المقاطعة أو بالأحرى ماتت .. بل جاء الوقت الذى أصبحت فيه محلا للسخرية والهزء وخلعنا هذه الشعائر المصرية المصنوعة باليد المصرية .

وفى هذه الأثناء كان قد قبض على المتهمين فى حادث السردار وشرعوا فى محاكمتهم وكنت كسائر المصريين أتتبع المحاكمة ، باهتمام شديد وكان حزننا شديدا لاعتراف عبد الفتاح عنايت وشفيق منصور وأغلبية المتهمين ، ولكن واحدا منهم وهو البطل محمود اسماعيل ظل صامتا لا يعترف بشىء .. وكانت الشهود

تنهال عليه من كل مكان ولكنه كان ثابتا كالطود فحاز اعجاب الشعب .

وترافع المحامون ومازلت أذكر أن مرافعة ابراهيم الهلباوى كانت مرافعة رائعة من الناحية السياسية تحدى فيها الانجليز وسياسة الانجليز ، وأخيرا صدر الحكم باعدام الجميع شنقا وانى لأذكر اننى صعقت وأنا أطالع هذا الحكم ثم لم البث أن ذرفت الدموع بكاء على هؤلاء الأبطال المغاوير الذين كانت لهم اليد الطولى طوال سنوات الثورة على اقناع الانجليز بوجوب اعلان استقلال مصر والغاء الأحكام العرفية ، ولقد قيل ان ثروت باشا حصل لمصر على تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن استقلال مصر وبدء حكمها الدستورى ، ولكن هذه العصبة عصبة شفيق منصور وعنايت ومحمود اسماعيل وابراهيم موسى هى صاحبه الفضل فى هذا التصريح ويجب أن يأتى الوقت الذى تخلد فيه ذكرى هؤلاء الأبطال الأمجاد .

وقد قدر لى أن أرى عبد الفتاح عنايت بعد أن استبدلت عقوبة الاعدام بالنسبة له الى الأشغال الشاقة المؤبدة وذلك بعد أن أمضى مدة عقوبته .. وهو يعمل محاميا هذه الأيام .

كما اتيح لى أن أرى ابن محمود اسماعيل وأن اعبر له عن تمجيدى لوالده وذلك كله فى العام الماضى فقط .

وانهى عامنا الدراسى ٢٤ ـ ٢٥ بعد تأدية الامتحان الذى نجحت فيه ونقلت الى السنة الثانية وبدأت أستقبل الاجازة الصيفية واستقبل أخى سيد فتحى الذى حضر الى القاهرة لتمضية اجازته الصيفية بها .

صيف ١٩٢٥

لم تكد السنة الدراسية تنتهى كما قدمت حتى أسرع سيد فتحى الى القاهرة ونزل ضيفا على أخته الكبرى وصهره الأستاذ كامل أحمد المدرس وبذلك التأم شملنا من جديد واستأنفنا حياتنا المشتركة الجميلة وجولاتنا الأدبية ونشاطنا الاجتماعى • ولكن كان من الواضح أن سيد فتحى قد طرأ عليه تطور جديد وهو تعمقه فى الأدبيات والاجتماعيات ، ولذلك فقد استهل نشاطه بأن ألقى محاضرة فى بيت أحد معارفنا من سكان البيت الذى كانت تقيم فيه اخته وكان يسمى الأستاذ محمد محيى الدين وهو طالب فى المدارس العليا وقد نسيت الآن أى المدارس ولعلها كانت مدرسة المعلمين العليا •

وكان يتردد على بيته باعتباره شخصا عزبا نفر من أصدقائه فى الدراسة أو جيران البيت فكانت شقته أشبه بالندوة نذهب اليها لنتحادث أو لنلعب أحيانا (الطاولة) ثم اقترح فتحى أن يلقى علينا محاضرة فى النشوء والارتقاء أو بالأحرى عن نظرية « داروِن » .

وقد اجتمعنا كلنا لسماع المحاضرة ولأول مرة سمعت عرضا مستفيضا لنظرية دارون وكان من الواضح أن هذا الطالب فى السنة الأولى من المدرسة الثانوية قد فهم من هذا الموضوع ما لا يفهمه بعض الأساتذة الكبار ، وأنه ألقى محاضرته بصـــورة تدعو الى الاعجاب ولقد ألقيت بدورى فى الأسبوع التالى محاضرة عن مأساة قناة السويس •

وهكذا بدأ التطور الذى نشأ من انتقالنا الى المدرسة الثانوية يظهر علينا •

وكان محيى الدين يحدثنا عن شخصية عجيبة راح يعرضها علينا فى كثير من الهزء والسخرية ويقص علينا من أقاصيصها المعجب والمطرب ٠

حدثنا عن شاب يسكن فى البيت المجاور وهو بيت قديم متهدم وهذا الشاب قد ألف جمعية أدبية أطلق عليها اسم جمعية القلم الأدبية وكانت تسمية الجمعية بالقلم مبعث تعليقات ساخرة منا جميعا ٠

ويتلخص عمل هذه الجمعية فى ان « حضرته » أى هذا الشاب يلقى محاضرات فى بيته المذكور فيذهب لسماعها ثلاثة أو أربعة على الأكثر بعضهم نجار وآخر تلميذ صغير لعله أخو هذا الشاب ورجل عجوز ، ثم يروح يلقى محاضرته كأنه يخطب وسط الألوف فيروح ويجيء في أنحاء الحجرة ويطيل قامته ويقصرها ٠٠ ويرفع صوته الى آخر المدى وينخفض به وقد يضرب بيده على المائدة فيحطم المصباح الضئيل الذى ينير الحجرة والموضوع على المائدة أو قد تتهاوى المائدة نفسها لقدمها وما نخره السوس فى عظامها ٠ وعلى هذه الوتيرة راح زميلنا يحدثنا عن هذه الشخصية العجيبة شخصية رئيس جمعية القلم الأدبية ٠ وكنا فى كل يوم نجتمع نسمع من حكايات وأقاصيص صاحبنا ما جعلنا فى شوق شديد لرؤية هذه التقليعة الغريبة ولما كان رئيس الجمعية يلقى محاضرته فى يوم معين من كل أسبوع فقد انتظرنا على أحر من الجمر حلول هذا اليوم للذهاب لسماعها ٠

وأخيرا جاء اليوم الموعود فذهبنا ثلاثتنا سيد فتحي وأنا ومحيى الدين وقد وجدنا مسرح الحوادث يطابق الصورة التى وصفت لنا تماما ٠ فقد دخلنا فى بيت قديم خرب واجتزنا قناء

المترب الرطب ثم صعدنا درجات سلم مظلم يكاد يهوى بنا ودخلنا الى شقة صاحبنا فقادونا الى حجرة الكتب ولم تكن حجرة الكتب سوى حجرة فى بيت عتيق أرضها من البلاط الذى عدت عليه الأيام وبها أريكتان او بالأحرى (كنبتان بلدى) وترابيزة صغيرة تسمى مكتبا من باب التجوز وهى رقيقة تكاد تنوء من المصباح الذى كان جاثما فوقها .

واستقبلنا صاحب الدار رئيس الجمعية والأستاذ المحاضر فى بشاشة وترحاب وفرح وقور فلعلنا كنا من أحسن الزبائن الذين وفدوا عليــه فى ليلة من الليالى فقد كنا نرتدى جميعــا البدل .. ولعله قد سبقنا أو لحقنا شخص آخر أو شخصان فاصبحنا خمسة فى الحجرة فاكتظت بنا وكان النور الذى يبعثه المصباح خافتا وكان ذلك كله يملأ صدورنا برغبة شديدة فى الضحك على هذا الجو الغريب ، ولكننا كنا نحبس فى أنفسنا الضحك ، نختزنه ريثما ننتهى من الرواية كلهــا ونسمع محاضرة المحاضر وما سوف تنطوى عليه من مضحكات .

وجاءت اللحظة التى وقف فيها صاحبنا المحاضر ليبدأ خطابه وراح كل منا ينظر الى الآخر ليوصيه أن يمسك نفسه عن الضحك .

وبدأت المحاضرة وكان فى القاء المحاضر غنة معينة وكان الموضوع يدور حول مدنية قدماء المصريين .

وانثالت الألفاظ من فم المحاضر جليلة رائعة يأخذ بعضها برقاب بعض فى عبارات فصيحة على درجة عالية من قوة البيان . وسرعان ما اختفت ضحكات السخرية وماتت الابتسامة الشيطانية التى أعددناها لهذا الموقف وبدأنا ننصت فى انتباه ثم فى اعجاب ، وبدأت حرارة المحاضر وحماسته ترتفع وترتفع وبدأنا نرى ما حدثونا

عنه من أنه يرتفع بقامته وينخفض ويتحرك خلف المكتب أحيانا ذهابا وجيئة ، ولكننـــا لم نر فى ذلك كله ما يدعو الى الضحك .

حقا لقد كان شيئا جديدا وكان شيئا غير مألوف وغريبا ، ولكنه كان ينطوى على جوهر رائع فالالقاء قد سحرنا واخذ بتلابيبنا أما الموضوع فقد أذكى نيران الوطنية فى نفوسنا • وكان صاحبنا يخاطبنا كما لو كان يخاطب الوفا من جماهير الشعب • وقد نسى الجو الذى يتحدث فيه نسى أنه يحاضر فى حجرته الصغيرة فى البيت المتهدم المتواضع ، نسى أن مصباح حجرته ضئيل لا يكاد يكفى لاضاءة الحجرة •• نسى أن كل الذين يسمعونه لا يزيدون على خمسة ، واندمج فى محاضرته أو بالأحرى خطبته واندمجنا معه ونسينا هذا المحيط الذى يحيط بنا وعندما انتهى من خطابه وسط عبارات مدوية داعيا فيها الشباب الى النهوض والعمل والتكاتف لاستعادة مجد بلاده القديم ، صفقنا له فى حرارة ، صفقنا له من أعماق قلبنا وأقبلنا عليه معجبين ، بينما اضطر زميلنا الثالث الذى جاء بنا لنشاطره سخريته أن ينضم الينا فى اظهار الاعجاب • ومنذ هذه الليلة بدأت علاقة جديدة متينة بيننا نحن الثـلاثة سيد فتحى وأحمد حسين ورئيس جمعية القلم الأدبية والذى لم يكن سـوى الأستاذ « حافظ محمود » وكيل نقابة الصحافة رآنا اكتب هذه السطور بكل احترام وتوقير لكل زملائه الصحفيين على أختلاف مذاهبهم السياسية واتجاهاتهم وألوانهم ، وبادرنا بالانضمام الى جمعية القلم التى كانت تتألف من ثلاثة أشخاص أو اربعة وبانضمامنا اليها ضاعفت نشاطها وحيويتها وقد عهد الى برئاسة قسم التمثيل فى الجمعية والى اخى سيد فتحى برئاسة القسم الأدبى فى الجمعية •

وان هو الا شهر من الزمان حتى إقامت الجمعية حفلة عامة فى فناء بيت الرئيس •• هذا الفناء الذى وصفته لك من قبل متربا رطبا ولكن عندما كسيت جدران البيت بالأقمشـــة التى

استوردت من (الفراشة) واضىء الفنـــاء بالليل (بالكلوبات) وصفت فيه الكراسى الصفراء وأقيم فى ركن منه منصة للخطابة والتمثيل ، تبدل الموقف رأسا على عقب ٠ وعند افتتاح الحفلة كان المكان مكتظا بالحاضرين وألقيت الخطب الأدبية والمقطوعات التمثيلية وبعض الأناشـــيد والقطع الغنائية ٠٠ فكان اعجاب الحاضرين شديدا ٠٠ وكان ذلك نصرا وفتحا مبينا وهكذا بدأنا نواجه بنشاطنا الأدبى والفنى الجماهير لأول مرة ٠

وقد بقى أن تعرف ان الأستاذ حافظ محمود فى ذلك الوقت كان يتردد على الجامعة المصرية قبل أن تصبح جامعة فؤاد والتى لم تكن قد أنشئت بعد وكان من المعجبين بتوفيق دياب الذى جاء من لندن بطريقته الفذة فى الالقاء التى كان حافظ محمود يحاكيها وكان يتلقى دروسه على يد طه حسين ومنصور فهمى وبقية هـذا الرعيل الأول من أساتذة الجيل ، وبهذا وجدنا أنفسنا فى مصاحبتنا لحافظ محمود فى بؤرة النهضـــة الأدبية التى خلقتها الجامعة فى نشاطها الأولى ٠

على أن هوايتى للتمثيل كانت هى المسيطرة على نشاطى وكان ترددى على مسرح حديقة الأزبكية ومسرح رمسيس مستمرا بالصورة التى شرحتها من قبل ٠

وعلى هذه الوتيرة من حضور الحفلات التمثيلية والمساهمة فى النشاط الأدبى والاجتماعى لجمعية القلم الأدبية وتمضية الوقت فى المطالعة أو المناقشة أو خروجنا لبعض التنزه والرحلات أنا وسيد فتحى يوميــا ومعنا حــافظ محمود فى بعض الأحيــان .. على هذه الصورة امضينا العطلة السنوية فى صيف ١٩٢٥ ٠

على ماهر وزير المعارف

وباقتراب السنة الدراسية الجديدة بدأ يلفت نظرنا بشدة الحياة الجديدة التى يشيعها وزير المعارف على ماهر فى المدارس ، فهذا الرجل الذى قلدوه وزارة المعارف لأول مرة فى وزارة جاءت لمصانعة الانجليز ومداهنتهم وانقاذ ما يمكن انقاذه من براثنهم ، باحناء الرأس والخضوع لرغباتهم ، قد أحدث فى التعليم المصرى ما يشبه أن يكون ثورة ضد الانجليز ، وقد كان هذا من أعجب العجب . فقد ادخل اللغة الفرنسية الى التعليم لتزاحم اللغة الانجليزية واستورد عشرات من مدرسى اللغة الفرنسية من فرنسا مباشرة ، بل فعل ما هو أكثر من ذلك اذ أدخل مادة التربية الوطنية الى البرنامج ، وما تتضمنه هذه المادة من التعريف بالوطن والدستور والقوانين والجهاد فى سبيل الحرية . وطلب من مدرسى التاريخ أن يتداركوا أخطاء الماضى التى كانت تصور مصر امة مستعبدة خلال القرون والأجيال ..

فالحق أن مصر كانت لها مدنيات وحضارات اضاءت فيها على العالمين . وأدخل فروعا جديدة من المعرفة لم تكن فى برامج التعليم من قبل كالجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات وأدخل التعليم بالسينما فى المدارس وحتم أن يكون فى كل مدرسة جهاز للسينما ووضع برنامجا ضخما للنشاط المدرسى . وشغل أوقات الفراغ للطلاب .. بل نظم رحلات للطلاب على نطاق واسع فى طول مصر وعرضها لرؤية آثار مصر وأمجادها ومناطق نشاطها بل تخطى برحلاته الحدود المصرية ، ونظم رحلات لتجوب شواطىء البحر الأبيض ولتزور بلدان أوربا .. وشفع ذلك كله بانشاء الجامعة المصرية التى كانت حلما من الأحلام .

ولقد أشرت من قبل الى الجامعة المصرية وانها كانت موجودة وقائمة ولكن الحقيقة ان الجامعة المصرية الى ذلك التاريخ كانت تؤلف من كلية واحدة من كليات الآداب ولم تكن تتبع الحكومة المصرية ، فجاء على ماهر وضم المدارس العليا كلها الى هذه الجامعة فاصبحت تشمل كليات الآداب والعلوم والحقوق والهندسة والزراعة والطب ، وأطلق عليها جامعة فؤاد ، واستجلب لها نفرا كبيرا من الأساتذة العالميين من جامعات باريس ولندن ٠

وهكذا أحدث على ماهر ــ كما قدمت ــ ثورة كاملة فى الناحية العلمية وقد زودني ذلك الذى فعله على ماهر بحجة كنت أقذفها فى وجه السياسيين المصريين طوال السنوات التالية ، عندما كانوا يحتجون بالانجليز لتقاعسهم عن اصلاح حال البلاد فقد كنت أذكرهم دائما بعمل على ماهر فى وزارة المعارف ، وأنه عندما وجد الرجل صاحب العزيمة والقدرة على التنفيذ مضى الى هدفه بقدم ثابتة ولم يستطع الانجليز أن يعترضوا سبيله .

لقد أدخل على ماهر اللغة الفرنسة لتطرد اللغة الانجليزية من المدارس ، وهى التى كان يحرص الانجليز بجدع الأنف على سيادتها ، وأدخل التربية الوطنية لتحارب تعاليم الاستعمار الفاسدة ٠٠ فعل ذلك كله فى ظل وزارة كان يجثم عليها شبح الانجليز ونفوذ الانجليز ، وأنها تالفت لتصانع الانجليز ٠

ولقد كانت هذه النهضة احد الأسباب التى جعلتنا نتعجل فى شغف بدء الدراسة فى العام الجديد لنستمتع بهذه الحياة الجديدة والعالم الجديد ٠٠ وجاء العام الدراسى ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ ، وسافر أخى سيد فتحى الى أسيوط ليلحق بأستاذه ومدرسته وأخذت طريقى يوم الافتتاح الى شارع درب الجماميز لأدلف منه الى مدرستى الحبيبة مدرسة الخديوية ٠

لست الآن طالبا مستجدا كما كنت فى العام الماضى ، بل انا طالب قديم وفى السنة الثانية وانى لأعرف كل ركن من أركان المدرسة وأعرف الكثير من وجوه مدرسيها وفراشيها وطلابها ، ولى فيهم معارف وأصدقاء على الأقل هؤلاء الذين زاملونى فى العام الماضى ٠٠ ولذلك فقد كان يغمرنى هذا الاحساس الجميل الذى يملأ الطلاب الناجحين والذين يستقبلون عامهم الجديد فى نشاط وثقة بالنفس وآمال كبار .

عندما دخلت الفصل الذى خصص لنا لأول مرة ، وقد كان فصلا ضخما كامل التهوية والاضاءة لم أشعر بالرهبة التى ملأتنى وأنا أدخل الفصل فى السنة الماضية ، نحن الآن فى بيتنا وفى وسط عائلتنا ٠

وكان فى فصلى الجديد عدد كبير من زملاء العام الماضى ، وكان عباس حلمى ومصطفى حتحوت الى جوارى ولست اذكر كثيرا من رفقاء هذه السنة الا شابا من اسرة راتب ، وكان يسمى فيما أذكر عبد الله راتب وهو من الأسر الأوستقراطية ولكنه لميكن شابا طبيعيا ٠

ولست أذكر أحدا من مدرسى هذه السنة الا أن يكون مدرس الرياضة وهو الأستاذ أمين ابراهيم الذى قابلته أخيرا ، وهو ناظر للمدرسة السعيدية ، والى جوار الرياضة كان يعطينا هذه العلوم الجديدة علم النبات والحيوان .

وفى ذاكرتى مدرس اللغة الفرنسية فقد كان حدثا جديدا فى حياتنا ٠ كان رجلا مسنا يسمى « مسيو ديدوى » وكان كغيره من مدرسى اللغة الفرنسية قد استجلب من فرنسا مباشرة والقى به وسط

المدارس المصرية فهو يتكلم الفرنسية وسط صبيان لا يعرفون حرفا واحدا من الفرنسية ، وكان ذلك مثار صعوبة كبرى .. كان الرجل يخاطبنا بالاشارة ، وكان كبقية الفرنسيين سريع الغضب والتهيج وكان الطلاب الأشقياء يتخذونه أداة للتسلية ، وكانت حصته تتحول الى فوضى وتهريج ، وكان الرجل يعانى آلام شديدة وكنت أشفق عليه لما يناله من اذى الطلاب ، وقد لحظ الرجل اشفاقى عليه فقربنى اليه ، واعتبرنى تلميذا طيبا على الرغم من اننى لم اكن افهم حرفا واحدا مما يقول · ودعانا الى زيارة بيته انا وعباس حلمى وراتب وقدم لنا الشاى بواسطة زوجته ، وقد كان هذا شيئا جديدا بالنسبة لنا ولكن هذه الصداقة بينى وبين مدرس اللغة الفرنسية لم تزد شيئا فى معلوماتى فى اللغة الفرنسية ، ولذلك فقد كنت فى مؤخرة الطلاب فى اللغة الفرنسية باستثناء هؤلاء الذين لا يريدون ان يتعلموا شيئا على الاطلاق · ويخيل الى ان الأستاذ كامل أحمد صهر سيد فتحى كان يدرس لنا التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية .. وربما كان ذلك فى السنة الماضية . والمهم انه واحد من الأساتذة الذين مازالوا فى ذاكرتى · ولابد ان اللغة الانجليزية بدأ يدرسها لنا أحد المدرسين الانجليز ، ولكنى لا أذكره .. وهذا هو كل ما اذكره عن حياتى الدراسية فى هذا العام مما يدلك على انها سارت حياة عادية ليس فيها ما يميزها ·

« نهضة الطلبة »

على اننى قبل أن أدع هذا الجانب لأنتقل الى الجانب الآخر الأكثر حيوية من ذكرياتى ، وأعنى به نشاطى فى فرقة التمثيل لا يسعنى الا أن اذكر أن ميلى للصحافة يعبر عن نفسه فى هذه السنة بصورة فذة · لقد اتفقت مع بعض زملائى على اصدار مجلة خاصة بفصلنا ، وجمعت بعض الاشتراكات من الطلاب ، وأصدرت مجلة أطلقت عليها اسم « نهضة الطلبة » فيما أذكر ، وقد طبعتها

فى احدى المطابع التى طبعت لى من قبل منذ بضع سنوات منشورات جمعية نصر الدين الاسلامى · وخرج المشروع الى حيز التنفيذ فقد جاءت الساعة التى رحت أوزع فيها على الطلاب العدد الأول من هذه المجلة فكان ذلك مبعث دهشة وتعجب · وانى اذكر أن العدد الثانى من هذه المجلة قد صدر أيضا ولكنى بعد ذلك شغلت لى فرقة التمثيل فتوقفت المجلة عن الصدور · والحق أن التمثيل منذ هذه الفترة بدأ يزحف على ويستغرق تفكيرى ونشـاطى ·· حتى كدت افنى فيه تماما — كما سأذكر فى الوقت المناسب — وطغى التمثيل على كل هواياتى الأخرى فى الكتابة أو الأدب أو النشاط الاجتماعى ، بحيث لم يدع مجالا لسواه ·· حتى الدراسة نفسها جاءت الساعة التى كدت اضحى بها من أجل التمثيل ·

كنت مصمما فى هذا العام ١٩٢٥ — ١٩٢٦ ، الا يتكـــرر ما حدث فى العام الماضى حيث انسحبت من فرقة التمثيل وسمحت للأعضـاء القدامى ان يتجاهلونى ·· فقد كنت — يومئذ — عريقا فى صلتى بالمدرسة ، واكثر عراقة فى هواية التمثيل بعد ان مضى لى اكثر من عام وأنا اشتغل به ، بل بعد أن أصبحت رئيس قســـم التمثيل بجمعية القلم الأدبية ، وبعد أن أصبحت عارفا بكل مايجرى فى الوسط المسرحى وكل ما يتصل بالنشاط التمثيلى ، ففى ذلـك الوقت كانت قد صدرت مجلة تتحدث عن المسرح وكان اســـمها « المسرح » لصاحبها « عبد المجيد حلمى » ، وكانت هذه المجلة رمزا لما وصلت اليه النهضة المسرحية فى البلاد ، فقد انتشـــرت على نطاق واسع ونفذت الى مختلف الأوساط ولا سيما أوساط الطلاب والشباب بصفة عامة ، وكانت هـذه المجلة هى المعهد الذى تخرج منه هذا الرعيل الأول من الصحفيين والكتاب المحدثين الذيـــن يعتبر « محمد التابعى » عميدهم وصاحب مدرستهم · وكانت المجلة اسبوعية تستعرض النشاط المسرحى وتنتقد الروايات التى يخرجها

« يوسف وهبى » . فقد كان يخرج فى كل أسبوع رواية جديدة ·· وعلى صفحاتها عرفنا الممثلين فردا فردا رجالا ونســـاء ، ماذا يأكلون وماهى هواياتهم وماهى مشاعرهم ·

وعلى صفحاتها بدأنا نطالع كل مايربطنا بالحياة المسرحية ويجعلها جزءا من حياة المسرح · وكالعادة لم اقف عند مطـالعة المجلة ، بل لقد أخذت طريقى الى ادارتها وتعرفت الى صاحبهـا « عبد المجيد حلمى » ·

على أن العنصر الذى زادنى ثقة وعزيمة على اقتحام جمعية التمثيل هو وفـاة المرحوم محمود مراد ، فقد كان عميد الجمعيـة ورب نهضتها ، ولذلك فقد اصبح لا يعرف سوى الطلاب القدماء الذين أعدهم من قبل وعملوا معه ، ولذلك فليس هنـاك مجـال لناشىء جديد أن ينفذ بينهم أو أن يطمع فى الحصول على دور فى احدى الروايات الجديدة أو القديمة ·

وعمل رؤساء الجمعية من الطلاب على أن يسدوا فـراغ المرحوم محمود مراد فجاءوا بالأستاذ عزيز عيد عميد المخرجين واستاذ التمثيل الأكبر فى مصر ليتولى الاشراف على الجمعية .

وجاء عزيز عيد وهو كأستاذ عريق وكشخص غـريب عن الوسط الجديد ، لم يكن يميز بين طالب وطالب ، فالكل عنده سواء والكل بالنسبة اليه مستجدون يتفاضلون امامه بنشاطهم واجتهادهم واستعدادهم الطبيعى ، وبذلك تساوينا جميعا فى الفرصة وهذا ما حفزنى وضاعف فى تصميمى على أن اشق طريقى · وكان يجب لكى يتعرف علينا عزيز عيد أن يلقى كل منا أمامه مقطوعه ·

والقيت امامه مقطوعة شعر معها الطلاب اننى امثل واجيد التمثيل ، ولكن لم يبد على عزيز عيد أنه لقى بالا الى ما ألقيته امامه بصفة خاصة .

وكان من الواضح ان عزيز عيد لم يلق بالا الى شيء على الإطلاق فقد كان معتزما كاستاذ ان يبدأ معنا من البداية وان يعلمنا فن الالقاء على طريقته وبالأسلوب الذى رسمه ·

وجاءنا بالدرس الأول وهو مقطوعة « الأنفيات » من رواية « سيرانودى برجراك » عندما أراد أحد الاشراف ان يتهكم على سيرانو ، وأن يجرح كبرياءه بأن يشير الى أنفـه الكبير ، وكان سيرانو يقتل كل من يتهكم عليه ولكنه اراد قبـل أن يقتـل هذا « الدوق » أن يعبث به فراح سيرانو يلقى عليه درسا فى كيف يكون التهكم على ضخامة انف سيرانو ثم يروح يصف هذا الأنف مئات الأوصاف المضحكة ·

وبدأ عزيز عيد يعلمنا وبدأنا نتعلم واستغرق عـديدا من الدروس لنتعلم ، كيف تلقى هذه المقطوعة حتى كدنا نمل الموضوع واخيراً قرر أن يمتحننا وان يعطينا درجات ·

ولست أعرف حتى الآن كم درجة اعطانى الرجـل فى هذا الامتحان ، ولكن كان من الواضح انها اكبر من الدرجة التى اعطيت لرؤساء الجمعية من الطلاب ·· الذين ضاقوا ذرعا بهذا الاسلوب الذى حولهم تلاميذ صغارا من جديد وهم الذين اعتادوا أن يمثلوا أدوار البطولة فى روايات « محمود مراد » ، ولذلك فقد أعلنوا فجأة استغناءهم عن عزيز عيد ، واعراضهم عن هذا الأسلوب فى تعليم التمثيل ، كمـا أعلنوا عزمهم على اعـادة تمثيل احدى روايات

محمود مراد على أن يحصصوا ايرادها لورثته ومن غير شك أنني رحبت بهذا الاتجاه ، لأنني كنت لا أقل شغفا عن أى واحد فيهم عن الاشتراك فى تمثيل رواية والاضطلاع بأحد الأدوار .

ورواية « مجد رمسيس » كما سبق أن اشرت هى رواية غنائية « تعد نوعا من الأوبرا » تعتمد على مجموعة من الأناشيد وأدوارها الرئيسية تؤدى عن طريق الغناء فيما خلا شخصيتين او ثلاثا على وجه التحديد .

وكان دورها التمثيلى الأول هو للكاهن الاكبر وكان مقرر ان يقوم به رئيس الجمعية الأستاذ « عبد اللطيف شاش » وهو تلميذ كبير فى السنة الرابعة ومن أقدم أعضاء الفرقة فلا محل لمنازعته فى هذا الدور . وكان الدور الذى يليه دور مصرى يسمى « ماشع » وهو جاسوس خائن ولهذا الدور رنوت ببصرى وتقدمت فى الامتحان للحصول عليه .

ولكن رؤساء الفرقة كانوا قد اعتزموا اعطاء هذا الدور لأحد أصـــدقائهم القدماء وهو الأستاذ « جلال الدين العروسى » الذى يحتل منصبا كبيرا الآن فى وزارة الداخلية فى قســـم الجوازات والجنســـية . ولكنهم كانوا محرجين ازاء تفوقى فى أداء الدور ، فخرجوا من هذا المأزق بأن أعطونى الدور الثالث فى الرواية بدون امتحان وهو دور لقائد يسمى (أونا) .

وقضى الأمر واصبحت واحدا من ممثلى الرواية الذين يشار اليهم بالبنان والذين يخرجون كل يوم من الفصل للتمرين والتدريب وكان ذلك يملؤنى زهوا .

ورواية مجد رمسيس شىء رائع من غير شك وقد كان لهـــا أبعد الأثر فى غرس بذور الوطنية فى نفسى باناشيدها الحماسية

التى تتحدث عن مجد مصر وعظمتها وقد ظلت هذه الأناشيد تصاحبنى حيثما رحت وانى جئت · حتى جاءت الساعة التى تفجرت فى نفسى وطنية متدفقة على صورة جهاد ضد الانجليز من أجل الحرية ومجد البلاد .

وتتلخص الرواية فى ان كاهن مصر الأعظم على أيام رمسيس الثالث لم يكن فى حقيقته الا دخيلا أجنبيا وقع فى أسر مصر ، ولكنه استطاع بدهائه ان يبدو كأنه مصرى وأن يتدرج حتى يحصل على منصب الكاهن الأعظم ، ثم يعمد لاستغلال هذا المنصب الخطير لايقاع الدسائس والفتن لخراب البلاد ودمارها ، وانتهز فرصة انتصار قائدين لرمسيس الثالث فى فتحهما لبلاد الشام فنسب اليهما منشورا كاذبا يعلنان فيه عصيانهما وتمردهما على رمسيس ، واستقلالهما بملك الشام فيقبض عليهما رمسيس الثالث ويحكم عليهما بالاعدام · وفى ساعة التنفيذ تفتضح الدسيسة ويكشف الستار عن حقيقة الكاهن الأعظم ودسائسه فيطلق سراح القائدين البريئين ويقبض على هذا الدخيل الأجنبى ، ويقدم بدلا من القائدين .

ويسدل الستار على هذه النصيحة الغالية التى يهتف بها الشعب فى صورة نشيد رائع :

أيها المصرى يا ابن النيل
يا نبيل القصد
انت أولى الناس بالتبجيل
يا سليل المجد
اطلب العليا وحاذر
خدعة الدخلاء

كلهم خب وغادر
مصدر للداء
اننا قوم كرام
نكرم الغرباء
والحر يابى ان يضام
ان مبدأنا الاباء

ثم تنتقل المجموعة الى نشيد آخر أكثر دويا يسدل على آثاره الستار وهو من تلحين سيد درويش ويبدأ بهذا المطلع :

سودى على رغم الزمن
يا مصر يا نعم الوطن
دوسوا العدا يوم الردى
لبوا الندا كونوا فدا
وطنيتى هى نعمتى
وعقيدتى هى أمتى
والحر ينبت كالهرم
لتحتمس دانت أمم
تفنى وان طال الزمن
والمجد باق للوطن

الى آخر هذا النشيد وغيره من عشرات الأناشيد التى ما فتئت اترنم بها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، وعندما نجتمع فى كل عـام عند سفح الهرم لنحتفل بالعيد ، لا أجد ما يشوقنى أكثر من أن أنشد لأبناء مصر الفتاة هذه الأناشيد الأولى التى أيقظت روحى وغرست فى نفسى مجد مصر ·

ومن هذه الأناشيد ذلك النشيد الداوى الذى اتخذته بعد عشر سنوات من هذا التاريخ نشيدا رسميا لمصر الفتاة وهو نشيد : اسلمى يا مصر اننى الفدا ·

والحق أن « مجد رمسيس » باناشيدها وموسيقاها هى خالقة مصر الفتاة ونهضتها وستظهر الصلة المباشرة بينها وبين فكرة مصر الفتاة بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ ، عندما ذهبت الى رحلة الأقصر وأسوان ، كما سأشرح ذلك بالتفصيل فى حينه · سارت تجارب الرواية فى طريقها تحت اشراف عبد اللطيف شاش الى أن اقترب اليوم المحدد للتمثيل ، فاستأجرت الجمعية مسرح حديقة الأزبكية ، وكان من حقنا أن نجرى عليه تجربة قبل ليلـة التمثيل · ولست أستطيع أن أتحدث عن مقدار سعادتى عندما وجدت نفسى فوق مسرح حديقة الأزبكية الذى طالما هفت نفسى للوقوف عليه منذ عرفت طريقى لمشاهدة رواياته · لم أكن أصدق نفسى أنى فوق خشبة المسرح ، وأن حلمى قد تحقق أخيرا وهانذا أسير فوقـه ·

ولم يكن هناك حد لفيض السعادة الذى أصبح يغمرنى لدى كل خطوة جديدة نخطوها فى هذه اللحظات الأخيرة ·

فقد جاء دور توزيع الملابس علينا وباعتبارى أحد القائدين اللذين تدور عليهما حوادث الرواية فقد أعطيت لى بدلة فرعونيـة

فاخرة جعلتنى أشعر بالعزة والبأس بالنسبة لكل من يحيط بى من الجنود وافراد الشعب ٠

واجرينا التجربة الأخيرة ، كما ستمثل فى اليوم التالـــى وصاحبتنا فرقة موسيقى المدرسة برئاسة زين العابدين الذى كان يجيد قيادة الفرقة لعزف أناشيد الرواية وموسيقاها الصامتة ٠

وانصرفت الى بيتى وأنا أكاد اطير من فرط السعادة ولم استطع النوم فى هذه الليلة من شدة اللهفة على شروق شمس اليوم التالـى ٠

واشرقت الشمس وتوجهت الى المدرسة ومن المدرسة اخذنا طريقنا الى مسرح حديقة الأزبكية حيـــث فوجئت بمـا زاد فى سعادتى اذ وجدت غرفة من غرف الممثلين قد خصصت لى ولزميلى القائد لخلع ملابسنا وكان ذلك آيه الأهمية التى وصلنا اليها .

وبعد ان غيرنا ملابسنا وارتدينا ملابس التمثيل جاء المختص فى عمل « المكياج » وبدأ فى صبغ وجهى بمختلف الأصباغ والأدهان ليخفى صورة الشاب الصغير ويرسم صورة القائد المغوار ، وهكذا كانت أحلامى كلها تتحقق خطوة فخطوة ٠٠ فأنا الآن ممثل خطير وان هى الا بضـع ساعات حتى تمتلىء هذه الصـالة بالمتفرجين ليشاهدوا تمثيلى وكأنهم لم يجتمعوا الا ليشاهدوا تمثيلى أنا ٠

ووصلنا الى ذروة الموقف ٠٠ وكان قلبى يخفق فالصالة الآن مليئة بطلاب المدرسة ورجال الصحافة وموظفى وزارة المعـارف وأقاربنا وكل من يلوذ بنا وقد اطفئت الأنوار وعزفت الموسـيقى نشيد الافتتاح ورفع الستار وبدأ التمثيل ٠٠ وصـــاح بنا مدير المسرح أن استعدوا ، وجاءت الاشـارة الموعـودة « ادخـلوا »

ودخلنا وغمرتنا الأضواء واستقبلتنا الموسيقى التى كانت تعزف (مارشا) فقد كان دخولنا على المسرح على رأس فرقتنا حيث نسير فى موكب عسكرى وتعزف الموسيقى مارشا يشبه المارش الشهير فى رواية عايدة ، حتى اذا وقفنا فى حضرة رمسيس أسرع الشعب الى ترتيل نشيد يمجد فيه أمون العظيم على ما أولى مصر من نصر على أيدينا .

ثم يشرع رمسيس يهنئنا على ما أحرزنا من نصر ويسألنا أن نقص عليه تفاصيل المعركة .. وكان زميلى القائد يصف المعركة غناء . أما أنا فأصفها تمثيلا وكانت كلماتى تلقى بقوة كأنها قذائف .

وكان عبد اللطيف شاش رئيس الفرقة يأبى الا أن يجعلنى أبالغ فى تضخيم الألفاظ والعبارات وان أبالغ فى اظهار صرامتها وفى تقوية صوتى .. ولست أعرف ماذا فعلت فى هذه الليلة وأنا تحت الأضواء وأمام الجمهور .. والتعليق الوحيد الذى انتظرته بفارغ الصبر جاء على لسان « الأحنف » محرر مجلة المسرح حيث وصفنى فى حديثه عن الرواية الذى استغرق صفحتين كاملتين من مجلة المسرح بأننى كنت القائد (الشضلى) ، وقد سرنى هذا النقد وأحزننى فى ذات الوقت ، سرنى أننى استطعت على كل حال أن الفت نظر الناقد الكبير وان يرى نفسه مضطرا للتنويه بى كبطل من أبطال الرواية ، وأن يظهر اسمى على مجلة المسرح ، وأحزننى بطبيعة الحال أنه لم يستطع أن يصفنى الا بهذه الكلمة كلمة (الشضلى) ، ويظهر أننا دائما نتصور أنفسنا شيئا مذكورا والحقيقة تخالف ذلك الى حد بعيد .

كيفما كان الأمر فقد انتهت الحفلة بنجاح فى مجموعها ، وقد أصبحت فى النهاية ممثلا وقف تحت الأضواء ومثل أمام الجماهير ويلقى التصفيق والتهنئة . وأصبحت نجما من نجوم فرقة التمثيل

بالمدرسة الخديوية ولم تعد هذه المسألة محل شك أو منازعة - حتى ان عبد اللطيف شاش عندما أراد قبيل آخر السنة أن يأخذ صورة تذكارية لأبطال الفرقة دعانى للاشتراك فى الصورة وقد كانت هذه مفاجأة لى ، فقد كان رؤساء الفرقة لا يحبوننى لاستطاعتى ان أفرض نفسى عليهم ، ولذلك فقد كانت مفاجأة لى دعوتى لصورة تؤخذ معهم ، واعتبرت ذلك قمة النصر ، وأن مركزى قد ثبت نهائيا فى الفرقة كما قدمت .

وبدأت الأمور بعد ذلك تتطور من حسن الى أحسن فلأمر ما فكر رؤساء الفرقة فى عقد مباراة تمثيلية فى آخر العام لاختيار أحسن ثلاثة فى الفرقة كلها ، وأعد كل منا مقطوعة لالقائها ، وكنت قد ازددت بعد التطورت السابقة ثقة بنفسى واعتزازا بمكانتى وسعيت ان اكون الأول فى هذه المباراة ولكنى لم اكن الأول ، واعتبر عبد اللطيف شاش هو الأول واعتبرت أنا وجلال العروسى فى الدرجة الثانية ، وعندما احتفلت المدرسة قبل اختتام الدراسة بتوزيع الجوائز على المتفوقين فى مختلف نواحى النشاط المدرسى تناولت من يد الناظر وسط التصفيق جائزة التمثيل الثانية عن عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٦ الدراسى ولست أذكر الآن بالضبط ماهية هذه الجائزة هل كانت حقيبة كتب أم أنها كانت ساعة .

لقد كانت هذه أول جائزة من نوعها أحصل عليها فى حياتى الدراسية كلها ، وهكذا بدأ التمثيل وهواية التمثيل تبوئنى الصفوف الأولى فى المدرسة فضاعف ذلك فى حماسى ونشاطى واستغراقى فى فن التمثيل .

انا والصديق ع٠ ١٠ ٠١

على إننى لا أستطيع أن ادع موضوع هذه المباراة التمثيلية ينتهى بدون أن أعرض لواقعة جرت بمناسبتها وكانت بدء صداقة

حادة عنيفة بينى وبين الصديق ع٠ أ٠ أ٠ ، والتى استمرت بضع سنوات كانت فيها صداقة كأجمل ما تكون الصداقة واستمتعت بإخلاص ووفاء اخ كريم ، وكان من الممكن أن تقوى الروابط بينى وبينه الى نهاية العمر لو اننى تزوجت أخته كما كان المنظور والمتوقع ، ولكن تصرفات القدر وحوادث الأيام احبطت هذا المشروع الأخير بعد عشر سنوات كاملة وعدت على هذه الصداقة الجميلة بحيث تمر الأعوام الآن تلو الأعوام . فلا أكاد أسمع عن هذا الصديق فضلا عن رؤيته ٠٠ ولكن فى هذه الأيام التى أتحدث عنها وفى تاريخ السنوات المقبلة فى هذه المذكرات سيحتل ع٠١٠٠٠ وستحتل اسرته وستحتل اخته او بالأحرى اخوته جميعا من بنين وبنات جزءا كبيرا من هذه المذكرات ٠

وكان بدء هذه الصداقة الوطيدة التى استمرت عشر سنوات بمناسبة هذه المباراة التمثيلية التى تحدثت عنها ، فوجئت عندما اعلن عن هذه المباراة بطالب رقيق مؤدب يقترب منى ويقول لى انه يلتمس منى أن أعاونه على الاستعداد لهذه المباراة ، فأختار له القطعة التى يمثلها وأساعده على التمرن عليها ، وكان هذا الطلب مفاجأة شديدة الوقع على نفسى . لقد كان كل أعضاء جمعية التمثيل ينظرون الى شزرا ، فالأعضاء القدامى يضايقهم منى ما يعتبرونه غرورا ونجاحى فى فرض نفسى عليهم وارغامهم على اعطائى دورا فى الرواية ٠٠ والأعضاء الجدد يغيظهم استطاعتى شق طريقى والوصول الى القمة ، ولذلك فقد كانوا يتحاشونني جميعا ، ولم يكن لى بين هؤلاء او هؤلاء صديق ولم أسمع فى أى يوم من الأيام كلمة تشجيع من واحد منهم او كلمة طيبة على اى صورة من صوره ٠٠

وكان ذلك يحز فى نفسى ، فمنذ طفولتى المبكرة ، لم اكن احس انني ابغض احدا او اننى اكره احدا وكنت على استعداد

دائما بان أكون نافعا وصديقا لكل من يحيط بي فكان يؤذيني هذا النفور منى ، ومع ذلك فقد كنت ماضيا فى طريقى اشقه بجهادى ٠ فعندما جاء ع٠١٠٠١٠ يطلب منى أن أكون مدرسا له عندما قال لى انه اختارنى من بين جميع أعضاء فرقة التمثيل لأنه معجب بى كان ذلك حدثا فى تاريخ حياتى فى هذا الفترة ، كان نصرا وفوزا مبينا ، فهاننذا فى النهاية اجد واحدا يعترف لى بالأستاذية ويتحدث عن الاعجاب بى ولا يجد غضاضة فى أن أعلمه مقطوعة ليتقدم بها فى الامتحان ٠

وغنى عن البيان أن تلقيت الدعوة بترحـــاب شديد ولهفة زائدة ٠ وعندما طلب منى أن أصحبه بعد انتهاء الدراسة الى منزله لأشرع فى تعليمه المقطوعة التى يريد القاءها ، أسرعت الى تلبيـة الدعوة ، وذهبت معه الى بيتهم وكان فى شارع يعقوب بالقرب من وزارة المالية فى احدى العمارات الحديثة البناء ٠ وعندما دخلت الى الشقة التى يقيم بها كان يظللها سكون عميق اشعرنى بالرهبة ، وعندما دخلت حجرة الاستقبال التى كانت مفروشة فى مستوى أعلى من المستوى الذى أعيش فيه ازددت رهبة على رهبة ٠ ولقد علمت فيما بعد ان هذا البيت ليس بيته الرئيسى ، وانما هو بيت أخته الكبرى التى كانت ناظرة فى احدى مدارس البنات الشهيرة ، وكانت متزوجة موظفا كبيرا من موظفى وزارة المعارف ، وهو بدوره ناظر احدى المدارس الثانوية وكان ع.ا.أ. يقيم عندهما كضيف ولذلك فلم نأخذ راحتنا الكاملة فى « الزعيق » والحركة وكنا نتمرن على القطعة التى اخترتها له فيما يشبه الهمس ، ولم تكن هذه القطعة سوى هذا المنولوج الذى يلقيه « تيمور » فى رواية لويس الحادى عشر عندما ذهب لينتــقم من لويس الحادى عشر ، فاذا الطبيب لويس يحاول أن يثنى تيمور عن عزمه ويطلب منـــه ان يستغفر لويس الحادى عشر عما بدر منه فيشرع تيمور فى القـاء

مقطوعة من أروع المقطوعات التمثيلية ، وكنت أجيد هذه المقطوعة الى الحد الذى اثار اعجاب ع٠١٠٠١٠ وطلب منى أن أدربه على القائها ، وقد تقدم بها الى الامتحان ولم يحصل كغيره على جائزة من الجوائز الثلاث ٠٠ ولكن هذا التلاقى بينى وبينه كان بدء هذه الصداقة الجميلة التى نشأت بينى وبينه ، والتى راحت تزداد تمكنا شهرا بعد شهرا أو يوما بعد يوم ٠٠ حتى جاء وقت كنا لا نستطيع فيه ألا يرى أحدنا الآخر فى أى يوم من الأيام .

رحلة الى أسيوط

وعلى ذكر صداقتى الوليدة مع ع٠١٠٠١٠ فقد كانت صداقتى الكبرى لسيد « فتحى رضوان » لا تزال هى محور حياتى العاطفية ، وكانت الرسائل المطولة تترى بينى وبينه حيث نتحدث عن كل شىء من السياسة الى الأدب الى التمثيل حيث يقص على أنباء ما طالع من الكتب أو الروايات ويلخصها لى ، وحيث يصف لى مدرسيه وأصدقاءه والحوادث اليومية وكنت أبادله ذلك كله فى رسائلى .

وكان لابد أن أسعى اليه فى أسيوط لأرى هذه البيئة الجديدة التى يعيش فيها زميل طفولتى وصديقى الحميم .

ولقد انتهزت فرصة عطلة نصف السنة الدراسية وذهبت اليه فى أسيوط ، وحدث عن سعادتنا باللقاء فقد راح يطوف بى فى أرجاء المدينة ويحدثنى عن كل شىء ورأيت لأول مرة قناطر أسيوط ومنطقة الحمراء ، وما بها من حدائق واستمتعت بصحبة سيد وضيافته مدة ثلاثة أيام على ما أذكر ، وقد فهمت فيما بعد أن ذهابى لسيد قد أثار أزمة فى المنزل فلم تكن هذه الزيارة مرغوبا فيها من والدته الحازمة ، فقد كانت لا تتصور كيف أن صبيا صغيرا يفد من مصر الى أسيوط ليزور ابنها الصغير ويقيم فى البيت ،

ولكن ارادة سيد واصراره على الدعوة واسراعى للتنفيذ وضعها امام الأمر الواقع ، وعندما ذهبت لم أشعر بأى شىء غير عادى فى الجو ، بل لقد عوملت بكل الاكرام الذى جعلنى أعود من رحلتى سعيدا مغتبطا بعد أن أصبحت صداقتى وسيد بعد هذه الرحلة شيئا مثاليا منعدم النظير . وبعد فلســت أعرف اذا كانت الذاكـرة قد خانتنى فجعلتنى أذكر هذه الرحلة فى هذا العام أم انها كانت فى العام السابق ولعل الفرصة متاحة لى ان أقف من فتحى على تصويب موعد هذه الزيارة الخالدة ٠

لم يبق الا ان أشـير الى الأحداث السياسية فى هذه الحقبة لكى نتم حديثنا عن هذا العام الدراسى ٠٠ ولعلك قد لاحظت أيها القارىء أن شغفى بالتمثيل قد بدأ يطغى على كل شىء بحيث أن ما ذكرته عن حياتى الدراسية لم يعد كلمات قلائل بينما ذكـــرت نشاطى المسرحى فى تفصيل كامل ٠

وما يقال عن حياتى الدراسية يقال عن ذكرياتى السياسية فقد بدأت أتلقى أنباء الأحداث السياسية كمتفرج منصرف النفس والفؤاد عن الاهتمام بما يشهد أو يســـمع ، وان كانت الأحداث الجارية تضع بذورها فى نفسى من حيث لا أشعر حيث نامت هذه البذور وظلت فى حالة ركود وخمود ، حتى جاء الوقت الذى ازدهرت فيه ونمت فطبعت نشاطى السياسى أيام كفاحى فى مصر الفتاة ٠

لقد أجريت انتخابات لتشكيل برلمان بدلا من البرلمان الوفدى الذى حلته وزارة « زيور » وأشرف اسماعيل صدقى وزير الداخلية على الانتخابات لمجلس النواب الجديد ٠ ولأول مرة اســـتخدم اسماعيل صدقى أساليبه الشهيرة فى الضغط على الناخبين وعمل المناورات من ارهاب وترغيب للوصول الى نتيجة معينة ٠٠ وتألف

فى هذه الفترة مايسمى حزب الاتحاد وقيل وقتئذ انه حزب الملـك وقدم حزب الاتحاد مرشحيه الى جوار حزب الأحرار الدستوريين الذين كانت تتألف منهم الوزارة .

وكانت الانتخابات على درجتين أى أن كل ثلاثين ناخبـا ينتخبون مندوبا وهؤلاء المندوبون هم الذين ينتخبون عضو مجلس النواب .

وتمت الانتخابات أخيرا كان اسماعيل صـدقى هو وزير الداخلية الذى أجرى الانتخابات وقد ابتدأ تجاربه الرائدة فى التزوير والزيف فى الانتخابات وهى التجارب التى صقلها فيما بعد ، وعقد مجلس النواب وفى جلسته الأولى جرت الانتخابات لاختيار رئيس المجلس ، وكان المرشحان هنا سعد زغلول زعيم الأمة وعبد الخالق ثروت مرشح أحزاب الأقلية ، أحزاب الانقلاب ، وأسفرت نتيجة الانتخاب عن فوز سعد زغلول برئاسة المجلس باغلبية بضعة اصوات اذ أحرز مائة صوت وخمسة أو حوالى ذلك ، بينما أحرز ثروت سبعة وتسعين صوتا اذا لم تخنى الذاكرة فصعقت الحكومة لهذه النتيجة التى خيبت آمالها بعد كل الجهود التى بذلتها وبعد كل صنوف المناورات والمؤامرات ، ولذلك فقد أسرعت الى حـل مجلس النواب الجديد ، الذى لم يمض على انعقاده سوى بضع ساعات حلته لنفس السبب الذى حلت من أجله المجلس الماضى . فاذا علمت أن الدستور صريح فى أنه لايجوز حل مجلس النواب مرتين لسبب واحد أدركت أن هـذا الاجراء كان أول عـدوان سافر على نصوص الدستور ، ولم يلبث العدوان ان تواتر بعد ذلك وأخذ عدة صور وأشكال وألوان حتى أصبح الدستور قصاصة الورق التى لا تساوى الحبر الذى كتبت به .

وقد حز فى نفسى رغم عدم اشتغالى بالسياسة هذا التصرف وتسللت الى نفسى أول بذرة من بذور الحنق على الأوضاع السياسية فى البلاد ٠

وجرت الامتحانات لاختتام العام فاديتها بنجاح ونقلت الى السنة الثالثة وفقا للنظام الجديد الذى جعل الدراسة الثانوية خمس سنوات لا اربعا ، وجعل امتحان الكفاءة ـ او بالأحرى اتمام المرحلة الأولى ـ من التعليم الثانوى بعد السنة الثالثة لا الثانية كما كان الحال من قبل ٠

واستقبلت الاجازة الصيفية بنشاط مضاعف ٠

صيف عام ١٩٢٦م

بمجىء الاجازة الصيفية جاء سيد فتحى الى مصر ، وبدانا نشاطنا المشترك فى الحياة الأدبية والاجتماعية مع زميلنا الكبير حافظ محمود فى جمعية القلم ، ولقد تطورنا بجمعيتنا وبحفلتها السنوية ، فبدلا من (حوش) بيت حافظ محمود استأجر لنا مسرحا او بالأحرى صالة يطلق عليها اسم « كوفاديس » وهى ملحقة بالكنيسة التى تواجه بنك مصر فى شارع عماد الدين ، وكان البرنامج يتالف من خطاب ادبى اجتماعى يلقيه الرئيس حافظ محمود ومن بعض خطب اخرى ثم فصل تمثيلى قمت فيه بالدور الرئيسى ٠

ولم يلبث شهرا الصيف يوليو واغسطس أن انصرفا وبحلول شهر سبتمبر دخلت حياتى فى دور جديد ففى هذا الشهر كان يوسف وهبى يبدأ تجارب التمثيل لموسمه التمثيلى المقبل وكنت قد اعتزمت الالتحاق بمسرحه « كهاو » واصبحت هذه امنية حياتى

الكبرى ، وأريد بهذه المناسبة أن أذكر تاريخ علاقتى بمسرح رمسيس هذه العلاقة التى ظلت تتطور وتتطور حتى كادت تنتهى الى أن أفنى فى هذا المسرح لو أن يوسف وهبى قبل فى لحظة من اللحظات التى سنعرض لها أن يلحقنى بفرقته ..

كان بدء اتصالى بالتمثيل كما ذكرت من قبل بالتفصيل عن طريق فرقة عكاشة تياترو حديقة الأزبكية فكنت متعصبا لهذه الفرقة متحمسا لها ألهج دائما بتفوقها وبدأ يوسف وهبى موسمه التمثيلى الأول عام ١٩٢٤ م دون أن أشهد رواية من رواياته ، وكان من حظ سيد فتحى أن يشهد روايته الكبرى فى هذا الموسم واسمها رواية «المجنون» ، وهى من تأليف يوسف وهبى ، فكان يستطيل على برؤية هذه الرواية ، وكان يقصها على ويقلد يوسف وهبى فى إلقائه فأحس بلذة الحرمان ، ولكن لم يكن هناك سبيل لمعالجة هذا الأمر ، فقد كان لابد من مبلغ لا يقل عن عشرة قروش لامكان مشاهدة احدى رواياته ، ولم يكن باستطاعتى توفير هذا المبلغ .

صدمة قوية

واعلن فى موسم يوسف وهبى الثانى أن جورج أبيض سينضم اليه بفرقته وانه سيبدأ بتمثيل رواية « سيرانو دى برجراك » للشاعر الفرنسى الكبير ادمون روستان ، ورواية سيرانو كانت قد ترجمت الى العربية وصاغها فى أسلوب عربى مبين الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى وأطلق عليها اسم الشاعر . وروايات مصطفى لطفى المنفلوطى كانت هى الروايات التى كان مدرسونا فى الدروس ينصحون لنا بقراءتها لتحسين لغتنا ، وكان كل من يريد أن يتذوق الأدب أو أن يتصف بالأدب لابد له من قراءة هذه الروايات ، وكان أشهر هذه الروايات على الاطلاق

رواية « مجدولين » أو « تحت ظلال الزيزفون » ثم رواية الشـاعر سيرانودى برجراك ورواية « العبرات » ثم رواية الفضيلة أو بول وفرجينى ، ورواية أخرى أسمها فى سبيل التـاج وهى كلهـا من عيون الأدب الفرنسي ، فكان بعض المصريين يترجمونها ثم يعيـد مصطفى لطفى المنفلوطى صياغتها فى قالب عربى مبين .

والحق أن المكتبة العربية لم تعـرف منذ هـذه الروايات ما يدانيها فى الجمال والروعة ، وقد كنت مفتونا برواية سيرانو هذه فلم أكد أطالع الاعلانات الضخمة على الجدران تنبىء أن جورج أبيض سوف يمثل هذه الرواية على مسرح رمسيس حتى قررت أن احضرها بأى ثمن من الأثمان .

وشرعت اقتصد وادخر طوال العـام الدراسى حتى اذا جاء العيد اعلن عن تمثيل الرواية ، وكان قد اجتمع لى عشرة قروش ثمن التذكرة . وهكذا جاء اليوم الموعود لأدخل فيـه الى مسرح رمسيس وأشهد تمثيل هذه الفرقة التى ملأت الدنيـا ضجيجا انهـا قمة التمثيل الحقيقية .

ومازلت اذكر بعد كل هذه السنين الطويلـة كيف ارتـديت ملابسى ونظفتها بقـدر الامكان ثم ذهبت الى الدولاب الذى كنت اخفى به هذا « النصف ريال » فاخذته من مكانه ووضعته فى جيبى ثم يممت صوب مسرح رمسيس سـيرا على الأقـدام من منزلنـا بالسيدة ، وكانت الحفلة نهـارية تبـدأ فى السـاعة الخامسـة والنصف فبدأت رحلتى نحو المسرح فى الساعة الثانية ظهرا بعد أن تناولت طعام الغداء ، وصـلت الى باب المسرح ولم يكن شباك التذاكر قد فـتح بعد فرحت أتسـكع حول المسرح وفى شـارع

عماد الدين ساعة كاملة فتح بعدها شباك التذاكر ، فذهبت اليه وقلبى يخفق كما لو كنت مقبلا على مغامرة كبرى .. كيف لا وقد كان هذا حلم عامين كاملين أن تتاح لى فرصة دخول مسرح رمسيس وها هى قد جاءت ..

واقتربت من شباك التذاكر وقد ازداد خفقان قلبى وتصبب العرق من جبينى وكانت تجلس فى شباك التذاكر فتاة اجنبية ، وكان كل ذلك جديدا بالنسبة لى وتقدمت بشجاعة الى النافذة وابرزت النصف ريال الذى كان يلمع نظرا لجدته وقلت لبائعة التذاكر أريد تذكرة بنصف ريال .. فابتسمت فى وجهى وقالت لا توجد لدينا تذاكر بنصف ريال .. ان أقل تذكرة بخمسة عشر قرشا .

ياللهول .. يا لخيبة الأمل .. يا للخجل والعار .. يا للأحلام التى ضاعت والقصور التى انهارت .. لقد وقفت مبهوتا أمام الفتاة لا أستطيع أن أجد جوابا ، ثم انسحبت فى سكون أكاد أنوء تحت وقع الصدمة .

لقد انتظرت بضعة أشهر كاملة احتملت فيها وحرمت نفسى من كل مباهج الحياة حتى اقتصد هذه العشرة قروش ، وفى نهاية الأمر لا يتحقق حلمى .

عدت الى البيت وأنا حزين كئيب وظل سيد فتحى يتفوق على برؤيته رواية « المجنون » وبأنه رأى يوسف وهبى ولم أره ، بل لعله فى ذلك الوقت كان قد شهد له رواية ثانية ..

... واحتاج الأمر الى بضعة أشهر أخرى قبل أن أيمم شطر مسرح يوسف وهبى ثانية ، وفى هذه المرة عندما قصدته كنت أكثر ثباتا واقداما فقد كانت معى الخمسة عشر قرشا ، بل ما هو اكثر منها ، فقد كان راتبى الشهرى قد زيد الى ثلاثين قرشا فى الشهر بعد ان اصبحت طالبا فى الثانوى ، وكانت الرواية التى ذهبت الى رؤيتها هى رواية « غادة الكاميليا » والتى طبقت شهرتها الخافقين .

وجاءت الساعة التى رأيت نفسى جالسا فى صالة مسرح رمسيس وقد اخذ يلبى الصمت العميق الذى كان يسود المتفرجين والذى كان من الواضح انهم من طبقة أرستقراطية اكثر من طبقة رواد تياترو وحديقة الأزبكية .

واطفئت الأنوار ورفع الستار وبدأ التمثيل .. كانت روزاليوسف هى التى تمثل دور مرجريت جوتييه ويوسف وهبى يمثل دور أرمان ديفال ، وكان هذا اللون من التمثيل جديدا على ، فروايات تياترو حديقة الأزبكية فى أغلبها روايات شرقية أو مصرية أو غنائية ولم أشهد من قبل رواية افرنجية عصرية كغادة الكاميليا ، ولذلك فقد كنت مأخوذا بهذا الجو الجديد وبهذا التمثيل الرائع الذى لا يقارن به كل الذى شهدته حتى ذلك الوقت وعندما وصلت القصة الى الفصل الثالث وعندما وصلنا الى هذا الموقف الخالد موقف الأب ديفال وهو يحاول أن يقنع مرجريت ان تتخلى عن ولده هنا كان التمثيل قد وصل الى درجة لم تكن تطوف لى فى خيال .. وأخذ منى التاثر مبلغا عظيما فرحت اذرف الدموع فى صمت وبدون انقطاع ، واشهد ان ليس كل الروايات التمثيلية التى عرفتها المسارح فى القديم أو الحديث مشهد يفوق هذا المشهد من حيث الكمال الفنى والتمثيلى

ووصلت روز اليوسف الى ذروة المجد فى هذا المشهد ، ولم يكن يقل عنها مجدا عزيز عيد الذى كان يمثل دور الاب ديفال ٠

وعندما جاء الفصل الأخير ومرجريت جوتييه طريحة الفراش يوشك المرض ان يفترسها ويطفىء نورها الى الابد كنت أتعـذب عذابا حتى خيل الى انه قد يغمى على من الألم والتأثر .

ونزل الستار فى النهاية وخرجت من المسرح وقد ولدت من جديد ٠٠٠

لم يرعنى يوسف وهبى فى دور أرمـان ديفـال كمـا راعتنى روز اليوسف والحق أن رواية غادة الكاميليا هى رواية قد وضعت لابراز مواهب « سارة برنار » أى أنها رواية بطلتها امرأة وليس رجلا ، ولذلك فلم يستطع يوسف وهبى أن يؤثر على كثيرا فى هذه الرواية وأن كان الجو كله قد أثر فى نفسى أعمق تأثير ٠

توسـكا

على اننى وقد دخلت مسرح رمسيس مرة فقد أصبح دخولى بعد ذلك سهلا ميسورا بعد أن عرفت الطريق ، فان هى الا بضعة اشهر اخرى حتى كنت اشهد رواية ثانية وهى رواية توسكا ، وفى ذلك الوقت كانت روز اليوسف قد تركت مسرح رمسيس وأصدرت لنفسها مجلة هى المجلة المسماة باسمها حتى الآن ، وبعد ان كانت مجلة المسرح هى المجلة الوحيـدة التى تكتب عن المسرح أصبحت روزاليوسف الى جوارهـا ، وعلى صفحاتها بدأ التابعى نقده لفرقـة يوسف وهبى وتعليقه على الحوادث الجارية

بأسلوبه المعروف ، وحلت فاطمة رشدى محل روزاليوسف واصبحت بطلة رمسيس الأولى واشتهرت رواية توسكا باعتبارها رواية الموسم الثالث لمسرح رمسيس فذهبت لرؤيتها ٠

ومرة أخرى رأيت عجبا وفنا رائعا ٠٠ وفى هذه الرواية تقوم فاطمة رشدى بدور ضخم يملأ الرواية كلها ، ولكن يوسف وهبى فى نفس الوقت يقوم بدور من أدواره التى يظهر فيها امتيازه وهو دور « سكاربيا » هذا الطاغية ، فنال اعجابى ، بل ما هو أكثر من الاعجاب ، لقد افتتنت به وأصبح منذ ذلك اليوم مثلى الأعلى الذى لا أتمنى من الحياة الا أن أصل فى يوم من الأيام الى بعض مكانته فى عالم التمثيل ٠٠

وفى هذه الاجازة الصيفية التى أتحدث عنها صيف عام ١٩٢٦ م قررت أن أعمل المستحيل ولتحق بفرقة يوسف وهبى كتلميذ متمرن ٠

لست أذكر الآن على وجه التحديد ما الاجراء الأول الذى اتخذته لألتحق بالفرقة ، لست أذكر اذا كنت قد كتبت ليوسف وهبى أم ان أحدا قدمنى اليه أم أنى ذهبت اليه مباشرة وطلبت مقابلته .. لقد ضاعت من ذاكرتى هذه الخطوة ، ولكن الذى أذكره أنه فى صباح أحد الأيام أجتزت عتبة باب مسرح رمسيس الخلفى وصعدت هذه الدرجات القلائل التى تؤدى بنا الى خشبة المسرح ، كما يقولون ، وهناك لأول مرة وجدت الممثلين يحوطون باحدى الموائد وفى يد كل منهم (نوتة) يطالع فيها دوره التمثيلى ٠

وكان ذلك شيئا فوق احتمالى ، فهؤلاء هم نجوم المسرح الذين نتحدث عنهم البـلاد ، هؤلاء هم الذين خفق قلبى وانا أشاهدهم بالليل يمثـلون ‥ هؤلاء هم الذين تنشر مجـلة المسرح وباقى المجلات والصحف صورهم يوما بعد آخر فى أوضاع مختلفـة ‥ هذا هو حسين رياض الذى طالما هز نفسى هزا فى دوره فى رواية لويس الحادى عشر والذى كان أول ممثل قلدته فى تمثيله ‥ وهذا هو احمد علام وهذه فاطمة رشدى ، وهذا هو شيخ المخرجين وأستاذ الأساتذة عزيز عيد ، وهذا فتوح نشاطى ، وهذه زينب صدقى ، وهذه أمينة رزق ‥ أنهم جميعـا ‥ النجوم والكواكب يجلسون على بعـد خطوات منى وانى اراهم الآن واستطيع أن اراهم وأن المسهم باليد ، بل واستطيع بشىء من الشجاعة أن اخاطبهم ٠

واخيرا ‥ هذا هو يوسف وهبى بشحمه ولحمه ‥ هذا هو يوسف وهبى فى صورته الطبيعية وليس فى صورة ، سكاربيا ، أو راسبوتين أو أرمان ديفال ‥ انه يوسف وهبى ‥

وكم كان يوسف وهبى يملأ القلوب فى ذلك الوقت رهبـة وروعة ، كان اذا حضر (البروفـة) خفقت الأصـوات وأرهفت الآذان وحبست الأنفاس ، فقد كان شديدا كان صارما على كل من يتكلم فى اثناء (البروفة) او يتأخر عنهـا كان يطرد من المسرح نهائيا فى بعض الأحيان ، وكان يخصم من المرتبـات بضعة ايام ، وهكذا كان يملأ القلوب خوفا ورعبـا من صرامته ‥ مازلت اذكر فى مرة من المرات وكان يقوم بتمثيل احد الادوار فسمع بعض الأصوات من باقى الممثلين يهمس هنا وهناك فما كان منه الا أن توقف عن التمثيل ووضع منظاره المفرد (المونوكل)

على عينه ثم راح يحدق فى وجوه الممثلين واحدا بعد اخر فى صمت فشحبت الوجوه وخفقت القلوب وحبست الانفاس ، فقد كانت هذه الحركة تنذر الويل والثبور لكل من يوقعه سوء الطالع تحت نظره متمددا او متحركا او مبتسما .

وجال ببصره حول المسرح فى تثاقل وصمت وكان ذلك كافيا كما قدمت لكى يسكن الهواء نفسه ، فكأننا أصبحنا سكان عالم ثان ، وبعد أن اطمأن الى التأثير الذى أحدثه استأنف التمثيل من جديد ، حيث ظل الجميع بعد ذلك ساعتين كاملتين وكأن على رؤوسهم الطير .

أنا فى مسرح رمسيس أخيرا واذهب اليه كل يوم فى انتظام لحضور التجارب فى الصباح أى فى الساعة العاشرة وثمة تجربة أخرى فى المساء ، ولكن لأمر ما كان بواب المسرح (اللعين) كثيرا ما يمنعنى من الدخول فى المساء .

وكم اشقانى هذا البواب الدكتاتور وكم سبب لى من الام عندما كنت اذهب فيمنعنى من الدخول لغير سبب مفهوم عنى فى ذلك الوقت وان كنت افهمه الآن تمام الفهم ، لقد كان الرجل يريدنى من غير شك أن أدفع له بعض النقود وقد كنت عاجزا عن ذلك بطبيعة الحال فكان يستخدم سلطاته ونفوذه فى منعى من الدخول بالليل ، ففى هذه الفترة يكون إكثر سلطانا منه بالنهار ، لأننى بالنهار أستطيع أن أراقب يوسف وهبى عند حضوره او أى ممثل من الممثلين الكبار وأدخل معه او أن اشكو اليه أذا منعنى ، أما فى الليل فالجو متغير والليل يخلق رهبة اكثر من النهار ، فكان يمنعنا من دخول المسرح ، ولكن مع مرور

الزمن ادرك الرجل انه لن يفلح فى حملى على ان أدفع له نقودا فمن ناحية لم يكن معى نقود ومن ناحية اخرى كانت الفـكرة أبعد ما تكون عن ذهنى وكنت اعزو تصرف الرجل الى انه سخيف او أنه فظ وقاس وجلف الى آخر هذه النعوت ، والمهم أننى ما اقبلت على المسرح مرة الا وأنا أمتلىء خوفا من هذا البواب وهل سيسمح لى بالدخول أم يمنعنى وما دخلت مرة الا وتنفست الصعداء وشعرت بالسعادة التى يشعر بها كل من ينجح فى اجتياز خط النار .

وبدأت أتتبع نظام العمل فى اعداد الروايات للمسرح وبدأت اغرق فى جو من السعادة وطوفان من النعيم وأنا اشهد الروايات الخـالدة التى ستعرض على الحضور واحدة بعـد اخرى وكان شانى شأن هذا الشخص الذى يكدح للحصول على قرش صاغ وفجأة يرى نفسه أمام كنز من الوف الجنيهات فى متناول يده ، أو كمن يشقى من أجل رغيف خبز ، وفجأة يرى (طابونة) خبز تحت تصرفه ..

لقد شقيت وكدحت لأدخر عشرة قروش أشـهد بها احدى روايات رمسيس وصدمت وفشلت فى رؤية الرواية .. وهاأنذا غارقا بين عشرات الروايات من كل الألوان والأنواع .. ما بين مضحكة ومبكية وتاريخية وعصرية .. هاأنذا اسمع اسماء أعلام التأليف العالميين وأعلام الممثلين والمخرجين .. هاأنذا فى بحر عجاج من رحيق الفن .

نظام العمـل

ونظـام العمل فى اعداد الروايات يسير على الوتيرة الآتيـة يجلس الممثلون حول مائدة وعلى رأسهم المخرج عزيز عيد ومدير

المسرح ، وكان يسمى « هلالى » ثم يتلو عليهم مؤلف الرواية أو مترجمها الرواية ، وكنت استمتع الى أبعد الحدود بسماع الرواية على هذا الأسلوب ·

وبعد أن يفرغ من تلاوة الروايـة توزع الأدوار على الممثلين بمعرفة عزيز عيد وتكتب الأدوار فى كراسات صغيرة ·

حتى اذا اخذ كل ممثل وقع عليه الاختيار كراسة دوره راح يطالعها فيما بينه وبين نفسه ، ثم يجتمع الممثلون بعد ذلك تحت اشراف المخرج ويشرعون وهم جلوس حول المائدة يطالعون ادوارهم وتسمى هذه المرحلة مرحلة (التكسير) ، ويقصدون بها أن يتفهم الممثل دوره وأن يضبط أواخر الكلمات وأن يعرف كيفية سير الحوار مع غيره من ابطال الرواية وذلك تمهيدا لحفظ دوره ·

وتطالع الرواية بهذا الأسلوب مرة أو مرتين ·· ثم تأتى فى مرحلة الاخراج ، حيث توضع على المسرح الأقنعة والأثاثات التى سيدور حولها التمثيل ويشرع المخرج يحرك الممثلين على المسرح وهم يلقون ادوارهم ·· وفى هذه المرحلة يتجلى ابداع المخرج وهو يعلم كل ممثل كيف يؤدى دوره ·· وكيف يتحرك خطوتين بعد هذه العبارة أو يجلس على هذا الكرسى ·· او يندفع نحو زميله أو زميلته وهكذا ، وتستمر التجارب فى هذه المرحلة مرتين أو ثلاثا ، بينما يقيد مدير المسرح كل ملاحظات المخرج التى يبديها فى أثناء هذه التجارب ··

حتى اذا أخرجت فصول الرواية كلها بهذا الأسلوب جاءت المرحلة الأخيرة وهى ما تسمى (بروفة جنرال) او التجربة الكاملة

او الشاملة ، حيث يرتدى الممثلون أزياءهم التى سيرتدونها امام الجمهور وتركب المناظر ويجرى تمثيل الرواية كما لو كانت تمثل امام الجمهور ·

ولعلك قد رأيت من هذا العرض كيف ان الفرصة كانت متاحة لى لكى اشرب هذه الروايات شربا واهضمها هضما ، فقد كانت تكرر امامى خمس مرات او ستا ·

كنت أتحسر وأشعر بلذعة الحرمان كلما جاءت ساعة توزيع الأدوار فلا يكون لى نصيب فيها ولو دور خادم أو شحات ، وقد كانت الأدوار الكبيرة تكتب فى كراسات مجلدة بجلدة سوداء (نوتة) ، أما الأدوار الصغيرة التى تتألف من بضع عبارات وجمل فتكتب فى ورق أبيض صغير ، ولم يدر بخلدى أن أعطى دورا مما يكتب فى الكراسات الصغيرة ذات الجلدة السوداء ، ولكن كنت أحلم باليوم الذى أظفر فيه بدور من بعض جمل ·· أو دور يتألف من جملة واحدة ، حتى ولو كانت « لا يا سيدى » أو « نعم يا سيدى » ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق قط على مسرح رمسيس ·

وهكذا فرض على أن أكتفى « بالفرجة » فقط طوال فترة التجارب فى الصيف ، كما كان هناك الأمل عند بدء التمثيل أن أشترك فى المجاميع (الكومبارس) وهم هؤلاء الشخوص الذين يظهرون على المسرح يمثلون الشعب الرائح والغادى أو يمثلون فرقة من الجند لا تتكلم ، ولذلك فقد كنت فى شدة اللهفة على افتتاح الموسم التمثيلى لأرتدى الملابس التمثيلية ، واظهر بها على المسرح وسط الحشود التى كانت تظهر فى بعض المناظر فى بعض الروايات ·

وكانت هناك مجموعة من روائع روايات الغرب رواية اسمها « الشرق والغرب » تظهر عظمة اليابانيين ونهضتهم واحتفاظهم بكل مقوماتهم الشرقية وعاداتهم ،على الرغم من وجودهم فى البيئات الغربية وأخذهم العلوم الغربية كلها .

ورواية عن الثورة الفرنسية وثالثة من تأليف « هنرى برنشتين » من المؤلفين الفرنسيين اللامعين واسمها « شمشون الجبار » وقد كنت مفتونا بهذه الرواية الرائعة وبدور يوسف وهبى فيها ، ورواية رابعة مضحكة اسمها « استاذ اللطافة »، وخامسة اسمها « المركيز دى بريولا » ، وكانت هناك هذه الرواية التى قدر لها ان تكون أكثر روايات يوسف وهبى شهرة وهى « كرسى الاعتراف » ، ولكن أحدا لم يقدر لها فى ذلك الوقت هذا النجاح الضخم الذى أحرزته فيما بعد ، وكانت هناك الرواية الكبرى « رواية النسر الصغير » أو « ابن نابليون » تأليف أدمون روستان وترجمة أحمد رامى .

وأخيرا اقترب موعد الافتتاح وبدأت التجارب على رواية الافتتاح الكبرى ، وكانت من تأليف يوسف وهبى واسمها « الصحراء » وتدور وقائعها حول كفاح المغاربة فى منطقة الريف الاسلامى ، عندما قام عبد الكريم الخطابى يحارب الأسبان فانتصروا عليه بعد أن أبدى من ضروب البسالة وأحرز من الانتصارات ما ملأ الدنيا اعجابا بالشعب المكافح .

وكان لنا نحن افراد (الكومبارس) نشاط كبير فى الفصل الأول ، فقد كنا نرتدى ملابس المغاربة ، ونعيش فى الخيام ونروح ونجىء لتمثيل حياة القبيلة ونجتمع فى حلقات لنسمع آخر اخبار الحرب ، ثم يدخل علينا يوسف وهبى ليقص علينا قصة استسلام عبد الكريم فنمتلىء بالفزع وفيما يقص علينا القصة ونحن نحيط

به يدهمنا جنود الأسبان وطائراتهم تقذف القذائف وتنفجر على السنن القنابل ويدوى الرصاص وتشتعل النيران ويسدل الستار وسط هذا الضجيج ·

وقد كان المتفرجون عندما عرضت الرواية عليهم يذهلون لهذه النهاية الرائعة لهذا الفصل فيقطعون أكفهم من التصفيق ..

واستحوذ يوسف وهبى على لبى وهو يؤلف هذه الرواية وهو يمثلها وهو يعاون عزيز عيد على اخراجها ··

وأصبحت أقلد يوسف وهبى فى حركاته وصيحاته وايماءاته ، وكان يطربنى ان يقول لى القائلون : اننى صورة طبق الأصل منه ، ولم يهدأ لى بال حتى مثلت رواية فى المدرسة جعلت فيها دورا يحاكى دور يوسف وهبى فى رواية الصحراء ، وعندما جاء أوان تمثيل هذه الرواية حرصت على أستئجار ملابس يوسف وهبى فى رواية الصحراء بالذات ورسمت صورة كان كل من يراها يظنها صورة يوسف وهبى ، مما ساقصه عليك بالتفصيل فى الصفحات القادمة ·

وافتتح يوسف وهبى موسمه التمثيلى فى نفس الوقت الذى استؤنفت فيه الدراسة ، وعلى الرغم من الحرج الذى كان يجب أن أشعر به عندما أتغيب عن البيت كل ليلة حتى ساعة متأخرة فقد بدأت لا أقيم وزنا لما يقال عنى فى البيت ورحت أتردد على المسرح كل ليلة لأشترك فى تمثيل هذه المسرحية وأرتدى ملابس أحد أفراد القبيلة الذين يروحون ويجيئون على المسرح طوال الفصل الأول ·

العام الدراسي ٣٦ - ٣٧

قلت لك ان العام الدراسي كان قد استهل ، فذهبت الى المدرسة بنشاط وعزم وثقة تملأ نفسي لا من ناحية الدراسة التى انا بسبيلها ، وقد كان هذا العام هو عام الكفاءة ، بل من ناحيه الدور الذى سأقوم به فى فرقة التمثيل بعد أن أصبحت أستاذا كبيرا ، فان انضمامي الى يوسف وهبى وما شهدته من دروس الاخراج والتمثيل جعلتى أتصور نفسى أستاذا لفرقة التمثيل بالمدرسه ، ولذلك فقد كانت كل نفسى متجهة صوب التمثيل وفرقة التمثيل ، ولم تكن للدراسة فى نفسى أى ميل أو اهتمام ، ولذلك فلست أذكر من انباء هذا العام الدراسي شيئا مما يتصل بالدراسة أو المدرسين، فلست أذكر الآن اسم أى مدرس واحد ممن درسوا لنا فى هذا العام ، بل لست أذكر اسم أى طالب ممن كانوا معى فى هذه الفترة الا أن يكون اسم همام محمد محمود ابن محمد باشا محمود الذى سيصبح رئيسا للوزارة بعد قليل ، وكان همام يشتهر بدماثة الخلق والأدب والحياء ، وكان طالبا مجتهدا ، وكان مرموق النظر لصفاته الحميدة بأكثر من نسبته الى أبيه الذى لم يكن قد أصبح وزيرا بعد فى ذلك الوقت .

ولست أذكر من كان يدرس لنا اللغة العربية أو الرياضة مع خطورة هذين العلمين ، ولست أذكر اسم مدرس اللغة الانجليزية ، وقد كان رجلا انجليزيا .

وذلك كله يعكس ذكرياتي عن نشاطي التمثيلي وصلتي بمسرح رمسيس والتى مازالت منقوشة بأحرف ساطعة فى ذاكرتي ، ولعل هنا ما يظهر مدى استيلاء التمثيل على كل حواسي فى هذا العام ، وانقطاع صلتي بالدراسة والمدرسة فى الناحية التعليمية .

وما يقال عن الذكريات المدرسية يقال مثله عن ذكرياتى السياسية ، فليس فى ذهنى الا صورة باهتة عن أحداث هذا العام ٠

لقد تركتك فى العام الماضى وقد حل البرلمان بعد انعقاده ببضع ساعات فور انتخاب سعد زغلول ٠

ولقد اختلف حزب الأحرار الدستوريين بعد ذلك مع حزب الاتحاد وقد كان الحزبان هما دعامة الوزارة ، فاستقال وزراء الأحرار الدستوريين وعلى رأسهم عبد العزيز فهمى ٠

ثم لم يلبث أن حدث تقارب بين الدستوريين والوفديين والوطنيين وتعاهد الجميع على اعادة البرلمان وعقد مؤتمر وطنى فى بيت محمد محمود ٠

وكان قد جاء مندوب سام بريطانى جديد وهو اللورد « جورج لويد » ولم يعد هناك مناص من اجراء انتخابات جديدة ، فألف عدلى يكن وزارة محايدة لاجراء الانتخابات ، واتفقت الأحزاب المؤتلفة على توزيع مقاعد البرلمان فيما بينها على أن يكون للوفد الأغلبية بطبيعة الحال ٠

وقعت الانتخابات وأحرز الوفد الأغلبية ويليه حزب الاحرار الدستوريين وبعض الوطنيين والمستقلين ، وتنحى سعد زغلول عن رئاسة الوزارة تحت ضغط الانجليز الذين لم يكونوا يرضون به رئيسا للوزارة ، ولكنه بدلا من أن يصارح بذلك قبل أن يشترك فى مهزلة تهريجية ، فقد أقيم له حفل تكريم بمناسبة

نجاحه ، ثم تقدم منه طبيبه الخاص ورجاه وسط الجموع الا يؤلف الوزارة رحمة بصحته ·· وصـــاح المجتمعون يؤيدون الطبيب المقترح ، وهنا أعلن سعد زغلول انه لايسعه الا أن ينزل عنـــد مشيئة طبيبه ، ولذلك فسوف يعتذر عن تأليف الوزارة ·

ودعى عدلى يكن لتاليف وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب ، بينما تربع سعد زغلول على كرسى رئاسة مجلس النواب ، ولقد سعيت للحصول على تذكرة لشهود جلسة من مجالس النواب لأرى سعد زغلول وقد رأيته بالفصـــل ، وكانت هذه ثانى مرة رأيته فيها ، وقد أشرت لرؤياى اياه فى المرة الأولى عندما سمعته خطيبا عقب عودته لثانى مرة من المنفى ، وكانت هذه هى المرة الثانية ·

وقد استقال عدلى باشا لما تصوره مساسا بكرامته وضغطا عليه من نواب الوفد وتدخلا فى سلطته ، وألف ثروت وزارة أخرى ائتلافية أعقبت وزارة عدلى ·

وهكذا كان سعد زغلول يختتم حياته مصححا هذه الأخطاء الشديدة التى ارتكبها فى السنوات الماضية ، وهو يحمل بشــدة وعنف على كل معارضيه ، وخاصة عدلى وثروت ، بل ان سعد زغلول أثنى فى ذلك الوقت على اسماعيل صدقى الذى كان يرأس اللجنة المالية بوصفه بالكفاءة والاقتدار ··

وهكذا كان سعد زغلول فى هذا العام الأخير من حياته يلعب دور والد الشعب المصرى الذى لا يفرق بين حزب وحزب أو بين شخص وشخص ، بل يظلل الجميع بأبوته ، ولا جـدال إن هذه المرحلة بعد مرحلة الثورة الأولى فى عام ١٩١٩ من أحسن سنوات ومواقف سعد زغلول ·

على أن هذه التطورات السياسية لم تكن تشغلنى فى قليل أو كثير ، فقد كنت أشهدها بدون تحزب أو انحياز لهذا الجانب أو ذاك ، أو لهذه الفكرة أو تلك .

نحو الزعامة فى فرقة التمثيل

عندما أخذت طريقى الى أول اجتماع دعت اليه الفرقة كنت شخصا يختلف كل الاختلاف عن هذا الشاب الخجول المتهيب الذى ذهب منذ عامين الى مثل هذا الاجتماع . أنا الآن أستهل عامى الثالث بالمدرسة ، فأنا أعرف فيها كل حجر وكل شبر من الأرض وكل فراش وكل مدرس .. بل وأعرف كل وجه وأعرف مقدار وزنه وثقله وكيف يعامل ويعالج هذا من الناحية العامة . أما من الناحية الخاصة ناحية التمثيل فأنا الآن نجم من نجوم الفرقة لايمكن تجاهله ، بل وأنا الآن عضو فى فرقة مسرح رمسيس الأمر الذى يعطينى التفوق والامتياز على سائر الطلاب .. وأخيرا وهو أهم ما فى الموضوع فان الطلاب الكبار الذين كانوا يسيطرون على الفرقة وعلى رأسهم عبد اللطيف شاش فى التمثيل وزين العابدين فى الموسيقى قد تخرجوا فى المدرسة ولم يعد فى الفرقة أحد من الجنود القدماء .

لكل هذه العناصر مجتمعة كانت مكانتى فى فرقة التمثيل قد تقررت على ضوء هذه الظروف ، بحيث بدأت تخالجنى فكرة تولى رئاسة الجمعية بالذات وبالتأكيد كان صديقى الجديد ع. أ. ا. ممن قوى هذه الفكرة فى نفسى وأظهر استعدادا وحماسة للوقوف الى جوارى والجهاد فى سبيل انجاحى . وعندما حضرنا الاجتماع الذى كان مقررا لانتخاب رئيس الفرقة حبطت آمالنا وخطتنا فان الطلاب أسرعوا لانتخاب الزميل حسن جلال العروسى والذى

تنافست واياه في العام السابق حول أحد الأدوار الرئيسية فى رواية « مجد رمسيس » وهو دور « ماشح » كما ذكرت . فاثره الأعضاء القدامى على .. واليوم قدمه الأعضاء على فى الرئاسة وقد كان العزاء فى هذا التفضيل أنه كان أكبر منى سنا وكان فى السنة النهائية أى فى البكالوريا وعلى هذا فان هذا الاختيار بدا طبيعيا الى حد كبير . ولفرقة التمثيل دائما مدرس ينتدب للاشراف عليها وتولى أمورها الى جوار الطلاب وقد كان المدرس الذى عهد اليه بهذه المهمة منذ العام السابق هو العدوى أفندى أو بالأحرى أحمد محمد العدوى والذى سأتحدث عنه فى حوادث العام المقبل بمناسبة دروس الجغرافيا والتاريخ ، فقد كان أثره فى نفسى من هذه الناحية كبيرا .. أما فى فرقة التمثيل فقد كان دوره سطحيا أو بالأحـــرى شكليـــا الى أبعد حد ولذلك فلم يكن له أى أثر محسوس .

وبدأنا نشاطنا الموسمى بأن أحضر العروسى الأستاذ أحمد علام ليكون مدرسا لنا يعلمنا الالقاء ، وعلى الرغم من أن هذه التجربة قد فشلت فى العام السابق عندما جىء بعزيز عيد فالطلاب جميعا فى شوق الى أن يمثلوا رواية وأن يكون كل نشاطهم فى هذه الدائرة ولذلك فقد أبعد عزيز عيد بعد حين كما ذكرت وشرعنا فى تمثيل مجد رمسيس وقد جاءوا هذه المرة من جديد بأحمد علام وبدأنا نلقى أمامه بعض المقطوعات ويحـاول أن يعلمنا كيف نحسن أداءنا .. وبعد قليل بدأ الملل والسأم يتجلى على جميع الطلاب والانتقاد ينهال من هنا وهناك .. وبدأت الصيحة نريد رواية .. نريد رواية وكانت هذه فرصتى الكبرى ومنتهى أحلامى فى ذلك الوقت ، فقد كانت لدى رواية وكنت أطمع فى أن تكون هى المختارة لكى تمثل .

ابو مسلم الخراساني

كانت هذه الرواية تحمل اسم أبى مسلم الخراسانى وقد جاءنى بها فى يوم من الأيام أحد زملائى فى مدرسة محمد على وهو من يسمى محمد كامل عبد السلام ، وكان قد التحق معنا بالمدرسة الخديوية كذلك .. وكانت الرواية مكتوبة فى كراس من كراريس المدرسة ولم يقل لى أنها من تاليفه وانما اكتفى بتقديمها لى فى عبارة غامضة · واسرعت فى تلاوتها فى لهفة فوجدتها رواية مدرسية من الدرجة الأولى تدور حول كارثة ابى مسلم الخراسانى ، وكيف كان جزاؤه بعد بلائه فى تدعيم وانشاء الدولة العباسية الذبح ، ذبح الشياه على يد أبى جعفر المنصور · وكانت الرواية مؤلفة من ثلاثة فصول ولا عيب فيها الا أننى لم أجـــد فيها دورا يشبع هوايتى ورغبتى فى تمثيل دور كبير كأدوار يوسف وهبى الذى كنت أحلم بالليل والنهار فى تمثيل دور من أدواره ·

ففكرت فى أن ادخل على الرواية بعض تعديلات واضـــافات لأخلق دورا يصلح لتمثيلى ·· فرجعت الى كتب التاريخ الكبرى لاتقصى ســيرة أبى مسلم الخراسانى ، فكان من بين ما طالعت « ابن الأثير » فاذا بى اكتشف أن الرواية الموجودة تحت يدى مأخوذة بنصها تقريبا من ابن الأثير وان كثيرا من محاوراتهـــا منقولة بالنص ·· ثم طالعت رواية أبى مسلم الخراسانى من تأليف جورجى زيدان فاذا بها تعتمد على ابن الأثير اعتمادا كليا ، واذا بالرواية التى قدمت الى منقولة من رواية جورجى زيدان تقريبـــا فسر لى ذلك موقف صديقى عندما لم يقل لى ان الرواية من تاليفه ·· وسرعان ما شجعنى ذلك على أن أعيد كتابة الرواية معتمد على المصادر التاريخية الأساسية وأن أصوغها بالأسلوب الذى أريد والذى يتفق مع المسرحيات الكبرى التى يمثلها يوسف وهبى والتى تبهر لى ·

وأخذت لنفسى الدور الذى سأمثله وهو دور أحد الامراء الخوارج الذى لعب دورا فى الايقاع بين المنصور وبين أبى مسلم الخراسانى وهو شبيب الخارجى ، فبدأت أكتب الرواية جاعلا من هذه الشخصية البطل الأكبر فى القصة ٠

وبدأت أحشد كل المواقف التى راعتنى من يوسف وهبى فى رواياته المختلفة فأجعل شبيبا هذا يقفها ٠٠ ورحت أضع على لسانه كل المقطوعات التى تمكننى من محاكاة يوسف وهبى فى مواقفه المشهورة وسرعان ما تكاملت لدى رواية من أربعة فصول لا تكاد تمت الى الرواية التى قدمت الى بادىء الأمر بصلة الا صلة الحقائق التاريخية المثبتة فى كل المراجع ٠٠ وعلى ذلك فقد وجدت من حقى أن تحمل الرواية اسمى باعتبارى مؤلفها ، وان كان ضميرى ظل يؤنبنى ألا أعترف لصاحب الرواية الأولى بفضله فى اختيار الموضوع وارشادى اليه ٠٠

لقد قابلته فى ذلك الوقت وقلت له أننى قد غيرت الرواية وأعدت تأليفها وقد شاهد الرواية فيما بعد وأقر انها قلبت رأسا على عقب ولم يعترض على نسبتها الى ٠٠ ولكننى على الرغم من ذلك كله ظللت بينى وبين نفسى أشعر أننى اغتصبت شيئا ليس من حقى وهو فكرة ذلك الزميل الأولى من اقتبـــاس هذه الرواية من مصادرها الأولى والتى هيـأت لى ولحياتى الطريق لاعداد روايتى ٠٠ وهأنذا بعد خمس وعشرين سنة أجد بعض الراحة فى تسجيل هذه الحقيقة وهذا الدين فى رقبتى ٠

كانت هذه هى الرواية التى عرضـــت على الفرقة أن تقوم بتمثيلها فأخذها الأستاذ حسن جلال العروسى ليطالعها باعتباره رئيس الفرقة ثم اعادها بعد قليل معلنا موافقته على أن نقوم بتمثيلها

واخطر الأستاذ أحمد علام بالرواية والقرار بتمثيلها وأحيط المشرف على الفرقة الأستاذ العدوى بهذا القرار .. وهكذا قضى الأمر وتحقق اول وأضخم انتصار لى .. أن كانت أول رواية بعد روايات المرحوم محمود مراد تمثلها فرقة تمثيل المدرسة الخديوية من عملى وتاليفى .

نحو العمـــل

وبدىء فى توزيع الأدوار وكانت هذه ثانى المشـــاكل التى يجب تذليلها كرئيس الفرقة يجب أن يأخذ أكبر الأدوار بطبيعـة الحال .. وأكبر الأدوار هو دور شبيب الذى وضعته وفصلته على نفسى ليلائم مزاجى ولأتمكن من ابراز مواهبى وقدرتى التمثيلية من خلال حركاته وأقواله .. ويأتى بعد هذا الدور دوران آخران على قدم المساواة تقريبا هما دور أبى جعفر المنصور ودور أبى مسلم فاقترحت على رئيس الفرقة أن يأخذ دور أبى مسلم باعتباره بطل الرواية المسماة على اسمه .. وقد وجد فى ذلك بالفعل ما يرضى كرامته فقبل الدور . ولعبت الصداقة بينى وبين ع. أ. ف. دورها فى اختياره مديرا للمسرح وقد كانت ادارة المسرح تعتبر شيئا كبير الخطـر فى مسرح رمسيس وبدأت التجارب لاعداد الرواية والتدريب على القاء أدوارها وحفظها .. وقد مضت هذه التدريبات فى طريقها تحت اشراف أحمد علام وقد كنت بطبيعة الحال لا أقيم وزنا لارشاداته فيما يختص بى فقد كنت آراه كل يوم فى مسرح رمسيس وكنت اعتبر نفسى قد وصلت الى درجة تفوق عليه .. كيف لا فأنا أقلد يوسف وهبى .. ويوسف وهبى فى نظـرى يتفوق على أحمد علام بكثير .. ولم أكن أتصور فى ذلك الوقت أن التقليد فى حد ذاته شىء قبيح .. بل كان كل مبتغاى ان يكون تقليدى كاملا لأكون مستحقا بذلك أعظم الدرجات والمراتب .

ولقد شقى معى أحمد علام وهو يحاول أن يخفف من حدة تقليدى ليوسف وهبى ٠٠ ومازلت أذكر كيف أنه لاحظ على أننى أقلد يوسف وهبى حتى فى حركات يده التى يقوم بها باعتباره (أعسر) ٠

كما كنت أرفع عقيرتى وأكيف صوتى ليكون كصوته ولم يكن لملاحظاته أى نتيجة ، فقد كنت كما قلت مقتنعا بضرورة هذا التقليد وحسبى ان أقلد أعظم من عرفته المسارح المصرية -

اقتربت النهاية بسرعة ٠٠ أو بالأحرى اقتربت القمة ٠٠ قمة النجاح وأعنى بها ليلة التمثيل ٠ استأجرنا مسرح حديقـــة الأزبكية وفتح المسرح مخازنه بالملابس العربية القديمة لنا ٠٠ ولكن مطمحى كان فى مخزن آخر ٠٠ مخزن تياترو رمسيس حيث كنت قد اعتزمت أن استأجر ملابس يوسف وهبى فى رواية الصحراء ٠٠ هذه الملابس الخشنة التى يلبسها فى الفصل الثانى والثالث من فصول الرواية والتى تتألف من جلباب أبيض وفوقه عباءة من الصوف الخشن لا أكمام لها ٠ كان هذا الملبس البسيط بالاضافة الى عمامة بيضاء على الرأس هو كل مطمحى لكى أبدو كيوسف وهبى تماما ٠٠ وعندما سمحوا فى مسرح رمسيس بتأجير هذه الملابس لى شعرت بسعادة لم أشعر بمثلها فى يوم من الأيام ٠

ووزعت التذاكر على الطلاب ٠٠ ودعيت الصحافة وجميع النقاد المسرحيين ٠٠ وجاءت الليلة الموعودة ليلة فرحى وعرسى ٠

وكان طبيعيا أننى كنت أشرف على كل صغيرة وكبيرة ويرجع الى الجميع لأحل ما يعرض لهم من مشاكل ٠ . فظللت مشغولا حتى آخر لحظة فلم أتمكن من اعداد المكياج الخاص بى وهو مكياج يحتاج الى مجهود وعمل كبير اذ تتألف من لحية بيضاء ضخمة وحاجب

أن يرسم على وجهى تجاعيد الشيخوخة وما يعطى وجهى مظهر الدهاء والدس والقسوة .. ولم يكن شيء من ذلك كله قد تم اعداده عندما فوجئت بالأخ المحترم جدا .. ع. أ. ا. مدير المسرح وهو يعطى اشارة بدء التمثيل وذلك بالخبط ثلاث مرات والاذن برفع الســـتار ..

لقد وقع على ذلك وقع الصاعقــة وكدت أجن .. فهذه الليلة التى رحت استعد لها الشهور الطوال تجيء أخيرا ثم أرى نفسى مضطرا أن ادخل المسرح بغير استعداد أو تهيؤ نفسى .. وبغير المكياج الذى يتطلبه الدور .. لقد كانت هذه الكارثة .

لم يكن ع. أ. ا. يتصور اننى لم أفرغ من عملية المكياج وكان باعتباره مديرا للمسرح يريد أن يظهر مدى قدرته وروعته فى رفع الستار فى الوقت المحدد تماما بقطع النظر عن أى اعتبار آخر .. لقد كنا جميعا مفتونين بمسرح رمسيس وبالمثل الأعلى الذى رسمه مسرح رمسيس وقد كانت احدى مفاخر هذا المسرح أن ترفع الستارة فى الموعد المحدد لرفعها بالدقيقة والثانية .. وأراد ع. أ. ا. أن يكون كمدير مسرح رمسيس تماما فيرفع الستار فى الموعد ضاربا عرض الحــائط حتى ببطل الرواية الذى لم يســتكمل استعداده بعد . وكان على أن أدخل الى المسرح بعد بضعة دقائق من رفع الستار .. وأسرع الفنيون يقومون لى بعملية (المكياج) على عجل وبأية طريقة وبأى أسلوب .. ونستطيع أن نتصور حالة الغضب التى كنت عليها . نستطيع أن نتصور مقدار الشعور بالغيظ والهزيمة وانهيار آمالى فى هذه اللحظــات .. واحســب أن لو وقع نظرى فى هــذه اللحظة على ع. أ. ا. (لشربت من دمه) على وجه التحقيق بمقدار ما حطم آمالى .. فقد طارت ألفاظ الدور من رأسى عندما وجدت نفسى أعدو عدوا لأدخل المسرح وأنا فى هذه الحالة العصبية ودخلت

المسرح وبدأت التمثيل ولم أكن أعرف ماذا كنت أقول ، فقد كانت رأسي تغلي وجسدي ينتفض وأنا متصور أن الناس تشعر بحالتي وتعرف بما دهاني ٠

وانطلق الحوار بيني وبين جعفر المنصور وأنا أحرضه في دهاء على أبي مسلم الخراساني وأظهر له خطره على ملكه وعرشه ٠٠ وسار الفصل والتمثيل في طريقه المرسوم ٠٠ ويتركني المنصور في آخر الفصل وحيدا فانزع العصابة عن عيني التي أتظاهر عن طريقها بالعمى فأقوم بحركة من حركات يوسف وهبي وهو ينظر حواليه هنا وهناك في خبث ودهاء ثم أعلن انتصاري وغبطتي من أن المنصور قد وقع تحت تأثيري وان أبا مسلم لن يلبث أن يهلك على يد المنصور جزاء وفاقا لما ارتكب من جرائم وآثام ضــــد الفرس والخــوارج ٠. وعند هــذا القــدر أســدل الســتار وانطلقت اكف المتفرجين بالتصفيق ٠٠ ولكنني كنت في شغل شاغل عن ذلك كله أريد أن يسدل الستار لأسرع لانزال جام غضبي على ع٠ أ٠ أ٠ ذلك الذي فجعني هذه الفجيعة في ليلة (عرسي) ولذلك فلم اهتم بتصفيق الجمهور على الرغم من أن الستار رفع مرتين فيما أذكر ٠

وكانت فجيعة ع. أ. أ. أشد من فجيعتي .. فالرجل يحبني ما في ذلك شك ٠٠ والرجل يريد لي النجاح والتفوق وهو يشاطرني سعادتي في النجاح ويبني الآمال الكثيرة على نجاحنا هذه الليلة ٠٠ ولذلك كان احساسه بخطئه أشد من احساسي به ٠٠ وقد كان يقدر كل التقدير حزني وآلامي وغضبي ولذلك فقد اختفى تماما عن ناظري فلم أعثر عليه بعد انتهاء تمثيل الفصل الأول ٠

وراح صاحبنا يستقدم أشخاصا من المتفرجين من أصدقائنا ويسألهم عن رأيهم فيما شاهدوه وعن تمثيلي بصفة خاصة فيثنون ثناء طيبا فيوعز اليهم أن يقابلوني ويهنئوني على هذا النجاح :٠

وراح يحشد على هذه الصورة المهنئين واحدا بعد آخر حتى اذا اطمأن الى أنه خلق جوا طيبا وأن هذه التهنيئات قد خففت بعض ما فى نفسى ٠٠ ظهر أمامى وقد كان مجرد ظهوره وصورة الحزن المرتسمة على وجهه كفيلة بأن يجعلنى أنسى كل شىء ٠٠ فقد كان حزنه شديدا لما حدث ٠

وراح يعتذر ويصور ألمه واعتبرت المسألة منتهية وبدأت أستعد للفصول التالية وكنت لا أظهر فى الفصل الثانى الذى يلعب فيه أبو مسلم الدور الرئيسى ٠ ثم يجىء الفصل الثالث والذى ألفته على غرار رواية الصحراء والذى أملاه تمثيلا والقاء وتقليدا ليوسف وهبى فى دوره الخالد ٠

وأقبلت على التمثيل بكل روحى ، وذهل المتفرجون وهم يسمعون يوسف وهبى يمثل فى فرقة المدرسة الخديوية .. وعندما أسدل الستار صفق المتفرجون اعجابا وتشجيعا ٠٠ وكان الفصل الأخير حيث تصل الرواية الى ذروتها المسرحية ويقتل ابو مسلم الخراسانى ويكشف الستار عن شبيب الخارجى فيقتل بدوره ٠

وكان من الواضح أن الرواية قد نجحت نجاحا عظيما ٠٠ وأن الجميع قد ذهلوا لهذا المستوى العالى من التمثيل بالنسبة لطلاب مدرسة ٠

واذ حصلت على النجاح بالنسبة للنظارة فقد كنا فى انتظار النجاح الأدبى على لسان النقاد المسرحيين ولقد أثنت الصحف بعبارات عامة على حفلة المدرسة ولكن الذى كنا نترقبه فى شغف واهتمام هو مجلة المسرح التى كانت هى وحدها التى تقدر مقدار النجاح ٠

وجاءت مجلة المسرح ولم تخيب أملنا فقد كان فيها نقد طويل عريض من انشاء الأحنف ناقدها المسرحي ولم ينس أن يذكر قراءه بالوصف الذى خلعـــه على فى العام السابق من انني القائد الشعلي . ولكنه كعادته ساق مقدمة مرحة فكهة .. فذكر كيف أنه كان يمر أمام تياترو حديقة الأزبكيـــة فقيل له ان بها حفلة تمثيلية فدخلها فاذا به يفاجأ بيوسف وهبى يمثل على المسرح فظن نفسه أنه قد أخطأ الطريق وانه فى مسرح رمسيس لا الأزبكية .. ولكنه تأكد ممن بجواره أنه فى تياترو حديقة الأزبكية لا رمسيس وأن هذا الذى يمثل أمامه ليس يوسف وهبى وانمـا طالب كاتمه يوسف وهبى .. وقد اعتبر ذلك بطبيعة الحـال مأخذا على فقد كانوا يكرهون يوسف وهبى وينكرون عليه اقتداره ، أما انا فقد اعتبرت مجرد قوله انه تصورنى يوسف وهبى أن هذا هو النجاح .

ولم يفتنى ان أخطر بعض المصورين ليأخذوا لنا صورا ونحن بملابس المسرح فى أثناء التمثيل .. وحملت احدى هذه الصور الى يوسف وهبى فقدمتها له هدية وكان الرجل قد سمع بهذا الطالب الذى يقلده باتقان عجيب .. فلما رأى الصورة وهى توشك أن تكون صورته بملابسه ومكياجه فى دوره فى رواية الصحـــراء لم يستطع الرجل أن يخفى ابتهاجه ولأول مرة منذ التحقت بمسرح رمسيس انفرجت شفتاه عن ابتسامة رضا وتشجيع . لا أظن أن أعظم الأوسمة أو النياشين أو الرتب أو المكافات من أى نوع كان يمكن أن تصل الى مرتبة هذه البسمة التى ابتسمها يوسف وهبى فى وجهى والسعادة التى أشعرنى بها .

ان هذه البسمة وهذه النظرة المشجعة كادت تقلب حياتى رأسا على عقب .. كادت تحول مجرى حياتى عن الطريق المرسوم لها لتلقينى فى أحضـــان التمثيل الى أبد الابدين ممثلا محترفا أبعد

ما يكون عن حياة الجهاد من أجل البلاد والشعب التى ملأت حياتى فى الخمس والعشرين سنة التالية . واليك التفصيل .

الهروب من المدرسة

كان اعجابى بيوسف وهبى قد وصل الى حد الهيام .. وكان فنائى فى هواية التمثيل قد وصل الى الحد الذى لم أعد أتصور فيه الحياة بغير اشباع هذه الهواية .. ولم يكن ثمة سبيل لاشباع رغبتى فى التمثيل الا أن أترك المدرسة نهائيا وأن أحترف مهنة التمثيل .. وقد كانت هذه الفكرة تراودنى وتلعب بلبى طوال الأشهر الأخيرة .

وأعلن يوسف وهبى عن اعتزامه القيام برحلة فى شمال أفريقيا يقدم فيها رواياته الشهيرة .. وهنا قفز الى خاطرى أن أذهب معه فى هذه الرحلة بأى ثمن .. وعندما فرغت من تمثيل دورى فى رواية أبى مسلم وقدمت صورتى ليوسف وهبى فتقبلها بقبول حسن وهش فى وجهى وبش .. هنا كانت فرصتى لتحقيق مشروعى الذى امتلأت به نفسى وهو أن أترك المدرسة والتحق بالعمل معه مبتدئا بهذه الرحلة خارج البلاد . وانتظرت لأخطو الخطوة الأخيرة ريثما ننتهى من اجازة نصف السنة التى كانت قد بدأت فى ذلك الوقت وبعد انتهاء الاجازة أعطانى والدى قسط المصروفات الدراسية وقدره عشرة جنيهات لتسديده .. وهذا ما كنت فى انتظاره فان هذه العشرة جنيهات هى الراسمال الذى كنت فى حاجة اليه لأبدا حياتى الجديدة .

ووضعت العشرة جنيهات فى جيبى وهجرت المنزل لاول مرة فنمت فى احدى اللوكاندات وفى الصباح يممت شطر مسرح رمسيس لأقابل يوسف وهبى قبل بدء البروفة ولأطلب منه ان

يلحقنى بمسرحه وأن يأخذنى معه فى رحلته فان حياتى أصبحت وقفا على التمثيل ·

وجاءت اللحظة التى كانت ستقرر حياتى ورأيت نفسى أصعد الدرج المؤدى الى حجرة يوسف وهبى فى المسرح وكان قلبى يخفق بشدة لم يسبق لها مثيل وكان وجهى مصفرا والعرق يتساقط من كل أطرافى ·

ودفعت الباب فى خوف ورهبة مضاعفة بالنسبة لما اعتدناه من قبل كلما حاولنا الدخول على يوسف وهبى ·

وقد احتجت لكل شجاعتى لكى أواجه الموقف ·· واذن لى يوسف وهبى بالدخول فدخلت ونظر الى نظرته الصارمة والتى بدت لى فى هذه اللحظة أشد صرامة منها فى أى وقت مضى ·

قلت له على الفور لقد جئت لأرجوك ان تأخذنى معك فى رحلتك الى شمال أفريقيا ·· رد الرجل فى عبارة قصيرة هذا غير ممكن ·· ولم يقدم أى حيثيات ولم يحاول ان يطيل الحديث معى ·

فامتقع وجهى اكثر وأكثر وشعرت بالخجل والكسوف وخيبة الأمل ·

قلت ولكننى قد علقت كل امالى على هذه الخطوة ·· فقال ولكن للأسف أشد الأسف فهذا غير ممكن ··

وثارت كرامتى فرأيت أن أقف عند هذا القدر فقلت له طيب متشكر وانسحبت من الحجرة على الأثر ونزلت على السلم وانا أكاد اتعثر واقع وأسرعت إلى خارج المسرح ·· الى الطريق العام

والهم واليأس يضربان نفسي بصورة لم يسبق لها مثيل في حياتي حتى هذه اللحظـــة .

لقد شعرت فجأة أنني انسان ضائع ومحطم .. لقد هجرت المنزل والمدرسة من أجل المسرح وهاهو المسرح يلفظني ولا يقبلني في صفوفه .

فماذا عساى فاعل ؟ وكيف يمكن أن أتصرف ؟ ووقفت حائرا وسط هذا العالم المضطرب .. وفجأة رأيت أمامي شخصا يبتسم في وجهي ويدعوني للسير معه .. وكأنه كان ملاكا هبط على من السماء لانقاذي .. ولم يكن هذا الشخص سوى (عمي) شقيق والدي الأصغر .. وقد جاء ليبحث عني فقد كان موضوع غيابي عن البيت والمدرسة هو شغل الأسرة الشاغل بطبيعة الحال وقد تطوع ليبحث عني في المكان الذي كان على ثقة بأن يراني فيه .. وقد وجدني بالفعل على أبواب مسرح رمسيس فلم يكن في حاجة حتى الى مجرد السؤال .

كان عمي يعرف مقدار تعلقي بالتمثيل واصراري على ما قد اكون أنتويته من مشروعات .. وكان يعلم انه سيكون من الصعب ان لم يكن من المستحيل أن يثني عزمي عن الخطـة التي قد أكون اخترتها ولذلك فقد فوجيء عندما وجدني سلس القياد .. وعندما طلب مني أن أذهب معـــه لمقابلة والدي فاذا بي أظهر على الفور استعدادي للذهاب .

لم يكن يعرف أنه جـاءني في لحظـة كنت فيها محطما تحت وقع الصدمة .. وأنني كأي شخص تائه أو غريق على استعداد ان يتعلق بقشة .. وقد كان مجيء عمي في هذه الساعة ليعود بي الى المنزل أكثر من قشة .. لقد كان طوقا من أطواق النجاة .

ولست أريد أن أسرف فى ذكر التفاصيل وكيف ذهبنا الى والدى فى وزارة المالية فحرص على ان يسترد أولا وقبل كل شىء ما معى من النقود من بقية المصروفات المدرسية حتى اذا أصبحت فى جيبه وكان لم ينقص منها سوى ثلاثين قرشا • انفجر فى وجهى معلنا اياى انه باستطاعتى الآن أن أذهب الى حيث أشاء فلست ولده وهو غير مستعد للاعتراف بى مادامت هذه خططى وهذه أفعـــالى ••

وكان شجار بينى وبينه وتدخل الموظفون فى الأمر وسوى الموضوع وعدت الى البيت •• ثم الى المدرســة ، كنت قبل هذا الحــادث قد بلغ منى الاعتقاد مبلغــا عظيما فى أننى لم اعد أصلح للدراسة وانه من المستحيل أن أنجح فى الحصــول على شــهادة الكفاءة بأى حال من الأحوال .

لقد كان علينا ان نمتحن فى ثلاث لغات العربية والانجليزية والفرنسية وعشرة علوم اخرى من بينهــا الرياضــة بفروعها : الحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والتاريخ والترجمة والتربية الوطنية والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والجيولوجيا •• وكان علينا أن نمتحن فى مقررات السنوات الثلاث •• ففى الجغرافيا يجب أن نستعد فى دروس السنوات الثلاث ، وكذلك فى التاريخ وفى مختلف العلوم •• ولم يكن التمثيل قد ترك لى فراغا لأذاكر أو لأحضر الدروس •• بل لم يكن قد ترك لى عقلا لأتفهم هذه الدروس •• وشعرت بأن حياتى الدراسية قد انتهت نهائيــا •

ولم اكن ارى فى ذلك اى عار أو شنار فأبطال التمثيل فى العالم كله قد تركوا المدارس ، بل ان يوسف وهبى نفسه لم يحصل على الابتدائيـة ·· والنبوغ الفنى لايتوقف على الحصـــول على الشهادات ·· بل لعل تركى المدرسة هو علامة النبوغ والتفوق والامتياز فى التمثيل ·· وهكذا كنت أزكى فى نفسى هذا الاتجاه ·

ثم كانت هذه الصدمة ·· وكان أعمق مافى هذه الصـدمة ماتصورت أنه قد جرح كبريائى ومس كرامتى ·· لقـــد لفظنى يوسف وهبى ومسرحه ·· ولم يقدر اعجابى به ·· لم يقدر اخلاصى وتفانى للفن ورسالته ·· لقد طردنى من حظيرة الفن ·· فلم يبق امامى لاسترداد كرامتى الا أن أقبـــل على دروسى وأن أنجح فى الحصول على شهادتى فهذا هو الرد الوحيد على هذه الصدمة لأظل معدودا فى عداد التلاميذ الذين يعدون لمستقبلهم وبهذه الروح اقبلت على المذاكرة ولأول مرة استعنت بأخى الأكبر عبد الفتاح ليعطينى دروسا فى الانجليزى ويذاكر معى ·

واقللت من اشتغالى بالتمثيل على الدراسة والمذاكرة ·· حتى جاء آخر العام .. ثم كان الامتحان .. وكان أملى فى النجاح ضعيفا ·· وكنت أتصور أننى اذا رسبت فى الامتحان فلن أستطيع ان اواصل الدراسة بعد ذلك أبدا ·· وتم الامتحان وانتظرنا ظهور النتيجة ·· الله أكبر لقد نجحت ·· نجحت واصبحت فى السنة الرابعة ·· أى فى القسم الأدبى حيث لا رياضة ولا جبر ولا حساب ولا هندسة ·· حيث العلوم أكثر جاذبية واقل عددا ·

حيث الطريق اصبح مرسوما ومعبدا نحو الجامعة ·· واذن فقد نجوت ·· نجوت والحمد لله من المصير الذى كان يترقبنى لو أن يوســف وهبى قبلنى فى مسرح رمسيس ·· أو لو اننى رسبت فى الامتحـــان ·

لقد كان هذا النجاح بمثابة مرحلة انتقال كبرى .. لقد ماتت فى نفسى نهائيا فكرة الانصراف عن الدراسة وأصبحت حياتى كطالب هى الأساس الأول الذى يقوم عليه مستقبلى .. وكان ذلك هو أول تطور نحو حياتى العامة التى انتهيت اليها فيما بعد ولكن خطوطها الكاملة لم تكن قد اتضحت بعد .. باستثناء هذا الخط الوحيد الذى ذكرته وهو استعادتى ثقتى بنفسى كطالب واتخاذ المدرسة لحياتى المقبلة .

المذكرات السياسية

هذه المذكرات اشـارة عابرة لأخطر فترة فى حياة مصر الحديثة على الاطلاق ، انها رد الفعل لما حدث فى مصر خلال نهضة عرابى والتى وقف لها الخديوى توفيق والانجليز بالمرصاد ، فأحبطوا هذه النهضة ، وحرقوا الاسكندرية واحتلوا البلاد عام ١٨٨٢ ٠

دخلت مصر فى ظلام الاحتلال وقيود الرجعية ٠

دخلت مصر فى عبودية المحتـل الأجنبى وحليفـه : خديوى فسلطان فملك مصر ، حتى كانت هذه الفترة من حياة مصر والتى تشير اليها هذه المذكرات فرد لمصر اعتبارها ، ونجا شعبها من المصير الحالك الذى كان يوشك ان يتردى فيه ٠

تبدأ هذه الفترة من الناحية الرسمية فى ٨ من أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وغشيتها الغواشى فى ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ وتسجل انتصاراتها الكبرى ابتداء من ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ ، وما تلاه من أيـــام ٠

أيام ثلاثة متصلة الحلقات ستبقى خالدة على مر التاريخ حيث يتألف منها ذلك العقد النضيد الذى يزدان به جبين مصر :

★ ٨ من أكتوبر حيث الغيت المعاهدة المصرية الانجليزية وأعلنت مصر الجهاد على الاستعمار ٠

★ و ٢٦ من يناير حيث حاول الاستعمار والرجعية أن يقضى على نهضة الشعب ٠

★ و ٢٣ من يوليو حيث سجل الشعب انتصاره الرائع عن طريق جيشه الذى أطاح بالملك الذى لخص الفساد وأصبح علما عليه ، بانهيار الملك انهارت دولة الفساد كلها وتحررت مصر وتحرر الشعب واذا كانت لاتزال على ضفاف القتال بقيــة من جيوش الانجليز ، وفى السودان طرف آخر من هذه الجيوش فان ذلك ليس سوى التصفية الأخيرة لهذا الوباء ٠

هذه هى الحقبة المشرفة من تاريخ مصر التى تشير اليها هذه المذكرات ٠٠

وهى تشير اليها من خلال زاوية غريبة جدا ٠٠ زاوية رجل كاد حبل المشنقة يلف حول عنقه ، ويذهب مشيعا باللعنات وسخط الذين كرس حياته من أجلهم وهم جماهير الشعب الكادح والذين قيل لهم زورا وبهتانا انه هو الذى حرق مدينة القاهرة .. ولكن الحوادث لم تلبث أن تطورت لتبديد هذه الظلمات المتكاثفة والسحب فراحت تنقشع رويدا ٠٠ رويدا ٠٠ وراح الباطل يزول أمام الحق ٠٠ حتى بلغ التطور ذروته وأسقط الملك وعهد الطغيان بأكمله عن عرشه فتبدد الاتهام ، وتجلت الحقـائق ، وسطعت آيات الله .. فاذا بالسجين يعود طليقا وأسـياد الأمس يرسفون فى القيود والأغلال وحبل المشنقة الذى كان يهدد المظلوم قد أصبح ظله يقع كثيفا على أعناق الفئة الباغية ٠

انها آية من آيات الله .. انها معجزة ربانيــة تجلت فيهـا قدرة الله على عبد من عبيده فرده الى الحياة والحرية والكرامة وأذل أعداءه وخصومه ٠٠ وليست هذه المذكرات سوى استعراض لهذه الآية الكبرى ٠

لقد كتبت هذه المذكرات يوما بعد يوم وساعة بعد اخرى فى وقتها ابتداء من ٤ من أبريل سنة ١٩٥٢ حتى أول نوفمبر من العام نفسه ٠ وهى وثيقة لا لأنها تؤرخ أمة فلست أزعم أننى مؤرخ وليس دورى كتابة التاريخ ٠٠ بل هى ليست تاريخية حتى بالنسبة للقضية الكبرى التى يدور حولها الحديث كله فى المذكرات واعنى بها قضية التحريض على حرق مدينة القاهرة ٠ فان شرح ذلك يطول ويحتاج الى مجلدات تحتل المباحث القانونية جزءها الأكبر ، ولكنها نافذة من حيث استعراضها لنفسية مواطن عاش هذه الحقبة من تاريخ مصر وهو منفعل بالحوادث أشد الانفعال ٠٠ انها شريط مسجل أدق ما يدور فى أغوار نفس رفعت لواء التمرد على فاروق وفساد عصره فبذل جهده للتخلص منها فكاد لها ولكن الله أحبط الكيد وجعل كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ٠

وانى أكتب هذه المقـدمة الآن فى العاشر من شهر نوفمبر ١٩٥٢ بعد أن ردت الى الحرية وبعد أن بلغنى خبر تأجيل قضية التحريض الى يوم ٢ من ديسمبر وهو ما هيأ لى فرصة كتابة القسم الأول من هذه المذكرات الذى يجمل الحوادث السابقة على ٢٦ من يناير وما تلى ذلك اليوم من حوادث أدت بى الى السجن حتى يوم ٤ من أبريل حيث يبدأ القسم الثانى من المذكرات وهو القسم العام والتاريخى والذى كتب فى وقته وساعته فهو أشبه الأشياء بشريط مسـجل ٠

ولقد أعدت تلاوة هذا القسم من المذكرات ولكننى آليت على نفسى الا تمتد يدى اليه باى تغيير أو تحوير ٠٠ وانى أقسم أمام الله الذى أنقذنى وبعثنى الى الحياة من جديد ان هذا القسم من المذكرات سيقدم للمطبعة كما كتب فى وقته وساعته بدون اضافة كلمـة واحدة أو حرف ٠

ولست أعرف الآن اذا كنت سأكتب لهذه المذكرات خاتمة أجمل فيها الحوادث التالية لها أم لا ، فانني شديد اللهفة على أن تخرج هذه المذكرات الى النور بأسرع وقت ممكن ، ليكون فى نشرها آية تمجيد لله ومظهر من مظاهر عبوديتى لله الرحيم القوى القادر المتعال ، ذلك الذى نصرنى على الطاغية والذى أكرمنى فجعل الحوادث تصدقنى حيث قلت بالحرف الواحد :

« سوف ندخل السجون اذا شاء الله ودخلنا لكننا على ثقة لا تتزعزع بأننا سنخرج منها بعد ذلك لنرى الحال غير الحال والحكام غير الحكام ولنرى كلمة الشعب هى العليا وكلمة أعداء الشعب هى السفلى » .

وتربصوا انا معكم متربصون .

من مصر الفتاة العدد ٢٦٣ يوم الجمعة ١٢ من يناير سنة ١٩٥١ .

ولقد خرجت من السجن فوجدت الحال غير الحال والحكام غير الحكام وكلمة خصوم الشعب هى السفلى وكلمة المؤمنين هى العليا .

فالله أكبر .. الله أكبر .. صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الطاغية وحده .

احمد حسين

١٠/١١/١٩٥٢ م

نحن الآن فى يناير ١٩٥٠ الوفد مرة جديدة فى الحكم ، وقد كان ذلك يشبه أن يكون انقلابا • ففى ختام ١٩٤٤ طرد الملك فاروق وزارة الوفد وعمل جاهدا منذ ذلك التاريخ على القضاء على الوفد بشتى الطرق والأشكال ، حتى وصل به الأمر الى حد اصطناع الجريمة لاغتيال النحاس شخصيا فشجع كل المحاولات على قتله هو ومن يلوذ به من رجال السياسة وعلى رأسهم امين عثمان الذى قتل •

ولما فترت حماسة الشبان لمحاربة أعداء فاروق ، شكل حرسا حديديا يتلقى الأوامر منه مباشرة لقتل من يريد من أعدائه ، وأقدم هذا الحرس على محاولتين خطيرتين لاغتيال النحاس ، كانت احداهما محاولة نسف بيته فى جاردن سيتى ، ونسف الحى بأكمله توصلا لتحقيق هذه الغاية •

واذا كان فاروق قد وصل الى حد تبرير الجرائم توصلا للتخلص من النحاس والوفد وحكم الوفد فباستطاعتنا ان نتصور الى أى حد استخدم كل سلطانه السياسى لتحطيم حزب الوفد وايقاف كل نشاطه •• وقد نجح فاروق فى ذلك الى حد كبير فقد وجد وزارات من أحزاب الأقلية تبادر الى تلبية رغائبه ، وفى ظل هذه الوزارات بدأ فاروق يتحول بالتدريج الى طاغية ، ولقد عرف التاريخ طغاة ولكنهم كانوا الى حد ما مصلحين فى ناحية من النواحى ، أما فاروق فقد كان طاغية مستبدا ، وكان حاكما منحلا . ولم تكن قصصه ـ التى عرفت عنه فيما بعد ـ قد ذاعت وشاعت ، ولكن روائحها بدأت تزكم الأنوف ، وراح الناس يتناقلون الأحاديث عن مغامراته فى شتى الميادين وبدأت سمعته تتدهور فى الوقت الذى كان يضاعف فيه طغيانه يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى •• وكان الاصطدام مع حركة الاخوان المسلمين بحل الجمعية مما أدى الى اغتيال محمود فهمى النقراشى رئيس الحكومة ، واغتيال

حسن البنا رئيس الجماعة عقب ذلك ، وسادت البلاد موجة من الارهاب ضرب فيها عرض الحائط بكل قانون وكل دستور وكل عرف وتقليد .. وفى هذا الجو المضطرب أحسست بدافع غريزى ملأنى خوفا من أن يفكر فاروق فى التخلص منى كما تخلص من حسن البنا فأسررت لاخوانى بهذا الشعور واتفقت معهم على مغادرة القطـر والسفر الى انجلترا للدعاية للقضـية المصرية ريثما تستقر الأمور .

وفى انجلترا اكتشفت مقدار التدهور الذى أصاب سمعة مصر نتيجة هزيمتها المزرية فى حرب فلسطين ، هذه الهزيمة التى لم تكن لنقص فى الشجاعة أو الكفاءة ، وانما لفساد الأسلحة والذخائر كمـا افتضحت الأمور فيما بعد . ولافراط الحكام المصريين فى الخيـانة والغدر .

وجدت اسم مصر لأول مرة لا يثير الا امتعاضا وسخرية .. وشعرت بمقدار ازدراء الرأى العام العالمى لفاروق واندهاشـهم من سكوت الشعب على مباذله . وفى احدى المناسـبات وقفت خطيبا فى حديقة هايد بارك داعيا الانجليز للجلاء عن مصر فاذا باكثر من واحد من جمهور المستمعين يصيح بى منـددا بفاروق وباشوات مصر وكبرائها ، وكان ذلك شيئا جديدا بالنسبة لى .. أن أرى رجل الشارع فى انجلترا يندد بسادة مصر وأفهمنى ذلك مقدار التطور الذى طرأ على عقلية الشعوب وكيف أصبحت تكره الملوك والرأسماليين والاقطـاعيين ولا تطيق سـماع أخبار البذخ والسفه والاسراف الذى يعمد اليه أغنياء الشرق وكبراؤه .

وفى انجلترا طالعت صحفا جعلت من الهجـوم على فاروق شغلها الشـاغل .

وفى انجلترا أبدى لى مسئول كبير دهشته لعدم قيام ثورة فى مصر ضد فاروق .

وبالرغم من ذلك كله ومن سوء سمعة فاروق فقد سمعت من ناحية أخرى أنه متفق مع الانجليز على ألا يجلو عن مصر أبدا وأنه عقد معهم عهدا أن يبذل كل سلطانه لعرقلة كل حـــركة ترمى لاخراجهم من مصر أو اخراجهم بأى صورة من الصور .

وفى انجلترا تعرضت لهجمات شديدة من الطـلاب المصريين لما تصوروه من أننى موفد من قبل فاروق وأننى صنيعة السراى .. ولقد بذلت جهدا كبيرا جداً حتى بددت هذه الاشاعة وحملتهم على احترام جهادى .

ومن وراء ذلك كله أو قبل ذلك كله رأيت سيادة الاشتراكية فى انجلترا ورأيت تطبيقاتها الرائعة ، بحيث تهيىء لكل مقيم على أرض الجزر البريطانية الأمان والضمان ضد البطالة وضد الفاقة وضد المرض والشيخوخة .

وانتهت رحلتى بعد شهرين وقد فشلت الرحلة فشلا ذريعا من حيث هدفها الأول وهو : الدعـاية للقضية المصرية فلم ألق سميعا أو مجيبا .. ولم ألق أى تشجيع من أى ناحية .

ولكن الرحلة افادتنى من ناحية اخرى فوائد جمة .. فقد فتحت عينى على مقدار الهوة التى تردت فيها سمعة فاروق وبالتالى سمعة مصر الخاضعة لفاروق المستكينة لسلطانه ، وملأنى الشعور بأن الأمور وقد وصلت الى هذا الحد فان أيام فاروق قد أصبحت قريبـــة .

وأكملت اقتناعى بالنظام الاشتراكى وأنه لا علاج لمشاكل مصر فى الداخل والخاج ولا سبيل لنجاتها الا باتخاذ النظم الاشتراكية كاعادة توزيع الأراضى فى مصر والقضاء نهائيـا على نظام الاقطاع

والغاء الألقاب واتاحة الفرص المتكافئة لجميع المصريين فى التعليم والعلاج وكسب الرزق ·

وبهاتين الفكرتين عدت الى مصر فى صيف عام ١٩٤٩ فنشرت فى جريدة المصرى بيــانا ألخص فيه هذه الحقائق وأعلن فيه احتجاجى على سوء أحوال البلاد وأحذر من العواقب الوخيمة التى تتهددها ، وكمظهر من مظاهر الاحتجاج أعلنت انســحابى من النشــاط الســياسى مؤقتــا واعتكافى فى الريف فى عزبة ابراهيم شكرى بشربين ·

وقد كان هذا البيان أشبه بقنبلة ودهش الكثيرون للجراة التى انطوى عليهــا فلأول مرة تحدث مصرى بصراحة عن الجرائم التى وقعت على النحاس وحسن البنا وعن جو الارهاب الذى يسود مصر وأشار الى الناحية المسئولة عن هذه الجرائم وندد بها ·

ويقينى ان هذا البيان لو لم يختم باعلان انسحابى واعتكافى فى الريف لكن لفاروق ولابراهيم عبد الهــادى الذى كان يحــكم البلاد فى هذه الأيام شأن معى وأى شأن ·

اعلان الحزب الاشتراكى

وان هو الا شهر واحد عقب اذاعة هذا البيان بل ما هو اقل من الشهر حتى سقطت وزارة ابراهيم عبد الهادى ودعى حسين سرى لتاليف الوزارة الجديدة ··· وكان برنامج حسين سرى يتلخص فى اعادة الوفد الى الحكم ·

وكان سقوط عبد الهادى مشجعا لنا لكى نستأنف نشاطنا من جديد ، فعدت الى القاهرة واتفقت مع اخوانى على تغيير اسم الحزب من مصر الفتــاة الى حزب الاشتراكى . وضعنا برنامجــا اشتراكيا جديدا يتالف من عشر نقــاط تتضمن جوهر المبادىء الاشتراكية على أن يكون تحقيقها بالطريق الدستورى البرلمــانى .

وحجر الزاوية فى هذا البرنامج هو ما أشرت له فيما سبق من ضرورة تحديد الملكية بخمسين فدانا وتوزيع ما زاد فى ملكية أى مصرى على هذا القدر على صغار المزارعين ، وجعلنا شعار هذا المبدأ « الأرض ملك لزارعيها » وثمة مبدأ آخر يدور حول مجانية التعليم فى جميع درجاته بالنسبة لجميع المصريين ومبدأ ثالث يدور حول تأمين كل مصرى على توفير حد أدنى من المعيشة الكريمة اللائقة بالانسان فى القرن العشرين وتأمينه ضد المرض والبطالة والعجز والشيخوخة ، ومبدأ رابع يهدف للقضاء على الفوارق بين الطبقات بالغاء الألقاب وملحقاتها وتقريب الثروات ، ومبدأ رئيسى يتحدث عن الانتاج الجماعى ووجوب وضع مشروع شامل كامل ينفذ فى خمس سنوات لاعادة بناء المجتمع المصرى والوصول به الى أرقى الدرجـــات .

وبالرغم من أن حركتنـــا ديمقراطية قانونية فقد رأينا زيادة فى الحرص أن نسجل أن وسيلتنا لتنفيذ هذا البرنامج أبعد ما تكون عن العنف أو الاكراه ، وأن الاقنـــاع عن طريق النشر والخطابة هو كل وسيلتنا لتحقيق هذه الأهداف .

وعلى الرغم من وجود الرقابة على الصحف والنشر فقد استطعنا أن ننشر هذا البرنامج بعد تعديلات طفيفة فرضتها الرقابة ، وهكذا بدأ جهادنا الأخير صورته الناضجة المتكاملة تحت اسم الحزب الاشتراكى .

الانتخابات وعودة الوفد

وبدأت معركة الانتخابات فخضناها بعشرة من المرشحين ، ولقد أسرف حسين سرى فى التحدث عن حرية الانتخابات وحيدتها ونزاهتهـــا .

واخترت لنفسى دائرة عابدين حيث رشح الوفد ضدى حافظ شيحا المحامى ، كما كان هناك مرشح آخر يمثل الأحرار الدستوريين وهو على راتب •

وكان فوزى فى المعركة يبدو أمرا محققا ٠٠ فقد عقدت مايزيد على خمسة اجتماعات عامة كان يحتشـــد فيها ألوف من الناخبين وغيرهم ، وكانت الحماسة تبلغ عنان السماء وعندما كنت أمر فى الدائرة كنت ألقى ما يشبه الاجماع على انتخابى ٠٠ وكانت مظاهر التشجيع تترى من أنحاء القطر المصرى كله والذى كان يتمنى أن يرانى عضوا فى مجلس النواب ليسمع صوتى الداوى دفاعا عن الشعب « تحت القبة » ، ولكن كما حدث فى انتخابات سابقة قلب البوليس لرجالى وانصارى يوم الانتخابات ظهر المجن ، فقبضوا على وكلائى فى اللجان واعتدوا بالضرب على كل من تصوروا أنه سيصوت لى ، وهكذا استطاعوا فى اللحظـــة الأخيرة أن يزيفوا النتيجة وأن ينجحوا حافظ شيحا الذى كان كل من فى مصر يتراهن أنه لن يحصل على تأمينه •

وأسقطت فى الانتخاب للمرة الثالثة بقوة الحديد والنار ، ولو وقف الأمر عند حد الاسقاط لما كان له كل هذا الأثر البالغ فى نفسى ٠٠ ولكن الشائعات التى تواترت كانت تصر على أن الملك فاروق هو الذى أصدر أمره (الكريم) باسقاط أحمد حسين •

وكانت هذه الصيحة تردد طوال المعركة الانتخابية ، فكنت أكذبها بكل شدة بطبيعة الحال ولا أقيم لها وزنا باعتبارها من اشاعات منافس ، ولكن عندما أقدم البوليس يوم الانتخاب على ما اقدم عليه لم أستطع الا أن اصدق ما كذبته طوال المعركة ٠٠ واستقر فى خاطرى أن فاروق هو الذى أسقطنى •

وما حدث معى فى دائرتى حدث مع بقية زمـلائى مع تفاوت فى شدة اضطهادهم تبعا لقوتهم واحتمال نجاحهم •

ونجح بشق الأنفس ابراهيم شكرى لوجود سيل جارف من تأييد أهالى شربين وما يحيط بها له ٠

وفاز الوفد بأغلبية ساحقة وجاء النحاس الذى أقسم الملك بالشياطين والجن والانس أنه لن يرتقى الحكم مرة ثانية ٠٠ مصطفى النحاس الذى حاول الملك أن يقتله كما ذكرت ٠٠ جاء النحاس الى الحكم من جديد وكان ذلك ـ كما قدمت ـ اشبه الأشياء بانقلاب خطير ٠٠ ولقد كان انقلابا خطيرا بالفعل ولكن فى الاتجاه المضاد والمخالف لتصورات الشعب ٠٠ فقد جاء الشعب بمصطفى النحاس لما اشتهر به من أنه عدو لفاروق ٠٠ جاء به ليحد من سلطان الطاغية وليوقفه عند حده ٠ ولكن النحاس الذى كان قد أصبح ألعوبة فى يد سراج الدين خيب الأمال منذ اللحظة الاولى وأحدث انقلابا بالفعل ٠٠ فقد تحول بارشاد سراج الدين الى عبد ذليل لشهوات فاروق بحيث انخلعت قلوب الناس منذ الأيام الاولى لحكومة الوفد لهول الانقلاب ٠٠ انقلاب النحاس الى صنيعة من صنائع القصر كأحقر رئيس حكومة من حكومات الأقليات التى تعادى الشعب ولا تمت اليه بأى صلة ٠

اليأس الذى ادى الى ثورة

ووجدت نفسى فى حالة تشبه اليأس فهأنذا بعد ما يقرب من عشرين عاما من الكفاح المتصل من أجل الشعب وحريته وكرامته ومجده واستقلاله أرى نفسى وجميع قوات الدولة تحاربه بحيث تأبى على أن أكون نائبا فى البرلمان كأى نكرة من هذه النكرات والشخوص التى تكتظ بها مقاعد البرلمان ٠

وغاظنى فى الدرجة الأولى هذا القول المكرر المعاد من أن الملك هو الذى يحاربنى وهو الذى عمل على اسقاطى ٠

ماذا فعلت لهذا الملك ٠٠ بأى شىء آذيته كملك ٠٠ لقد كانت حركة مصر الفتاة التى تألفت منذ ١٩٣٣ هى أول حركة فى مصر

اتخذت شعار لها « الله والوطن والملك » وسعينا جاهدين لتقريب الملك الى الشعب واتخاذه رمزا لمكافحة الاستعمار .. وعندما جاء فاروق أسرعنا للالتفاف حوله والاشتراك مع باقى طوائف الأمة فى تعليق الآمال عليه .. وآخر موقف لى مع الملك عندما ذهبت الى أمريكا للدعاية للقضية المصرية فصدرت كل مطبوعاتى بصورته وأعليت من شانه وكرامته ، وقد عرضنى ذلك لنقد شديد من بعض الأمريكان الذين أزعجتهم صورته وهم يعرفون من أمره ما لم نعرف فى ذلك الوقت . وعندما قامت حرب فلسطين وغنم مجاهدونا الأبطال التوراة اليهودية المقدسة والتى كان باستطاعتنا أن نحتفظ بها وأن نبيعها بعشرات الألوف من الجنيهات لليهود أنفسهم .. ولكنا آثرنا أن نهديها للملك ليضعها فى متحفه ، وعلى الرغم من أننا لم نتلق خطاب شكر على هذه الهدية فقد سكتنا على مضض .

اذن ماذا يريد هذا الرجل لكى يدخل أحد رعاياه فى رحمته .. ان الاخلاص لا ينفع .. ان الوطنية لا تنفع .. ان العمل للصالح العام لا ينفع .. حتى الرغبة فى خدمة الملك عن طريق تبصيره بالحقائق وحثه على خدمة الشعب لا تنفع .. لا يستطيع المجاهد الأمين أن ينفذ الى هذا الرجل الذى جمع فى يده كل سلطان .. فهأنذا لم أستطع أن أظفر بمقابلة هذا الملك طوال سبعة عشر عاما قضيتها فى الجهاد والاخلاص للوطن والملك .. فما السبيل اذن لكسب رضائه ونيل حظوته .

لقد رحت اتلفت حول الملك وأدرس حاشيته وكل الذين يحيطون به ويمثلونه هنا وهناك فلم أجد الا مجموعة من القوادين والمستهترين والشبان الأغرار المفتونين .. وجدت الملك لا تحيط به الا غانيات وراقصات ولاعبو القمار .. وأدركت على الفور أن هذا هو السبيل الوحيد للحصول على حظوة الملك .. فان لم يكن الانسان قوادا أو لاعب قمار أو زير نساء فلا سبيل له للاقتراب من هذا الملك .. فأى ملك هذا وأى شعب يرضى بأن تنتهى الأمور

الى أن يكون على رأسه ملك هذا شأنه ·· لا مكان للفضيلة فى بلاطه ·· لا مكان للاخلاص أو الوطنية الصادقة فى بلاطه حتى ولو الى جوار الطراز الآخرين المفسدين ·

لقد أخافنى هذا الملك أكثر من مرة فأحسست احساسا خفيا انه يريد قتلى وكانت رحلتى الى انجلترا ـ كما ذكرت ـ تحت تأثير هذا الشعور ·· وها هو يعمـــل على قتلى معنويا بملاحقتى فى الانتخابات العامة لاسقاطى فى نفس الوقت الذى يعمل بالليـــل والنهار على قتل هذه الأمة وهذا الشعب · واذن فلابد من أن أخوض معركة مع هذا الملك وليكن ما يكون ·

لقد قررت أن أموت فى منتصف الطريق ·· قررت أن يزج بى الى السجن طوال حياتى أو أن أصرع على الطريق العام برصاصة ·· ولكن ذلك كله لم يزدنى الا تشبثا واصرارا ورحت أردد قول الشـــاعر :

اذا لم يكن من الموت بد

فمن العار أن تموت جبانا

اننى ميت .. ميت . بل لقد مت بالفعل ماديا وادبيا .

فهاأنذا رجل فقير أعيش يوما بعد يوم ، وأحصل قوت اولادى وأسرتى يوما بعد يوم ·· وهاأنذا رجل على هامش الحياة السياسية لا يسمح لى أن أكون مجرد نائب ·· فماذا على لو مت ·· ما الذى ستخسره أسرتى ·· بل ما الذى ستخسره بلادى ·· بل ما الذى سأخسره انا ؟! ·· لا شيء ·· لا شيء وعلى العكس من ذلك فان هناك بعض الارباح والمغانم اذا قتلت وصرعت فى هذا السبيل · سوف يقول التاريخ انه فى منتصف القرن العشرين قام فى مصر ملك داعر طاغية مستبد ·· ردع كل المصريين وافزعهم ولكن فردا من

بين صفوفهم قد تحداه جهارا نهارا .. تحدى ظلمه وطغيانه وقذف فى وجهه برأيه فيه ثم دفع حياته ثمنا لذلك • كانت هذه الصورة تبهجنى وتملأ نفسى ارتياحا ان أرفع عن الشعب مسبة الا يخرج من بين صفوفه من يتحدى الملك •• فقررت أن أمضى فى هذا الطريق • وكنت أشعر كما قدمت ان هذه سياسة يأس ولكن لم يكن أمامى سياسة غيرها •• لقد كان هذا هو الباب الوحيد الذى ظل مفتوحا أمامى بعد أن سدت كل الأبواب فاقتحمت الباب وأنا مستعد للموت •

لم يكن لى من سبيل لخوض المعركة ضد فاروق سوى القلم بطبيعة الحال •• ولم يكن لهذا القلم من مجال سوى جريدة مصر الفتاة •• وكانت جريدة مصر الفتاة فى ذلك الوقت معطلة لنضوب مواردنا تماما ولعدم ذيوعها وانتشارها الانتشار الذى يساعد على مواصلة استمرارها •• ولكنى قررت أن أعاود اصدارها بعزم جديد وأن أجعل اسمها الاشتراكية بدلا من مصر الفتاة ، ولقد قدمت لسراج الدين باعتباره وزيرا للداخلية طلبا بهذا التغيير فرفض اجابتنا اليه • فرأيت أن اسميها الاشتراكية رغم ذلك على أن أنشر على رأس الصحيفة الاسم القديم مصر الفتاة على أنها لسان حال « الاشتراكية » وأصبحت الاشتراكية هى العنوان البارز للمجلة وأصدرنا العدد الأول منها فى صورته الجديدة وفيه حملة على كريم ثابت وغيره من رجالات القصر •

وكانت الجريدة كعادتها لا توزع شيئا يذكر •• بل ان ما كانت توزعه فى ذلك الوقت لا يكاد يصدق •• فلم تزد هذه المبيعات فى العدد الأول على ثلثمائة نسخة فى كافة أنحاء القطر •• ومثل هذا القدر التافه من المبيعات لم تصل اليه فى أى يوم من الأيام ، فلم يحدث أن نقص توزيع الجريدة عن ألف نسخة أو تسعمائة ••

اما أن يكون التوزيع تلثمائة نسخة فهذا شيء يفوق كل تصور في مدى الفشل •• ولكن نفسي كانت ممتلئة باصرار وعزم غريبين •• لقد كان الاحساس يملأني أن هذه هي المعركة الأخيرة •• معركة الحياة والموت ، وانني يجب أن أمضي فيها حتى النهاية •• ولو لزم الأمر الا اطبع من الجريدة سوى خمس نسخ •• ولكنني سأفعل ذلك ما استطعت الى ذلك سبيلا • وكالعادة دائما وقف الى جواري هؤلاء الاخوان الصناديد •• هؤلاء الأبطال والجنود المجهولون •• والذين مهما عرف الناس اســـماءهم فهم مجهولون بالقياس الى ما يعملون ويبذلون •• وقف الى جواري هذا النفر من أبناء مصر الفتاة الأحرار الصادقين وعلى رأسهم ابراهيم شكري يشدون ازرى ويحمون ظهرى •

فضائح حملة فلسطين

وانفجرت قنبلة فضائح حملة فلسطين في ذلك الوقت ••• وامتلأ جو مصر بهذا الجو الذي تقشعر منه الأبدان ، جو المخازي •• والجرائم والأسرار التي سقط عنها الستار فجأة •

وهنا أريد أن أشير الى جهد الاستاذ احسان عبد القدوس في هذه الناحية ••• ان الأستاذ احسان عبد القدوس لا يحبني •• بل لابد أن له رأيا سيئا في شخصي وفي كفاحي ••• ولقد وقف مني دائما وخاصة في محنتي موقف المتربص المستعد للاجهاز على في أي فرصة مواتية ••• وعندما أفرج عني كان هو الوحيد الذي لم يذكر حرفا واحدا عن هذا الافراج •• ومع ذلك فان هذا كله لا يغير رأيي فيه ، وانه قام بدور عظيم فكان صاحب الفضل في اثارة قضية الأسلحة والذخائر الفاسدة •• ثم تابع الحملة بعد ذلك مترجما باستمرار آلام الشعب وآماله •• وأشهد لقد كانت مقالاته كلها مستقيمة وصادقة وجريئة وقوية بحيث كنت دائما ابدا امتلىء اعجابا بها ••

وأسرعت لاستغلال فرصة فضائح حملة فلسطين ٠٠ وثورة الرأى العام الفكرية والنفسية ٠٠ بل ثورة الجيش فى ذات الوقت لكى اضاعف من شدة هجومى على الملك وأن أسفر عن هذا الهجوم وأجعله صريحا وعلنيا ٠

وليس من برنامج هذه المذكرات أن أضمنها نصوصا ووثائق اذ لو فعلت ذلك لتضخمت تضخما كبيرا جدا ولخرجت عن برنامجها المرسوم ، وهى انها حديث نفسى قبل أن تكون حديث تاريخ ٠٠ ومع ذلك فلست أستطيع أن أقاوم الاغراء الذى يدفعنى لتسجيل فقرات من هذا المقال الأول الذى تحديت الطاغية فيه وجها لوجه ٠٠ والذى ختمته بالانذار والوعيد ٠٠ الذى تحقق فيما بعد بنصه وحرفه ٠

ضد فاروق وجها لوجه

لم يكن عنوان المقالة أقل من هذه الكلمات « حيدر ـ بوللى ـ كريم ثابت ـ النقيب ـ ينبغى تطهير أداة الحكم من هذه العصابة »٠

وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٠ م أو فى ٢٩ سبتمبر على وجه التحديد أى قرابة عامين قبل انقلاب الجيش وذهل الناس القلائل الذين وقعت فى أيديهم أعداد المجلة من هذا العنوان ٠٠ وذهلوا بالأكثر وهم يطالعون لأول مرة فى تاريخ مصر التحدث عن حاشية الملك بأنهم عصابة والاشارة الواضحة الى أن الملك هو رئيس هذه العصابة بالرغم من محاولات التظاهر بالفصل بين الملك وهذه العصابة واستبعاد أن يكون رئيسا لها ٠

واليك الآن فقرات من هذا المقال ٠٠ وقد تبدو لك أنها هينة لينة بالقياس الى ما رحت تطالعه الآن عن الملك اللص والمجرم

والسفاح والقواد الى آخر هذه النعوت التى يكيلها له اليوم أشد أنصاره بالأمس .. ولكن هذه الفقرات قد قيلت فى ١٩٥٠ م عندما كان الملك فى أوج سلطانه يعز ويذل ويقتل بدون رقيب أو حسيب .

« قد ولى المرحوم أحمد حسنين وظيفته كرئيس للديوان الملكى ، وقد بدأت مصر تشهد طلائع هذه المأساة التى يرفع عنها الستار هذه الأيام من خلال تحقيقات الجيش فقد عمد هذا الراحل الذى لا نملك الآن الا أن نطلب له الرحمة بعد أن أصبح فى العالم الآخر ، عمد الى خلق ما يسمى بحزب الملك ..

وكان حسنين على ما يبدو شخصا ضعيف النفسية عديم الكفاءة قليل التجربة لم يستطع أن يصل الى مرتبة من سبقوه فى تجربة انشاء حزب الملك ، فهؤلاء قد حشدوا فى أحزابهم أعظم الكفاءات فى البلاد ، وجمعوا نخبة من الوزراء وكبار الموظفين ورؤساء الوزارات السابقة وبعض النوابغ والأكفاء وألفوا منها هذه الأحزاب ، أما حسنين فقد ألف حزب الملك من طراز غريب من الناس أحسن من فيهم شبان أحداث لم يتمرسوا بعد بتجارب الحياة وسوادهم الأعظم أفاقون مغامرون من العاملين فى الظلام وبدأنا نرى أعلام المجون واللهو والقمار بصفة خاصة ، وقد أصبحوا ينتمون الى هذا الحزب ، ولعله من الأفضل أن نطلق عليه اسم (العصابة) ، وبدأت هذه العصابة تجعل من مصر مسرحا لآثامها وجرائمها الخلقية والأدبية والمالية تحميه بهذا الاسم الذى أجله الدستور ووضعته القوانين موضعا كريما .. وبذلك احتمت العصابة من أن يوجه لها نقد أو يسلط الضوء على أعمالها ، وساعد على ذلك قيام الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف .

وبدأت هذه النجوم تلمع من أمثال كريم ثابت ، وبوللي والنقيب .. وغيرهم ، وكانت هذه العصابة فى حاجة الى رجل

عسكرى يجعل من الجيش أداة لتحقيق أغراضها ويخيف ويرعب كل من تحدثه نفسه يوما ما بالتمرد على هذه العصابة فاختير حيدر ليلعب هذا الدور وليجعل من الجيش سندا ووقاية لهذه العصابة المخربة المدمرة ، وتحولت هذه العصابة الى كل شيء فى حكم هذا البلد ، لا يمكن لرأس كريمة أن ترتفع الى جوارها ، لا يمكن لصوت صادق أن يصل الى حيث يجب أن يصل ، لا يمكن لشخص مستقيم أن ينفذ من هذا الستار الحديدى الذى أنشأته هذه العصابة لحكم البـلاد » .

ثم انطلق المقـال بعد ذلك يندد بحكومة الوفـد وموقفها واستخذائها وهى التى رفعها الشعب الى الحكم لمحاربة طغيـان السراى ، واستطرد المقال يقول :

« وجاء الوفد الى الحكم وهو الذى كان هدفه محاربة هذه العصابة طوال خمس سنوات فدبرت له المؤامرات التى وصلت الى حد الشروع فى قتـل النحاس أكثر من مرة بوسـائل وحشـية وقاسية .. وكان المظنون أن الوفد وقد جاء الى الحكم فسيجعل رسالته الأولى تنظيف أداة الحكم من هذه العصابة فلا نعود نسمع عن كريم ثابت أو بوللى أو حيدر وأضرابهم وأمثالهم .. فما راعنا الا أن وقع الوفد فى احبولة هذه العصابة .

اننـا لن ننسى ابدا ان الحكومة الحاضرة (حكومة الوفد) وقفت تدافع عن جرائم هذه العصابة فى مجلس الشيوخ وتحول بين المجلس وبين تأليف لجنة لتحقيق هذه الجرائم » .

ثم ختم المقال بهذه الفقرة :

« اننا نقولها كلمة صريحة عالية لهذه الحكومة : ان الحكومة ليست جادة فى محاربة الفساد ، وان هذا الذى يجرى من تحقيقات

ليس الا من قبيل ذر الرماد فى العيون وان التحقيق لن يلبث أن ينتهى الى غير نتيجة مادام أن من بيدهم الأمر من أفراد العصابة لا يزالون هم أصحاب النفوذ والسلطان » .

« ان الجيش يريد اقصاء هذه العصابة والشعب قبل الجيش يريد هذا فلتحذر الحكومة مغبة بقاء هذا النفر الملوث فى مراكزه فان ذلك لن يلبث أن يهدد النظام بأكمله » .

ومرة أخرى قبل هذا فى سبتمبر سنة ١٩٥٠ م وفى يوليو ١٩٥٢ م كان ينفذ بالحرف الواحد فزال النظام بأكمله وقبض على أفراد العصابة ورئيس العصابة .

ولنرجع الى سبتمبر سنة ١٩٥٠ بعد نشر هذا المقال .. لقد بهت الناس الذين طالعوا هذا المقال وبدأ يحدث بعضهم بعضا عن المجلة الاشتراكية وما يكتب فيها وبدأنا نشعر أن توزيع الجريدة أخذ فى الزيادة بحيث ارتفع من بضع مئات الى ألفين أو ثلاثة آلاف فيما أذكر .

سراج الدين يتحرك

ولم يحل بيننا وبين تلقى الكوارث فى ذلك الوقت وعقب نشر هذه السلسلة من المقالات التى وصلت الى ذروتها فى هذا المقال، الا أن سياسة فؤاد سراج الدين كانت ترمى الى الاقلال من شأننا والى ضآلة جريدتنا وأنه من الخير أن لا يتعرض لها حتى لا يلفت اليها الأنظار .

لقد كان سراج الدين فى ذلك الوقت فى ذروة مجده .. لقد أعاد الوفد الى الحكم بعد أن يئس الوفديون من الحكم ، فأى

عبقرية ترقى الى مستوى هذه العبقرية ؟! .. كانت مصر كلها تحت أقدام سراج الدين تسبح بمجده وتشيد بنبوغه وعظمته ، ولم يكن أحمد حسين سوى ناموسة تطن ومن الخير أن يترك وشأنه ، ولكن اللغط زاد حول ما تنشره الجريدة .. والهجوم السافر على الملك قد وصل الى حد لايمكن السكوت عليه دون تعريض العلاقات الوطيدة بين سراج الدين والقصر للخطر .. واذن فيجب أن يتحرك سراج الدين ويبذل جهدا معينا لوضع حد لهذا الموقف .. ففؤاد سراج الدين رجل ثرى ، يؤمن بسلطان المال ويعرف أنه لا يوجد فى الدنيا ما لايمكن شراؤه بالمال ، وأذن فليحل هذا الاشكال الجديد عن طريق المال وليبعث الى أحمد حسين برسول من لدنه يساومه على القدر الذى يريده أحمد حسين للكف عن حملته على القصر ولم يكن رسول سراج الدين لأحمد حسين سوى اللواء عمر حسن ـ رئيس القسم الخصوصى فى وزارة الداخلية والمختص بتوزيع المصروفات السرية ـ وجاء عمر حسن لمقابلتى فى المنزل بالرغم من أننى حملت عليه حملة شعواء فى التليفون عندما طلب هذه المقابلة. وبالرغم من أن العدد من الجريدة الذى صدر فى هذا اليوم كان يندد بوزير الداخلية الذى يتعاون مع عمر حسن وابراهيم امام .

وجاء عمر حسن وأسفر عن مهمته التى تتلخص فى التقريب بينى وبين وزير الداخلية سراج الدين .. الذى يسره أن يعلم مقدار الأموال اللازمة لانعاش جريدتى وجعلها جريدة محترمة عزيزة الجانب ، وكان ردى على هذا العرض بسيطا وعاديا قلت له : قل لسراج الدين أن يطمئن فهو أهون من أن أهاجمه لأننى جعلت رسالتى تتلخص فى هدف واحد وهو محاربة فاروق . (وهنا استعملت كلمة بذيئة) وصفا له وقد ظللت منذ ذلك التاريخ بكل أسف أستعمل هذه الكلمة فى حديثى عن فاروق فى مجالسى الخاصة ومع الرجال الرسميين ، وكنت أعنف نفسى بشدة على استعمالى هذا اللفظ الذى لا يليق بانسان مهذب أن يتلفظ به . ومع ذلك

فقد كان طغيان فاروق يغريني دائما باستعمال هذا الوصف عقب ذكر اسمه .

قلت لعمر حسن : اذهب الى سـيدك فقل له ان أحمد حسين قد آلى على نفسـه أن يحارب فاروق وكل من يحاول التصدى دفاعا عن فاروق .

وأنا أعلم أن مصيرى هو الموت الذى قد أعددت نفسى له .

ولم يفتنى أن أقول لعمر حسن : انك لن تستطيع أن تكتب فى تقريرك كلمة واحدة مما قلته لك عن فاروق لأن أحدا لن يصدقك اذا كتبت هذا التقرير فمن غير المعقول أن أقول لرئيس القسـم الخصوصى عن الملك هذه العبارات والألفـاظ ، وأن أعلنه أننى سأحارب فاروق حتى أصرعه أو يصرعنى ..

لقد كان هؤلاء النفر على فرط دناءتهم أجبن من أن يحملوا للطاغية أن صعلوكا من رعاياه يقذف فى حقه هذا الاقذاع ويتحداه هذا التحدى .

الرد على سراج الدين

وتلقى سراج الدين ردى على اسفافه فى ايفاد هذا المندوب وتصوره أنه من الممكن شرائى بالمال مقالا طنانا رنانا طبق الخافقين فى ذلك الوقت باعتباره عنوانا على البذاءة والهوة التى تردت فيها الصحافة المصرية وكان عنوان المقال « لن تحكمنا أسرة سراج الدين » وقد وصفت جاه سراج الدين وما وصل اليه من عظمة وسلطان وكيف أصبح أخوه رئيسا لمجلس النواب تقريبا ، وأخوه الثانى سكرتيرا للجنة المالية والثالث رئيسا لها وجنابه رئيسا للحكومة وكيف تحول الى معبود يعبد ، وختمت المقال بأننا كافرون بهذا الاله

الجديد وسوف نحطم الصنم ، بل وسوف نبول على هذا الصنم المعبود » .

وقامت القيامة .. واهتزت السموات والأرض كيف يصل الأمر الى استعمال هذه الألفاظ والهجوم على سراج بهذا الأسلوب ووقف سراج الدين فى مجلس الشيوخ يبكى ويتباكى على ما وصل اليه التدهور الخلقى فى مصر ، وراح يتلو على أعضاء المجلس الموقر فقرات من هذا المقال الثائر على أسرة سراج الدين والذى يندد بالصنم المعبود ويعلن للدنيا الكفر والهرطقة بهذا الصنم ، بل ويذهب الى حد التبول فانه سيبول على هذا الصنم ، كما كان يفعل العرب بعد أن دخلوا فى الاسلام اظهارا لاحتقارهم لآلهتهم القديمة .

وفزع مجلس الشيوخ الوقور من أن يتدنس حرمه بسماع هذه الأقوال ، فنادى المنادى من بينهم بضرورة اعدام هذه الصحيفة .. وبضرورة صلب الكاتب لهذا المقال .

وفزع مجلس الشيوخ الوقور من أن يتدنس حرمه بسماع الذى لوث مهنة الصحافة الطاهرة وتنازل صاحب الاستجواب الذى كان قد قدمه دفاعا عن حرية الصحافة بعد أن ظهر أن الصحافة ممثلة فى الاشتراكية وفى شخص أحمد حسين قد وصلت الى هذا الدرك الأسفل بحيث تسمى سراج الدين صنما وتعلن أنها ستحطمه وستجعل الناس تبول عليه ولم يستطع سراج الدين المسكين أن يهدىء هذه الحملة الشعواء عليه من حضرات الشيوخ المحترمين الا بعد أن وعدهم أنه يتخذ الاجراءات لكى يضع حدا لهذا الهوان الذى يوشك أن يعرض سمعة البلاد للضياع .

تحقيق النيابة

وشرعت النيابة تحقق معى فى كل الأعداد التى صدرت من الجريدة حتى كتابة هذا المقال أى الأعداد التى صدرت خلال ثلاث

اشهر كاملة حاول فيها سراج الدين أن يظهر عدم الاكتراث بشأنها ، فلم يطلب التحقيق فيها . وعندما وجه الى الاتهام بالعيب فى الذات الملكية قلت : ان الأصح أن يقال اننى عبت فى الذات السراجية ، فمقالاتى المقول انها ضد الملك قد كتبت منذ ثلاثة أشهر سابقة فلم تحرك النيابة ساكنا الا بعد أن عبت فى الذات السراجية، فقلت بالخط العريض لن تحكمنا أسرة سراج الدين ، وقد كان لهذه الحقيقة اثرها البالغ فى نفس مجلس الدولة عندما عرضت عليه قضية الغاء « مصر الفتاة » فقد لمس مجلس الدولة ان اجراءات الاضطهاد لم تنهال على الجريدة وتصل الى حد الغائها الا منذ اليوم الذى هاجمت فيه سراج الدين بهذا العنف ، فمنذ ذلك اليوم اتحدت ارادة سراج الدين مع فاروق للخلاص من هذه الجريدة النادرة ومن محررها هذا المجرم العنيد أحمد حسين .

ذيوع وانتشار

وعند هذه المرحلة كانت الجريدة قد بدأت تلفت الأنظار ، فبدأت ارقام توزيعها فى صعود مستمر ، وقد كان هذا الصعود فى بادىء الأمر محدودا ولكنه كان مطردا بحيث بدأ كل عدد يزيد بضع مئات فى كل اسبوع بعد ان كان يزيد بضع عشرات ، وصودرت الجريدة أسبوعا ، وأصدر القضاء أمره بتعطيلها أسبوعا آخر ، فقفز رقم التوزيع الى خمسة آلاف نسخة ، وكان هذا بالنسبة لنا يعتبر انتصارا لا مثيل له واضطررنا الى أن نستبدل المطبعة القديمة بمطبعة جديدة لنواجه الانتشار المستمر فاتسعت لنا مطبعة جريدة الأساس وقد كان هذا تناقضا غريبا من ناحيتنا ومن ناحية أصحاب الأساس ، فنحن نعتبر أنفسنا خصوما سياسيين للسعديين وجريدتهم وما من عدد من الأعداد خلا من الهجوم عليهم ومع ذلك فلم يكن أمامنا مطبعة لطبع جريدتنا فى عهدها الجديد غيرها ، والسعديون

بطبيعة الحال يؤذيهم ان يطبعوا جريدة تهاجمهم ، ومع ذلك فيظهر ان ظروفهم المالية من ناحية ورغبتهم فى تشجيع كل ما يحرج الحكومة الوفدية ويثير لها المتاعب من ناحية اخرى كل ذلك جعلهم يرضون هذا الوضع العجيب وهو أن يساهموا فى طبع جريدة تخاصمهم وكثيرا ما كان ابراهيم عبد الهادى يئن ويتوجع لما ينشر فى الجريدة هجوما عليه أو مساسا بنزاهته كما حدث فى بعض الأحيان عندما نشرت الجريدة ممتلكاته من الأراضى ولكن الامر قد وقف عند حد العتاب والتذمر دون التفكير فى ايقاف طبع الجريدة على مطابعهم ، بل انه عندما جاء الوقت الذى ضاقت بنا مطبعة الأساس نفسها فانتقلنا الى مطبعة الأهرام كان كل من فى الأساس يلح فى الرجاء ان لا نترك المطبعة بعد أن كان ايرادهم من طبع الجريدة قد وصل الى مبلغ لا يمكن الاستغناء عنه لادارة المطبعة نفسها ٠

والمهم أن مطبعة الأساس قد عاونتنا فى هذه المرحلة معاونة جديرة بالذكر والتنويه ٠

فضيحة ميدان عابدين

وبدا نبوغ الجريدة وخطتها فى محاربة مفاسد الملك تلفت الينا انظار كل القائمين على العهد من موظفى الدولة ٠٠ فاتصل بنا بعض موظفى وزارة الأشغال ومهندسيها ولست فى حل من نشر أسمائهم بدون استئذان ، وبدأوا يقدمون لنا صورا وتقارير ورسومات عن مشروعات عثمان محرم الجنونية لارضاء الملك السابق عن طريق انشاء التماثيل واصلاح القصور الأثرية والتى راح عثمان محرم يغدق عليها ملايين الجنيهات ، وكان على رأس هذه المشروعات انشاء تمثال الملك فؤاد فى ميدان عابدين ونزع

ملكية ما يزيد على خمسمائة بيت تقيم بهـا ألوف من الرجـال والنساء والأطفال بحجة توسيع الميدان ليكون لائقا بعظمة التمثال . وقد كان ذلك جنونا مطبقاً من غير شك وآية على ما وصل اليـه العهد من انحلال واضطراب أن تشرد العشرات من ألوف المواطنين وتنفق ملايين الجنيهات لانشاء تمثال للملك فؤاد تزلفا الى الملك فاروق ، وجاء لنـا الموظف الوطنى برسومات المشروع ، ونصوص المراسيم التى نزعت ملكية البيوت وميزانية المشروع فأسرعنا الى نشر ذلك كله تحت عنوان فضيحة ميدان عابدين ، فكان لذلك دوى فى أرجـاء البلاد وأسقط فى يد الملك ويد الحكومة وشعروا أن الجريدة قد أخـذت بتلابيبهم متمسـكين بهذه الجريمـة الشنيعة ولذلك فقد أصدر الملك على ما نشرت صحف دار أخبار اليوم أمرا بايقاف هدم المساكن ، فكان ذلك أول انتصار مادى حققته الجريدة الاشتراكية ، وكان انقاذ هذه البيوت والحيلولة دون هدمها هو أول معول فى هدم الملكية بالذات كما اثبت مسلسل الحـوادث والنهاية التى انتهت اليها .

الغـاء الاشتراكية

بدأ فاروق يدرك عقب هذه الهزيمة التى منى بها فيما أسميناه « فضيحة ميدان عابدين » وبدأت الحكومة وسراج الدين بصفة خاصة يدرك مع فاروق أن الاشتراكية خطر يجب القضاء عليـه بصفة حاسمة ، لقد ثبت لهم أن مصادرة الجريدة قد ضاعف فى انتشارها ، وأن تعطيلها أسبوعا عن طريق القضاء قد لفت الأنظار اليها اكثر وأكثر وبلغت مبيعات الجريدة ثمانية آلاف نسخة بعد أن كانت بضعة مئات وكان العدد الواحد يتجمع حوله عشرات ، بل ومئات من الناس فى القرى والدساكر لكى يطالعوه فرأوا أن يضربوا ضربة حاسمة وهو الغاء الجريدة ، ولكنهم ظلوا يترددون بعض الوقت خوفا لما يثيره هذا الاجراء من انتقاد وهم المنـادون

بالدستور وحرية الصحافة ، وهم الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها فى مجلس الشيوخ عندما ألغى اسماعيل صدقى يوما من الأيام رخص بعض جرائدهم ومجـلاتهم ، ولذلك فقد رأوا أن يتريثـوا بعض الوقت • وفى ٢٦ يناير سنة ١٩٥١ م صدرت مصر الفتاة الاشتراكية وهى تحمل بالخط العريض والمداد الأحمر فوق رأسها « فضيحة شركة سعيدة » وهى هذه الفضائح التى لم تتحدث عنها الصحف وعن أفعالها الا بعد سقوط الملك ، وكان عنوان مقالتى « تحرك أيها الشعب » وفى العدد وعلى صدره حديث عن الدكتور زكى هاشم وخطوبته ، وقد كان فاروق لا يتصور حديث مجرد الاشارة لزكى هاشم فضلا عن الاشادة به على صفحات الاشتراكية لما يحمله ذلك من معانى التذكير بجريمة الملك الكبرى ••

وتضمن العدد فوق ذلك اعلانا ملفتا للنظر عن مقال سينشر فى العدد التـالى وهذا نصـه : « ملهى الاسكارابيه ينشر فى العدد القادم معلومات وتفصيلات عن ملهى الاسكارابيه فنلفت اليهـا الأنظار » •

وملهى الاسكارابيه هو هذا الملهى الذى كان يسهر فيه فاروق كل ليلة ويقتنص منه فرائسه فى الراقصـات والمغنيات ومن على أشكالهن وكانت فضـائحه فى هذا الملهى قد أصـبحت حديث العالمين •• ومن العجيب أن المعلومات التى كنا سننشرها كنت قد استقيتها مباشرة من والد زوجة صاحب هذا الملهى والذى جاء يشكو لى كيف أن تردد فاروق على هذا الملهى لا يعود على صاحب الملهى بأى ربح مادى وأن الذين يستفيدون هم جماعة من اليهود الذين يشرفون على لعب القمار والذين بلغت أرباحهم فى عام واحد خمسين ألفا من الجنيهات ، أما نصيب زوج ابنته من حصيلة لعب القمار فهو ينفقه على استيراد الأرتستات اللائى يسر بهن فاروق

ويدفع لهن المرتبات المرتفعة ارضاء لفاروق ، فهو لا يربح شيئا فى حقيقة الحال ، وقد رجانى الرجل أن أسـائل الحكومة ووزير الداخلية كيف لا تتدخل فى معرفة ما يجرى فى نادى القمار الملحق بهذا الملهى وعلى أى أساس تسمح لهؤلاء اليهود وهم من أصحاب السوابق أن يديروا هذا النادى ، وغنى عن البيان أن الحكومة ووزير الداخلية لم يكن يقترب من هذا الحرم المقدس الذى يظله فاروق برعايته الملكية السامية . ولم يكد هذا العدد يصدر فى السوق فى يوم الخميس ٢٥ يناير حتى كان بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير أو النقطة التى طفحت بها الكأس ، كأس فاروق وسراج الدين وحكومة الوفد كلها فاجتمع مجلس الوزراء فى المساء وأصدر أمره الكريم بالغاء جريدة مصر الفتاة ، ولقد راح كل مصرى يعزو سبب الالغاء لهذا المقال أو هذا الخبر ، فالبعض يرى أن الاعلان عن اذاعة معلومات خاصة بملهى الاسكارابيه هو الذى عجل باعدام الجريدة ، والبعض يرى أن مقال تحرك أيها الشعب هو العامل الرئيسى لهذه العقوبة ، وثالث يقول بل فضيحة شركة سعيدة وأشـخاص يؤكدون أن الحديث عن زكى هاشم خطيب ناريمان السابق التى خطفها منه الملك هو على التحقيق سبب الغاء الجريدة ، ولكن كان من الواضح أن الغـاء الجريدة كان مسألة مقررة منذ عدة أسابيع وانها كانت تؤجل من أسبوع لآخر .

وبلغ توزيع هـذا العدد الذى ألغيت الجريدة على أثره عشرة آلاف نسخة ، وكان ذلك بالنسبة لنا يعتبر شيئا خياليا .

غضبة الـرأى العـام

ولم يحدث من قبل أن غضب الرأى العـام كمـا غضب على الغـاء مصر الفتـاة ، لقد كان هنـاك اجمـاع على استنكار هـذا التصرف ، وكان ذلك من الارهاصـات التى تدل على أن نهاية فاروق قد بدأت تلوح على الأفق ، طبعـا لم نكن نتصـور ذلك في هذا الوقت ، بل لعل الغاء الجريدة كان دليلا على قوة

النظام وقدرته على البطش ، فلم تخطر فكرة نهاية فاروق على البال، ولكن الآن بعد أن ذهب فاروق فان ذلك يفسر لنا هذه الظاهرة التى بدت فى ذلك الوقت وكنا نقف أمامها مدهوشين الا وهى اجماع الرأى العام بمختلف أحزابه وهيئاته وألوانه على استنكار الغاء الجريدة ، لقد عاصرت فى مصر الغاء البرلمانات والغاء الدساتير من أساسها ، والغاء الحرمات المقدسة فكانت الأمة تنقسم حيالها الى قسمين فريق ساخط مستنكر وفريق راض مبتهج لهذا الذى حدث ، أما عندما الغيت مصر الفتاة فقد كان كل مصرى على اختلاف منهاجه فى سخط واستنكار لهذا التصرف ، ولم أدرك هذه الحقيقة بكل شمولها الا عندما اضطرتنى الظروف تحت عامل الغضب الى التنازل عن قضيتى فى مجلس الدولة ، فقد هاجمنى الشعب بأكمله على هـذا التنازل وانهالت على الاحتجاجات والاستنكارات من كل مكان ، فقد كان كل مصرى يعتبر القضية قضيته ، فعندما تنازلت عنها أحس الجميع كما لو كنت قد خنتهم ولم يكن هناك ما يثلج صدرى فى هذا الوقت أكثر من هذا السخط الاجماعى الذى انهال على بتنازلى عن الدعوة ، ولم يكن الناس يعلمون فى ذلك الوقت اننى تنازلت عن الدعوى عندما توجست خيفة أن يقر مجلس الدولة تصرف الحكومة فيكون ذلك قضاء على الدستور وحرية الصحافة الى الأبد ، فقد أسرعت لرفع دعوى مستعجلة فى مجلس الدولة لايقاف تنفيذ قرار مجلس الوزراء وكان القاضى الذى سمع الدعوى هو السنهورى نفسه ـ رئيس المجلس ـ وقد ترافعت أمامه بكل أعصابى وبكل ايمانى ، ترافعت أمامه وشرحت له خطورة القضية وأن تأييد الحكومة فى تصرفها سيكون ضربة قاضية على الشعب ، ومع ذلك فقد أصدر السنهورى قراره برفض طلب ايقاف التنفيذ والتعجيل بنظر موضوع القضية ، ولقد صدمنى هذا القرار صدمة عنيفة وخاصة لصدوره من السنهورى بالذات والذى أكن له فى نفسى اجلالا واحتراما عظيمين ، لم أكن أعلم ماذا يضمر السنهورى

فى نفسه ، وأنه اراد أن يكون دقيقا وأن يجعل ابطال قرار مجلس الوزراء يصدر من المحكمة الادارية مجتمعة بدلا من أن يقال انه أوقف بشخصه قرارا من مجلس الوزراء ، ولكننى فى ذلك الوقت تصورت عكس ذلك وأن السنهورى قد عمل حسابا لفاروق وغضبه وأن ذلك هو سبب قراره رفض ايقاف التنفيذ ولذلك فقد بادرت بارسال خطاب اليه اعلنه فيه أن دعواى قد أصبحت غير ذات موضوع وأننى بذلك متنازل عنها ٠

ولم يكد هذا الخبر يذاع في الصحف حتى ضج الرأى العام على اختلاف مناهجه استنكارا لهذا التنازل فأكد ذلك هذه الحقيقة العجيبة التى تجلت فى هذه المناسبة وهو اجماع الرأى العام على الالتفاف حول الاشتراكية باعتبارها الجريدة التى تصدت لحرب الملك وتحديه ، فكان ذلك كما قدمت ارهاصا بأن أيام الملك قد أصبحت قريبة وان كنا فى ذلك الوقت لم تكن نتصور أن الاقتراب سيكون بهذه السرعة أو بهذه الكيفية ٠

جريدة الشعب الجديد

وكان طبيعيا وقد الغيت مصر الفتاة ان نحاول الحصول على جريدة أخرى فتقدم ابراهيم شكرى الى وزارة الداخلية باخطار يعلنها فيه انه قد اعتزم اصدار مجلة جديدة باسم الشعب الجديد وكان من المستحيل قانونا أن يأبى وزير الداخلية على نائب من نواب الأمة أن يصدر جريدة ومع ذلك فان هذا المستحيل قد حدث فاذا بنا نفاجأ قبل انصرام الشهر المخصص لوزير الداخلية ليمارس فيه حق الاعتراض ، بيوم واحد أنه ــ أى الوزير ــ لا يوافق على اصدار الشعب الجديد بحجة أنها لن تكون سوى مصر الفتاة الملغاة تحت اسم جديد ، ولم يكن هناك فى نفسى ذرة من الأمل أن يصدر أمر من رئيس مجلس الدولة بايقاف تنفيذ قرار وزير الداخلية

بالمعارضة فى اصـدار الجريدة ، ولكنى مع ذلك قررت أن نرفع دعوى مستعجلة بهذا الطلب ليتسنى لى أن أواجه السنهورى مرة أخرى لكى أناقش حكمه السابق فى قضية مصر الفتاة ، وقد حدث ذلك بالفعل فترافعت فى عصبية شديدة وقد رددت على الأسئلة التى وجهها الى السنهورى بصدد قضية مصر الفتاة ردودا جافة . وكانت مرافعتى كلها فى طبيعتها ليست سوى نقد لحكمه السابق . وانتهت المرافعـات وتأجـل اصدار الحكم أسبوعا ، ولم أحاول أن أترقب الحكم او أعلق عليه أى اهتمام ، فلم يكن فى نفوسنا أى ذرة من الشك أن مصيره سيكون هو الرفض المحقق .

وفى ذات يوم عند الظهر أو بالأحرى فى السـاعة الثـانية والنصف بعد ظهر يوم الأربعاء ١١ أبريل كنت جالسـا فى دار الحزب وفجأة وجدت سيارة قد وقفت على باب الحزب ونزل منها بعض شبان الحزب من طلاب كلية الحقوق ، وكانوا فى عجلة شديدة ولم يكد بصرهم يقع على حتى صاحوا مبروك .. مبروك .. ولم افهم فى أول الأمر على أى شىء يهنئون حتى قالوا لقد صدر حكم رئيس مجلس الدولة بايقاف تنفيذ قرار وزير الداخلية .

وكانت هذه مفاجأة قوية ، وكانت هذه لحظة من أسـعد لحظات حياتى ، هذه اللحظات التى ينتصر فيها الانسان على قوى الظلم والطغيان والاستبداد ، لقد كدت أطير من الفرح ، ولم أكد أصدق هذا النبأ .

ومع ذلك فقد كان حقا ، وكانت حيثيات الحكم لا تقل روعة عن الحكم ذاته فقد سجل لنا حقنا كحزب سياسى مشروع يجب ان يعبر عن رأيه وأن تهيأ له فرصة هذا التعبير ، فقد قال بصريح اللفظ :

« ومن حيث انه لا يقدح فى جدية هذه الاسباب القول بان اصدار جريدة الشعب الجديد يعتبر محاولة لاعادة جريدة مصر الفتاة الملغاة بقرار من مجلس الوزراء ، ذلك لأن الجريدة اذا كانت تمثل رأى حزب معين ، فان الغاءها لا يقتضى حتما منع هذا الحزب من اصدار جريدة أخرى للتعبير عن رأيه ، حتى لو أريد بهـا أن تحل محـل الجريدة الملغـاة مادام الاخطـار عن الجريدة الجديدة مستوفيا لجميع الشروط القانونية ، ومادامت هذه الجريدة تصدر خاضعة للقيود التى فرضها القانون ، والا كان فى الغاء جريدة لأحد الأحزاب الغاء لهذا الحزب فى حق من اهم حقوقه الدستورية ، وهو حق التعبير عن رأيه والدعوة الى مبادئه » .

وهكذا لم يعد السنهورى بهذا الحـــكم الرائع الاشتراكية للظهور فحسب ، بل وكرس جهـــاد الحزب الاشتراكى واعترف بمشروعيته وضرورة حمايته بالقانون والدستور . وهكذا صدرت الشعب الجديد حاملة اسم الاشتراكية بخط عريض كزميلتها مصر الفتـاة فى يوم الخميس ١٩ ابريل وكانت تحمل هدية الى العهد القديم مشروع قـانون مقدم من ابراهيم شكرى يطلب فيه تعديل الدستور لالغاء الرتب والألقاب .

وكان هذا ثالث قانون يتقدم به ابراهيم شكرى فقد سبقه قانون تحديد الملكية الزراعية بخمسين فدانا وقانون آخر لتنظيم نقابات العمال والسماح للعمال الزراعيين بتاليفها واباحة تاليف اتحادات العمال ، ثم كان هذا القانون القاضى بالغاء الالقاب والرتب ، وكانت هذه المشروعات تقابل بالســخرية والزراية من ناحية ، وتؤجج سخط الملك وحاشيته وأذنابه ضد الاشتراكية من ناحية أخرى فى نفس الوقت .

واستأنفنا النضال ، حيث وقفنا فى ٢٦ يناير ١٩٥١ م ، واذا كانت مصر الفتاة قد الغيت وقد بلغ توزيعها عشرة آلاف نسخة فقد بدأت هذه حياتها بتوزيع خمسة عشر الف نسخة ، وكان ذلك أشبه ما يكون بالاستفتاء ، ولم تكن خطورة الجريدة فى كمية النسخ التى توزعها ، بمقدار ما كان فى تهافت الجماهير عليها ومطالعة العشرات والمئات للنسخة الواحدة .

وراحت المقالات تتوالى تحمل العناوين التى كانت تخلع قلوب الطغاة لما تنطوى عليه من تحد وانى اذ أكتب هذه السطور أرى أمامى احدى هذه المجلات وهى تحمل بالخط العريض « دعونا نحارب اخطاءكم بالقلم والا حاربكم غيرنا بالقنابل والرصاص » .

نحن والفتى سراج الدين ـ عصابة الرأسمالية ترفع رأسها ـ ولم تكن هذه العصابة فى سياق المقال سوى حافظ عفيفى والياس اندراوس وأمثالهم » نحن والوزير الأخرق عثمان محرم « و « استح يا سراج الدين » و « اغضب أيها الشعب » .

ولكن المقالات التى هزت ضمير الشعب كتبتها تحت عنوان من أحمد حسين الى ناظر الخاصة الملكية وفى هذه المقالات رحت أهاجم الملك فى شخص ناظر خاصته لجشعه واستبداده بالفلاحين ، واغتصابه الأراضى وتجميعها حتى بلغ عدة ما يملك أو يدير فوق مائتى ألف فدان ، وكان الموظفون المختصون يحيطوننى علما بجرائم الملك السابق كامتناعه عن دفع الضرائب وتقديم الاقرارات الخاصة بها وتضمنت هذه المقالات اشارة الى ذلك ودعوت الى ضرورة أن يدفع الملك الضرائب ، بل أن يوزع أراضيه على الفلاحين ، فكان لذلك تأثيره من جديد لدى الملك الذى أرغى وازبد واضطرت

الحكومة لتهديدته أن تسجنني وأن توجه الى من جديد تهمة العيب فى الذات الملكية ، بالاضافة الى التهمة السابقة ، وهكذا أصبح على عاتقى جنايتان بدلا من جناية واحدة ، ولكن القضاء أفرج عنى فكان ذلك يذكى فى لهيب المعركة ويرفع فى حماسة الشعب ويزيد من اندفاعى فى مهاجمة الملك ، وفى خلال ذلك كله توسعت الجريدة فى نطاق انتشارها فأصبحت توزع خمسا وعشرين ألف نسخة .

عودة مصر الفتاة

وقفت بك عند ارسال خطاب أعلن فيه تنازلى عن قضية مصر الفتاة ، وما أحدثه ذلك من موجة سخط واستنكار فى الرأى العام ، ولكن ما إن صدر حكم السنهورى بالغاء اعتراض وزير الداخلية على صدور الشعب الجديد ، حتى بادرت بسحب التنازل الذى سبق أن قدمته عن قضية مصر الفتاة ، ومن حسن الحظ أو بالأحرى شاء الله أن تهمل الحكومة فى تسجيل هذا التنازل واعلانها قبوله على الفور ، فالقانون يعتبر تنازل أحد الخصمين لا يكون تاما ونافذا إلا اذا أسرع الخصم الآخر بقبوله وهو ما لم يلتفت اليه قلم قضايا الحكومة وبهذا كان من المستطاع أن أسحب التنازل ، وعندما اجتمعت المحكمة الادارية للفصل فى هذا الموضوع وقضت بأن القضية لا تزال قائمة أمامها وصالحة للفصل ، كان ذلك بمثابة حكم تمهيدى أنها ستحكم بالغاء قرار مجلس الوزراء .

وكان من المظاهر الرائعة أن تدخلت نقابة الصحفيين فى القضية كخصم ثالث وأوفدت محاميها الأستاذ فتحى رضوان ، كما تدخل الأستاذ أبو الخير عيسى انقاذا للدعوى فى حالة تخلى عنها ، وتدخل مواطن من أبناء الشعب يسمى عنتر الحسيتى لذات الغرض ، وهكذا راحت الصحافة والأمة تعبر عن رغبتها فى اعادة مصر الفتاة الى الوجود بشتى الطرق والأشكال .

وفى يوم الثلاثاء ٢٦ يونيو سنة ١٩٥١ م صدر الحكم الذى كانت البلاد تنتظره بفارغ الصبر ، والذى يسجل حدثا تاريخيا ضخما فى حياة مصر الحديثة وفى كفاحها من أجل الدستور والحرية واعلاء سلطان الشعب ، ولذلك فلست أستطيع الا أن أسجل منطوق الحكم بنصه :

« وبناء على ما تقدم فقد حكمت المحكمة برفض الدفع بعدم الاختصاص وفى الموضوع بالغاء القرار الصادر من مجلس الوزراء فى ٢٨ يناير سنة ١٩٥١ م بالغاء جريدة مصر الفتاة ، والزمت الحكومة بالمصروفات و ٥٠٠ قرش مقابل أتعاب المحاماة » .

وكان مجلس الدولة وهو بصدد هذا الحكم يعرف تمام المعرفة انه يتحدى به الحكومة ومجلس الوزراء ، بل ويتحدى قبل ذلك وبعد ذلك فاروق (ملك مصر والسودان .. كذا) وأن هذا الحكم قد يكلف مجلس الدولة حياته بأكملها ، فقد كان فاروق ينذر ويبرق ويتوعد وكان صـــدى هذا النذير يصل الى أسماع هؤلاء القضاة المغاوير ، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما يريد احداث حدث يهيىء له أسبابه ، ولقد كان فى مكنون علم الله أن أيام فاروق فى طريقها الى النهاية ، فسخر الرجال والأبطال الذين يقوضون عرشه ، وسيبقى السنهورى وكل قضاة محكمة القضاء الادارى فى مجلس الدولة على رأس المجاهدين الأحرار الذين قامروا بكل شىء من أجل وضع حد لطغيان فاروق وحكومته ونظامه وليقولوا له فى شجاعة وقوة : « قف ... من أنت » .

وانى اذ أخط هذه الســـطور لأنحنى اجلالا لهؤلاء الرجـال ويسعدنى أن أسجل فى مذكراتى عنهم هذا الاعتراف بفضلهم علينا بصفة خاصة وعلى الأمة بصفة عامة .

ذروة المعركة

وبعودة مصر الفتاة الاشتراكية الى الوجود كانت المعركة بيننا وبين فاروق والنحاس وفؤاد سراج الدين قد وصلت الى ذروتها ، وبدأت أحس احساسا قويا ان فاروق لا يمكن أن يدعنى حيا أسير على قدمى وأنه لابد سيعمل على اغتيالى وقد بدأ أثر ذلك يظهر فى مقالاتى فى مصر الفتاة بعد عودتها فقد جعلت عنوان أحد المقالات « انصبوا المشانق ولكن الشعب ينتصر » وفى هذا المقالات تحدثت عن المحاولات المقبلة لاغتيالى .... بل وأشرت بالذات الى أن فاروق سوف يعمد الى محاولة اغتيالى قضائيا اى عن طريق القضاء .

كانت شهرة مصر الفتاة قد طبقت الخافقين وعندما اعدناها للصدور مع زميلتها الشعب الجديد بدأت توزيعها بثلاثين الف نسخة وظلت موجة الصعود مستمرة حتى بلغ توزيع كل من الجريدتين خمسين ألف نسخة فأصبح ما نوزعه أسبوعيا من الجريدتين هو مائة ألف ... ولقد أربى ذلك فيما بعد على مائة وعشرين ألف نسخة للجريدتين .

ولقد دفعنا ذلك للامعان فى تحدى الملك بصورة تجاوزت فى سفورها وصراحتها كل ما يطوف بالخيال حتى ان مصر الفتاة فى عددها الأول فى عهدها الجديد عندما صدرت فى ١٥ يوليو نشرت بالخط العريض « نصيحة الى لاعبى القمار » ثم كتبنا ما يلى بالحرف الواحد :

« صرح احد كبار لاعبى القمار لمراسل صحيفة أجنبية انه ليس صحيحا من انه يخسر مبالغ طائلة على موائد القمار فقد وضع لنفسه قاعدة يلتزمها ولا يخرج عنها بحال من الأحوال فهو يقرر قبل أن يشرع فى اللعب مقدار المبلغ الذى يقف عنده فى حالة

الخسارة ولم يحدث أن خالف هذه القـاعدة ويقول حضرة المقامر المصرى الكبير انه ينصح كل لاعبى القمار أن يلتزموا هذه القاعدة فيأمنوا جانب الكوارث ·

ومما جـاء فى هذا الحديث أيضا ان زوجته أى زوجة حضرة المقامر تلعب الورق بدورها ولكن للتسلية ولا تستعمل مبالغ كثيرة فى اللعب ·

ولما كان هذا الحديث الثمين قد اقتصرت فائدته على الصحف الانجليزية فقد رأينا تعميما للفائدة أن ننشر هذه النصيحة الغالية لحضرات المقامرين الذين لم يطلعوا عليها فى مصر » · وفى الوقت الذى كانت مصر الفتـاة تنشر هذا الحديث الذى أدلى به فاروق لصحيفـة انجليزية كان ابراهيم شـكرى فى مجلس النواب يقدم استجوابا للحكومة عن هذا الحديث وكيف جاز للملك ان يقول هذه السخافات التى هى فى صيغتها جرائم ، وعمل عبد السـلام فهمى جمعة كعاداته على وأد هذا الاستجواب فهاجمناه بشدة على صفحات الجريدة ·

وبدأنا نستعرض المخصصات الملكية وميزانيـة القصر وننتقد ما بها من اسراف معيب يصل الى حد الافحاش ورحنا ننده بالنواب والبرلمان الذى يسمح بهذا السفه فى الانفاق ··· وتجاوب بعض الشيوخ مع حملاتنا فبدأوا يقدمون الملاحظات ··· بينما كان ابراهيم شكرى فى مجلس النواب يصول ويجول ضد اعتمادات اصلاح المحروسة ويقذف فى وجوه النواب بأبشع التهم ·

وعندما زف الملك الى العروسة الجديدة وتبارت الحـكومة والهيئات فى تقديم الهدايا ··· رفض ابراهيم شكرى كنائب من نواب الأمة أن يخصم مليم واحد من مكافأته للمساهمة فى هدية

مجلس النواب الى فاروق ، وعبثا حاول رئيس المجلس أن يهدد او أن ينذر ، لقد أصر ابراهيم شكرى على أن يقبض مكافأته كاملة وعندما استلمها وزعها فى التو على الفراشين والسعاة فى المجلس فكان ذلك امعانا فى التحدى . وكانت الاشتراكية تنشر كل ذلك وجماهير الشعب تزداد اشتعالا والملك وعصابته يزدادون حقدا وغيظا وكمدا .. وحكومة الوفد تزداد انهيارا وانحلالا بحيث اصبحت مضغة فى الأفواه ، ولم يعد الشعب يعرف بأى شىء يصف هذه الحكومة واعمالها حتى لقد اضطررت تعبيرا عما يدور فى خواطر الشعب الى أن أكتب مقالا تحت عنوان « وزراء أم لصوص وحكومة ام عصابة ؟ ! » .

وهكذا كانت المعركة قد وصلت الى ذروتها وكان من الواضح ان احداثا جساما لابد ستقع وأن تطورا وانقلابا من أخطر ما يكون فى طريقه الى الحياة وهذا ما جعلنى أكتب فى سبتمبر سنة ١٩٥١ تحت عنوان « الثورة ، الثورة ، الثورة » مقالا مدويا أبسط فيه هذه الحقائق وأعلن أننا قد أصبحنا على أبواب ثورة .. ولكن هذا المقال على خطورته لم يثر الناس بقدر ما أثارتهم صفحتا صور نشرتها فى داخل الجريدة تحت عنوان « رعاياك يا مولاى » وكانت هذه الصورة تمثل بؤس المواطنين وما يعانونه من ذل وفقر ومرض .

لم يكد هذا العدد يصل الى الجمهور حتى كان كل من فى مصر يترنم بهذه العبارة « رعاياك يا مولاى » ورفعت هذه الصور على جدران المنازل والحوانيت وفى صالونات الحلاقة .

وللمرة التالية فى عام واحد قبض على من جديد وزج بى فى السجن ووجهت الى تهمة التحريض على قلب نظام الحكم ووجه الى رئيس التحرير الأستاذ عبد الخالق التكية تهمة العيب فى الذات الملكية لنشره هذه الصورة تحت عنوان « رعاياك يا مولاى » .

دخلت السجن وفى خلال هذه الفترة وقبل دخولى السجن هذه المرة كانت الحصانة قد رفعت عن الأستاذ ابراهيم شكرى وحقق معه ووجهت اليه تهمة العيب فى الذات الملكية وزج به فى السجن ، كما قبض على الأستاذ محمد حلمى الغندور ووجهت اليه التهمة كذلك وزج به فى السجن .. وهكذا أصبح أكثر من خمسة من كبار أعضاء الحزب ، ومحررى جريدته متهمين بهذه التهمة .. اما انا فكنت متهما بها ثلاث مرات أى ثلاث جنايات ثم جاءت هذه الجناية الأخيرة ، وأعنى بها تهمة قلب نظام الحكم وذلك بالاضافة الى نصف دستة من القضايا الأخرى من عيار (الجنح) ما بين سب واهانة لمجلس الوزراء ، والوزراء .. وتحريض على جنايات القتل والحرق والنهب .. ولذلك فقد دخلت السجن هذه المرة وقد بدات الهواجس تساورنى اذا كنت ساشهد الحرية من جديد ..

الغاء المعاهدة

منذ أبرمت معاهدة سنة ١٩٣٦ وحزب مصر الفتاة حرب على هذه المعاهدة ، وبينما كان مصطفى النحاس يصفها بأنها معاهدة الشرف والاستقلال ، اطلقنا عليها معاهدة الخزى والاحتلال ولقد عقدنا اجتماعا عاما ضخما فى عام ١٩٣٦ بجمعية الشبان المسلمين حملنا فيه على هذه المعاهدة حملة شعواء وسجلنا مساوئها وشرورها وكيف انها جعلت احتلال مصر مشروعا ومنذ ذلك التاريخ ونحن نشن على هذه المعاهدة غارة شعواء ، ولقد سافرت انجلترا ثلاث مرات ، وسافرت خلال ذلك الى أمريكا منددا بهذه المعاهدة ، داعيا الى قانون للبرلمان بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنتى ١٨٩٨ ،

وعندما ولى النحاس الحكم فى مستهل سنة ١٩٥٠ راح يبشر بفكرة الغاء المعاهدة بعد أن استنفدت اغراضها كما قال النقراشى

وغيره وأنه اذا لم يجل الانجليز عن مصر فانه سيلغى هذه المعاهدة . وقد استمر يلوح بهذا الالغاء طوال أيامه فى الحكم حتى سئم الناس الكلام فى هذا الموضوع ومجوه ، خاصة ان أعمال الوفد وحكومته وبرلمانه كانت تدل على عكس ذلك .

فمن ذلك ان نائبنا الاشتراكى ابراهيم شكرى تقدم بمشروع قانون للبرلمان بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنتى ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ ، ولكن رئيس المجلس اعتبر تقديم هذا المشروع اخلالا بأمن الدولة ، فوضع المشروع فى درج مكتبه ولم ير النور . وكان رجالات الانجليز ووزراؤهم يفدون الى مصر فيقابلون بالتكريم الذى لا أول له ولا آخر .

وكانت الحكومة تضطهد الأحرار والمجاهدين ، وعلى رأسهم الاشتراكيون المنادون بالغاء المعاهدة ، وكان ذلك يحمل على اساءة الظن بالحكومة .. وكانت المفاوضات السخيفة بين مصر وانجلترا قد استطالت وهى تدور فى حلقة مفرغة .. فلا عجب اذا تصورنا جميعا ان الحكومة غير جادة فى الغاء المعاهدة ، وكان ذلك أحد المآخذ التى اخذها الشعب على حكومة الوفد وأحد المطاعن القوية التى توجه الى حكم الوفد ..

وقد انتهزنا ـ نحن الاشتراكيين ـ حلول موعد ابرام هذه المعاهدة فى ٢٦ اغسطس ، فدعونا الى عقد اجتماع عام ورأينا أن نضفى على الاجتماع لونا قوميا ، فدعونا للاشتراك فيه الأستاذ فتحى رضوان ممثلا للحزب الوطنى ، والأستاذ يوسف حلمى ممثلا لأنصار السلام ، كما دعونا الأستاذ سيد قطب . وعندما حل موعد الاجتماع فوجئنا بالحشود التى لا أول لها ولا آخر والتى جاءت للاشتراك فى الاجتماع ... لقد قدرت الصحف المجتمعين بثلاثين الفا ، وكان لهذا الزحام غير المتوقع أثره فى نظام الحفلة .. فاثر

على جلالها فى بادىء الأمر ، ولكن ضخامة الاجتماع وهذه الحشود المتكاتفة كانت تغنى عن كل قول أو خطابة من حيث دلالتها على ثورة الشعب على معاهدة ١٩٣٦ ، بل ثورته على كل الأوضـــاع القائمة .

وبعد أن ألقيت خطابى الثائر هتف فى ذلك اليوم بسقوط الملك ولو هتفنـــا « الموت للملك » لرددت الجموع هذا الهتاف ولو خرجنا بهذه الجموع فى مظاهرة جامعة لمـا استطاعت كل قوات بوليس مصر أن تتصدى لها ، ولكن حرصى على أن يمر اليوم بسلام جعلنى أختم الاجتمـاع قبيل منتصف الليل وأن يطلب من هـذه الجموع أن تنصرف متفرقة فى سلام ..

وكان ذلك مظهرا من مظاهر ما وصلت اليه الحركة الاشتراكية من تأثير فى الرأى العام وكيف بدأت الجماهير تلتف حول لوائها فى قوة وتكتل .

ولم يفت الحكومة مغزى هذا الاجتماع ودلالته الخطيرة ومقدار التدهور الذى وصلت اليه سمعة الحكومة وثورة الشعب المكتومة التى توشك أن تنفجر فى أى لحظة .

وقد تلا هذا الاجتماع تضاعف قوة الحزب الاشتراكى وانتشار الجريدة بصورة لم يسبق لها مثيل ولذلك فقد زج بى فى السجن بمناسبة هذا العدد الذى أشرت اليه كما سبق والذى تضمن مقال الثورة ، الثورة ، الثورة ، والصورة المعنونة بـ « رعاياك يا مولاى » .

وفى ذات الوقت كان فاروق قد ضاق ذرعا بحكومة النحاس وبدأ يحاول استرداد بعض الأرض التى فقدها بأن يهاجم حكومة النحاس فطلب من الحكومة أن تصدر قانون من أين لك هذا ..

وبدأ الجو يكفهر بين السراى والحكومة مما جعل النحاس يدرك باحساسه أنه فى طريقه لأن يطرد من الوزارة مرة أخرى .. وهكذا اصبح بين شقى الرحى بين غضب الشعب الذى يتمثل فى نجاح الحزب الاشتراكى والاشتراكية والصحف المعارضة بصفة عامة وبين زهد القصر فى حكمه ورغبته فى التخلص منه ، وأدرك مصطفى النحاس انه لو أخرج من الحكم على هذه الصورة فانه يكون قد خسر الدنيا والدين معا .. قد خسر الشعب والملك فى ذات الوقت ..

فلم يجد الوفد أمامه مخرجا من هذا المأزق الا أن يسرع بالغاء المعاهدة ليسترد ثقة الجماهير به ، ويثبت الأرض تحت أقدامه ولن يجرؤ فاروق على اقالة النحاس بعد الغاء المعاهدة ، وفى ١ أكتوبر اعلن النحاس فى البرلمان الغاء المعاهدة وقدم للبرلمان مشروعات القوانين اللازمة لهذا الالغاء ولم يقف الالغاء عند حد معاهدة سنة ١٩٣٦ بل واتفاقيتى سنة ١٨٩٨ ، وسنة ١٨٩٩ الخاصة بالسودان .. وذهبت مشروعات النحاس الى أبعد من ذلك كله فقد أعلنت الأسس اللازمة لوضع دستور جديد للسودان يحقق له الحياة الديمقراطية الكاملة .

وصفق مجلس النواب لهذه المشروعات الرائعة .. وكان ابراهيم شكرى أول من خف من النواب المعارضين لتأييد الحكومة فى خطوتها الحاسمة فدعا لها بالتوفيق وأعلن تضامن الحزب الاشتراكى مع الحكومة فى كفاحها النبيل ضد الانجليز . وكان ابراهيم شكرى يعبر فى ذلك عن الحزب الاشتراكى أصدق تعبير فلم يكن فى مصر كلها من يرحب بالغاء المعاهدة كما يرحب الحزب الاشتراكى الذى كافح فى هذا السبيل من سنة ١٩٣٦ .. أى خمسة عشر عاما كاملة .

وقد كان هذا الالغاء انتصارا رائعا لهذا الكفاح ولقد أدركت الأمة هذه الحقيقة ، ولذلك فقد تحول سجن الأجانب حيث كنت مسجونا الى هدف من أهداف المظاهرات العامة .. فكانت الجموع تحتشد حول السجن وهي تهتف « افرجوا عن احمد حسين .. احمد حسين زعيم الثورة .. » وكانت هذه المظاهرات محدودة العدد في بادىء الأمر ولكنى لن أنسى ما حييت عندما أحاط المتظاهرون بسجن الأجانب في أحد الأيام وكأنهم البحر الزاخر .. وهم يهتفون مطالبين بالافراج عن أحمد حسين زعيم الثورة وخادم الشعب . واضطررت الى ان أكتب لرئيس محكمة الاستئناف أطلب منه تحديد جلسة للنظر في الافراج عني والا سوف أضرب عن الطعام حتى الموت فلقد عشت طول حياتى مجاهدا من أجل مصر وحريتها ، وانه لأمر فوق احتمالى أن أظل مقيدا بالسلاسل والأغلال فى الساعة التى دوى فيها ناقوس الجهاد . وأفرجت عنى محكمة الجنايات برئاسة الأستاذ محمد صادق وعدت الى الحرية في مرحلة الجهاد ضد الانجليز .. وكان الشعب فى حالة غليان .. وسرعان ما قذفت نفسى مع التيار وان هو الا أيسر الوقت حتى أمسكنا نحن الاشتراكيين بزمام هذه المركة الضخمة التاريخية في تاريخ البلاد .

لم تكد المعاهدة تلغى حتى أسرع الشعب الى تحويل هذا الالغاء من حبر على ورق الى حقيقة مادية ، فقامت المظاهرات فى مدن القنال : الاسماعيلية وبورسعيد واصطدمت بالانجليز فحرقت بعض منشآتهم ورد الانجليز عليهم بقتل بعض المواطنين والغلمان والنساء وهكذا أريقت الدماء وفتحت المعركة .. وأسرع الحزب الاشتراكي وكنت لا أزال فى السجن الى فتح باب التطوع لانشاء كتائب التحرير فاندفعت الجموع الى دار الحزب وكلها تتسابق للحصول على هذا الشرف .. وفى يومين أو ثلاثة كان مجموع من سجل اسمه فى هذه الكتائب لا يقل فى المركز العام عن خمسة آلاف ، وحدث مثل هذا الاندفاع فى جميع لجان الحزب وشعبه

فى الأقاليم فكان ذلك مظهر التطور الشعبى الذى وصل اليه الحزب الاشتراكى وأنه امتزج بالشعب الى أبعد الحدود ٠

وقد كان من الظواهر الواضحة التى تدل على انعكاس الحال بالنسبة لحزب الوفد أن داره التى تواجه دار الحزب - أو بالأحرى النادى السعدى كانت خالية خاوية لا يقصدهـا الا بعض أفراد يعدون على الأصابع بالرغم من أن ادارة النادى كانت قد وجهت الدعوة للتطوع أسوة بالحزب الاشتراكى ٠

وكان هذا التفاوت العجيب بين اندفاع الجموع على دار الحزب الاشتراكى وانصرافهم عن دار الوفد سببا جديدا لمضاعفة حقد سراج الدين والوفد ضد الحزب الاشتراكى ، وعنصرا جديدا من عناصر القلق فى نفس فاروق ٠

وفى أول نوفمبر ١٩٥١ أفرج عنى من السجن ولم أكد أصل الى دار الحزب حتى وجدت شعلة متقدة من الحماسة ، وفى المساء كانت الألوف تغمر دار الحزب وبدأت أخطب فى هـذه الجموع لأبصرها بدورنا الجديد وأن حرب الانجليز هى التى كنا ننتظرها منذ سبعين سنة ، وأنها تحتاج منا الى نظام واعداد وتضحية ، وأن الحزب الاشتراكى سيقود المعركة وهو يدعو المصريين جميعا للتكاتف حول لواء الحكومة التى ألغت المعاهدة ٠

ولقد حاول الشانئون والحاسدون أن يغمزوا موقفنا من حيث تأييد الحكومة وأن يروا فيه مظهرا من مظاهر التقلب فى الرأى والانتقال من النقيض الى النقيض فمن حرب شعواء على الحكومة الى تأييد مطلق لها فى حربها ضد الانجليز ، ولم يكن ذلك فى الواقع الا ثمرة التربية السياسية الفاسدة فى البلاد التى جعلت الكثيرين لا يدركون معنى المعارضة الصادقة والوطنية الخالصة

التى تنسى نفسها ساعة الخطر لقد كانت المعركة ضد الانجليز هى منتهى آمالنا وكان من العبث ان نحارب الانجليز وأن نحارب الحكومة فى ذات الوقت ومادامت الحكومة أعلنت الكفاح ضد الانجليز فقد أصبح واجب كل مواطن أن ينسى الخلافات الداخلية وأن يتحد صفا واحدا خلف الحكومة للانتصار فى المعركة .

ولكن هذا الموقف النبيل من ناحيتنا لم يلق التقدير الكافى من الساسة فاتخذوه سبيلا للطعن .. بل ان الحوادث اثبتت أن الحكومة نفسها أو بالأحرى فؤاد سراج الدين قد اتخذ من موقفنا الجديد فى تأييد الحكومة سبيلا للدس لنا والكيد .. حيث أبلغ السلطات أو بالأحرى أبلغ فاروق بأن هذا التأييد قد دفع ثمنه من المصروفات السرية ..

وعمل اذناب سراج الدين ، وحثالات الوفد على ترويج هذه الإشاعة من أن أحمد حسين قد قبض خمسة آلاف أو عشرة آلاف من الحكومة مقابل تأييده ..

ولم ألق بالى فى بادىء الأمر لهذه الاشاعة لكثرة ما اعتدت هذه الاشاعات فى تاريخ كفاحى الطويل .. ولكن الاشاعة راحت تضغط وتلح حتى اقتنعت أن يدا معينة تسعى لترويجها وان هذه اليد لم تكن سوى يد فؤاد سراج الدين بالذات .. وعندما دارت الأيام دورتها وظن البعض أن نهايتنا قد قربت بعد حرق مدينة القاهرة وقف عبد الفتاح حسن يشهد امام المحكمة العسكرية العليا ان أموالا من المصاريف السرية قد أعطيت لى لتغيير ذمتى ولكتابة مقالات مديح وثناء على الملك ..

وهكذا انكشف المستور وافتضحت اركان المؤامرة : ولكن فى ذلك الوقت الذى أتحدث عنه عقب خروجى من السجن أى فى نوفمبر

سنة ١٩٥١ لم تكن هذه الحقيقة قد اتضحت لى ٠٠ ولذلك فقد انطلقت بكل اخلاص فى تأييدى للحكومة ٠٠ فتوقفت عن كل معارضة لها فى الجريدة الاشتراكية وأكثرت من اتصالى بالوزراء وعلى رأسهم سراج الدين وعبد الفتاح حسن لكى أنصحهم بما يجب عمله وأرسم لهم الخطط ويشهد الله وابراهيم شكرى الذى كان يصاحبنى فى كل مقابلاتى لسراج الدين أننى أخلصت له النصيحة ولو قد أستمع لملاحظاتى وتوجيهاتى لانتصر فى هذه المعركة الكبرى ونصر البلاد معه ضد الانجليز ٠

ولكن فؤاد سراج الدين كان خبيث الطوية وقد تصور ان اتصالى به هو الدليل على اكتمال عبقريته ، وحرص كل الحرص على أن يجعل من مقابلاتى معه سبيلا للنيل منى والكيد لى ٠

معركة العمال

لو أن الامر ترك الى الحكومة بعد الغاء المعاهدة لما زادت عن هذه المراسيم التى أصدرتها خطوة واحدة ، فقد كانت تتصور أنها ابرات ذمتها بصدور هذه المراسيم ٠٠ ولكن الشعب كما ذكرت قد حول هذه المراسيم الى معركة حقيقية باسراعه بالاشتباك مع الانجليز وأخذت المعركة الشعبية روعتها عندما بدأ العمال المصريون فى معسكرات الانجليز يتخلون عن العمل ، وقد بدأ هذا التخلى فى بادىء الأمر بصورة محدودة ثم لم يلبث أن اتسع نطاقه وتضاعفت أعداد المنسحبين وتحولوا من العشرات الى المئـات فالآلوف ٠٠ وان هو الا بعض الوقت حتى أصبحت هذه المعسكرات قاعا صفصفا وتخلى عنها ما يزيد على سبعين ألف عامل كانوا يعملون من منطقة قنال السـويس ترسـانة للجيوش الانجليزية ويؤكدون بوجودهم ونشاطهم أن الانجليز لن يجدوا فى الدنيا كلها قاعدة حربية كهذه القاعدة ٠

وكان للحزب الاشتراكى فى مديرية الشرقية فضــل كبير فى تأجيج نيران هذه المعركة فقد أسرع متطوعوه الى الطرقات المؤدية الى معسكرات الانجليز وخاصة فى قلب التل الكبير وراحوا يسحبون من العمال المشتغلين بهذه المعسكرات بطاقاتهم الشخصية المعطاة لهم من الانجليز وبهذا تتعذر عليهم العودة الى هذه المعسكرات حتى لو أرادو هذه العودة ، كما حال المتطوعون كذلك دون وصول الأقوات والاغذية الى هذه المعســـكرات وذلك كله قبل أن تتحرك الحكومة وتتدخل لجعل هذه التصرفات شرعية بموجب القانون ..

وقد تدخلت الحكومة أخيرا ، ومن العبث ان ننكر عليها هذه الخطوة الموفقة فقد أعلنت استعدادها لتشغيل كل العمال الذين تخلوا عن المعسكرات الانجليزية وأن تعينهم بمرتباتهم التى كانوا يعملون بها لدى الانجليز ٠ وقد كان هذا القرار كافيا لكى يقضى على كل تردد فى نفس أضــعف عامل تحدثه نفســه بالبقاء مــع الانجليز ، وبذلت الحــكومة جهدا مشكورا لالحاق هذا الحشـــد الضخم من العمال الذى بلغ التسعين ألف بمصالح الحكومة المختلفة فى فترة وجيزة لا تزيد على شهر واحد ، كما اصدرت بعد ذلك قانونا يعاقب على التعاون مع الانجليز والتعامل معهم ، وكانت وطنية الشعب قد سبقت هذا القانون فتوقف العمال فى بورسعيد والسويس وعلى طول القنال عن تفريغ السفن المارة فى القنال أو معاونتها بأى ســـبيل ٠٠ وهدد المقاولين الذين يتعاونون مع الانجليز بالقتل ٠٠ ولم ينته شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ حتى كان الانجليز قد بدأوا يشعرون بأنهم محاصرون فى قلعة وبدأوا يعانون كل ما يعانيه الجيش المحصور من ضيق وقلق وفزع من المستقبل ٠

الحكومة تقلب ظهر المجن للحزب

وبتطور المعركة ضـــد الانجليز ورجحان كفة الحزب الاشتراكى بدأت الحكومة تقلب ظهر المجن للحزب فلم يكن يهـم سراج الدين

فى قليل أو كثير الانتصار على الانجليز وانما الذى كان يهمه هو انتصار الحكومة وتثبيت الأرض تحت أقدامها ٠٠ وفى سبيل هذه الغاية ألغيت المعاهدة ولكن توالى الحوادث قد بدأ يظهر الحكومة بمظهر العجز عن معالجة الموقف ويزيد فى قوة الحزب الاشتراكى وكانت مظاهر هذه القوة تتجلى يوما بعد آخر ٠٠

تجلت أول ما تجلت فى هذه الجموع التى انضوت تحت لواء الحزب لتدريبها وتسييرها نحو القتال وقد افتتح الحزب لذلك معسكرا فى أروع بقعة صالحة لهذا الغرض وهى أرض « مولد النبى » فى العباسية حيث تتدرب عساكر بولكات النظام بالذات ٠ وقد أشرف على انشاء هذا المعسكر ضابط من أكفأ ضباط الجيش المصرى علما وخلقا واخلاصا وهو البكباشى جلال ندا الذى أصيب فى حرب فلسطين اصابات قاتلة ولكنه شفى منها ثم أحيل الى المعاش وعاونه فى الاشراف على المعسكر ضابط آخر من أكفأ الضباط وهو اليوزباشى محمد أحمد رياض ذلك الذى يشرف على حراسة الرئيس محمد نجيب فى الوقت الحاضر ، وقد تعاون الرجلان على جعل معسكرنا نموذجيا . وكان المتطوعون على درجة عالية من الحماسة بحيث كانوا يتقنون تدريبات (التكتيك العنيف) التى تحتاج فى الكلية الحربية وفى الجيش الى بضعة أسابيع لاتقانها فكانت لا تستغرق من المتطوعين الا بضع ساعات ٠ وكان زوار الحزب من العسكريين أمثال عزيز المصرى وصالح حرب يبهرهم هذا الاستعداد ٠٠

وكانت تفاصيل هذا النجاح تصل الى الحكومة وتصل الى فاروق فلا يكون لها سوى أثر واحد وهو تضاعف الشعور بالقلق وضرورة التخلص من الحزب الاشتراكى ٠

مظـاهرة ١٤ نوفمـبر

ثم جاءت مظاهرة ١٤ نوفمبر وهى المظاهرة المليونية التى دعا لها الحزب الاشتراكى ووجه الدعوة الى باقى الأحزاب للاشتراك فيها وقد أسرعت الهيئات والأحزاب الى تلبية الدعوة ثم حرصت الحكومة بعد ذلك على تبنى هـذه المظـاهرة لتحجب الحزب الاشتراكى .. ولم يكن يعنينا فى ذلك الوقت الا أن تتم المظاهرة بالصورة التى رسمناها لها وقد تمت بالفعل هذه المظاهرة السلمية الكبرى التى لم تشهد البلاد لها مثيلا فى تاريخها ، حيث سار واحتشد ما يقرب من مليون من المصريين على راسهم الوزراء والأمراء ورجال الأحزاب والهيئات والمستشارون والرجال والأطفال والعمال والفلاحون والشيوعيون والاخوان المسلمون والأرمن والكاثوليك وكل من يعيش على ظهر هذه البلاد .. وسـار الجميع فى مظـاهرة تحدث عنها العالم كله فقد سارت فى صمت ونظام وهدوء فلم يرتفع فيها هتـاف واحد ولم يشذ عن ذلك وسـط هذه الألوف المؤلفة انسـان واحد وكانت التعليمات للجماهير تعطى من الميكروفونات فيلبيها الجميع على الفور .

وقد سرت فى مؤخرة هذه المظـاهرة وسط عمـال بورسعيد وقطعت المسافة من ميدان الاسماعيلية - ميدان التحرير حاليا - الى قبيل ميدان عابدين فيما يزيد على ست ساعات وأحسست أثناء سيرى لأول مرة بمقدار ائتلافى مع الشعب الذى كان لا يكاد يكتشف مكانى حتى ينظـر الى محييا فى صـمت أبلغ من القول .. حتى اذا اقتربت من ميدان عابدين لم يستطع الجمهور أن يضبط أعصابه فأحاط بى ورفعنى على الأعناق وانطلق هاتفا وكان ذلك يخالف التعليمات التى حرصنا على أن تتبع فى هذا اليوم فتخلصت من هذه الجموع بشق النفس وهربت الى المبنى المقابل لقسم عابدين وهو الدار المسماة بدار مدرسة عبد العزيز وهى الآن مقر ادارة

العلاج المدرسى .. فأحاطت الجموع بهذه الدار وظللت محاصرا بها حتى ساعة متأخرة حيث أمكننى أن أتسلل وأنجو بنفسى من ضغط الجماهير التى ارادت أن تحيينى .

وكان خبر ذلك يصل بطبيعة الحال الى سراج الدين والى فاروق .

اجتماعات فى البلاد

ودعيت الى البلاد فى الاسكندرية وفى الشرقية وفى طنطا وفى المنصورة .. ولأول مرة فى تاريخ هذه البلاد تعقد هذه الاجتماعات الحاشدة .. ففى الاسكندرية بلغ مقدار المحتشدين مائة الف وفى طنطا ستين الفا أو سبعين وفى الزقازيق أقل من ذلك وفى المنصورة مثل ذلك وكان سبيلنا لتقدير عدد الحضور بالغا منتهى الدقة فقد كانت الجموع تكتظ فى ميادين هذه المدن الكبرى وتملؤها عن بكرة أبيها فكنا نقيس طول الميدان وعرضه ثم نضرب ذلك كله فى عدد الأشخاص فى المتر المربع فتكون النتيجة هذا القدر الذى ذكرته من قبل وهو مائة الف فى الأسكندرية وستين أو سبعين الفا فى طنطا . وحسبك أن تتصور انه فى الاسكندرية كان ميدان محطة مصر الكبير قد التحمت فيه الأجساد من القطار حتى منصة الخطابة التى أقيمت فى سرادق فى نهاية هذا الميدان من الطرف المقابل للمحطة وقد اجتزت هذه المسافة فى نصف ساعة كاملة وكان الناس ينقلوننى فوق رؤوسهم لاستحالة شق طريق لى وسط هذه الكتل البشرية .

وقد كان كل ذلك يفاجئنى وقد هالنى فلم أكن أتصور أن يكون تفاعلى مع الشعب قد وصل الى هذا الحد .. ولكن كان من الواضح أن هجومى على الملك قد أكسبنى كل هذا الرضا

الشعبى وأن محاربتى للاقطاعيين والأغنياء المسرفين ودعوتنا لاعادة توزيع الثروات وانصاف العمال والفلاحين وحربنا العنيفة على الطغيان والفساد والانحلال قد قرب بيننا وبين جماهير الشعب ..

وكنت فى كل هذه الاجتماعات أروح أبسط للمجتمعين ضرورة محاربة الانجليز اذا أردنا أن نتحرر من الفقر والمرض .. اذا أردنا أن نعيد العدالة الى بلادنا .. وأن نرتفع بمستوى الشعب .. وكنت الحظ أن الجماهير لا تتفاعل كثيرا معى الا عندما أعرج من طرف خفى الى أن الخلاص من الانجليز هو سبيلنا للخلاص من الاقطاع والحكام المستبدين فالانجليز هم دعامة هؤلاء الحكام وهم سند الاقطاعيين والرأسماليين . . عند هذه الاشارات كانت الجماهير يجن جنونها من الحماسة فكان هذا هو الدليل على ان الشعب وصل الى ذروة الحساسية بالنسبة لمستغليه من أعداء الشعب .. وأن الملك وأشياعه وأذنابه قد أصبحوا يعيشون على شفا بركان .

وكانت أنباء هذه الاجتماعات الضخمة تصل بطبيعة الحال الى سراج الدين والى فاروق فكانت تزيد فى قلقهما .

وكانت الأنباء تصل مشوهة ومحرفة وانني ادعو فى هذه الاجتماعات الى الثورة وهو ادعاء كاذب بطبيعة الحال فقد كان كل جهدى موجها الى حشد الجمهور ضد الانجليز وفى سبيل تشجيع الناس على التضحية فى حرب الانجليز كنت أعدهم بمجتمع أرقى بعد اخراج الانجليز مجتمع يختفى فيه الارهاب والاعنات والاستغلال . وما لم يدرك الناس ذلك فلم يكن هناك قوة على ظهر الأرض تدفعهم لحرب الانجليز فقد كانوا يئنون من الأعباء التى يرزحون تحت كاهلها . كان الناس يكتوون بنار الغلاء ويعانون شظف العيش والظلم والاستبداد فاى حافز يدفعهم لحرب الانجليز الا أن يدركوا أن طرد الانجليز هو السبيل لانقاذهم مما يعانونه .

ولكن الأغنياء والاقطاعيين امتلأوا فزعا من هذه الاجتماعات وطلب القصر من سراج الدين ايقافها . وفى ذات يوم دعيت الى وزارة المالية لمقابلة سراج الدين فذهبت أنا وابراهيم شكرى وهناك دارت مناقشة حامية الوطيس بينى وبينه حول هذه الاجتماعات .. وأعلننى أنه أصدر امره بالغاء اجتماع المنصورة فتشبثت بضرورة عقد هذا الاجتماع لأنه قد أعلن عنه وتمت الاستعدادات له والغاؤه يعنى الحرب بيننا وبين الحكومة وهو ما لا أريده بحال من الأحوال .. وبعد مناقشة عاصفة بصرت فيها الوزير بالأخطاء التى يرتكبها فى أشرافه على المعركة .. وحذرته من المخاطر التى يعرض لها البلاد وهو يشعل نيران معركة ضد الانجليز ثم يخوضها فى نفس الوقت فى هوادة ولين ومثل هذا الأسلوب يؤدى الى كوارث فالحرب هى الحرب والكفاح هو الكفاح ..

أخذت على الوزير سكوته عن الأغنياء وموقفهم السلبى من المعركة فى الوقت الذى يضحى فيه العمال بأرزاقهم وقوت عيالهم من أجل هذه المعركة .. أخذت عليه سماحه بدور اللهو والكباريهات أن تمضى فى لهوها وعبثها كأن ليس هناك ضحايا تتساقط بالعشرات من دم الشباب .. أخذت عليه استمرار الحكومة فى الاتجار مع الانجليز وبيع القطن لهم فى الوقت الذى يعتبر خائنا من يقدم لهم بعض البيض أو الطماطم .. أخذت عليه سماحه للانجليز المترفين بالاقامة فى القاهرة بهذه الألوف وهم ممتعون بكل الرفاهية فى الوقت الذى يدكون فيه مدننا وقرانا فى منطقة القنال يقتلون ويطردون أبناءنا . أخذت عليه ذلك كله ودعوت الى تصحيح الموقف والا فستسوء العاقبة ..

ولكن الوزير أصم أذنيه بطبيعة الحال عن كل هذه الملحوظات، وأكد أنه مسيطر على الموقف لأنه يعرف ما لا نعرف وأن النجاح

مضمون وكل ما فى الأمر أننى أجعل مهمته صعبة بهذه الاجتماعات الشعبية التى اعقدها وانه يخشى أن تنقلب الى حرب أهلية .

فطلبت منه أن يتم عقد اجتماع المنصورة ثم نؤجل باقى الاجتماعات فى البلاد الأخرى فوافق على ذلك ، وعقد اجتماع المنصورة وكان شيئا لم يسبق له مثيل من غير شك فى تاريخها وانى مازلت أذكر حتى الآن والدموع تملأ عينى كيف بادرت السيدات الحاضرات للنزول عن حليهن من أجل حركة التحرير وعندما تقدمت لى سيدة فى (ملاءتها اللف) وقدمت كل أساور يدها التى لا تملك غيرها فاعتذرت لها عن قبول هذه الحلى وتقدم رجل فتبرع بثمنها على أن ترد لها ثانية اذا بهذه السيدة تثور وتحتج وتعتبر ذلك اعتداء على كرامتها فان من حقها ان تحظى بهذا الشرف شرف التضحية بكل ما تملك من أجل معركة التحرير ..

وعقب هذا الاجتماع أصدر وزير الداخلية أمره الصريح برفض كل اجتماعات وكان ذلك هو بدء أعلان الحرب .

الغاء الكتائب

كان الحزب الاشتراكى ـ كما قدمت ـ أول من وجه الدعوة لانشاء الكتائب ، وكان معسكره فى العباسية هو أول معسكرات التدريب فى مصر كلها .

وحمل أبناؤه فى الشرقية السلاح ووقفوا على مفارق الطرق يقطعون الطريق على الخونة المتعاملين مع الانجليز وبدأت عمليات الفدائيين فى منطقة القنال على وهج الحرارة التى بعثها الحزب الاشتراكى قبل الغاء المعاهدة وبعدها .

وبدأت الهيئات الأخرى تحاول مناقشة الحزب الاشتراكي في موضوع الكتائب وعلى رأسها الوفد ، ولكنها خابت ·· وظل الحزب الاشتراكي هو الذى يحمل لواء الحركة ·· وتقاعس الاخــوان المسلمون فى بادىء الأمر خوفا من أن تكرر معهم مأساة فلسطين عندما اعتقلوا ونكل بهم فى أعقابها ولكن ضغط الرأى العــام وخوفهم من انفراد الحزب الاشتراكي بهذه المقاومة جعلهم يرجعون عن ترددهم واتخذوا من الجامعة ميدانا لنشاطهم ، فقام بطلهم حسن دوح باعداد معسكر فى جامعة فؤاد . ونسج الاخوان على منواله فى جامعة ابراهيم وفى الأزهر ·· وبدأت حركة التطوع والتدريب تزدهر فى كل مكان ولم يكن هناك ما يصبو له الحزب الاشتراكي أكثر من ذلك فقد كان دأبنا دائما ان تتحرك الأمة فى الاتجاه السليم دون أن يعنينا أحد بنسب الفضــل الينا او ان يحتكره ·

وقد انهالت علينا التبرعات من كل جانب ومن كل صنف ، تبرعات نقدية وأخرى عينية كالملابس والمهمات التى تبرع بهــا صاحب محــلات افرينو وعند هذا الحد امتلأ فاروق بالفزع ما هذه الكتائب ، ووافقه سراج الدين فبدأت تصريحات الحكومة تنهــال بتجريح هذه الكتائب وأنها تضم بين صــــفوفها مجرمين وارباب الســــوابق وتستشهد على ذلك بحادث فردى وقع هنا أو هناك مما يحدث بين أعظم الجيوش النظامية ، وكان ذلك هو نذير الشر لهذه الكتائب ·· وفكرت الحكومة فى الغاء هذه الكتائب ، ولكنها تخشى ثورة الرأى العام .. فرأت حلا للاشكال أن تزعم أنها ستتولى هذا التدريب بنفســها ليكون أكثــر دقة ونظــاما و لاتتبع هذه التشــكيلات أحزابا وهيئات ·· ودعينا لهذا الغرض الى وزارة الداخلية ، حيث عقدت لجنة من ستة وزراء يرأسهم فؤاد سراج الدين

ومن بينهم عبد الفتاح حسن والطويل والوكيل وغنام وعبد المجيد عبد الحق .

ودعيت وصالح حرب وعزيز المصرى والهضيبى ممثل الاخوان المسلمين ومحمد بـــلال ممثل الكتائب الوفدية وعرض علينـــا الموضوع .. فأسرعت لاعلان ترحيبى بأن تتولى الحكومة الاشراف على الكتائب اذا كانت فى نيتها بالفعل محاربة الانجليز بهـا ، أما اذا كان هدفها من هذا الاجراء هو اخماد حركة الكتائب فقد أعلنت فى صراحة وقوة أننى سأعارض الحكومة فى جريدتى بكل شدة وسوف أندد بتصرفها وان كنت لن أقاوم تسليم الكتائب للحكومة بالقوة بطبيعة الحال .

ودارت مناقشة حادة بينى وبين بعض الوزراء الذين ساءهم أن أعلن أننى سأقف للحكومة بالمرصاد اذا هى لم تستخدم الكتائب فى حرب الانجليز ، وكان على رأس هؤلاء عبد المجيد عبد الحق وعلى الرغم من أنه لم يتخذ قرار فى هذه الجلسة ، وقيل انها ممتدة الى جلسة أخرى فقد صدر فى اليوم التالى قرار بالغاء الكتائب المنضوية تحت لواء الأحزاب والهيئات ويحظـر جمع أى تبرعات لمعركة التحرير بدعوى أن الحكومة هى التى ستتولى هذه العمليات بنفسها ، وقد عين عبد المجيد عبد الحق ـ وزير الدولة ـ ليكون مشرفا على التدريب العسكرى .

وشكلت لجنة للاشراف على الكتائب على رأسها صالح حرب واللواء المرادى مندوبا عن الاخوان المسلمين ، وبعض الوية أخرى تمثل بعض الاتجاهات الأخرى وأغفل الحزب الاشتراكى من أن يكون له مندوب فى هذه اللجنة فدل ذلك على أن هذه الحركة كلها انما قصد بها ابعاد الحزب الاشتراكى عن الميدان ، وكيفما كان الأمر فقد أسرعنا الى تنفيذ أمر الحكومة ، بل ان سراج الدين لم

ينتظر الموعد المحدد لالغاء الكتائب فبعث بالبوليس السرى الى معسكرنا بالعباسية للبحث والتفتيش عن أسلحة ، والقبض على القائمين بالأمر ، وقد عثر المفتشون على بضع قنابل يدوية كانت تستعمل للتدريب فأخذوها ولم يجدوا أى أسلحة أخرى • وكان ذلك بمثابة اشارة لبدء الهجوم ، فلم انتظر الى ما هو أبعد من ذلك وأصدرت تعليماتى بتصفية المعسكر ، ونقل ما به من خيام وادارات ومهمات الى دار الحزب وتحويل المتطوعين الى معسكرات الحكومة المنتظرة •

وقد حدثت قبل ذلك فى أنحاء البلاد كلها تصفية معسكرات التدريب التابعة للحزب •

ختمت هذه الصفحة المشرفة من كتاب الكفاح ضد الانجليز •

وهكذا الغيت الاجتماعات ثم الغيت الكتائب ولم يعد باقيا لدى الحزب سوى جرائده التى اصبحت تصدر ثلاث مرات فى الأسبوع فى ذلك الوقت •• وقد جاء دور هذه الصحف بعد الكتائب والاجتماعات •

مصادرة جريدة

أخذت الجريدة الاشتراكية كل خطورتها قبل الغاء المعاهدة عندما كانت تهاجم الملك والاقطاعيين والحكومة فلما الغت الحكومة المعاهدة ، وفرض الموقف علينا ان نهادن الملك والحكومة وأن نتجه لحرب الانجليز كان لذلك أثره بطبيعة الحال على الجريدة الاشتراكية من حيث اتساع دائرة التوزيع ، وبدأت الصحف اليومية تكون أكثر انتشارا من جريدتنا ، فبينما كان يتزايد توزيع الصحف اليومية لما تحمله من أخبار وأنباء معارك الفدائيين فى القنال ، كان

توزيع الاشتراكية الواسع النطاق ينكمش بعض الشيء وكان ذلك أكبر تضحية يمكن أن يقدمها مواطن من أجل حرية بلاده .

ان صحف الرأى (كالاشتراكية) يتوقف انتشارها وتأثيرها على ما تقوم به من المعارضة لخطط الحكومة ، فاذا كفت عن هذه المعارضة فانها لا تلبث أن تفقد الكثير من خطورتها ، وقد أحسسنا بذلك بقوة ، ولكنني لم أشأ فى سبيل المكسب الصحفى أن لا أضرب المثال فى الميدان الوطنى بمهادنة الحكومة ، وبدأت أفكر فى اصدار الجريدة يومية لنستطيع أن نتابع المعركة من الناحية الخبرية ، وابتدأت باصدارها ثلاث مرات فى الأسبوع بدلا من مرتين واعتمدنا على دار أخبار اليوم فى اعداد الجريدة ، وعلى مطبعة الأهرام فى طبعها ، وهنا لا أستطيع مرة أخرى الا أن أسجل لأخبار اليوم معونتها الثمينة لنا فى هذه الفترة ، وكيف وضعت كل استعدادتها الضخمة وتسهيلاتها الفنية تحت تصرفنا ، بل انها سخرت جهازها الفنى الكبير بالمجان لخدمة مشروعنا ، كما أن جريدة الأهرام لأول مرة خالفت مبدأها فى عدم طبع أي مجلة فى مطابعها وبدأت تطبع لنا الجريدة طبعا جميلا انيقا ، وكان المستحيل لولا مطبعة الأهرام أن نتمكن من طبع هذا القدر الضخم من الجريدة بسرعة والذى وصل فى بادىء الأمر الى تسعين ألف نسخة فى المرة الواحدة وان كان هذا القدر قد انكمش فيما بعد .

ولم يكن العنصر الذى أثر على انتشار الجريدة هو توقفها عن المعارضة فحسب والهجوم على الملك الذى كان هو راس مالها ، بل كان يرجع من ناحية أخرى الى حرصنا الشديد على ألا نضلل الامة والشعب فى حقيقة جهاد الفدائيين الذى كانت تنسج منه الصحف اليومية روايات وهمية كان الناس يطربون لها كل الطرب ، ولكننا كنا نقدر ما بها من خطر لأنها توهم الناس ، والحكومة

معا بأن المعركة بيننا وبين الانجليز سهلة هينة .. وأنه ما على الشعب الا أن يتابع الصحف ويصفق للفدائيين كى يخرج الانجليز من مصر . وكذلك فقد امتنعنا عن نشر هذه السخافات كالقول بأن بعض الفدائيين أشعل النيران فى عشرات القطط أطلقها على مطارات الانجليز فأحرقت مئات الطائرات التى كانت جاثمة على الأرض ، وأن بعض الفدائيين قد نسف معسكرا على كل من كان يضمه من الانجليز الذين بلغ عددهم بضع مئات .. وهكذا .

وكانت حجة الصحف التى تنشر هذه الأخبار أنها ترفع معنوية الشعب وتحرض الفدائيين على عمل ذلك .. ولكننا كنا نرى فيها تهوينا من شأن المعركة ، دفعا للحكومة والشعب الى الكسل ولذلك فلم نقف عند عدم نشر هذه الأقاصيص بل رحنا نلفت الأنظار الى خطورة التمادى فيها ووجوب الاقلال منها وتحرى الحقائق .. رحنا نذكر الوقائع الحقيقية كما تصل الينا وقد كانت هذه الحقائق تنطوى على حقيقتين واضحتين الأولى هى شدة معنوية الفدائيين واستعدادهم لتحقيق المعجزات ، والحقيقة الثانية هى قلة مواردهم وانعدام امكاناتهم تقريبا وهذا هو ما لم تعمل الحكومة على علاجه ، ولذلك فقد بدأنا بالتدريج ننتقد الحكومة لتقاعسها عن مد هؤلاء الفدائيين بالمساعدات الحقيقية .. ولما اقدمت الحكومة على حظر اجتماعاتنا ثم على الغاء الكتائب فقد زاد ذلك بطبيعة الحال فى حرارة النقد ولكننا ظللنا حريصين على موقفنا القومى الكريم وهو أن نجعل محور المعركة بيننا وبين الحكومة فيما يتصل بانجاح المعركة ضد الانجليز فلم نعرض لها بنقد الا بالنسبة لهذه المعركة .

وعندما بدأ سراج الدين يعتمد على بلوكات النظام فى عراكه ضد الانجليز أدركنا منذ وقت مبكر ما فى هذا الاجراء من شذوذ وهو أن تحارب مصر الانجليز بواسطة عساكر البوليس فى الوقت الذى يقف فيه الجيش موقف المتفرج برغم انه لو اصطدم مع

الانجليز فان ذلك يعني اعلان الحرب على الانجليز .. وبرغم ان جيشنا لا قبل له بمواجهة الانجليز ، واذا كان الجيش لا قدرة له على هذه المواجهة فمن باب أولى يكون عساكر بلوكات النظام ، واذا كان الأمر قد وصل الى حشد الف عسكرى من رجال البوليس مسلحين ثم يعطى لهم الأمر باطلاق النار على الانجليز فان هذه هى الحرب من غير شك ولا فرق بين أن يكون الألف عسكرى يقسمون باسم البوليس أو الجيش .

وأخيرا فلم يكن هناك من يطلب تدخل الجيش المصرى فى صورة نظامية ضد الانجليز وانما كان المطلوب أن يمد الجيش الفدائيين ببعض ما عنده من أسلحة وذخيرة قرر الاستغناء عنها وأن يسمح لبعض الضباط بالاشراف على هؤلاء الفدائيين وهم بملابسهم المدنية.. ولكن ذلك كله كان ممنوعا على رجال الجيش.. وكان على الفدائيين من ناحية وعلى رجال بلوكات النظام أن ينفذوا أوامر وزير الداخلية فيقابلوا الدبابات الضخمة والطائرات والمدافع الثقيلة ببنادقهم العتيقة وبرصاصاتهم التى تعد على الاصابع .

ولقد حملت على وزير الداخلية وعلى مجلس الوزراء اصداره الأوامر لمحافظ السويس بمقاومة الجيوش الانجليزية عندما قررت الزحف على كفر عبده لهدمه فكتبت مقالا فى ٩ من ديسمبر بعنوان « وأمرنا المحافظ أن يقاوم كل اعتداء » ، وقد ملأته بالتهكم على قرار مجلس الوزراء الذى يشبه أن يكون عبثا ولهوا ولهذا بينت أن خيرا من ذلك الاجراء أن تقطع العلاقات السياسية مع الانجليز أو أن تقرر الحكومة مقاطعة البضائع الانجليزية .. أو أن تطرد الانجليز المدنيين من مصر .. ومع ارتفاع حرارة النقد وشدة هذه التوجهات بدأ سراج الدين وبدأ فاروق يضيقان ذرعا بالاشتراكيين من جديد ، فقد كان كل همهما أن يذرا الرماد فى العيون ، وكانت الاشتراكية قد بدأت تلقى الضوء على هذه التصرفات وتظهر

ما فيها من تناقض وتهافت .. فقرر سراج الدين - بتحريض من فاروق - أن يلغى الاشتراكية من جديد بطريقة عملية .

ولقد جرب سراج الدين من قبل الغاء الجريدة بواسطة مجلس الوزراء فأعادها مجلس الدولة الى الحياة .. وجرب محاولة اصدار تشريعات جديدة لالغائها فقابلها الرأى العام بموجة استنكار .. فرأى سراج الدين أن يجرب أسلوبا جديدا منتهزا فرصة انشغال البلاد بالمعركة الكبرى ضد الانجليز .. فأصدر أوامره بمصادرة الاشتراكية عددا اثر عدد .. وكان العدد الواحد من الجريدة فى ذلك الوقت يكلفنا ما بين ورق وطبع ومصروفات أخرى ما يناهز الخمسمائة جنيه .. فقرر سراج الدين أن يعدمنا من الناحيــة المــالية .

وقد كان .. وصودر عدد من الاشتراكية ومعنى هذا خسارة خمسمائة جنيه ثم صودر العدد الثانى فالثالث على التعاقب فوجدنا أنفسنا فى حالة عجز تام عن مواصلة الاصدار فرأيت أن نتوقف عن الصدور لفترة من الزمن أسبوعا أو أسبوعين احتجاجا على هذا الظلم الصارخ . وهكذا لم توشك سنة ١٩٥١ على نهايتها حتى كانت اجتماعاتنا معطلة وجريدتنا معطلة ونشاطنا السياسى معطلا وكتابتنا محظورة ولم يكن هنــاك سوى هذه المعركة الدائرة على ضفتى القنال وفى مديرية الشرقية ، فرأيت أن نتجه صوب هذه المعركة بكياننا تاركين ما عدا ذلك .

كان أول اتصال لى بخط القتال فى الشرقية عندما انتهزت فرصة الاجتماع العام الذى عقد بها فى شهر نوفمبر ، فقصدت أنا وابراهيم شكرى وبعض أعضاء الحزب فى الشرقية ساعة متأخرة من الليل الى بلدة القورين التى تتاخم المعسكر الانجليزى الكبير فوجدت عددا كبيرا من أهل البلدة يرابط على حدودها وهو مدجج

بالسلاح فجلسنا والقمر يضيء ما حولنا والأنوار الانجليزية الكشافة تغمرنا ، جلسنا نتحدث عن المعركة وتطوراتها وما الذى نستطيع أن نعمله. وكان أهل القرية فى هذه الليلة كثيرى الاعتداد بأنفسهم، وكيف أنه باستطاعتهم أن يحدثوا فى هذا المعسكر الانجليزى من الفساد والاتلاف ما لا يخطر على البال . فسألتهم وما الذى يؤخركم عن عمل ذلك فأجابوا : يؤخرنا الخوف من بطش الانجليز بنا بعد ذلك عندما يزحفون بدباباتهم على المدينة ويدكونها بمدافعهم الثقيلة .. فقلت لهم اذن ما الذى تطلبونه أو تقترحونه .. قالوا نحن نريد أن تجهزنا الحكومة ببعض ما ينقصنا من السلاح كالقنابل اليدوية وبعض الألغام والمتفجرات ، ونريد مدفعا مضادا للدبابات ، ونريد قبل ذلك ضابطا من الجيش يقودنا وهذه هى كل مطالبنا لكى ننسف هذا المعسكر — الذى يعتبر أكبر معسكر فى الشرق — نسفا .

وقد وجدت هذه الطلبات متواضعة جدا فأسرعت بنقلها الى الوزراء بل واقترحت عليهم أن يعمم هذا النظام فى كل البلاد المتاخمة للمعسكرات الانجليزية بحيث يزود أهلها بالسلاح ويوضع على رأسهم بعض الضباط فيتألف من ذلك جيش شعبى بأيسر الطرق ، ولكن هيهات أن يستمعوا لنصح أو ارشاد .. واحتدمت بعد ذلك معركة القتال فى الاسماعيلية ، حيث كان الانجليز يهاجمون دار المحافظة فترد عليهم بلوكات النظام فى بطولة وشجاعة هزت ضمير الشعب وضمير العالم بأكمله لما انطوت عليه من شجاعة وجرأة وتضحية ، ففى احدى المعارك التى اصطدم بها بلوكات النظام بأسلحتهم الخفيفة التى لا تزيد على البندقية بقوات الانجليز المدججة بكل صنوف الأسلحة الثقيلة .. قتل العساكر ما يزيد على خمسين انجليزيا من بينهم عدد كبير من الضباط ، وكان الانجليز يردون على ذلك بقذف دار المحافظة بالمدافع وامطار بعض أجزاء من المدينة بوابل من الرصاص مما جعل مدينة الاسماعيلية

تبدو وكانها جحيم بالنسبة للمصريين الذين فرضت عليهم الظروف أن يقيموا بها . فاعتزمت أن أسافر خلسة الى الاسماعيلية لأكتشف احوال الفدائيين بنفسى ولأقضى بها ردحا من الزمن وسط هذه المخاطر التى يعانيها أهلها . ولم يكن هناك طريق للذهاب الى الاسماعيلية دون الوقوع فى أيدى الانجليز الا أن أستقل الطائرة الى بور سعيد ومن بور سعيد استعمل السيارة حتى الاسماعيلية فقد قيل لنا ان الطريق فى هذا الجزء مفتوح وليست به نقاط للتفتيش ، وكان من المستحيل أن تنجح هذه الخطة الا اذا أحيطت بالكتمان التام . ولذلك فلم أخطر بها أحدا واخترت زميلين ليصحبانى وهما محمود الدسوقى وجمال طولان ولم يعلما شيئا عن رحلتى الا بعد أن وجدا نفسيهما فى الطائرة . وبدأت أشرح لهما أننا ذاهبون الى بور سعيد ووصلنا بور سعيد فى ساعة مبكرة وبالرغم من كل المحاولات التى بذلتها لاخفاء شخصيتى فقد عرف أمرنا بعد وصولنا ببضع دقائق ، وعندما حاولنا أن نحصل على سيارة للذهاب الى الاسماعيلية قيل لنا ان الانجليز قد انتشروا على الطريق بصورة مفاجئة وأن تفتيشا دقيقا يجرى الآن بالنسبة لكل سائر فى الطريق بين بورسعيد والاسماعيلية .

ورفض سائقو التاكسى أن ينقلونا ، ففكرت فى الاتصال بمحافظ بور سعيد لأركب فى احدى سيارات البوليس فلم اكد أتصل به حتى فوجئت بأنه يعرف كل شىء عن وصولى وان خبر وصولى قد بلغ مسامع الانجليز وأنهم بدأوا يفتشون المسافرين بطريقة لم يسبق لها مثيل بغية القبض على وأنه من المستحيل أن افكر فى هذه الرحلة .

وهكذا فشلت الخطة وعرف أمر وجودى فى بور سعيد ولم يبق أمامى الا العودة الى القاهرة .. وهكذا لم تتح فرصة الاتصال بالفدائيين والعسكريين فى منطقة الاسماعيلية او السويس .

ولكنى ظللت أشعر بالتقصير المعيب كلما رأيت نفسى نائما على فراشى وفى داخل بيتى بين أولادى وزوجى وأخبار المجاهدين والفدائيين تترى لما يقاسونه من أهوال وما يقومون به من ضروب الشجاعة البسالة ٠

فلما أن حالت الحكومة بيننا وبين القيام بأى نشاط ووجدت نفسى لا عمل لى فى القاهرة وتوقفت الاشتراكية عن الصـــدور استقر عزمى على أن أنقل مقر اقامتى الى مديرية الشرقية باعتبارها المديرية الأولى المهددة بزحف الانجليز عليها واحتلالها بمجرد تطور الكفاح ٠٠٠ ورأيت أن الواجب يحتم علينا جميعا أن نشاطر أهل الشرقية مصيرهم ومستقبلهم وأن نحولهم بقـدر الامكان الى قوة مكافحة ، والاستعداد لكل الاحتمالات ٠

فأصدر الحزب الاشتراكى قرارا أعلن فيه هذه الرغبـة ٠ ومن ناحيتى أذعت بيانا وجهته الى أهل القنال والشرقية نشرته الجريدة الاشتراكية التى عاودت الظهور بعد سفرى فى ٢٥ من ديسمبر سنة ١٩٥١ وقد ختمت هذا البيان بالعبارة التاليـة : « لكل هذه الأسباب رأيت أن أجعل من الشرقية مقرا ثابتا أقضى فيه معظم أيامى لأكون أقرب ما أكون من أبناء القنال المجاهدين ، ولأبتعد ما استطعت عن مغانى القـاهرة وملاهيها هذه الأيـام ، لأبتعد عن أضوائها وعن نواديها وسهراتها ، لأبتعد عن ثرثرتها وهذيانهـــا حزلقتها وعن رجـال سياسـتها ، لأبتعد عن اللاهين والعابثين الغارقين فى الراحة والدعة ولأحيا بين الشعب : شعب الفـلاحين والعمـال ، الذين هم فى القـاهرة ، وهم فى الشرقيـة وفى كل شبر من أرض مصر ، هم الصابرون المكافحون المجاهدون من أجل الحرية والكرامة ٠

يا أهل الشرقية وأبناء القنال : ان الساعة ليست سـاعة الحزبية أو ساعة الخلافات الداخلية ولو كان الأمر كذلك لما تركت

القاهرة بنشاطها وجئت الى مديريتكم ، فما أنا بين ظهرانيكم الا مواطن يريد أن يعيش بين المواطنين الذين اعتزموا أن يعيشوا كراما وأن يتمتعوا بحرياتهم · ما أنا الا مصرى بين مصريين لا فرق بين فقير وغنى أو بين عمدة وغفير أو بين موظف وعامل · ما أنا الا واحد منكم ، لا أريد منكم شيئا ولا أطلب منكم شيئا ولا أدعوكم لشىء الا هذا الذى أجمعتم عليه جميعا وهو أننا لن نسمح للانجليز بان يمروا الا على جثثنا ، ولن نسمح لهم بأن يطيلوا مدة تدنيسهم لبلادنا واضطهادهم لاخواننا ·

يا أهل الشرقية أبناء القنال : عدونى واحدا منكم ، عدونى خادما لكم ، هيئوا لى مكانا بين العاملين منكم ·

تعيين حافظ عفيفى

وعبد الفتاح عمرو

هذا هو ختام النداء الذى نشرته جريدة مصر الفتاة الاشتراكية بعد أن سافرت الى الشرقية وأقمت بمدينة الزقازيق وانقضى أكثر من أسبوع على اقامتى بها ·· ولعله من المفارقات العجيبة انه فى الوقت الذى نشرت فيه الجريدة هذا البيان الذى يدل على رغبتى فى التطور مع معركة الكفاح ضد الانجليز فى الشرقية ·· نشرت الجريدة خبرا خطيرا فى الاتجاه المضاد لهذا التصرف الا وهو نبأ تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى وما أدراك ما حافظ عفيفى ! انه الرجل الذى طلع على البلاد فى صيف هذا العام بحديث اهتز له الشعب استنكارا واحتجاجا عليهم، فقد راح يشيد بمعاهدة ١٩٣٦ ويدعو للتحالف والتعاون مع الانجليز والأمريكان ويندد بنظام الانتخاب المباشر ويصم الشعب بالجهل · لقد كان حديثا يفيض بالغل والحقد ضد الشعب وضد كل الأفكار والآراء التقدمية فحملت عليه جريدة الاشتراكية حملة شعواء تابعتها عليه باقى

الصحف وكان مقالنا بعنوان « نهاية حافظ عفيفى » ولقد أسرع حافظ عفيفى بالهرب من البلاد وظل غائبا عن النظر بضعة أشهر حتى هدأت الحملة فعـاد الى مصر من جديد وحاول أن يفسر حديثه السابق بما يخفف من حدته مع الاصرار على الخطوط الرئيسية فيه . فكان تعيين حافظ عفيفى فى هذه الفترة العصيبة من حياة البلاد مفضوح الدلالة وهى أن فاروق قد قرر أن يخون جهاد الشعب وأن يطعن الأمة من الخلف فجاء بهذا الضبع العجوز ليتحدى به ارادة الشعب فى مواصلة المعركة ضد الانجليز .

لم يقف الأمر ـ بالملك فاروق ـ عند حد تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان بل لقد شفعه فاروق بتصرف آخر لا يقل شناعة عنه الا وهو انتـداب عبد الفتاح عمرو سـفير مصر فى انجلترا مستشارا للقصر فى السياسة الخارجية . وقد كانت الحكومة المصرية سحبت عبد الفتاح عمرو من لنـدن كاحتجاج على الانجليز لاعتدائهم على كفر عبده فاذا بفاروق يرد على هذا السحب بتعيينه مستشارا خاصا له . وكان هذا شذوذا ما بعده شذوذ من الناحية الدستورية ، فعبد الفتاح عمرو كان لا يزال سفيرا أى مرؤسـا لوزير الخارجية المصرية ومع ذلك فقد عينه فاروق مستشارا له فى الشئون الخارجيـة فأصـبح بهذه الصفة يتكلم باسم فاروق مباشرة وأصبح رئيسـا لوزير الخارجيـة يضرب بآرائه وأوامره عرض الحائط . وقد ابتلعت حكومة الوفد هاتين الضربتين وأعنى بهما تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى بدون علمها فضلا عن موافقتها ، وتعيين عبد الفتاح عمرو مستشارا للملك ، ولكن ذلك لم يكن جديدا على حكومة الوفد ومصطفى النحاس وسراج الدين فقد كانت سياستهم استقرت على قبول كل اللطمات التى يوجهها لهم القصر دون احتجاج أو اعتراض بل برضاء وفرح وسرور الا أما نحن فقـد نظرنا الى هذه الخطوة من ناحية الملك بمنظارها الصحيح وهو أنها بدء الخيانة السافرة لكفاح الشعب ولذلك فقد

بادرت بالرغم من انتقالى الى الشرقية وكتبت مقالين اهتزت لهما البلاد ، أعاد للاشتراكية كل دويها وانتشارها المنقطع النظير .. وذكرت البلاد من جديد باننا دون غيرنا من يقف لفاروق بالمرصاد كما ذكرتاه هاتان المقالتان ـ فاروق نفسه ـ بأنه لن يذوق طعم الراحة ما بقيت الاشتراكية وما بقى أحمد حسين .

اما هذان المقالان فقد كانا بعنوان « الجـلاء لا الاسـتقلال يا رئيس الديوان » وذلك ردا على تصريح له قال فيه : انه يريد لمصر الاستقلال . اما المقال الثانى فبعنوان « الويل لمن يقف فى وجه الطوفان » . وقد ختم المقال الأول بالعبارة التالية : « ان رئيس الديوان يذيع بيانا رسميا يسقط فيه لأول مرة كلمـة الجلاء ويستبدل بهـا كلمة الاستقلال ولذلك فمن حقنا أن تقول ان أول القصيدة كفر ونحن نعلم انها كفر فى اولها وكفر فى وسـطها وكفر فى آخرها . انه كفر لأنها تتحـدى الشـعب الذى يمقت حافظ عفيفى الذى يمثل فى مصر اقبح ما يبغضه المصـريون .. فتعيين هذا الرجل انما هو لعب بالنار ولعبة خطيرة . وها نحن نحذر للمرة الاخيرة بأن هذا الشعب لن يسمح لأية قوة على ظهر الأرض بأن تتحكم فيه وأن تصـادر مشيئته .. وكل من يتصـور انه قادر على الوقوف فى وجه الشـعب فسوف يكتسحه تيار الشعب الغاضب ولا يلومن الا نفسه فعلى نفسها جنت براقش » .

اما المقال الثانى « الويل لمن يقف فى وجه الطوفان » فقد كان أكثر صراحـة من هـذا المقال .. وكان التحدى سافرا ومفتوحا .. وعلى اثر مصـر الفتاة جاءت باقى الصحف والمجلات تنتقد تعيين حافظ عفيفى ، ولكن باسـلوب اقل حدة بطبيعة الحال ، ولكن الشـعب ، وبارك الله فى الشـعب المصرى .. الشعب هو الذى انفجرت براكين غضبه فى كل مكان فانطلقت مظاهرات الطـلاب تعبر عن غضـب الشـعب ، وراحت تهتف لاول مرة فى مظاهرات

عارمة بسقوط حافظ عفيفى ، وبسقوط حامى حافظ عفيفى أو بالأحرى سقوط فاروق ، وكانت الهتافات تكنى عن ذلك بقولها « يسقط عفيفى وحافظ عفيفى » أو يسقط « حافظ حافظ عفيفى » ويقصدون بكلمة حافظ الملك فاروق باعتباره يحمى حافظ عفيفى .

وكاد فاروق يجن بطبيعة الحال للاجتراء عليه الى هذه الدرجة ، وقد وجد فى هذه المرة (ضبعا) مفترسا يشد أزره وهو حافظ عفيفى الذى انفجر فى وجه رجال الداخلية متسائلا .. كيف لم يصرع مائة أو مائتان من الطلاب وهم يلفظون هذه الهتافات ؟! واعتبر الحزب الاشتراكى هو مدبر المظاهرات واعتبر احمد حسين هو المسئول عن هذه الثورة ، ولم يكن فى حاجة الى دليل او برهان فمقالات الاشتراكية تغنى عن كل دليل وبرهان ، حيث هاجمت الملك وحافظ عفيفى عيانا بيانا ، وفى وضح النهار ولذلك فان حافظ عفيفى لم يحاول أن يخفى سخطه او اتهامه لأحمد حسين فكان ينتهز فرصة مقابلاته مع هؤلاء الذين ذهبوا لتهنئته او سماع اقواله التى يبشر بها ، لكى يصب جام غضبه على أحمد حسين ويتساءل فى دهشة كيف انه لايزال حرا طليقا ؟! وزعم فى كثير من المرات ان احمد حسين يريد أن يقتله ثم ذكر فى خطاب رسمى أن ابراهيم شكرى يحرض على قتله ، فقد أرسل له البوليس السياسى تقريرا يتضمن هذا المعنى ، فبعث حافظ عفيفى بهذا التقرير الى والد ابراهيم شكرى ، وهكذا أصبح عداء القصر للحزب الاشتراكى والحديث عن القتل حديثا يردد ويذاع على رؤوس الأشهاد .. ولولا أن الله سلم لسقطت صريعا فى مدينة الزقازيق حيث كنت أقيم وانتقل بين صفوف المجاهدين . ولننتقل الآن الى مديرية الشرقية لنشهد الفترة السابقة مباشرة على حوادث ٢٦ من يناير .

تطور معارك الفدائيين

مازلت اذكر بوضــوح وانا اكتب هذه الســطور بعد عام كامل من هذه الحوادث التى نحن بسبيلها كيف تطورت المعارك ضد الانجليز فى منطقة القنال اولا ثم فى الشــرقية ثانيا .

بدات المعركة بهذه الصــورة الجماعية التى اخذت شــكل المظاهرات العنيفة ، ثم تلتها حركة انســحاب العمال ومقاطعة الانجليز وقطع مواردهم من التموين والبضائع ، ثم توقف قطارات السكك الحديد عن أن تنقل مهماتهم أو افرادهم .

ثم بدات حركة الفدائيين الفردية .. وبدأت فى صــورة متواضعــة صــورة هؤلاء الغلمان الذين يغافلون الحراس الانجليز ويخطفون منهم اسلحتهم وقــد حــاول الانجليــز والرجعيون ان يشــوهوا هذه الحركة فقالوا عن هؤلاء الخاطفين انهم من النشــالين أو انهم من اللصــوص ولو صــح هذا لكان هذا اعظم شهادة لابناء الشــعب . فاللص والنشــال لا يخاطر بحياته من اجل بلاده ومن اجل حريتها فاذا ارتفع نشــالوا مصر ولصوصها الى مستوى التضحية بالحياة من اجل معركة التحرير فليس وراء ذلك مجد .

كيفما كان الأمر فسوف يسجل تاريخ الجهاد ان اول مراحل جهاد الشعب الفدائى ضــد الانجليز قد تم على يد هذا النفر الذى كان ينقض على الانجليز فى وضــح النهار فيخطف منهم اسلحتهم المعلقة على اذرعتهم . وتطورت العملية بعد ذلك فلم تعد مجرد خطف يعقبه فرار سريــع بل نزع بالقوة لهــذه الأســلحة تحت التهديد اذ كنت واثقا تمام الثقة بأن هذه هى الخطوة الاولى فان

من وصل اليهم هذا السلاح المخطوف لابد ان يستعملوه .. وما هو الا بعض الوقت حتى تحقق ذلك فبدأ بعض الجنود الانجليز يصرعون برصاصات طلائع الفدائيين اول من استعمل هذا السلاح المخطوف .

وكان الحزب الاشتراكى كما ذكرت من قبل يغص بعشرات والوف من الراغبين فى التطوع وقد كنت اعلم ان عددا كبيرا جدا من هؤلاء المتطوعين يتصورن انه سينتظم فى سلك العسكرية وسيتقاضى اجرا ويتناول الطعام والشراب . ولكن الذى لاشك فيه انه كان فى صفوف هذا العدد الكبير افراد تنطوى انفسهم على ذروة الفدائية وكان من بينهم من سبق له الكفاح فى فلسطين فعرف أساليب حرب العصابات ولذلك فقد كنا نوجه هذه الجموع نحو منطقة القتال بغير سلاح او عتاد تاركين الى الحوادث انتقاء العناصر الصالحة .

وهذا هو ما حدث بالفعل فان الكثيرين ممن كانوا لا يدركون طبيعة العملية سرعان ما عادوا الى بلادهم او الى قواعدهم الأولى . ولكن فريقا آخر قليلا فى العدد استطاع ان يتغلب على كل الصعوبات .. استطاع أن يتاقلم مع البيئة فيعيش على الطوى فى بعض الأحيان وينام فى احدى الخرائب ثم يسعى بعد ذلك لخطف سلاح من الانجليز او سرقته فاذا تم له ذلك جعل من نفسه نواة عصابة وبدات ظروفه تتحسن . وعلى هذه الوتيرة تالفت عدة عصابات فى السويس وفى الاسماعيلية تالفت من هؤلاء الذين وفدوا على دار الحزب الاشتراكى متطوعين فأرسل بهم الى ميدان القتال بغير سلاح أو عتاد أو زاد الا المعونة الأدبية التى يلقونها على طول الطريق ان كانوا صادقين .. وبعض الجماعات التى تالفت بهذه الصورة ظلت تعمل فى الميدان حتى اللحظة الأخيرة من المعركة وقامت بأعمال جليلة .

ومن هذا النفر تألفت الطبقـة الثانيـة من الفدائيين الذين ازعجوا الانجليز بنشاطهم .

وفى خلال هذه الفترة كان الاحســاس العـام فى الهيئات المجاهدة قد بدأ يشعر بضرورة تنظيم عمليات الفدائيين وتوحيدهم وتدعيم صفوفهم والارتفاع الى مستواهم ، ونزل الى الميدان عنصر جديد هو بعض الضباط الأحرار الذين كانوا يتسللون من وحداتهم ويهرعون الى ميادين العمليـات بملابسهم المدنية فيقومون ببعض الاعمال التى ظلت تتطور حتى وصلت الى درجة رائعة .

ونزل شـبـاب الجـامعة الى الميدان تحت قيادة الأخوان المسلمين وتطور الموقف بالنسـبة للانجليز من سيىء الى اسوأ فاضطروا للاقدام على أعمال وحشية كهدم كفر عبده ومهاجمة محافظة الاسماعيلية مما جعل سراج الدين يأمر البوليس بالاشتباك معهم فارتفعت حرارة العمليات واتسع نطاقها وزادت ضحاياها وتكاليفها .

ومنذ اللحظة الأولى لالغاء المعاهدة كان للاشـتراكيين فى الزقـازيق نشاط ايجـابى رائع وقد تدفقت غيرهم جموع المتطوعين بين انحاء البلاد حتى وصـلوا بضعة آلاف وقد عجز الاشتراكيون بطبيعة الحال عن ايوائهم او اطعامهم .

فتفرقوا وتبددت جموعهم ثم انتهى الأمر بتأليف جمـاعتين مسلحتين لا يتجـاوز عدد أفرادهما معا عشرين متطوعا .. وكان يشرف على قيادة هاتين الجماعتين الدكتور محمود زيتون وقد نبغ من بين هاتين الجماعتين اشتراكى فدائى يسمى الدمرداش سبق له الجهاد فى حرب فلسطين .. وكان هو العمـود الفقرى لجميع الاعمال الهجومية على الانجليز فى الشرقية .

وكانت اخبار نجاحه تصل الى نقلا عن الآخرين .

وكان هذا هو الموقف عندما قررت الانتقال الى مديرية الشرقية للاقامة بها .

اتخذت من منزل الدكتور محمود زيتون فى خارج مدينة الزقازيق مقرا لى وصحبنى فى اقامتى البكباشى جلال ندا .

وسرعان ما اكتشفت انه الى جوار جماعتنا الاشتراكية كانت توجد جماعة اخرى يشرف عليها ويوجهها البكباشى وجيه اباظة فسعيت للاتصال به لكى نتعاون على تنظيم العمليات . ثم وفدت جماعة تحمل اسم كتيبة الجامعة .

وفى هذه الاثناء تألفت فى الشرقية لجنة عامة للدفاع عن الشرقية ، رأى الأباظية كعادتهم ان يبسطوا أيديهم عليها فعقدت اجتماعاتها الأولى فى دار دسوقى أباظة ثم انتخب وكيلا لها عبد الله فكرى اباظة وبدأت هذه اللجنة تجمع التبرعات وتشرف على التدريبات ثم وقعت الواقعة فى ٢٦ من يناير فتعطلت أعمال اللجنة وتنظيماتها بحيث يمكن القول انها لم تفعل شيئا البتة باستثناء جمع مبالغ ضخمة من البنوك لأن الفرصة لم تتح لها ..

طواف فى البلاد ومعارك

وقد جعلت مهمتى الأساسية فور وصولى الى مدينة الزقازيق أن أطوف مدنها وقراها لأرفع فيها الروح المعنوية ، ولأبصر المواطنين بواجباتهم وأن عليهم فى الدرجة الأولى ان يستعدوا للكفاح ضد الانجليز بالتجهز بالسلاح والعتاد واليقظة الدائمة وبالتدريب العسكرى ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وكان الفلاحون يستقبلوننى فى كل مكان بالترحيب ويظهر عليهم بوضوح

تأثرهم بتوجيهاتى وعزمهم وتصميمهم على العمل بها . وفى خلال هذه الجولات كنت أدرس الموقف العسكرى فاستحضرنا الخرائط العسكرية للمنطقة .. وتجولنا جولات استكشافية لمعرفة النقط التى تتاخم فيها بلادنا وقرانا معسكرات الانجليز .

ثم بدأت بعض المغامرات العسكرية التى قام بها الدمرداشى وجمال طولان وكان من بين هذه المغامرات مهاجمة منطقة التفتيش الانجليزية فيما يسمى المحجر ومازلت اذكر حتى الآن كيف ظللت طول ليلى أصــــلى وادعو الله أن يحمى هؤلاء المجــاهدين والا يفجعنى فى واحد منهم ، وعندما جاءنى جــلال ندا يخبرنى بأن العملية تمت بنجاح وان الجميع قد عادوا ســالمين شــعرت باعياء شــديد نتيجة هذا الضغط الذى عانيته طوال الليل من الانتظار والخوف من أن يصاب احد الفدائيين بسوء .

وقد حرصت منذ وصلت الى الشرقية على أن نذيع بلاغات رســمية عن العمليات وأن نراعى فيها الدقة الكاملة والبعد عن التهويل أو المبالغة بل وان نذكر فيها خسائرنا بالذات اذا اصابتنا خسارة ليعلم الانجليز انهم أصبحوا يواجهون عمليــات حقيقيــة تدار بروح عسكرية .

وكانت هذه البلاغات تطبع فى احدى مطابع الزقازيق وتوزع على المقاهى والحوانيت فى كل يوم فبدأ الجمهور يترقبها بفارغ صبر ويثق بها .. وقد حرصنا من ناحية أخرى على ألا ننسب هذه الأعمال للاشتراكيين فقد كنت حريصا كل الحرص على توحيد أعمال الفدائيين والابتعاد عن الحزبيــة فاتخذنا عنوانا لهذه البلاغات « القيادة السرية للكفاح الشعبى » وقد استطعنا بهذا الأسلوب أن نقنع الآخرين بتجردنا عن كل مطمع حزبى ولذلك فقد اذعنا تحت

هذا العنوان بعض العمليات المشتركة التى قمنا بهـا مع جماعة وجيه اباظة .

ولعله من الخير أن أثبت هنا البلاغ الخاص بمهاجمة نقطـة التفتيش كنموذج لهذه البلاغات التى أصـــدرناها عقب مختلف العمليـات .

بلاغ من القيادة

السرية للكفاح الشعبى

بلاغ رقـم ٥

جبهة الشرقية فى يوم ١٩٥١/١٢/٢٨

فى الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين من صباح اليوم هاجمت قوة مكونة من اثنى عشر فدائيا نقطة تفتيش المحجر (العباسة) الانجليزية والمعتبرة نقطة أمامية للدفاع عن معسكرات التل الكبير والمحصنة تحصينا قويا لاحتوائها على مدفعين من طراز التيكرز وسبعة مدافع برن ومدفعين من طراز الهاون ومدفعين من عيار ستة أرطال وجهاز لاسلكى عدا مصفحتين وفصيلة من الجنود الممتازين ، فاقتحمتها القوة المهاجمة فى شجاعة وبسالة وقذفت عليها القنابل اليدوية فقتلت ثلاثة من الجنود على وجه التحقيق وأصابت كثيرين بجراح لم يكن من الميسور احصاؤهم وحطمت أحد مدافع التيكرز وأشعلت النار فى بعض الخيام .

وقد خفت على أثر الانفجارات الأولى قوات كبيرة من المعسكرات المجاورة لنجدة زملائهم . فاستعملت كل أسلحتها بما فى ذلك مدافع الهاون ومدافع ٦ أرطال واستعين بالمصفحات واستمر اطلاق

النيران حتى الساعة الثانية والدقيقة ٤٠ مما ارتجت له البـــلاد المجاورة كلها وكانت الاشارات الضوئية من ذات البارشوت تحيل ســـواد الليل الى نهار وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت القوة من الانسحاب بعد تحقيق أهدافها بدون أى خسارة فى الأرواح أو فى الأسلحة عدا مدفع برن حالت الأوحال دون سحبه .

وتعتبر هذه العمليـة الليلية هى الأولى من نوعها من حيث مهاجمتها لموقع محصن وقد قصد بها تاكيد سيادة الدولة المصرية على أراضيها والثأر لكرامة المواطنين الذين نفتهم هذه القوة وليكون ذلك بمثابة انذار للقوات البريطانية لتكف عن التعرض للمواطنين فى أثناء تنقلهم داخل البلاد .

سوء حـالة الفدائيين :

على ان هذه العملية التى تمت بنجاح كبير سرعان ما كشفت لى عن حقيقة موقف الفدائيين وانهم فى أسوأ حال يمكن أن يطوف بالنص . فان خلف هذا النجاح الذى يتحدث عنه البلاغ معجزة الهية هى التى ردت هؤلاء الاثنى عشر سالمين والا فقد كان الموت المحقق هو مصيرهم المحتوم فان الأسلحة التى كانت بأيدى الكثيرين منهم كانت غير صالحة للاستعمال .. وهذا المدفع البرن الذى أشار البلاغ الى ضياعة لم يكن مدافعا الا بالاسم وقد حمله الفدائيون لرفع معنوية بعضهم البعض ، وكان السبب فى نجاحهم هو وجود ثلاث قنابل يدوية معهم استخدمت بنجاح فى الوقت المناسب فقتلت الجنود الثلاثة واشاعت الفوضى فى المنطقة وبعد ذلك فلم يكن لدى هؤلاء المهاجمين سـلاح يدافعون به عن أنفسهـم .. فاستخبوا تحت وابل من الرصاص والقنابل وليس سوى حماية الله من ردتهم سالمين .

وكانت هذه القنابل الثلاث هي كل بضاعتهم ، وعبثا حاولنا ان نحصل بعد ذلك على قنابل يدوية بعد ان اكتشفنا مفعولها الذريع وانها السلاح الهجومي الوحيد ٠

ولم تكن هذه الحالة خاصة بنا بل لقد كانت حالة الجماعات الاخرى كذلك فقد استطاع وجيه أباظة فى مرة من المرات أن يستحضر بنادق جديدة وبعض مدافع البرن الجيدة على سبيل الاستعارة من احدى وحدات الجيش ولكنه لم يستطع أن يحضر قنابل يدوية فراح يسألنا عما فى حوزتنا من هذه القنابل ٠

ولم يستطع أن يكرر استعارة هذا المدفع البرن الذى جاء به فى احدى المرات فأصبحنا نحن الجماعة الوحيدة التى تملك مدفعا فكان البوليس يستنجد بنا فى بعض المناسبات لنحضر هذا المدفع ٠٠ فدلنى ذلك على شناعة الموقف ٠٠ فاذا كان المدفع البرن ضروريا جدا وهو سلاح فتاك فى هذه المعارك واذا كانت القنبلة اليدوية ضرورية بدورها لأعمال العصابات فلماذا لاتزود الحكومة جماعات الفدائيين ببعض هذه المدافع وبعض هذه القنابل ولديها فى الجيش كميات ضخمة منها وهى معطلة لا عمل لها ٠٠ بل انى علمت أن مصانع محمد سالم كانت تصنع هذه القنابل للانجليز فى خلال الحرب وللجيش المصرى فى خلال حملة فلسطين وانها تقدمت تعرض على الحكومة أن تزودها بهذه القنابل ولكن الحكومة لم تطلب منها قنبلة واحدة ٠٠ وظل الفدائيون يقاتلون بغير سلاح ٠

اعتبرت أنه من الاجرام أن أزج بالفدائيين فى أى معركة بعد ذلك دون أن تكون لديهم أسلحة حقيقية وليس مجرد صور وأشباح فعدت الى القاهرة وجمعنا مائتى جنيه لنشترى بها بعض البنادق ومدافع البرن وكان ثمن البندقية حوالى عشرين جنيها والمدفع ثلاثين جنيها ٠٠ وقادونا الى المقابر للحصول على هذه الأسلحة

فاشترينا ثلاث بنادق ومدفعين ولم تكن لى خبرة بالسلاح ولكن كان معى من يدعى الخبرة بالسلاح وكان من يبيعون لنا يقسمون بالطلاق أنهم يقدرون مسئوليتهم وأنهم يساهمون فى معركة التحرير بتقديم هذا السلاح الجيد الرخيص ·· ولما كنا فى لهفة على هذه الأسلحة فقد أسرعنا بها الى الزقازيق ·· ولم أكد أصل حتى قيل لنا ان الانجليز يضربون التل الكبير وهم فى حاجة الى النجدات فرأيت قبل أن تستخدم هذه الأسلحة الجديدة أن نجربها ·· وكان احد النواب الوفديين قد قدم للحزب فى احدى المناسبات كمية من الرصاص فرحنا نجربه فاذا به رصاص لا ينطلق بعضه ·· وبعضه ينطلق ولكن يهشم البندقية ·· وسرعان ما اكتشفنا أن استعمال هذه الأسلحة أخطر على حاملها من الأعداء وهكذا ضاع الجهد والمال والوقت وصدمنا فى عواطفنا هذه الصدمة القوية فهؤلاء الذين باعونا هذه الأسلحة ليسوا سوى مجرمين عتاة سخروا منا واستغلوا جهلى بأنواع السلاح واضطررنا من جديد لأن نخف الى ميدان المعركة بالأسلحة التى كانت عندنا والتى لا تغنى شيئا الا أن يستر الله ويحقق معجزاته ففى كل مرة لانعرف اذا كانت البندقية ستنطلق أم لا وفى كل مرة لانعرف اذا كان مدفع البرن الذى نملكه سيلبى الرجاء ويطلق الرصاص أم لا يطلقه ؟! ·

ولعله من الطريف ان أذكر هنا أن قطعة السلاح الوحيدة لمتازة التى كانت الجماعة تشيد بها هى بندقية سريعة الطلقات ن نوع (الاستن) وهى من هذه الأسلحة التى خطفت من الانجليز ى بادىء المعركة ووصلت الينا · كان كل فرد فى الجماعة يتنافس لى أن يكون هو حامل هذه القطعة ·· لأنها كانت قطعة السلاح وحيدة التى يمكن أن يعتمد عليها حاملها ·

.. ومرة أخرى لم تكن هذه الحالة التى أصفها من حيث ندرة السلاح الجيد واستعمال أسلحة فاسدة هى حالة خاصة بنا بل كانت حالة كل من فى الميدان .. فقد كان كل فدائى يشكو .. من أنه لايجد السلاح فان وجده فسلاح فاسد أو ناقص .. بل لقد كان الفدائيون يشكون من أنهـــم لايجدون الطعام فى كثير من الأحيـــان .

ومع ذلك فقد كان الشبان يقامرون بسلاح فاسد وبغير سلاح فكانوا يتساقطون ويتهاوون كأنهم فراشات تحترق بالنار .. ومن ذلك هذه الضربة التى نزلت بكتيبة الجامعة عندما سقط من خيرة أبنائها المنيسى وشاهين وعباس الأعسر وغيرهم الى تمـــام التسعة الشهداء التى يجب أن تعتبر ذروة البذل والتضحية .

معركة التل الكبير

ثم بدأ ما ينبغى أن يسمى بمعركة التل الكبير التى خسر فيها الانجليز على يد حفنة من الشبان أضعاف أضعاف ما خسروه فى معركة التل الكبير التى واجهوا فيها جيش مصر أيام عرابى .. ففى هذه المعركة لم يخسروا سوى جنديين أو ثلاثة ، أما هذه المرة فقد خسروا عشرات وعشرات ، بل بدأ الانجليز يتزعجون من نشاط الفدائيين .. وتعرضـــهم لقطارهم الحربى الذى يصـــل ما بين الاسماعيلية والتل الكبير فقرروا أن يحتلوا هذه البلدة التى يتخذها الفدائيون مركزا لنشاطهم فوجهوا الانذارات لرجال البوليس ، ثم أصلوها نارا حاميـــة فخرج منها سكانها يهيمون على وجوههـــم وهم يفرون مذعورين وينتشرون حيثما ساروا وأنى اتجهوا الرعب والفزع من أن يكون مصـــير باقى البـــلدان وسكانها كمصيرهم .. وعندما وصلت الينا هذه الأخبار وقيل لنا ان وجيه أباظة محاصر وان الجميع يجب أن يخفوا لنجدته فركبنـــا السيـــارات محملين

بكل ما لدينا من أسلحة وأسرعنا فى الطريق لانعرف ماذا نفعل ..
ولكنا كنا نتطلق لننفس عن مشاعرنا ولنقنع أنفسنا أننا نؤدى الواجب . وسرعان ما قابلنا وجيه أباظة فى الطريق وتبين أن الأمر كان اشاعة ولكنه طلب منا أن نتوجه الى مركز بوليس أبو حماد وأن ننتظره ريثما يحضر رجاله .. فقصدنا الى مركز البوليس فوجدنا هذا اللواء المسمى عبد الرؤوف الذى استسلم هو وقواته بعد يومين من هذه المقابلة ورأينا فى حجرته الأستاذ حسين فهمى، وكنت أسمع عن دوره فى تنظيم الكفاح ولكنى كنت أراه لأول مرة فى هذه المناسبة وعلمنا فى هذه الفترة أن الانجليز يهاجمون التل الكبير وأن البوليس صامد لهم وأن المأمور والمعاون وفريق من العساكر يقاومون .. وبعد قليل وصل المأمور وهو غارق فى الوحل وكذلك بقية من معه فلم أتمالك نفسى من أن أعانق الجميع لهذا المنظر الرائع فلقد أدى القوم رسالتهم على احسن وجه ولم يفروا كالجرذان وعندما وقفت وسط الجنود العائدين من المعركة وعليهم أوحال المعركة وآثارها وقد اشتعلت أعينهم تحت حرارة الكفاح لم أتمالك نفسى من أن أعانق الجميع وأن أحس احساسا عميقا بأن روحا جديدة قد دبت فى أوصال البلاد .

وجلسنا بعد تناول الغداء ندرس ما الذى نستطيع عمله وسرعان ما اكتشفت أن الرجال الذين كانوا يحيطون بوجيه أباظة قد تفرقوا وأنه لم يستطع أن يحشد رجالا غير رجالنا .. بل وفهمت أن بعض الأسلحة الجيدة التى أعطيت لهم وسبق لهم أن وزعوها على بعض الأفراد قد تبددت ، وأن العملية التى تطوف برؤوسهم ليس هناك من يقوم بها غيرنا . وقد أظهرت استعدادى لأن يساهم مجاهدونا فى كل ما يطلب منهم على شريطة أن يتسلموا أسلحة جيدة .. وقد أجبت الى طلبى وسرعان ما رأيت لأول مرة كيف تكون البندقية الجديدة وما خصائصها . وقد فهمت فيما بعد أن هذه البنادق التى أعطيت لمجاهدينا لاستعمالها فى هذه المعركة هى

جزء من خمسين بندقية كان سراج الدين قد سلمها لحسين فهمى وكانت هذه هى المعونة الوحيدة التى قدمها الوزير لمعركة التحرير حتى ذلك الوقت • وكان هناك حديث عن قرب وصول مدافع برن ومدافع هاون وأن الأسلحة ســـوف تتدفق •• ولكن هذا الوعد لم يقدر له أن يشهد النور • وذهبت جماعتنا وعلى رأسهم الدمرداش ويصحبهم بعض رجال حسين فهمى من الفلاحين ليهاجموا موقعا انجليزيا فى الليل •

ولكن حراسة الانجليز كانت قوية فلم يستطيعوا عمل شىء •• وكان على أن اعود الى الزقازيق فقد كان سيحتفل فى اليوم التالى بجنازة الشهداء التسعة الذين أشرت اليهم •• وكان شاهين والمنيسى قد نقل جثمانهما للاحتفال بهما فى القاهرة وباقى الشهداء وبعضهم ليس من الجامعة تقرر الاحتفال به فى الزقازيق •

وكانت الزقازيق تشهد من يوم لآخر جنازات هؤلاء الشهداء فبدأت أتســـاءل بينى وبين نفسى عما اذا كان هذا المظهر يزكى الشعور القومى أم يضعفه والجنازات تشيع فى كل يوم على هذا النطاق الواســـع •

على أن هذه الجنازة الكبرى كانت أعظم ما شهدته الزقازيق وما يمكن أن نشهده الى وقت بعيد ، وعندما سارت النعوش مجللة بالأعلام الخضراء كانت عشرات الألوف تذرف الدموع أما أنا فقد كنت أشعر بالغيظ والقهر والكمد أن يحرق الانجليز أكبادنا بقتل هذا العدد من الشهداء الذى قيل لنا ان الكلاب قد مثلت بجثث بعضهم •• فصعدت من أعماق قلبى صيحة الى الله أن ينتقم وأن يثأر لهذا الدم الزكى الطاهر ، ولقد مرت فى حياتى قبل ذلك وبعد ذلك لحظات عجيبة أتمنى فيها الشىء بقوة فلا ألبث أن أراه محققا ولعل ما حدث فى اليوم هو صورة من أنصع صور هذا الاحساس

العجيب . ففى ذات اللحظة التى كان الغيظ يكاد يمزق قلبى ..
فى ذات اللحظة التى كنت أدعو الله أن ينتقم .. ربما كانت جماعتنا تفتك بهذا العدد الضخم من الانجليز كما ـ علمنا فيما بعد ـ فلم تكد الجنازة تفرغ حتى قيل لنا ان جماعتنا التى ذهبت بالأمس لم ترجع وان أخبارها انقطعت وربما تكون قد قتلت أو وقعت فى أسر الانجليز وعندما كان يطرق آذاننا خبر كهذا الخبر يصيبنا الفزع ولا يكون له الا رد فعل واحد وهو أن نمتطى السيارة ونسرع الى المكان الذى وقع فيه الخطر وبعد أن تنطلق السيارة كنت اسائل نفسى ما هذا الذى أفعله وما جدواه وما الذى أستطيع أن اقوم به ؟ ! ولكننى كنت أهدىء نفسى بأننى اسعى خلف الأخبار ولا يمكن معالجة أى أمر الا اذا وقفنا على الأخبار الصحيحة أولا .

ومن ناحية أخرى فان اسراعى الى منطقة الخطر فيه شىء من التنفيس لما يعانيه الانسان من شعور بالمسئولية . وانطلقت السيارة متجهة نحو أبو حماد فى الطريق الى التل الكبير وكان وجهى ممتقعا والخوف يتملكنى من أن تكون الجماعة قد أصيبت بسوء .. وكان كل متر تخطوه السيارة الى الأمام يزيد فى توتر الأعصاب خوفا من سماع النبأ .. وفجأة وجدنا فى الاتجاه المضاد سيارة أشار من فيها الينا فوقفنا ولم تكد السيارة تقف حتى سمعنا منها أصواتا تكلمنا .. فنزلت من السيارة واقتربت منها لاستجلاء الخبر فاذا بى أتلقى نبأ من أسعد الأنباء التى تلقيتها فى حياتى .. كان فى السيارة فدائى صغير مصاب بجرح سطحى وكان يتكلم ويريد أن يقول كل شىء فى كلمة واحدة : لقد قتلنا عشرة من الانجليز واخذنا أسلحتهم .. والجميع بخير ولم نصب بسوء .. ولقد جرحت جرحا صغيرا سطحيا ، وأسرعت الى السجود شكرا لله فقد كان هذا النبأ يحمل الى عدة بشارات ، فهو يخرجنى من حالة الفزع خوفا على الجماعة .. وهو يبشرنا بقتل عدد ضخم من الانجليز والاستيلاء على أسلحتهم .. وهو فى ذات الوقت يدل على

ان الله قد استجاب لدعائى فانتقم لهؤلاء الشهداء الذين كنا نحتفل بجنازتهم منذ قليل ·

واستأنفت سيارة المجاهد طريقها نحو الزقازيق ليدخل المستشفى ، بينما واصلنا الطريق انقابل المنتصرين .

وقابلناهم عند العباسية ولكن الدمرداش لم يكن فيهم وقيل لنا انه سالم ولابد سيصل · وعلى قارعة الطريق جلسنا لنسمع أنباء المعركة . كانت الجماعة قد عدلت فى الليل عن القيام بأى نشاط . وعند الصباح بينما كانت تتناول طعام الفطور اذا ببعض الانجليز يقتربون من موضع الجماعة وهم لايحسون بأى خطر وكان ذلك صيدا ثمينا وأسرع أحد الفدائيين - وكان يجيد إستعمال البرن - الى استعماله فاذا بالجميع يسقطون على الأرض من هول المفاجأة وراحت الجماعة تطلق عليهم الرصاص دون أن يجاوبوا عليه ·· ثم أوفدت الجماعة واحدا لمعرفة ما أصابهم فاذا به يجدهم وقد ماتوا عن بكرة أبيهم ·· ووجد فيهم ضابطا قد صوب مسدسه اليه فأرداه قتيلا ببندقيته ثم انتزع منه المسدس وفتش ملابسه فأخذ مفكرته التى كانت فى جيبه وبعض أدوات التزين التى كان يحملها وعندما هم بتجريد باقى القتلى ولحقه باقى زملائه اذا برتل من الدبابات الانجليزية يقترب وكان معنى ذلك سحق الجماعة وهنا تجلت روعة الدمرداش وعظمته فقد ظل كامنا حتى اقتربت الدبابات وأصبحت على بعد أمتار قليلة فقذف بقنبلة يدوية كانت معه على المصفحة الأولى فوقفت باقى المصفحات لتستجلى الخبر ·· وفى ظل هذا الارتباك للمفاجأة ،، انسحب المجاهدون ،، وهكذا عادوا سالمين جميعا من أعظم مخاطرة ،، وان كنا قد فقدنا مدفع البرن الذى استعملته الجماعة فى كل محاولاتها حتى الآن وعندما جاء الدمرداش أخيرا وتحققت من سلامته ·· لم يكن هناك حد لفرحنا وسعادتنا · وسرعان ما أحسسنا بغضب الانجليز لهذه

الكارثة فرأينا الطائرات تحوم فوقنا فى غضب ونحن على قارعة الطريق فتنبهنا للخطر وامتطينا السيارة وأسرعنا بالابتعاد عن المكان بكل سرعة ونحن نمسك بقلوبنا خوفا من أن تسقط علينا قنبلة فى أية لحظة .

وكانت الأنباء قد سبقتنا الى الزقازيق .. فدخلناها دخول الظافر المنتصر .. ولم أسالك شعورى من آن أطوف بأنحاء المدينة فوق السيارة لأزف للناس بشرى الانتقام لهم وأن الله قد مكننا من الأخذ بالثأر للشهداء قبل ان توارى أجسادهم بالتراب .. وعندما كنت ألوح لهم بمسدس الكابتن الانجليزى الذى انتزع منه كانت الجماهير تضج بالهتاف والتهليل والتكبير .. ثم رايت أن اعهد بهذه العملية لجمال طولان فجاب المجاهدون بهذا النبأ أنحاء الزقازيق فتحولت الأحزان الى افراح .. ولكن الحوادث كانت تتوالى بسرعة عجيبة ووصلت المعركة الى ذروتها بحيث ان كل ساعة كانت تحمل نبأ جديدا .

احمد عصمت

ففى نفس اللحظة التى كانت تجرى فيها هذه المعركة .. كان بطل مجاهد آخر وهو أحمد عصمت يقوم بعملية تشبه عمليات اليابانيين عندما يقومون بعمليات انتحارية من أجل وطنهم ، فان هذا الفدائى بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى آلى على نفسه أن يقتل بعض الانجليز وأن يدفع حياته ثمنا لذلك ، فركب أحمد الأتوبيسات المارة على نقطة تفتيش الانجليز فى منطقة المحجر التى أشرت اليها فيما سبق وعندما جاءه الجندى المختص بالتفتيش أسرع فارداه قتيلا ثم قتل غيره قبل أن يتنبه الانجليز وكان يمكن لأحمد عصمت أن يهرب أو يفر ولكنه أدرك أن باقى المصريين

سيدفعون ثمن ذلك فآثر أن يظل واقفا فى مكانه يفرغ رصاص مسدسه ، حتى تمكن الانجليز منه فأردوه قتيلا .

وكان حادث هذا البطل الجديد أسطورة خيالية ألهبت أعصابنا وزادت فى حماستنا .

دك مدينة التل الكبير

وجن جنون الانجليز وأدركوا أنهم أصبحوا يواجهون حالة عصبية يجب أن يضعوا لها حدا بأسرع وقت باستخدام أنسب الوسائل الوحشية ولذلك فقد أسرعت مدافعهم الثقيلة لتنسف ما بقى من بلدة التل الكبير وما يسمى بلدة حمادة المتاخمة لها .

وبينما كانت المدافع تقصف البلدة فى الليل كان الراديو يذيع من القاهرة احدى مسرحيات نجيب الريحانى وجمهور الحاضرين يضجون بالضحك فكان هذا الموقف أشد نكاية على المنكوبين من أهل الشرقية من مدافع الانجليز نفسها وأدركت مدى جريمة حكام القاهرة الذين يدعون الحياة فى مصر تسير فى طريقها العادى بينما يسيطر الخراب فى الشرقية وتتضرج الأرض بدماء الشهداء .

وعدت فى هذه الليلة الى القاهرة لأشترك فى جنازة احمد عصمت ولأطلع اخواننا وزملاءنا فى القاهرة على أسلاب هذه المعركة الأخيرة وعلى رأسها مسدس الضابط وأوراقه وأدوات زينته .

ونشرت « آخر لحظة » تفاصيل هذه المعركة وقد حرصت كالعادة على ألا يظهر فيها اسم الاشتراكيين فضلا عن أسمى أو اسم أى واحد من الفدائيين .. ونشرت القصة والصور بما لا يشعر الناس بدورنا فى الموضوع .

وبينما كنا نسير فى جنازة أحمد عصمت وصلت الينا انباء احتلال الانجليز لبلدة التل الكبير ووقوع ثلثمائة عسكرى بوليس وعلى رأسهم ضابطهم الكبير اللواء عبد الرؤوف فى الأسر .

فانخلع قلبى لهذا الخبر فقد رأيت هذه القوة وهى تحشد امامى بالليل لتسافر الى التل الكبير .. وقد وقفت اشهد صناديق الذخيرة وهى توضع فى السيارات المكتظة بالجنود الذين كانوا ينطلقون بعد ذلك وسط هتاف اخوانه .

واذن فقد سقط هؤلاء فى الأسر وضاعت هذه الذخائر وهذه الأسلحة التى لو أعطى بعض منهــا للفدائيين لقــاموا بالعجب العجــاب .

وبدأت المس التخبط الشديد الذى نعانيه والارتباك الذى اغرقت الحكومة فيه البلاد ، فنحن فى حالة حرب ولا حرب .. نحارب بعساكر البوليس ونباعد بين عساكر الجيش وبين الحرب. فيم اذن كان هذا الجيش ولأى شيء أعد اذا لم يكن للدفاع عن البلاد فى هذا الظرف العصيب على أى صــورة من الصور ؟! لقد بدأت أتصور أنه ليس جيش مصر ولا جيش الوطن او الشعب .. انه جيش فاروق .. ولا دور له الا حماية فاروق .. وكان الانجليز يثنون على هذا الجيش فى تصريحاتهم ويزعمون أنه حليف لهم ولم يكن هناك فى الجيش من يحاول أن يدحض هذه التهمة الشائنة الا هؤلاء الضباط القلائل الأحرار الذين كانوا يتسللون كما قدمت الى منطقة السويس وتحت اسم كتيبة الشهيد أحمد عبد العزيز وقاموا بأعمال رائعة .. وهذا النفر الآخر الذى كان يتصل بنا ويحاول أن يقدم لنا بعض الخدمات والمعونة .. فيما خلا هذا العدد

المحدود من الضباط البواسل فقد وقفت كتلة الجيش تشهد هذا الصراع بين الشعب الأعزل وبين قوات البوليس غير المدربة وبين الانجليز الغاشمين وكان التناقض يبدو كذلك فى هذه الصورة الدامية التى تعيش فيها منطقة القنال والشرقية ·· بينما القاهرة تعيش كما لو كان هذا الذى يجرى فى الشرقية انما يقع فى كوريا التى تبعد أكثر من عشرة آلاف ميل عنا ·· فالملاهى على أشدها والاذاعات الماجنة تصابح الناس وتماسيهم والكبار والأغنياء لم يكفوا لحظة واحدة عن ممارسة مجونهم وسخافاتهم وتبذلاتهم · وكان رجال ممن يتصلون بالحكومة ومن صميم حزبها يتاجرون مع الانجليز جهارا نهارا ·· بل ان وزير الداخلية الذى قتل الانجليز رجاله ونكبوا مصر وأسالوا دماءها وحطموا مدنها - يختار هذا الوقت بالذات لزفاف ابنته على ابن عبد العزيز البدراوى ثم يسافر العروسان لقضاء شهر العسل فى انجلترا مصحوبين بحاشية ضخمة من الخدم والحشم ، على ان الذى كان يروعنى فى الدرجة الأولى هو سوء حالة الفدائيين من حيث السلاح وأنهم يتعرضون للخطر والموت والحكومة أصبحت تعيش على تضحياتهم دون أن تقدم لهم أى لون من الوان المعونة · وبدأ الشك يداخلنى فى أن من بيدهم الأمر ابتداء من الملك فاروق حتى سراج الدين يسعدهم كل السعادة أن يفنى هؤلاء الفدائيون ، وأن يبطش الانجليز بهم لتتخلص البلاد - أو بالأحرى ليتخلص فاروق - منهم ·

فتنة السويس

وبينما كانت الحوادث تتوالى فى مديرية الشرقية وقع حادث رهيب فى مدينة السويس كاد يكون الشرارة التى تندلع منها نيران الفتنة بين المسلمين والأقباط فقد حرقت كنيسة فى مدينة السويس وحرق بها بعض الأقباط ومثل بجثثهم دون أن تتدخل قوات البوليس لمنع وقوع الحادث أو للقبض على المسئولين عنه بعد

وقوعه · وقد أدركت أن هذا الحادث سيؤدى الى تصدع كبير فى جبهة الوحدة المصرية فما راعنى الا أن أرى التقاعس من جانب الحكومة فى معالجة الموضوع مع أن الأقباط لم يدخروا وسعا فى ذلك الوقت فى التعبير عن سخطهم واستنكارهم ·· حتى لقد رفض مطران الشرقية أن يقابلنى وأعتذر بأكثر من حجة لولا أننى ذهبت اليه على حين غرة ومكثت معه طويلا حتى أهدىء بعض ما فى نفسه ولو فى الظاهر · ثم أسرعت الى مصر وقابلت من استطعت الى ذلك سبيلا فى دار البطريركية ·· وهكذا كانت الأمور قد بدأت ترتيك ·· ويتجلى التخبط فى سياسة الحكومة التى كان من الواضح أنها تريد أن ترضى الشعب بالمضى فى الكفاح من ناحية ، ثم تخشى على نفسها من الملك وعلى مصالح الطبقات التى تتألف منها فتتخذ اجراءات ضد الشعب ·· واجراءات فى الاتجاه المضاد للكفاح · وكان هذا التأرجح وهذا التناقض نذير كوارث ، فليس أخطر من السياسة المذبذبة ·

ورأيت أن أبعث بخطاب لأرسكين أنذره فيه بعاقبة طيشه وايغاره صدور المصريين الى هذا الحد بتعذيب الشهداء ورمى جثثهم الى الكلاب وهدم بلدة التل الكبير واحتلالها · ورأيت أن يأخذ الانذار طابعا عسكريا ليتسم بالشجاعة والجرأة التى اتصف بها فدائيو الاشتراكيين وليكون أبلغ فى التأثير سواء فى معنوية الانجليز أم فى رفع حماسة المصريين ·

ففكرت أن يحمل الانذار مجاهد مصرى وأن يتقدم الى خطوط الانجليز حاملا علما أبيض طبقا للنظام المتبع بين الجيوش ·

وأعددت الخطاب وهو مكتوب بالعربية وعنوانه : من عبد الله أحمد حسين الى أرسكين قائد القوات الانجليزية ، واستعرضت فى الخطاب تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية ، وأن انجلترا بدأت

بالاعتداء على مصر وأن استمرار وجود جنودها فى مصر هو استمرار لهذا العدوان ، وأن مصر اذا قامت اليوم تعمل على اجلاء الجيوش البريطانية عن أرضها فهى تقوم بعمل مشروع فكيف يسمح الانجليز لأنفسهم أن يعاملوا الفدائيين الذين يقعون فى أيديهم معاملة وحشية فيعذبوهم ثم يقتلوهم ؟ وكيف يسمح الانجليز لانفسهم ان يحاربوا المدنيين فيخربوا بيوتهم ويدكوا قراهم وذلك فى الوقت الذى لايزال فيه المصريون يعاملون المدنيين الانجليز بكل انسانية وبكل اكرام ففى مصر يعيش ثلاثون ألف انجليزى فى رعاية الحكومة المصرية والشعب المصرى .

وحذرت أرسكين اذا هو استمر على أساليبه الغاشمة فان غضب الشعب المصرى سينفجر ولا يعلم سوى الله مدى الكوارث التى تقع نتيجة ذلك وأن توسيع نطـــاق المعركة والكوارث التى ستحدث انما يقع وزرها على رأس الانجليز الذين يأبون أن يسمعوا صوت العقـــل .

ومازلت أذكر حتى الآن كيف صلينا الجمعة فى مســـجد السيدة زينب ثم خطبت بعد الصلاة شارحا حالة الفدائيين وسوء حالتهم وما يعانونه من نقص فى الذخائر والأسلحة وكيف بدأ الانجليز يضغطون علينا . وبعد الخطبة ركبنا سـيارة ابراهيم شكرى وقصدنا الى مقر قيادتنا فى الزقازيق فوصلنا فى سـاعة متأخرة قبيل الغروب وأردنا ان نؤجل ارســال الخطـاب ، ولكن شابا تقدم وأعلن اصراره على أن يحمل الخطاب فورا فاستخرنا الله ثم قلنا له سر على بركة الله وأعطاه ابراهيم شكرى منديله ليكون بمثابة الراية وأعطى خيزرانة صغيرة ليرفع عليها المنديل . ثم كان فى صحبته بعض الفدائيين فركبوا عربة جيب وساروا به الى قبيل نقطة التفتيش ، فانزلوه من العربة وبدأ يتقدم صـوب الخطوط الانجليزية التى كان الاقتراب منها ممنوعا بعد الغروب .. وظللنا

ننتظر عودة الجماعة فعادوا فى ساعة متأخرة من الليل وليس معهم المجاهد ، فسألناهم عنه فقالوا لقد أنزلناه على بعد نصف كيلو من النقطة الانجليزية فراح يقترب منها حاملا علمه الأبيض وظللنا ننظر اليه حتى اختفى عن أبصارنا وظللنا ننتظر فلم نسمع أى حركة أو صوت ولم يرجع لنا فرأينا أن نعود أدراجنا .

وكان علينا وقد أرسلت الرسالة أن نوزعها على الصحف وان نشرح خطتنا ولماذا اخترنا هذا الأسلوب لتوصيل الرسالة فعدنا الى القاهرة وقصدنا جريدة الأهرام لننشر الخبر بطريقة تساعد على حماية الشاب من أن يتعرض لأى ايذاء وعندما اتصلنا من جديد بالزقازيق وسألنا اذا كانت هناك معلومات عن الشاب فقيل لنا انهم لم يتلقوا أى معلومات فبدأ القلق يساورنى بشدة . وعندما عدت الى منزلى استقبلتنى زوجتى بانتقاد مسلكى والطريقة التى اخترتها لتوصيل الرسالة وأننى قد عرضت حياة شاب للخطر وكان يغنى عن ذلك كله ارسال الخطاب فى البريد .. ثم استعملت كلمة كان وقعها شديدا على نفسى لأنها كانت تطابق الواقع اذ قالت ما هذا انت عامل « تياترو » ؟! .

ولم يكن هناك جدال ان الحركة كانت حركة مسرحية قصد بها خلق تأثير للدعاية .. ولا بأس فى حركات الكفاح ان تستخدم المؤثرات من هذا السبيل ولكن اذا كلفتنا حياة مجاهد فانه يكون ثمنا باهظا وأكون مسئولا أمام الله عن دم هذا الشاب مسئولية لا أستطيع الفكاك منها .. فهأنذا جالس فى بيتى مع زوجتى ثم أرسل شابا ليقتل بين براثن الانجليز .

وأصابنى الفزع من أن يحدث ذلك بالفعل فبدأت أتصل بالتليفون مع الزقازيق ولم يكن هناك خبر جديد فطلبت من (ترنك) الزقازيق أن يصلنى برئيس الجمعية التعاونية فى

الاسماعيلية فايقظه من النوم فحدثته بالخبر وطلبت منه ان يتصل بالبوليس المصرى ليتصل بالانجليز ويسأل عن الشاب ومصيره وسرعان ما عقدنا مؤتمرا تليفونيا فكان هناك أشخاص فى الرقازيق وفى الاسماعيلية وفى مصر ، الجميع يتدارسون معى هذه المشكلة . وقد هدأ نفسى أحد ضباط البوليس فى الاسماعيلية وأن الشاب لن يمسه أى خطر وأننا يجب أن ننتظر الى الصباح ·

وظللت طول الليل ساهرا وقد تعبت اعصابى واتهارت معنوياتى كلما تصورت أن يموت هذا الشاب .

لا أصلح للقتال

وفى وسط هذه الحالة السيئة التى غرقت فيها ، قلت لنفسى اننى لا أصلح لأن أكون قائدا عسكريا .. فبعد أن فرحت لمقتل الانجليز ثأرا للشهداء المصريين بدأت أشعر باشفاق شديد على هذا الكابتن الانجليزى الذى قتلوه عندما رحت أقلب فى مفكرته الجيبية ، وقد أثبت فى هذه المفكرة عيد ميلاد زوجته وعيد ميلاد والده وعيد ميلاد أمه وتاريخ زواجه ·· كان مجرد استعراضى لهذه التواريخ كافيا لكى يشعرنى بالحزن للمصير الذى انتهى اليه .. ورحت اتصور كيف سيبكيه الآن أمه وأبوه وزوجته وفكرت أن أبعث اليهم بمفكرته ومخلفاته وأن أقول لهم اننا نحن المصريين شديدو الحزن لمقتل أولادهم ولكن المسئول عن موتهم هو تشرشل وهم جماعة الاستعماريين الذين أرسلوا بهم الى بلادنا لكى يقتلونا ويسلبونا حريتنا . فأصبحنا مضطرين لأن ندافع عن الشعب بقتلهم ·

وراح يلح على هذا الخاطر ويتجسم فى نفسى - ولم تكن هذه أول مرة تتجسم فى نفسى - فكرة استساغة أن يكون على

« يدى » موت أى انسان .. فمن قبل تطوعت فى حرب فلسطين وكنت فى طليعة من دخلوا الى فلسطين وكان قائدنا هو اديب الشيشيكلى – رئيس سوريا الآن – .. وبعد قليل اكتشفت فى أعماق نفسى أننى مستعد لأن أموت فى يسر وسهولة ولكن الذى لا أتصوره أن أرى نفسى مضطرا لان اقتل انسانا وأن طبيعتى لا يلائمها ذلك ، ولذلك فقد انسحبت .. وعندما دخلت فلسطين بعد ذلك مرتين دخلتها وأنا غير مدجج بالسلاح وكنت اشعر أننى اكثر قوة وأنا أعزل من كل سلاح مما لو كنت مسلحا بالفعل .

هذا هو الشعور الذى عاودنى ابان اقامتى فى الشرقية وقد بدأت احرض المجاهدين وأراهم وهم ذاهبون ليقتلوا وأفرح واطرب عندما يقولون لى انهم قتلوا .. لم يلبث ان تواالد نفس الشعور القديم الذى أحسسته فى فلسطين وهو أننى أوثر أن أموت أنا من أن اصدر أمرا بقتل انسان . وقد يكون ذلك ضعفا فى نفسى لا يتفق مع قائد حركة .. ولكنها حقيقة يجب أن اعترف بها .. والآن عندما حدث حادث هذا الشاب وبدأت المخاوف تساورنى أن يكون قد مات .. وكان مبعث الخوف أن يكون قد قتل قبل أن يصل الى الانجليز . كان يكونوا خافوا منه وهو يتقدم فى الظلام .. أو ظنوا أن العلم الأبيض هو خدعة وأنه فدائى يريد أن يقترب منهم لكى يقذف بقنبلة ففضلوا أن يقتلوه قبل أن يقتلهم . كان هذا هو مصدر مخاوفى وهواجسى ، أما لو وصل اليهم سالما فلم أكن أشك أنهم لا يقتلونه لأن مثل هذا القتل يكون جريمة يهتز لها العالم بأكمله فمنذ بدء الخليقة والرسول يحترم .. حتى بين المتوحشين .

ومع ذلك فقد ظلت المخاوف تتعاظم فى نفسى فيرتجف جسدى لهول المسئولية وبدأت حرارتى ترتفع وبدأت أشعر بالمرض يلسع

الى نفسى .. وسرعان ما قطعت بأننى لا أصلح لهذا النوع من الحياة العسكرية التى تستلزم قتل الأعداء واحتمال خبر موت الانصار . وقد كان لهذا الحالة التى ألمت بى بسبب تأخر هذا الشاب تأثير فيما تولد فى نفسى بعد ذلك من خواطر أدت الى انسحابى من الميدان .

ومن الصباح جاءت الانباء أن الشاب قد عاد سليما معافى فحمدت الله عز وجل أن جنبنى هذا الألم الشديد واليأس القاتل فيما لو كان هذا الشاب قد قتل .

اعادة مصر الفتاة ومصادرتها

وعند هذا الحد ادركت أننى لن استطيع أن أكون ذا جدوى فى ميدان القتال وأن ميدانى الحقيقى الذى استطيع أن اخدم به المعركة هو الصحافة ويجب أن يؤدى كل انسان دوره الذى يحذقه أكثر من غيره . فللحرب اقوام وللقلم أقوام .. واننى قد أخذت نصيبى من المخاطر وهاأنذا تحديت الانجليز حتى درجة الانذار فلو كان هناك انسان اول مهدد بالقتل فى مصر على يد الانجليز فسوف أكون هذا هذا الانسان .. فيجب أن يطمئن ضميرى الى أننى شريك فى مخاطر المجاهدين وأن على ان أعاود اصدار الجريدة بعد أن اتضحت لى خطوط المعركة وبعد ان ظهرت لى الحقائق وأصبح من الجلى أن الحركة الوطنية ستطعن من الخلف فقد كان حافظ عفيفى يضاعف نشاطه يوما بعد يوم وساعة بعد اخرى .. وكان عبد الفتاح عمرو يفاوض الانجليز من وراء ظهر الحكومة .. وكان سراج الدين لايزال عند موقفه المائع بالنسبة للمجاهدين .. كل ذلك جعلنى أعتزم اصدار الجريدة التى كنا قد أوقفناها احتجاجا على توالى المصادرات التى عادت على أشدها بعد هجومنا على حافظ عفيفى وتعيينه .

. فجمعنا بعض المال لشراء الورق اللازم . وحرصت فى اعداد الجريدة الا تتضمن هجوما على الملك أو على الحكومة بطريقة شديدة وذلك لتفادى مصادرتها وكان أهم ما يحتويه العدد هو نص الانذار الذى بعثت به الى أرسكين

وبينما كنا نطبع الجريدة حرصنا على أن نتصل برجال وزارة الداخلية لكى يوفدوا من لدنهم من يطلع على العدد ويرى اذا كان به ما لا يوافقون على نشره . ولكنهم راحوا يراوغوننا حتى فرغنا من طبع العدد ثم جاءوا لمصادرته فكان ذلك هو الدليل على أن القوم لا يريدون لنا أى مظهر من الحياة او النشاط أو الحرية الا حرية الموت فى الشرقية فقد أصبح محظورا علينا ان نجتمع أصغر اجتماع . محظورا علينا أن نكتب أى لون من الكتابة .. والشىء الوحيد الذى ظل مصرحا لى به ان اذهب الى الشرقية عساى ان أموت بها برصاصة من الانجليز او رصاصة من غير الانجليز كما كشفت الحوادث فيما بعد .

وكانت مصادرة هذا العدد صدمة شديدة لى حتى اننى عندما ذهبت الى المحكمة وراح ممثل النيابة يترافع مدللا على وجوب مصادر العدد جلست وقد وضعت يدى على خدى .. وعندما فرغ من مرافعته نظر الى رئيس المحكمة وسألنى اذا كان لدى ما اقوله فاجبت بالنفى وظللت أنظر اليه وأنا تائه شارد اللب .. لقد كان القهر يملأ نفسى ، لم أكن أعرف ماذا افعل حيال هذا التحكم .. ان مصادرة العدد تعنى مصادرة خمسمائة جنيه كما قدمت جمعناها بشق النفس .

ومواصلة المصادرة بهذا الأسلوب التعسفى كلما حاولنا أن نعاود اصدار الجريدة معناه الحكم علينا بالاعدام الأدبى ... ولذلك فقد كان الموقف لا ينفع فيه قول أو حديث .. وانصرفت

من المحكمة بعد أن أصدر رئيسها امره بمصادرة العدد وأنا معتزم أن اعتزل كل شيء وان اعتكف احتجاجا واستنكارا لهذا المسلك الذى تسلكه الحكومة حيالنا .. وأن هذا هو السبيل الوحيد لمعاقبة الحكومة لموقفها . وقد يدهش الكثيرون كما دهشوا دائما عندما كنت اعتبر انسحابى من الميدان او تعطيل الجريدة هو عقاب للحكومة مع أن هذا هو أقصى ما تتمناه ، ولكننى كنت أحس احساسا عميقا أننى اذا انسحبت واعتزلت او اعتكفت وتوقفت عن الكتابة واصدار الجريدة فان الحكومة لابد ان تدفع ثمن ذلك وأن تدفعه غاليا ..

شعور بالخوف

على أن فكرة الاحتجاج والاستنكار لم تكن وحدها هى الحافز لى على التفكير فى الانسحاب والاعتزال ولكن عاطفة أخرى ملأت نفسى هى التى عززت هذا الخاطر وقوته فى نفسى وذلك هو الاحساس بالخوف . لقد كنت منطلقا فى كفاحى ضد الملك وضد الانجليز بعد ذلك وانتهيت وأنا اهاجم تعيين حافظ عفيفى بهذه الشدة الى أننى أعلنت الحرب على الاثنين معا ، ومع ذلك فلم تتسرب الى نفسى ذرة من الخوف .. وقد أرسلت انذارى لأرسكين بهذا الأسلوب من التحدى دون أن استشعر اى خوف الا هذا الذى وصفته من أن يعتدى على الشاب الذى بعثت به . وعندما صودرت الاشتراكية بهذا الأسلوب البشع اذا بى امتلىء بالخوف فجأة وأستشعر أن كوارث ونكبات ستحل بنا .

وجريا على سنتى ومنهاجى فقد بادرت باخطار اخوانى وبصفة خاصة ابراهيم شكرى وحلمى مراد بما اعترانى من الاحساسات وقلت لهم فى عبارة واضحة صريحة : اننى أتصور

ان طوفانا ضخما من الكوارث والآلام والمصــائب يوشــك أن يحل بالبلاد وان هذا الطوفان سيكتسحنا فى طريقه ومصائبه .. وان قلبى قد امتــلأ بالخوف فجـأة وليس لذلك من تعليل الا هــذا المجهول الذى يوشــك أن يقع . واقترحت عليهم أن نتفادى وقوع الكوارث بأن أسرع الى الانسحـاب من الميـدان وأن ألجـأ الى الاعتكاف فى الريف او بالأحرى فى شربين عند ابراهيم شكرى . ولقد بهت اخوانى الذين سمعوا هذا العزم ولم يتقبلوه بســهولة . وكان ابراهيم شــكرى هو أكثر الجميع معارضــة وراح يتساءل ماذا سيقول الناس فى هــذا التصرف المفــاجىء الذى لا مقدمات له . ان احــدا لن يستسيغه ولن يفهمه وســوف يسىء الجميــع تفسيره . قلت له ســوف يفهمون التصرف على حقيقته عندما تقع الكوارث التى أحس انها واقعة وعندها فســوف نسترد كل الأرض التى فقدناها . ولكن الدكتور محمد حلمى مراد انضم الى ابراهيم شكرى فى تثبيط عزمى وأسرع حلمى الغندور الى موافقتى بغير تفكير او مناقشــة استنادا الى أن الحوادث قد دلت على أن احساسى لا يخطىء .. وأنتهت المناقشــة الى فــكرة وســط اقترحهــا ابراهيم شــكرى لتكون بمثابــة تهيئة لذهن الراى العــام وهى أن أعــد بيانــا مفصــــلا يصــلح أن يكون حيثيات لهذا القرار دون أن أعلن القرار نفســه ونكتفى باذاعة هذا البيان على الرأى العام ولا بأس بعد ذلك أن انســحب فى هــدوء وفى غير ضجيج وبدون اعــلان .

فاقتنعت بهذا الراى ووضعت هذا البيــان او بالأحرى هذه الحيثيــات التى تدين الحــكومة وتشجب موقفها وتثبت بالدليل والبرهان وتحليل الوقــائع أن استمرار الوزارة فى الحكم واستمرار هذه السياسة التى تسير عليها سينتهى بالبلاد الى كارثة محققــة ومصائب وجرائم يقشعر لهولها الولدان وبعد أن فرغت من اعداد

البيان رأيت أن أضيف اليه فى النهاية النتيجة الطبيعية له ، وهو اعـلان انسحابى .

وأسرعت بعد اعداد البيان الى دار اخبار اليوم لتطبع لنا بعض نسخ منه وحددنا يوم الخميس ٢٤ من يناير لاذاعة البيان ودعونا الى عقد مؤتمر صحفى لتلاوة البيـان عليهم ثم اعطـائهم صورة منه بعد المناقشة فيه .

وأسرع مصطفى امين الى معـاونتى فى طبع البيـان بالدقة والسرية اللازمتين فقد كنـا نخشى أن تداهم الحكومة المطبعة وأن تصادر البيان وبالتالى الاجتماع .

وفى الساعة الثانيـة صباحا فرغنـا من اعداد البيـان الذى استغرق صفحة كاملة من صفحات الجرائد اليوميـة وأسرعت به الى البيت وكنا فى صبيحة الأربعاء .

وجاءنى ابراهيم شكرى ليزورنى فى البيت وكنت قد بدأت أحس بالتوعـك فوجد البيـان قد اشـتمل على اعـلان موضـوع الانسحاب والاعتزال السياسى المؤقت .

فقال لى لو لم تتفق على الا يتضمن البيـان هـذه الفقرة فرحت أقنعه بوجوبها وأن احساسى يدفعنى اليها ولكن من آثارها ما يكون .. ولكنه استطاع باصراره أن يقنعنى من جديد على ضرورة حذفها من البيان .

واخـلاص ابراهيم شـكرى لى وللحركة وتفانيه فى سبيلها يجعلنى لا استطيع الا أن اوافقه على أى من آرائه اذا أصر عليـه فوافقت على أن نحذف هذه الفقرة .

وجاء محمد حلمى مراد وكمال سعد وراح ثلاثتهم (يشطبون) بالحبر الأسود على نص عبـارة الانسحاب وكانت فى البيـان

وفى ختامه بينما جلست مستلقيا على أحد المقاعد وقد ارتفعت حرارتى وزادت وطأة المرض .

وفى ساعة متأخرة من الليل تم تصحيح كل النسخ التى كانت تبلغ المائتين او الثلاثمائة .

وزيادة فى الحرص دعا ابراهيم شكرى الأستاذ محمد أبو ثريا ناظر مدرسة مصطفى الوكيل وكلفه أن يعمل على طبع البيان (بالرونيو) خاليا من هذه الفقرة الأخيرة فأسرع الى تنفيذ هذا الأمر واعد بالفعل نسخة من البيان على الآلة الكاتبة فالرونيو خالية من قرار الانسحاب والاعتزال .. وقد كانت احدى هذه النسخ هى التى وقعت فى يد النيابة بعد ذلك والتى اتخذت منها دليلا على مسئوليتى عن حوادث يوم ٢٦ من يناير بعد ذلك .

يوم الخميس ٢٤ من يناير

واخيرا جاء يوم الخميس ٢٤ من يناير وكانت الساعة الخامسة بعد الظهر معدة للاجتماع بالصحفيين واذاعة البيان . وكانت حالتى العامة قد ازدادت سوءا فلازمت الفراش طوال النهار ورحت أتناول الأشربة الساخنة وحبات الأسبرين استعدادا للمساء . وفى الساعة المقررة توجهت فى سيارتى الى دار الحزب حيث كان يغص بالحركة والنشاط وجاء حشد من الصحفيين الذين يمثلون مختلف الصحف وكان على رأسهم الأستاذ مصطفى القشاشى سكرتير النقابة وأسرة التحرير فى جريدة الأساس وعلى رأسهم الدكتور على الرجال وابو طالب والأستاذ حسنين هيكل ممثل دار اخبار اليوم وعشرات من المندوبين الآخرين .

وبعد أن تناول الجميع فنجانا من الشاى بدأت أطالع البيـان وقد كانت المطالعة مرهقة لحالتى الصحية من ناحية وطول البيـان من ناحية ثانية ولكننى فرغت منه فى النهاية فصفق الحاضرون تصفيقا شديدا ثم راحوا يناقشوننى عن تفاصيل بعض ماجاء فيه وكان من الواضح أن جميع الحاضرين يوافقون على ماجاء فى البيان وأن كل مناقشاتهم كانت تدور حول المزيد من سماع تفاصيل سوء حالة الفدائيين ، أو ما أشرت اليه من المؤامرات التى تدور فى الخفاء والتى تعمل على طعن الحركة الوطنية ·· وكانت بعض الأسئلة تدور حول ما هى الوزارة التى تعقب هذه الوزارة ان هى سقطت وما نوع السياسة التى تنتهجها وكان ردى على ذلك قويا وحازما ·· ألا وهو أن الوزارة بحالتها الحاضرة وسياستها يجب أن تسقط فورا اذا أريد تجنيب البلاد الكوارث والأخطار ·· أمـا نوع الوزارة التى تليها فمسالة لاتهمنا قدر مايهمنا الآن ايقاف هذه السياسة ذات الوجهين والتى تقابل الشعب بوجه والانجليز بوجه آخر والملك بوجه ثالث فان ذلك سيكون هو مبعث الكوارث · وعقب انتهاء المناقشات وزع البيان على الحاضرين فاسرعوا به الى دور صحفهم ·

وكانت الجموع التى اعتـادت الاجتمـاع كل خميس فى دار الحزب الاشتراكى متجمعة فى انتظار سماع البيان بدورها ·

وكانت المناقشة وما ولدته فى نفسى من الحرارة الصـحية قد حسنت حالتى فنزلت الى الدور الأرضى ورحت اتلو عليهم بعض فقرات من البيان وافسره واشرحه بما يتناسب مع الاشتراكيين الذين سمعوا هذا الكلام من قبل أكثر من مرة ·

ومرة أخرى طغى على هذا الشعور بضرورة اعلان انسحابى واعتكافى فاذا بى أقول لهذه الجموع المحتشـدة ان هذا البيـان

الذى وزعته على الصحفيين بنصه فقرة تتضمن قرارى بالنسبة للموقف وهو انسحابى من ميدان المعركة احتجاجا على التصرفات الحكومية ضدنا وسياستها العامة وأننى سوف أعتكف فى الريف لأكون بريئا من مسئولية ماسوف يقع على البلاد من كوارث ونكبات ·

وانتهى الحديث وسط التصفيق والهتافات وصعدت الى حجرتى فى الدور الأعلى بينما لاحقنى ابراهيم شكرى ليعتب على عودتى الى اذاعة حديث الانسحاب والاعتزال ·· فقلت له يا ابراهيم أنت تعرف أن نفسى عندما تنبض بشىء فلست أستطيع ان اكتم هذا النبضان أو أوقفه · اننى اشعر بالكآبة تزحف على نفسى وتغمرنى بصورة عجيبة وليس من سبيل لكى اخلص من هذا الشعور الا أن انسحب فورا وسريعا ·

وفيما نحن نتحدث كان المنصرفون من اعضاء الحزب يهتفون هتافات عدائية لسراج الدين وللحكومة فانزعجت من هذه الهتافات وزادت الكآبة فى نفسى ، فبعثت للأعضاء من يأمرهم بالاخلاد الى السكينة والانصراف فى هدوء ونظام بعيدا عن كل هتاف واخلال خاصة ان البوليس كان يحيط بالدار بكميات ضخمة ·

ولم يكد الرسول الذى أوفدته يغادر الحجرة حتى سمعنا صوت جلبة فى الطريق وكر وفر وصراخ فتصورت أن ماحذرته قد وقع وأن البوليس اعتدى على الأعضاء ولكن ابراهيم شكرى نظر من خلال النافذة المغلقة فاذا به يقول لى ان المعتدى ليس البوليس ولكنهم بعض الشبان الوفديين الذين كانوا مجتمعين فى النادى السعدى هم الذين يهاجمون أعضاءنا الذين ارتدوا الى دار الحزب ليحتموا بها وكان ذلك نذيرا بقيام معركة استعمل فيها الطوب الذى انهال على دار الحزب كالمطر من دار النادى السعدى

ويدأ أعضاء الحزب الاشتراكى ينحازون ويخـــافون والوفـديون يهاجمون حتى خيف أن يهاجموا الحزب من الداخل .. فطلبت من جميع الأعضاء الذين جاءوا ليحيطوا بى أن ينزلوا ويخرجوا الى الشـــارع والا ضربوا وذبحوا فى عقد دارهم .. وفيما هم ينزلون سمعت صوت طلقات نارية فصرخت أسأل عن مصدر هذه الطلقات وخفت أن يكون أحد أعضاء الحزب مصـدرها فأقســموا لى أن الوفديين هم الذين أطلقوا النيران ..

وهكذا وجدت نفسى فجأة وسط معركـة حاميـــة الوطيس لانعرف كيف تنتهى ولامدى المسئوليات التى ستترتب عليها فغمرنى الاستسلام وانتظرت ماتجرى به المقادير وطلبت أن يعد لى فراش لأنام عليه فقد شعرت بازدياد وطأة المرض وطلبت الاتصال بالنيابة وابراهيم امام فى المحافظة .

وكان اطلاق الرصاص قد جعل البوليس يتداخل فى الأمر منعا لتفاقم المسائل فحال بين الوفديين وبين معاودة الهجـــوم وهدأت الأحوال وضرب البوليس الحصار على الحزب ليمنع خروج أى واحد منه ريثما تأتى النيابة وتضبط الواقعة الخطيرة .

ولست أعرف عندما انسحبت الى حجرة النوم لأرقد فيها اذا كنت قد نمت ام لا .. ولكننى حوالى الســاعة الثانية صباحا أو قبل ذلك بقليل أخطرت ان النيابة الآن تفتش الحزب وتعاينه فارتديت ملابسى على عجل وذهبت الى حيث كان وكيل أول نيابة جنوب القاهرة الأستاذ عدلى نسيم يعـاين الاتلافـات التى أصـــابت الحزب ومن حوله ابراهيم شـكرى وباقى الأعضـاء .. فسلمت عليه وأخبرته بنبأ مرضى فتمنى لى السلامة . وبعد ذلـك بــدأ البوليس فى تفتيش أعضاء الحزب تمهيدا للسماح لهم بالانصراف بعد قيد أسمائهم وعناوينهم . وقد انتهت هذه العملية فى الساعة

الثالثة صباحا وسمح لنا جميعا بالانصراف بعد ذلك فوصلت الى الجراج الخاص بعربتى فى هذا الوقت المبكر من صباح يوم الجمعة ٢٥ من يناير وسألنى صاحب الجراج عن الوقت الذى احتاج فيه الى العربة فقلت له اننى مريض ولن احتـــاج الى العربة ٠٠ وقد شهد الرجل بذلك عندما سأله البوليس ، فلما علموا أن شهادتـه لصالحى وتثبت عدم خروجى من البيت هددوه اذا هو تقدم للشهادة بعد ذلك ٠

وعندما آويت الى فـراشى كان عزمى وتصميمى قد استقر على وجوب تنفيذ عزمى بالانسحاب فورا وكنت قد سمعت ابراهيم شكرى يعلن عزمه على السفر الى شربين فقررت أنه فور أن أرتاح قليـلا أتصـل به فى التليفون وأطلب منه أن يحضر لأخـذنى معه الى شربين فورا ٠

وعلى هذا العزم نمت بضع ساعات واستيقظت فى الساعة الثامنة على ما اذكر حيث قيل لى ان بعض الطلاب ومعهم ضابط من الجيش يطلبون مقابلتى ٠ فقابلتهم وانا فى شدة الضجر لتعبى فاخبرونى انهم فى طريقهم الى الشرقية وانهم فى حاجة الى بعض اشياء ٠٠ ولم يكادوا ينصرفون من عندى حتى طلبت ابراهيـــم شـكرى فى التليفون فاذا بهم يقولون لى انه قد ســافر الى شربين فعجبت لذلك متى وكيف سافر وقد غادرنا بعضنا فى الساعة الثالثة صباحا ونحن الآن قبيل التاسعة ولم اعرف كيف سافر الا بعد ان اتصلت به فى شربين تليفونيا بعد ســاعة وفهمت منه انه سافر بعد ان غادرنى فى الثالثة صباحا على الفور ٠

فعتبت عليه لماذا لم يأخذنى معه فقال لى انه لم يكن يتصور وانا متعب بهذه الصورة ان يأخذنى معه فى هذه الساعة المبكرة من الصباح وأنه سيعود الى مصر قريبا جدا ليأخذنى الى شربين ٠٠

وانقضى اليوم فى هدوء نسبى وأرسلت لى السيدة بهيجة البكرى فيما أذكر دواء (لأتغرغر به) ولكنى لم استعملــه .. واعتذرت عن مقابلة أحد وارتفعت حرارتى الى ٣٨٫٥ وعند المساء ترامت الينا الأخبـار بما حدث فى الاسماعيلية حيث طلب الانجليز من قوات البوليس المرابطة بها أن تسلم لهم دار المحافظــة وأن يسلموا أسلحتهم للانجليز . وقد صدرت الأوامر لهؤلاء البؤساء بالمقاومة حتى النهـاية .. وقد قاوموا فى بســالة حتى النهاية فقتــل منهم أربعون وجرح فريق آخر وأسر باقى القوة وعددهـا ألف جنـدى بضباطهـا ورؤســائها واســتولى الانجليز على دار المحافظة . وهكذا وقعت أولى الكوارث التى توقعتهــا من هذه السياسة الشاذة سياسة فؤاد سراج الدين والذى يريد أن يحارب الانجليز بعساكر بلوكات النظام .

وقد أدركت على الفور أن هذا الخبر سيكون له وقع سيىء فى النفوس وستهيج مشـاعر الشعب فى اليوم التالى .. ولكنى مع كل حساباتى وتقديراتى لم أتخيل قط أن يحدث بعض هذا الذى حدث فى اليوم التالى .. يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ .

٢٦ يناير ١٩٥٢ ..
أطول يـوم فى التـاريخ

٢٦ من يناير ١٩٥٢

استيقظت فى صبيحة السبت ٢٦ من يناير فى ساعة متأخرة ـ من غير شك ـ لتقول لى زوجتى : ان محمود وصفى قد تكلم فى التليفون وأخبرها بأنه قد شاهد مظاهرة من عساكر بلوكات النظام وهم يهتفون : « نريد السلاح .. نريد السلاح .. اين السـلاح يا نحاس ؟ » والجماهير تحيط بهم وتهتف معهم .

كان هذا هو الخبر الذى القته لى زوجتى فى هدوء وبساطة ، ولم تكن تعرف ـ من غير شك ـ انها بهذا الخبر تخط السطر الأول فى سلسلة متاعبها وآلامهـا التى تجرعتها طوال عام تقريبا لم يكن فى مصر كلها من عانى هذا الذى عانته .

وكان ردى عليها « ماذا تقولين .. عساكر يتظاهرون ؟! هذه ثورة » ولقد كانت ثورة بالفعل وأدركت ذلك فى التاسعة من صباح يوم السبت ٢٦ من يناير ، حيث لم يدرك هذا المعنى سراج الديـن أو حكومة الوفد الا فى آخر النهار على اطلال مدينة القاهرة .

ومضت زوجتى تحدثنى عن ملاحظة أخرى لاحظتها وهى خلو الميدان امام بيتنا من العساكر كما هى العـــادة فى مثـــل هذه الظروف ·· فان بيتنا يقع عند نهاية كوبرى عباس من ناحيـــة الروضـة ، وفى هذه المنطقة ترابط دائما قوات البوليس فى انتظار مظاهرات الجامعة فى طريقها نحو القاهرة لتصدها وتمنعها ، وفى هذا المكان وقعت واقعتا كوبرى عبـاس الأولى والثانيــة .. الأولى عندما سقط شهداء « مصر الفتاة » والجامعة فى نوفمبر ســنة ١٩٣٥ ، وعلى رأسهم عبد المجيد مرسى وعبد الحكيم الجراحى ، ومن بينهم ابراهيم شكرى الذى أنجاه الله ، والثانية فى ١٩٤٥ خلال حكم النقراشى ·

لذلك فقد اعتدنا ان نرى هذا المكان مكتظا بكل صنوف الجند فى حالات الطوارىء ·· وكانت زوجتى دقيقة فى ملاحظتها عندما رات المكان خاليا من جميع الجنود .. وكان ذلك ـ بالاضافة الى خبر محمود وصفى ـ يدل على ان رد فعل حادث الاسماعيلية قد ظهر بكل عنف بين صفوف عساكر البوليس بالذات .. وان كان ذلك وضعا طبيعيا باعتبارهم ضحية الحادث ، ولكن لم أكن أتوقع شيئا من ذلك ·

وطالعت الصحف ـ الأهرام والمصرى ـ وكانت عناوينهمـا ضخمـة ومثيرة ، وبمجرد القاء نظرى على هـذه العناوين قدرت تاثيرها المخيف وان اليوم سيكون يوما مضطربا لا يعلم سوى الله ماذا تكون نتيجته .. ولكن أيا كان الاضطراب وصوره التى دارت فى ذهنى ، فقد كانت الصورة التى وقعت بالفعل هى ابعد ماتكون عن تفكيرى ·

وكانت حالتى الصحية أحسن حالا ـ من غير شـــك ـ بعد الراحة الكاملة فى اليوم السابق ، ولكننى شـــعرت بضـــرورة

الاستمرار فى الفراش ‥ وقد زادتنى هذه الأنباء رغبة فى التمسك بعدم مبارحة الفراش، فتناولت طعام الفطور فى الفراش بالذات ‥ وبدأ جرس التليفون يدق وقد كان مقدرا لهذا الجرس ألا يهدأ بعد ذلك لحظة واحدة .

وقد نسيت الآن أسماء هؤلاء الذين راحوا يحدثوننى فى هذا اليوم ويصفون لى مايرونه ‥ مظاهرات عارمة يتوسطها العساكر ويحيط بها الجمهور ‥ هذه مظاهرة فى ساحة الجامعة ‥ وهذه مظاهرة أخرى تنحدر من الأزهر نحو العتبة الخضـــراء ، وهذه مظاهرة ثالثة تأتى من بولاق يؤلفها عمال العنابر والترسانة ‥ والبوليس فى كل مكان جزء لا يتجزأ من المظاهرات ‥ والصيحة فى كل مكان « نريد السلاح ‥ نريد السـلاح ‥ أين السـلاح يا نحاس ؟ » .

ضرورة اسقاط الوزارة

وعندما ينضـم البوليس الى الشـعب فهذه هى الثورة ، أو هذه هى الفوضى ، ولا يحق لحكومة ان تبقى لحظة واحـــدة فى الحكم اذا أفلت الزمام من يدها ، وانقلب عليها البوليس لأنه أداتها فى حفظ الأمن واعلاء سلطان الدولة ‥ فاذا تمرد البوليس عليهـا فقد انتهت الدولة ‥ ولذلك فلم يعد هناك أى مبرر فى نظرى لأن تستمر الوزارة فى الحكم اذا أريد تفادى كوارث خطيرة .

واسرعت بالاتصال بالأستاذ مصطفى أمين فى أخبار اليوم ‥ وسألته عما لديه من أخبار ؟ فوجدتها تطابق ما عندى من الأخبار فسألته اذا كان يقدر خطورة هذا الذى يجرى ؟ فأجابنى بالايجاب فقلت له : ان البلاد معرضة لخطر جسيم ولست أرى سبيلا لاطفاء نيران الفتنة الا اقالة الوزارة أو اقالة سراج الدين على الأقل باعتباره

وزير الداخليـة الذى انتهت سياســته الى هذه النتيجة المخزية .. وطلبت منه أن يتصل بحافظ عفيفى الذى طالما طلب منى مصطفى أمين أن أقابله لأشرح له وجهة نظرى ، فرفضت ذلك باصرار ، ولكن ازاء هذه الحوادث لم يسعنى الا أن أطلب من مصطفى أمين أن يبلغ حافظ عفيفى على لسانى بأن الحالة خطرة جدا ، وانه لابد لانقاذ البلد من اقالة الوزارة أو على الأقل اقالة سراج الدين باعتباره وزير الداخلية وتعيين وزير داخلية جديد .. فوعدنى مصطفى أمين بانه سيفعل ذلك .

وعادت التليفونات تدق .. تتحـدث عن تطور المظـاهرات وتفاقمها وكيف انضم اليها ضباط وعساكر من الجيش يحيطون بمجلس الوزارة احاطة السوار بالمعصم وان الهياج قد بلغ أشده .

واتصل بى بعض طلاب الجامعة وطلبوا منى أن أنزل لكى ألقى نظرة على هذه المظاهرات الشعبية التى لا مثيل لها ، فصرخت فيهم محتدا وسألتهم اذا كانوا مجانين ليقترحوا هذا الاقتراح ؟! وأفهمتهم أننى مريض وملازم الفراش واننى لو كنت سليما معافى لما نزلت الى الشــارع فى هذا اليوم العصيب الذى لا يعلم سوى الله كيف ينتهى .

حريق كازينو اوبرا

ثم جاء الخبر المشئوم نذير الشر المستطير .. لقد حدثنـى متحدث وأخبرنى بأن المتظاهرين أشعلوا النار فى كازينو أوبرا ، ووصف لى المتحدث كيف أن رجال البوليس يقفون جامدين لايحركون ساكنا ، بل ان بعضهم يشترك فى تحريض المتظـــاهرين ، وزاد محدثى .. أن رجال المطافىء انفسهم ـ وهم على بعد خطوات من المكان ـ لم يتحمســوا للاسراع نحو المكان لاطفـــاء النـيران ..

وتملكنى الخوف لدى سماع هذا النبأ وكان احساسى الغريزى قد بدأ يتنبه فاشعر بالخطر الذى يزحف نحوى .

وعاودتنى فكرة ضرورة اقصاء وزير الداخليـة واقصـاء الوزارة كلها لانقاذ البلاد .. وحاولت الاتصال بمصطفى أميـن لأسأله عما فعله فلم اجده فى الدار ، وحدثنى الأستاذ حسنين هيكل ولم يكن الخبر قد وصل اليه فحدثته عنه وعما يجرى من مظاهرات حول مجلس الوزراء فعلق على ذلك بقوله : لقد اضطررت للسفر الى ايران أو الى سوريا لكى اكتب مقالا مثيرا ، اما الآن فما على الا أن أنزل الى الشارع لكى أرى مثل هذه الحوادث .. فطلبت منه أن يتصل بى وأن يخبرنى أولا باول بما يرى ويسمع .

واسرعت للاتصال بادجار جلاد لأحمله نفس الرسالة التى حملتها لمصطفى أمين ولم أعرف ماذا فعل بها .

وقد كنت أختار الأشخاص الذين اعلم أنهم على صـلات وثيقة بالقصر ورجاله ، فانه باستطاعتهم أن يعلموا طريق الاتصـال السريع سواء عن طريق التليفون أم غيره ، وقد فاتنـى أنه فى الأزمات وفى المواقف الدقيقـة كان المتصـلون بالقصر يصبحون أعجز الناس عن أن ينقلوا خبرا أو يقوموا بأى مهمة من أى نـوع كان ولو كانت لصالح القصر الذى يعيشون فى ظل نعمائه ..

اتصلت بادجار جلاد عقب حرق كازينو اوبرا فعلمت منه أنه قادم من الاسكندرية ولا يعرف مدى خطورة الموقف .. وكل الذى يعرفه أن البوليس هم بمصادرة جريدة الزمان ، ثم احتج عليـه فأوقف مصادرة الطبعة الأولى التى كانت تتضمن أنباء مظاهرات رجال البوليس وتمردهم .. فحدثته عن خطورة الموقف وأن حريق كازينو أوبرا ينذر بأفدح الكوارث اذا لم يتدارك المسئولون الأمـر

بكل شدة ، وان وزير الداخلية مسئول عن هذه الحالة بسياسته العرجاء المذبذبة ، وانه يجب أن يسقط حالا ليتولى مقاليد الداخلية رجل يعيد الأمن والنظام ويهدىء الحالة .

فقال ادجار جلاد ان مثل هذه الموضوعات لا يتكلم فيها فى التليفون وانه يريد ان يرانى ·· فأخبرته بانتى مريض وملازم الفراش وحبذا لو زارنى .. فأخذ نمرة البيت على أن يزورنى فى اليوم التالى ·

وكان عندى اثناء هذه المكالمة الأستاذ اسماعيل عامر الذى جاء بدوره يصف لى مايجرى فى انحاء القاهرة ، ويطمئن على صحتى وقد جاءنى بأحد العقاقير الطبية ·

وكان حريق كازينو أوبرا بمثابة اشعال عود الثقاب ·· فقد تلاه حريق سينما ريفولى ، ولم يكد يصلنى نبأ حريق سينما ريفولى ، وكيف ان ابراهيم امام والبوليس يقفون موقفا سلبيا ، حتى وصلنى نبأ حريق سينما مترو ، وأحسست بلفح النار يغمرنى شخصيا ·· فازددت تشبثا بالفراش وتصرفت كما يتصرف الأطفال عندما يخافون بالليل أو يسمعون خبرا مثيرا فيغطون وجوههم باللحاف · وفى ذلك الوقت تمنيت لو أستطيع ان أعمل ذلك ·

وانتقلت الحرائق ــ كما هو شأنها دائما ــ من هذه الأمكنة المركزة الى سائر انحاء القاهرة وتسامع اللصوص والسراق والعاطلون والمتشردون ان البوليس لا يتعرض للذين يحرقون أو يسرقون أو ينهبون ·· فاستغلوا فرصتهم وراحوا فى كل مكان يحرقون السينما والحانات كذريعة لسرقتها ونهبها .

وعند هذا الحد ادركت ان القاهرة كلها قد تلتهمها النيران اذا لم يظهر على المسرح عنصر يعيد النظام والهدوء ·· بل ان الانجليز انفسهم قد يحتلون المدينة انقاذا لأرواح مواطنيهم ، او بالأحرى استغلالا للفرصة لكى يضربوا حركة الجهاد الشعبى ضدهم ·· فأسرعت بالاتصال بعلى ماهر لكى اقف على رايه فى الموضوع وأطالبه بأن يعمل شيئا لانقاذ البلاد ·

وكان قد انقضى على زمن طويل لم اخاطب فيه على ماهر لجنوحه المستمر نحو تأييد مدرسة الجيل القديم من الساسة ، ولأنه يأخذ بالأساليب الرأسمالية كغيره من الرأسماليين سواء فى تفكيره أم فى خططه ، ولذلك فقد كتبت منتقدا بعض تصرفاته وحدثت بيننا تبعا لذلك شبه جفوة ··

وكانت اخبار اليوم او آخر ساعة قد أجرت استفتاء للشعب فيمن يقترحه رئيسا للوزارة فى ذلك الوقت ·· وحدث ان كنت فى الحجرة المخصصة لجمع أوراق هذا الاستفتاء ، فوجدت اكداسا من الأجوبة التى انهالت على الصحيفة من الرأى العام ، وكان التيار الغالب فى الآراء هو ترشيح على ماهر لرئاسة وزارة قومية ·· ولما كنت اتأثر الى حد بعيد بآراء الرأى العام فلم يسعنى الا ان انضم الى هذا الرأى ·

فلما أن وقعت حوادث القاهرة وبدأت تنذر بكوارث يشيب لهولها الولدان ، كما حذرت وانذرت ·· فقد اتجه فكرى على الفور الى على ماهر ليقوم بدور فى هذا اليوم لانقاذ البلاد ،

فاتصلت به وكان هو الذى رد على ولم تكن فكرته عن الموقف تزيد على ان هناك بعض المظاهرات العادية .. فشرحت له ما يجرى وكيف ان العساكر من البوليس والجيش يحيطون بمجلس الوزراء فى مظاهرة صاخبة ويطالبون بالسلاح فأجابنى : هذه ثورة ، فقلت له انها كذلك ، ثم حدثته عن الحرائق وخطورتها وامتدادها السريع من مكان الى مكان ، وطلبت منه باعتباره من أكبر ساسة مصر أن يتجه فورا الى القصر ، ويصر على وجوب مقابلة الملك لافهامه خطورة الموقف وضرورة العمل السريع لايجاد حل ، وذكرت له ان رأيى الشخصى هو اسقاط وزارة الوفد وتأليف وزارة قومية .. فوعدنى بأن نتصل على كل حال بحافظ عفيفى وانتهت المكالمة عند هذا الحد .

وبعد قليل من هذه المكالمة اتصل بى حلمى الغندور وهو فى حالة فزع من تطور الموقف ، وكيف أصبح النهب والسلب والحرق يتم بواسطة عصابات لا تجد من يردعها وأن القاهرة توشك بأكملها أن تصبح طعمة للنيران .

وخاطبنى آخرون فى مثل هذا المعنى .. ودق التليفون من جديد لتخبرنى زوجتى بأن المتكلم هو على ماهر نفسه فاغتبطت بهذه المكالمة التى دلتنى على شديد اهتمامه وان كان قد شهد بعد ذلك أمام المحكمة أنه كان فى هذه المكالمة الثانية انما يقوم باجراء بوليسى . فقد استراب فى المكان الذى خاطبته منه فأراد أن يتحقق من وجودى بالمنزل فاتصل بى وهكذا كشف الرجل عن سريرته ونفسيته ، ولكن فى ذلك الوقت لم اتصور الا أنه خاطبنى اهتماما بالموضوع الذى حدثته فيه .. وقد بدأ حديثه بأنه لم يستطع الاتصال بحافظ عفيفى ثم سألنى عما اذا كانت لدى معلومات جديدة فأنهيت اليه آخر ما وصل الى من معلومات ، وقلت له اننى أخشى اذا استمر الحال على هذا المنوال أن تحتل الجيوش

الانجليزية القاهرة ٠٠ فأجابنى : أوصلت الأمور الى هذه الدرجة ؟! فقلت له بل كلها أسوأ مما أتخيل وكررت أن الحل الوحيد هو أن تتألف وزارة قومية برئاسته وحذرته من أن تتألف الوزارة برئاسة حافظ عفيفى ، فهو شخص قد أصبح ممقوتا ومكروها من الشعب ، وعاتبته فى صداقتـــه عفيفى التى يتشبث بهـا ، فأجابنى بأننى لم اقل شيئا عن حافظ عفيفى الا انه وطنى ، وكان يشير بذلك الى حديث جرى له مع احدى الصحف وكنت لم اطلع على هذا الحديث وقد تصور اننى اشير الى هذا الحديث ٠٠ فرحت أشرح له كيف أن الموقف الآن فى السياسة أصبح يتلخص فى حقيقة واحدة ألا وهى « مع الشعب أو ضد الشعب » ، وأن أى سياسى يجب أن يقاس بهذا المقياس ٠٠ واسترسلنا فى الحديث طويلا ثم قلت له اذا كانت صحتى ستساعدنى غدا فانى أرجو أن أتمكن من المرور عليك لنتحدث فى كل ذلك ٠٠ وعند هذا القدر انتهت المكالمة ٠٠ واستمرت الأحاديث التى تحمل لى الأنباء أو تسألنى عما أعلم من أنبـــاء تتوالى ٠٠ ولكن كنت قد بدأت استشعر خـوفا غامضا من أننى لابد ساصاب بأذى من جراء هذه الحوادث ٠ وقد بدأ هذا الشعور يتزايد حتى جاءنى ما يؤكد ذلك المعنى وما يدعونى لمبارحة المنـزل خوفا من جريمة قتل تدبر لى وسط هذه الفوضى ٠٠ وكان آخـر من جاءنى هو الأستاذ على الغاياتى الذى قرر أمام المحكمة انـه خاطبنى فى الرابعة والنصف ، وكان كغيره يقص على ما يراه من مناظر المظاهرات ويسأل عن صحتى ٠٠ وقد فاتنـــى أن اذكر أن جريدة الأهرام نشرت فى صباح ذلك اليوم نبأ اعتكافى ومرضى فكان ذلك مدعاة لكثيرين للسؤال عن صحتى ، وبالتالى كنت أتلقى منهم مالديهم من أنباء ٠

وتلقيت هذه المكالمة التى أشرت اليها فيما سبق والتى حذرنى فيها مجهول من خطر سيصيبنى فاسرعت وارتديت ملابسى على عجل وقلت لزوجتى ان بقائى فى المنزل بعد ذلك يعرضنى لخطـر

جسيم ٠٠ ففى وسط هذه الفوضى قد يجيئون لاعتقالى وقد يقتلوننى خلال ذلك ٠٠ فانزعجت المسكينة وأسرعت تساعدنى على ارتداء ملابسى فى لهفة ونزلت الى الشارع حيث أحضر لى ابنى مصطفى سيارة تاكسى ، فنقلتنى الى منزل الدكتور محمد حلمى مراد بشارع قصر العينى رقم ٤٦ ، وعندما صعدت الى شقته فى الدور الثالث وسألت عنه وجدته قد نزل وذهب لمقابلتى بالمنزل للسؤال عن صحتى ولتحذيرى من البقاء بالمنزل وسط هذه الفوضى التى توشك ان تغمر كل شىء ٠٠

فلم يكد يصل الى بيتى حتى علم أننى فى بيته فلحق بى وأبدى عجبه لهذا التوارد الفكرى العجيب ٠

ولم يكد يستقر بنا المقام حتى كان ابراهيم شكرى – الذى دعوته من شربين – وقد وصل ، وجلسنا نستعرض الحوادث التى وقعت ، كيف اننا تنبأنا بوقوعها ، ولو كان قد سمع لانذارتنا وتحذيراتنا لنجت البلاد من هذه الكارثة ٠

وبينما كنا نتحدث دق جرس التليفون وسرعان ما أدركنا أن ما كنت أتوقعه واحذره قد وقع بالفعل ، فقد قصدت الى بيتى مجموعة من ضباط البوليس والجيش ليقبضوا على وقد ارتعدت فرائصى عندما سمعت نبأ ضباط الجيش الذين ذهبوا لاعتقالى ، فلم يكن هناك أى مبرر لذهابهم الا أن يكون ذلك مصداقا لهذا التحذير الذى وصل الى ، وقد زادنى ذلك اصرارا على الا أقع فى قبضة أيديهم فى هذه الفترة ، وتجسم فى خاطرى ان ذلك يعنى موتى المحقق ، ولذلك فقد أعلمت ابراهيم شكرى بعزمى على الاختفاء من وجه الحاكم العسكرى ، وقد فاتنى أن أذكر اننى كنت قد اتصلت فى ذلك الوقت بمصطفى أمين فى أخبار اليوم فأخبرنى

بأن سراج الدين قد ابلغ السراى بأن الاشتراكيين هم المسئولون عما حدث فى هذا اليوم ، فملأنى ذلك ذعرا لا زيادة بعده لمستزيد من ان تنسب الينا هذه الكوارث ، وأنا مريض فى فراشى وابراهيم شكرى فى شربين وقد فاجأتنا كما فاجأت أى مصرى آخر ٠

وقد ضاعف ذلك فى اعتقادى بأنه يراد التخلص منا بمناسبة هذه الحوادث ٠

ولذلك قد وافقنى ابراهيم شكرى والدكتور محمد حلمى مراد على ضرورة الاختفاء ريثما تستقر الأحوال وتتضح الحقائق وعلى ذلك فقد نزلنا من البيت وركبنا احدى سيارات الأجرة أنا وابراهيم شكرى ٠٠ فنقلتنا الى منيل الروضة حيث يقيم الدكتور محمود فهمى ابن أخت ابراهيم شكرى ٠٠

وفى بيت الدكتور سمعنا الاذاعة التى حملت الينا انباء اعلان الأحكام العرفية وتعيين مصطفى النحاس حاكما عسكريا ٠٠ وسمعنا فى الاذاعة النطق الملكى الكريم الموجه لضباطه الذين دعاهم للمأدبة فى قصر عابدين بمناسبة « سبوع » ولى العهد ٠ لقد كان المنطق الملكى الكريم يفيض بالقحة والتحدى والاستهتار ، وقد أحسست وأنا أستمع اليه وكان الملك يتحدانى به ويقصدنى بما تنضح به عباراته من الحقد ضد هذا الشعب ٠٠ وكان يتكلم عن الاضطرابات التى وقعت فى هذا اليوم ، وانه فكر فى الغاء هذه المأدبة بمناسبة هذه الحوادث ولكنه رجع عن فكره وقرر أن يقيمها ، فليس أبلغ من اظهار سلطانه وقوته وانه لا يتأثر بهذه الخزعبلات من أن تقام الحفلة فى موعدها المقرر ٠٠

وهكذا أقيمت المادبة على وهج حريق القـاهرة · ولست اتصور أن هناك جريمة من جرائم فاروق تفوق هذا الموقف الذى يذكرنا بفعله نيرون عنـدما حرق روما وهو يغنى على قيثارته ·· واذا كان نيرون قد هالته جريمته بعـد ذلك فحرص على أن يلصق هذه الفعلة بدعاة المسيحية فى ذلك الوقت ، فألقى بهم الى الأسود الجائعـة وسط شعب روما المتعطش للانتقام ، فكذلك كان شأن فاروق عندما حاول ان يلصق بالحزب الاشتراكى وبى بصفة خاصة هذه التهمة الشنعـاء ليتخلص منا وسط لعنات الشعب وسخطه ·

السـفر الى الاسـكندرية

وبعد تردد طويل فى هل الأفضل أن نبقى فى القاهرة وفى هذا البيت الذى وصلناه بالذات أم نسافر الى خارج القاهرة ، استقر رأينا على ان نبرحها على الفور الى الاسكندرية ، وقد قرر ابراهيم شـكرى أن يزاملنى فى الاختفاء وفى المصير · فكان لذلك أعظم الأثر فى نفسى فليس هنـاك ما يقوى جنان المجاهد أكثر من أن يجد الى جواره رفيقا مخلصا أمينا كابراهيم شـكرى ·· وفى الأيام المقبلة لم أكن أفتأ أتذكر موقف الرسول وهو يهاجر خفية من المدينة والى جواره ابو بكر الصديق يشاطره آلامه ومتاعبه وكنت أتمثل بنص القرآن « ثانى اثنين اذ هما فى الغـار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » ·

وبدأنا رحلتنا فى حذر شـديد خوفا من أن تكون هنـاك أرصاد حول مدينة القاهرة ، ولذلك فقد درنا دورة طويلة جـدا لنتفادى نقط المرور التى يعرف ابراهيم شكرى مواضعها لكثرة ما يذرع هذه الطرقات وقد أمكن بالفعل أن نخرج من نطاق

القاهرة دون أن نرى أنفسنا مضطرين للوقوف فى أى نقطة من النقط .. وكان لنجاح اقامتنا فى الاسكندرية لابد لنا من رفيق يعد لنا الطعام ويتصل بالخارج ويشترى لنا الحاجات .. فكان من برامجنا أن نقصد الى عزبة ابراهيم شكرى فى شربين لاستصحاب أحد رجاله الأمناء الذين يعتمد عليهم فى هذا الظرف ويسمى صادق . وعلى هذا بدأنا رحلتنا فى اتجاه شربين ، وكانت السيارة التى نستعملها أو بالأحرى سيارة الدكتور محمود فهمى من النوع الصغير جدا أشبه ما تكون « بالجرادة » وكان يدهشنى انها تحملنا وتسير بنا وننتقل من بلد الى بلد فى جنح الليل على الرغم من أننا كنا نسير ببطء وحذر . وكان خوفنا يتجدد كلما اقتربنا من حدود بلد من البلاد خوفا من نقط المرور ، ولكن كان كل شيء يبدو عاديا . وعندما وصلنا الى طنطا فى منتصف الليل بدأنا نتردد فى الذهاب الى شربين وهل نذهب اليها بأنفسنا أم نرسل شخصا آخر لانجاز المهمة ونبقى فى انتظاره .. ولكننا خرجنا من هذا التردد بانطلاق السيارة بالفعل نحو شربين .

وقبيل الثانية صباحا كنا نقترب من شربين وبدافع احساس غريزى قلت لصاحبى يجب الا ندخل عزبة ابراهيم شكرى من الطريق الطبيعى بل لابد لنا من اختيار طريق لايقربنا من بلدة شربين نفسها وسرعان ما رسم ابراهيم الطريق الجديد الذى نسلكه للاقتراب من العزبة دون اجتياز الطرق العادية .. وهنا تجلت فائدة هذه السيارة (الجرادة) فقد بدأت تسير فى طريق لا تصلح لغير سير الدواب تقريبا وساعد ظلام الليل على مضاعفة وعورة الطريق وصعوبته حيث احتجنا الى ما يقرب من الساعتين لاجتياز مسافة لا تزيد على بضعة كيلو مترات .. وكادت السيارة تسقط بنا أكثر من مرة فى بعض الترع او المصارف . وأخيرا

وبعد جهد استطعنا أن نقترب من العزبة من الخلف • فاوقفنا السيارة على بعد كيلو متر ونزل محمود فهمى ليدنو من منازل القرية •• وكان أول من صادفه بطبيعة الحال الخفراء فطلب منهم ايقاظ صادق وبعد لحظات أدركنا سر هذا الحذر الشديد الذى استولى علينا ونحن نقترب من شربين فقد علمنا أن البوليس قد سبقنا اليها أو وصلها فى الساعة الواحدة صباحاً وسال عن ابراهيم شكرى وفتش القرية ثم عاد ثانية بعد ساعة أخرى ، واننا لو اقتربنا من القرية بالطريق العادى لصادفنا فى الطريق على وجه التحقيق •• وهكذا صدقنى احساسى بنعمة من الله كما صدقنى دائماً •

وعلى الرغم من اننا كنا فى صباح ٢٧ يناير اى أننا فى صميم الشتاء والشمس تشرق متأخرة فقد انسحبنا من شربين وقد بدأ النهار يسفر •

وعدنا مرة أخرى من هذا الطريق الوعر الذى سلكناه للاقتراب من العزبة •• ثم الى الطريق العام وبدأنا الرحلة نحو الاسكندرية •

وفى طريقنا نحو طنطا مرة أخرى كان علينا أن نجتاز المحلة الكبرى وأن نشقها فى وضح النهار ، وأن نأخذ منها بنزيننا وابراهيم شكرى معروف لكل الناس ولذلك فقد وضعت منظارا على عينى وأمسكت بصحيفة الأهرام الصادرة فى ذلك اليوم وحجبت وجهى متظاهرا بالمطالعة فيها وكذلك فعل ابراهيم •• بينما كان الدكتور محمود فهمى يفرغ البنزين المطلوب •• وأخيرا وبعد فترة مرهقة على أعصابنا خرجنا من المحلة ، وتجددت

المحنة فى طنطا ولم تهدأ أعصابنا بعض الشىء الا بعد أن اجتزنا طنطا فى جو عادى وبارحنا الى الاسكندرية .

واستأنفنا الرحلة فى جو عادى ولكن القلق كان يغمرنا وتوتر الأعصاب على أشده وكان ذلك يزداد كلما اقتربنا من حدود الاسكندرية . فلا شك اننا سنلقى عند هذه الحدود من ينتظرنا للقبض علينا ولذلك فقد اتفقنا أن نوقف السيارة قبل نقطة المرور وأن ينزل الدكتور محمود فهمى ليقترب من النقطة سيرا على الأقدام لاستطلاع ما بها .. ولكننا لم ننفذ هذه الخطة خوفا من أن يلفت النظر بهذه الحركة ، ورأينا أن نجازف بمصيرنا فواصلنا السير ولم نقف عند نقطة المرور ولم يستوقفنا أحد وهكذا دخلنا الاسكندرية فى الساعة الحادية عشرة صباحا ، ووجوهنا مصفرة من السهر والقلق والمجهود المتواصل .. ولم نكد نسير على الكورنيش ونلمح زرقة البحر حتى أحسسنا بالراحة وخفت حدة التوتر الشديد التى كنا نعانيها .

وفى النهاية وصلنا الى البيت المقصود فى مصيف سيدى بشر وفى احدى شققه المغلقة وجدنا مستقرنا فى النهاية .

وكان أول همنا أن نأكل حتى اذا أكلنا تركنا الدكتور محمود فهمى ليعود لمزاولة عمله فى القاهرة ، ثم أوينا الى فراش النوم وكان الوقت عصرا فرحنا فى سبات عميق . وقد نكون استيقظنا مرة بعد ذلك فى الليل ثم نمنا من جديد وأخيرا فتحنا أعيننا فاذا بنور الشمس ينفذ من خلال النوافذ المغلقة فدلنا ذلك على أننا واصلنا النهار بالليل نوما وأننا الآن أصبحنا فى يوم الاثنين ٢٨ من يناير .

وأرسلنا رجلنـــا ليشترى لنا طعام الفطور وقد غاب طويلا ولكنه عندما عاد لم يكن يحمل فطورا فقط ز ولكنه كان يحمل نبأ ضخما جدا كأسعد ما يمكن ان يسمع الانســـان من أنباء ، لقد سمع الناس تتحدث عن أن الوزارة وزارة النحاس قد سقطت وأن على ماهر قد ألف الوزارة الجديدة ٠٠ ولم أكد أصدق اذنى وأنا اسمع هذا النبأ فقد كان آخر ما أتصوره وأتمناه ٠ ان على ماهر هو الرجل الوحيد فى مصر الذى يشهد لى اننى لم أكن ملازما بيتى فى يوم ٢٦ من يناير فحسب بل انه الرجل الذى يشـهد كيف كنت أنكر الحوادث وأسعى جاهدا لانقاذ البلاد مما يهددها ٠٠ ان شاهد براءتى الأول قد أصبح هو رئيس الحكومة فأى فضل وأى نعمة جزيلة قد أسبغها الله على ٠٠٠ ما أعجب الحوادث عندما تؤيد وجهة نظره الى هذا الحد ٠٠ لقـد خاطبت على ماهر فى يوم ٢٦ لكى يكون رئيسا للحكومة وها هو لا تكاد تمضى اربع وعشرون ساعة على مكالمتى له حتى يصبح رئيس وزارة بالفعل فكأننى كنت أصدر مرسوما بتعيينه عندما خاطبته ٠ لقـد كان على ماهر فى عقر داره وأبعد الأشـياء عن خاطره أن يكون رئيسا للحكومة ، فكنت أنا أول من اتصل به فى هذا اليوم ليؤكد له الا حل لانقاذ البلاد الا أن يتولى الوزارة ٠٠ فكان هذا الذى اقترحت ولابد أن على ماهر سيذكر لى ذلك ٠٠ ولابد أنه سبقنى لى ذلك ولست أطمع فى أن أكون وزيرا ، أو أن ألقى منـه جزاء أو شكورا ٠٠ وكل الذى أطمع فيه وقد أصبح الرجل رئيسـا للحكومة أن يلغى الأمر الصادر باعتقالى ، وتحول كل همنا بعد سماع هذه الأخبار والتأكد منها أن نسرع الى القاهرة على أجنحة الريح بعد أن أصبحنا فى أمن وسلام بتولية على ماهر رئاسـة الحكومة ٠

ولم تكن لدينا سيارة ٠٠ وكانت سيارة ابراهيم شكرى متصل ولكننا لا نعرف فى أى ساعة تصل من القاهرة فاتصلنا بالدكتور صالح مهدى وطلبنا منه ان يترك كل شيء وأن يسرع بنا بسيارته الى مصر ٠ ولقد لبى الرجل ولم يتردد لحظة فى أن يتخلى عن عيادته وعن مستشفاه ليوصلنا الى القاهرة ٠٠ فأعطى أوامره وتعليماته ، وعند ظهر يوم ٢٨ من يناير كنا فى طريقنا من جديد الى القاهرة ولكن شتان ما بين رحلتنا الماضية وهذه الرحلة ٠٠ ففى هذه المرة لم يكن هناك فى نفوسنا اى خوف أو قلق ٠٠ لقد سقط سراج الدين الذى كان يقف لنا بالمرصاد وأصبح على رأس الحكومة صديق ٠٠ على رأسها على ماهر الذى يعرف من دون المصريين جميعا اننى كنت فى بيتى يوم ٢٦ من يناير ٠

وكان يجب علينا أن نصل الى القاهرة قبل الليل فالجيش كان محتلا للقاهرة والتجول ممنوع من السادسة مساء حتى السادسة صباحا ، وان كنا علمنا فور وصولنا الى القاهرة ان اول عمل لعلى ماهر كان جعل منع التجول يبدأ من التاسعة مساء ٠ ووصلنا الى القاهرة واخذنى ابراهيم شكرى الى احد منازل العائلة وقد كان خاليا من سكانه وهو بيت عظيم رائع شعرنا فى داخله بالاطمئنان ٠

حملة الاتصالات

الثلاثاء ٢٩ من يناير

ويدأ من هذا المكمن ما يمكن ان يوصف بأنه حملة الاتصالات التليفونية ٠٠ اتصالات بالوزارة واتصالات بالصحف واتصالات بكل انسان له رأى وذلك لمعرفة آخر ما تكشف من حقائق يوم

٢٦ من يناير ومعرفة التفاصيل الكاملة عما حدث فى هـذا اليوم وعن تفسيره وتعليله ·· واتصالات ببعض معارفى من الوزراء ليتصلوا بعلى ماهر ليعمل على تصفية موقفى وكان على راس هؤلاء الوزراء محمود حسن سفير مصر السابق فى أمريكا الذى خاطبته اكثر من مرة فى كل يوم ·· كما اتصـلت بكريم ثابت وادجار جلاد ومصطفى امين ليذكروا الحقائق عن موقفى وبراءتى من حوادث ذلـك اليـوم ·· واتصـلت بصـالح حـرب ·· بل ويعبد الفتاح حسن الوزير الوفدى الســابق وعن طريقه اكملت معلوماتى عن ذلك اليوم فقد أمدنى ببعض التفاصيل التى شاهدها بنفســـه ·

وجرت لنا فى التليفون مناقشات حادة حملت فيها على فؤاد سراج الدين حملات شعواء واعتبرته المسئول عن كل هذا الذى حدث ·

واتصلت بالصحف وهى التى تعكس ما يدور فى الراى العـام فهالنى ما لمسته من حملة الأكاذيب والاشاعات التى فجرها حول ما قمت به فى ذلك اليوم ·· على أننى لم ادرك مدى التأثير العميق بهذه الاتهامات وما وصلت اليه من تواتر الا عندما اتصلت بالدكتور حلمى مراد فوجدته فى فزع من أن تصل الأمور الى هذا الحد ·· فالعامة يتحدثون عن الخمسين الف جنيه التى قبضتها ثمنا لحرق القاهرة ·· وهناك أناس تقسم انهم شاهدونى أخرج من الســفارة الانجليزية أو أحتمى بها وآخرون فى الطرف الآخر يقولون بل شوهدت أخرج من المفوضية الرومانيـة ·· واقوام يصلون الى حد ذكر رقم الشيك الذى أعطى لى ··

وحكيت الأقاصيص متصلة عن الطريقة التى قمت بها المتظاهرين وعن نوع المواد الحارقة التى استعملت وكان اسم ابراهيم شكرى يستغل كذلك · وكيف حرق ودمر ·· وكان طبيعيا ان تحدث هذه الأقاصيص والأقاويل اثرها فى نفس الدكتور محمد حلمى مراد خوفا واشفاقا على ·· ولكنى رددت عليه فى التليفون ان يهون عليه فكل ذلك سوف ينتهى فور ان تهدأ النفوس · وكل يوم يمر بل كل ساعة تنقضى سوف تظهر الحقائق وتقضى على اشاعات اسوأ ، فان للشعوب غريزة لا تخطىء فى الحكم بصدق على الأشياء ·· وان حالة الفزع والفوضى والاضطراب هى التى مكنت اعدائى من نشر هذه الخرافات وفور زوال الفزع والفوضى ستظهر الحقائق ·

وخاطب ابراهيم شكرى على ماهر فاذا به يطمئنه ويقول له انه يعتبره ابنه وان المسائل ستنتهى بالنسبة لنا بعد بضعة أيام وانه أصدر أمره للبوليس بألا يفتش علينا وكلف النيابة بأن تسرع فى التحقيق لتجلية الموقف .

وكان هذا القول الذى قاله على ماهر لابراهيم شكرى مباشرة هو ذات القول الذى قاله لكل من اتصل به وحادثه فى الموضوع كادجار جلاد ومحمود حسن وصالح حرب فقد ذكر لهؤلاء الثلاثة انه يثق بوطنيتى ، ويرى أن أبقى حيث أنا بضعة أيام حتى يصفى الموقف ، ولقد كان من أشد الصدمات وقعا على نفسى أن على ماهر قد أنكر كل هذه الحقائق فيما بعد أمام المحكمة العسكرية العليا ·

وانتهز فرصة غيابى عن المحكمة لكى يقول أقوالا سخيفة لا تليق برجل صغير أن يقولها فضلا عن رجل ولى القضاء ووزارة العدل ورئاسة الحكومة ويزعم أنه على خلق عظيم ·

تسليم نفسى

على اية حال فقد اكتشفنا فى هذا الوقت المبكر أن اقوال على ماهر لم تكن الا تغريرا او خداعا فما زعمه من أنه أصدر تعليماته لرجال البوليس ألا يبحثوا عنا لم نجد له صدى بين صفوفهم فكان البحث يدور على ساق وقدم ٠

وبدأ الموقف يسوء فان اختفائى قد هيأ السبيل لتدعيم الاشاعات وبدأت أشعر بأننى يجب أن أظهر على الفور للقضاء على هذه الاشاعات ولاظهار براءتى بل والكشف عن الفاعلين والمسئولين الحقيقيين عن هذه الحوادث وتزويد السلطات بما لدى من معلومات ٠

وقد أسرعت فأعددت مذكرة أسرد فيها حقيقة موقفى من حوادث هذا اليوم والأسباب الحقيقية التى ادت الى هذه الكارثة بحسب تصورى ٠

وأرسلت هذه المذكرة للدكتور فخرى أسعد وحسين حمدى فقاما بطبعها على الرونيو وشرعوا فى توزيعها ، وقابل حسين حمدى على ماهر فى مجلس الوزراء وقدم له هذه المذكرة كما قابل سكرتير النائب العام وقدم له صورة أخرى ٠

ولكن الحوادث بدأت تتطور بسرعة بحيث صممت على وجوب الظهور وتسليم نفسى بأى شكل أو طريق ٠ فاتصلت فى مساء أول فبراير بمحمود حسن وقلت له اننى أريد أن أضع نفسى تحت تصرف على ماهر فورا فلن أستطيع الاستمرار فى هذا الجو الخانق ، فطلب منى من جديد أن أنتظر يوما آخر حتى

يتصل بعلى ماهر ويخبره برغبتى موعدته بذلك ٠ ولكن لم اكد افرغ من الحديث معـــه حتى اتصلت بزميلى اسماعيل عامر فاذا به يلقى الى حديثـا جرى له مع صلاح مرتجى الذى كان قد عين مدير للامن العـام فور تعيين الوزير الجديد مرتضى المراغى وهو يمت له بصلة النسب ٠ ذهب اســـماعيل عامل ليهنىء صلاح مرتجى بمنصبه الجديد وحدثه عن رغبة الحزب الاشتراكى فى التعـاون مع وزارة على ماهر ، وذكر فى خلال حديثه انه كان يزورنى فى المنزل بمناسبة مرضى يوم ١٦ من يناير فاذا بصلاح مرتجى يستوقفـه ويناشـده الله أن يصـدقه الحق بخصـوص وجودى فى المنزل يوم ٢٦ من يناير فاذا باسماعيل يقسم له على المصحف اننى كنت مريضا فى ذلك اليوم ، وانه زارنى وأعطانى دواء ، فأبدى صلاح مرتجى شديد دهشته لذلك وقال له ان تقارير جميع المسئولين من الضباط ورجال النيابة تقول انه كان على رأس المظاهرات فى ذلك اليـــوم ، وان الرأى المجمع عليـه لدى المسئولين هو أن أحمد حسين هو الذى قام بهذا العمل ، ولم أكد أسمع هذه الأقوال حتى أحسست بالنار تكاد تشتعل فى جسدى فقد مضى لنا ثلاثة أيام ونحن فى محادثات هنا وهناك مع الوزراء ومع على ماهر ونتصور أن المسألة فى طريقها الى الحل فاذا بمدير الأمن العـام الجديد يؤكد العكس أن التقارير لدى النيابة ولدى البوليس تجمع على أننى المسئول عما حدث ، ولذلك فقـد قررت أن أتقدم فورا للنيابة بغير ابطاء حتى أضع حدا لكل ذلك وأواجه هذه الأكاذيب والاتهامات ٠

وعلى الرغم من أن الساعة كانت بعـد العاشرة مساء فقـد قررت أن أسلم نفسى على الفور فاتصلت بمنزل النائب العـام عبد الرحمن غنيم وبعد قليل من الانتظار جاوبنى فسألتـه اذا

كانت النيابة تطلبنى فاذا به يرتبك ولا يستطيع الجواب عن هذا السؤال وتعلل بانه لا يستطيع فى التليفون أن يرد على هذا السؤال فهو على أقل تقدير لا يعرف اننى أحمد حسين بالذات ، فأسرعت وسردت عليه ما وصل الى علمى من أقوال صلاح مرتجى وقلت له اننى اريد أن أضع نفسى تحت تصرفه فورا ٠

فقال لى انه لا شأن له بذلك وأستطيع أن أقدم نفسى للبوليس ، فاعترضت على ذلك بأن البوليس هو عدوى الذى أخشاه وأخشى ما يصيبنى من سوء على يديه ٠ فقال لى على كل حال اذا قدمت نفسك لى الآن فسوف أسلمك للبوليس ثم أشار من طرف خفى الى أنه موجود فى مكتبه صباحا وأن بابه مفتوح لاستقبال كل طارق ٠ ففهمت من ذلك اننى يجب أن أنتظر الى الصباح حتى لا أسبب له ازعاجا فى هذا الوقت المتأخر وفهمت منه كذلك بصفة عامة انه ليس متلهفا على اعتقالى وعند هذا القدر انتهت المكالمة ٠

وفى اليوم التالى فى صباح السبت ٢ من فبراير أعددت نفسى نهائيا لوضع نفسى تحت تصرف السلطات وبدأت أحاول اختيار الجهة التى أسلم نفسى لها ٠ وكان كل ما يشغل ذهنى بطبيعة الحال هو الاطمئنان الى الا اقتل غيلة بأى حجة من الحجج ٠

ورأيت من جديد أن أتصل بصلاح مرتجى فى منزله وتم الاتصال وحدثته عن موقفى واستعدادى لتسليم نفسى ، فعرض على أن أحضر لوزارة الداخلية لمقابلة مرتضى المراغى وزير الداخلية وأنه سيعرض عليه الأمر واتفقنا على أن أخاطبه ثانية فى الساعة الثالثة بعد الظهر بعد أن يعرض الأمر على الوزير ٠

اتصلت بالمنزل بعد ذلك ليعدوا لى حقيبــة ملابسى ومصحفى استعدادا للسجن · وانتقلنا من المكان الذى كنــا فيه الى منزل الدكتور محمود فهمى لنكون قريبين من منزلنا عند احضار الحقيبة ولنتناول طعام الغذاء الأخير فى ظل الحرية ·· وكنا قد اتفقنا على ألا يسلم ابراهيم شكرى نفسه ليراقب الحالة بعد تسليم نفسى وليدافع عنى وعن الحزب ويواصل نشاطه السياسى مع على ماهر وغيره ·

وتناولنا طعام الغداء وسط جو مرح بقــدر الامكان ولكن شبح المستقبل كان يكمن لى خلف كل كلمة تخرج من فم أحدنا ·· خلف كل لقمة ·· خلف كل ضحكة ·· ترى ماذا سيكون مصيرى هذه الليلة ·· اين ساكون غدا ·· ما الذى سيفعلونه بى ·· ولم اكن استطيع الجواب عن اى سؤال من هذه الأسئلة ·

وكانت عقارب الساعة تقترب من الثالثة وهى الموعد المحدد لمخاطبة صلاح مرتجى وفور أن دقت الثالثة كنت قد اتصلت به ففاجأنى بقوله ان الوزير رفض أن اقابله وصرح بأننى اذا كنت أريد أن أسلم نفسى فأمامى النيابة ، فثرت على هذا القول وقلت له اننى أعجب لهذا الموقف ·· فمن ناحيــة تقولون ان الحــاكم العسكرى أصدر أمرا باعتقالى وأن النيابة تريدنى · فاذا خاطبت النائب العام قال لى قدم نفسك للبوليس واذا خاطبت البوليس قال قدم نفسك للنيابة ·· ان هذا وضع شاذ ولا استطيع ان افهمه ، ولذلك فاننى أبلغك بصفتك مدير الأمن العــام بأننى سأحضر الى منزلك فى الساعة الخامسة مع الأستاذ اسماعيل عامر وعليك أن تتصرف بالصورة التى تراها وانى أحملك كل مسئولية ·

وبعد ذلك اتصلت باسماعيل عامر وطلبت منه أن ينتظرنى بسيارته لدى محطة البنزين القريبة من منزله فى شارع الجيزة .. وقد كان ، ووصلت اليه فى الموعد فى عربة ابراهيم شكرى ومازلت اذكر حتى الآن كيف كان المطر ينهمر فى هذه اللحظة مدرارا وكيف نقلوا حقيبة ملابسى من عربة ابراهيم شكرى الى عربته التى أصبحت تقربنى من هذه النهاية .. من الموت .. عندما ادار محرك السيارة لتشرع فى رحلتها نحو حدائق القبة حيث منزل صلاح مرتجى . كانت السماء مليئة بالغيوم والمطر فيها مدرارا وجو المساء القاتم بصبغته يزحف على الكون فجعلنى ذلك أنقبض وأزداد انقباضا كلما درجت بنا السيارة نحو الأمام .

وأخيرا وصلنا الى حدائق القبة وبحثنا عن بيت صلاح مرتجى على الرغم من أن اسماعيل عامر يتردد على ذلك البيت كثيرا فقد جعلته عصبيته لا يكاد يعرف البيت مما اضطرنا الى السير فى الطريق حتى نهايته ، ولم تكن هذه النهاية سوى استوديو جلال الذى حرق فى ذلك اليوم ، وكان جنود من الجيش يرابطون حول المكان فملأنى ذلك رهبة ، وعرف اسماعيل عامر البيت أخيرا ولم تكن هناك أى حركة غير عادية فى انتظارنا . وصعد اسماعيل عامر الى صلاح مرتجى وبعد فترة قصيرة ولكنها تبدت لى فى ذلك الوقت وكأنها دهر طويل . عاد اسماعيل عامر وأخبرنى بأن صلاح مرتجى طلب منه أن نذهب الى مكتب النائب العام فهو فى انتظارنا وسوف يلحق بنا صلاح مرتجى .

ولقد ارتاحت نفسى لهذا التصرف وارتحت بالأكثر عندما وجدتنا نعود بالسيارة من جديد بدون حراسة ، بدون عساكر أو جنود أحرارا طلقاء لنصل الى النائب العام .. وكانت السماء لاتزال تمطر وموكب الظلام يزحف .. جاش فى نفسى من جديد أن أحرص على هذه الحرية التى مازلت فيها وأن اعود من منتصف الطريق الى حيث كنت .

وأخبرت اسماعيل عامر بهذه الخواطر وأنني في خوف من المصير الذي ينتظرني فقال لي انه على استعداد أن يذهب بي الى حيث أشاء ومادمت غير مطمئن فلا ضرورة للتسليم .. ولكني لم أعتد في حياتي أن أرجع الى الوراء قط .. وأن أعدل عن القرارات النهائية التي أصدرها ولذلك فقد قررت المضي . ورفعت بصري نحو السماء هاتفا لتكن مشيئتك يارب انني أضـع نفسي تحت حمايتك ..

وصلت الى حجرة سكرتير النائب العام وكان كل شيء هادئا والسكون يخيم على أرجاء المكان ، وقدمت نفسي للسكرتير وطلبت مقابلة النائب العام فدخل الى حجرته ثم عاد الى وطلب مني الانتظار قليلا فجلست وجلس الى جواري اسماعيل عامر ومضى كل شيء كأيسر ما يكون وكأبسط ما يكون وبدأت أتمالك نفسي ، ثم ظهر صلاح مرتجى خارجا من حجرة النائب العام فسلم علي ثم تركني قليلا ليصدر أوامره وتعليماته فيما يختص بالقبض على وطريقته ، وان كنت لم أتبين ذلك الوقت ، وبعـد قليـل عـاد الى من جديد واصطحبني معه الى احدى الحجرات وجلسنا نتحدث في موضوع الحوادث ورأيي فيها ، وانتهى الحديث بيننا بأن أظهرت له مخاوفي من أن تساء معاملتي في السجن أو يعتدى علي ، فقال لي : لا تخف ولكن عليك أن توطد نفسك لاحتمال بعض المضايقات ، فدهشت لذلك وقلت له : أي مضايقات تقصد ومن أي طراز ستكون هذه المضايقات ، فاستـدرك قائلا : مضايقات السجن ، أليس السجن مضايقة ؟! فقلت له : أما السجن فهو ليس مضايقة بالنسبة لي ، فاذا كان هناك شيء آخر غير السجن فهذه مسألة أخرى ، فاجابني بألا محل لهواجسي .

وعندما عدت الى حجرة سكرتير النائب العام رأيت بها عمر حسن مدير القسم الخصوصي بالداخلية ، ثم ظهر على الأفق ابراهيم

امام ولم يلبث أن اختفى ثم حدثت مفاجاة طريفة عندما اكتشف سكرتير النائب العام أن اسماعيل عامر الذى يلازمنى ليس أحد ضباط البوليس وأننى حتى ذلك الوقت حر طليق أستطيع الانصراف فى أى وقت ، فاذا بالانزعاج يبدو على وجهه ويسال : اسماعيل عامر ألست ضابطا فلما أجابه بالنفى وأنه رفيقى اذا بوجهه يصفر ويسرع الى الخارج وان هى الا لحظات حتى بدأنا نجد حركات الضباط والأقدام العسكرية تتردد خارج الحجرة ، والبعض يطل علينا من حين لآخر ودخل السكرتير بعد ذلك راضيا مطمئنا أننى لن أستطيع الافلات بعد ذلك ، وعند هذا الحد رأينا ان ينسحب اسماعيل عامر فى سلام قبل أن يقبض عليه فانسحب وبقيت وحدى فى انتظار ممل ، ولكن الذى كان يخفف منه بعض الشىء اننى كنت قد بدأت أعتبر نفسى سجينا واستسلم استسلام السجين .

وأخيرا دعيت لمقابلة النائب العام وكانت حجرته مكتظة بكبار رجال النيابة فاستقبلنى الرجل واقفا وقد كان لهذه الحركة الصغيرة أثر كبير فى نفسى لم يبرحنى وقد خفف دائما شعورى ضد هذا الرجل فى أحرج الأوقات ، فقد كان أقصى ما أتمناه منذ هذه اللحظة ألا أعامل الا باحترام ، فليس هناك ما يؤرق مضجعى ويجعل الجزع يدب الى نفسى أكثر من أن اتخيل الاعتداء على كرامتى ، ان الموت وشبح الموت لا يمكن أن يفزعانى بمقدار ما يفزعنى فكرة الاعتداء على كرامتى بقول أو اشارة .

وجلس النائب العام بعد أن حيانى وقال لى : « نعم » ماذا تريد أن تقول لى ؟! وكانت هذه مفاجاة ، فالرجل يريد أن يسمع ما عندى ، ومعنى ذلك ان ليس عنده شىء ضدى ، وبدأت ألقى على مسامعه تفاصيل حياتى يوم ٢٦ من يناير وكيف كان على ماهر رئيس الحكومة والحاكم العسكرى أحد الذين اتصلوا بى واتصلت

بهم فى ذلك اليوم ، وسمع منى تفاصيل ما جرى من اتصالات ومحاورات بعد تولى على ماهر الوزارة حتى انتهى بى الأمر الى الاتصال به تليفونيا كما يعرف ، وعقب انتهاء حديثى قال لى : وهو كذلك ان عندنا تحقيقا مفتوحا ومادمت قد تقدمت من تلقاء نفسك فلا مانع عندنا من سماع ما لديك من أقوال ، وعلى أثر ذلك استدعى عبد الحميد لطفى – رئيس نيابة جنوب القاهرة – وطلب منه أن يفتح محضرا لسماع اقوالى وان يبدأه بأننى اتصلت بالنائب العام أمس مساء وعرضت عليه أن أسلم نفسى فطلب منى الحضور الى مكتبه اليوم وفى الساعة الخامسة قدمت نفسى له للادلاء بما لدى من أقوال .

وقبل أن أغادر مكتب النائب العام من جديد قلت له : اننى أضع نفسى تحت حماية القانون وأرجوا أن تحمونى من المؤامرات والاغتيالات ، فأجابنى : نحن قوم نقوم بتحقيق قضائى ولا شأن لنا بما عدا ذلك ، زاد هذا التصريح من هواجسى لأنه رفض احتمال أى مسئولية فى غير نطاق ما سماه التحقيق القضائى ، وعدت من جديد الى حجرة السكرتير تمهيدا لانتقالى الى دار محكمة مصر فى باب الخلق وبعد ساعة من الزمن بدأنا رحلتنا وفجأة وجدت خمسة من الضباط المدججين بالمسدسات يحيطون بى وبدأنا الموكب على هذه الصورة ، وقد بدت لى فى ذلك الوقت صورة مضحكة تدعو للسخرية فمن لحظات جئت من تلقاء نفسى للنائب العام وها هم يتظاهرون الآن بأننى قد أفر أو أهرب ولو كان فى نيتى الفرار أو الهرب ، فلماذا تقدمت للنائب العام ولكن هو القسم السياسى وأساليبه ولابد أن غرضهم كان فى ذلك الوقت هو أن يضربونى بالرصاص ثم يزعمون أننى فكرت فى الهرب ، ولكن الله ملأ قلوبهم خشية وروعة وترددا فلم يقدم أحدهم على هذه الجريمة التى كان الملك يتمناها من غير شك .

ووصلت الى مقر النيابة فى محكمة مصر للشروع في التحقيق ، وكانت كل خطوة جديدة تبدد بعض الخوف والقلق من المجهول فها هى الأمور تسير سيرا عاديا ٠

جلست في الحجرة المجاورة لمكتب عبد الحميد لطفى وكنت أتصور أننى سأدخلها بعد قليل ، ولكن الانتظار طال بنا ثم استطال حتى زاد على أكثر من ساعتين وقد ضايقنى ذلك وانتابنى القلق من جديد ، ثم تبين أن عبد الحميد لطفى كان فى ذلك الوقت يسمع اول الشهود الذين تقدم بهم البوليس السياسى ، والذى زعم أنه رآنى فى اليوم السابق على الحادث أطوف ببعض الأمكنة فى سيارة ستروين سوداء ، وكان هذا الشاهد ايطاليا يدعى أوجينى روميللو ، وعندما دخل على عبد الحميد لطفى أخيرا ليخبرنى بذلك وانه يريد أن يقوم باجراء عملية عرض ليتعرف على هذا الشاهد غضبت لهذه المفاجآت ولعملية العرض ، ورفضت أن أعرض على احد ، واعتبرت أن فى ذلك مساسا بكرامتى وأظهرت سخف عملية العرض وانا رجل ترى صوره فى كل مكان وتراه عشرات الألوف من الناس شخصيا فى الاجتماعات العامة ، ولكن عبد الحميد لطفى راح يرجونى ويلح فى عمل عملية العرض لصالحى فلو قدر أن لم يستطع الشاهد أن يتعرف على فان ذلك يجهز على الاتهام بصورة قاطعة ، اما اذا تعرف على فلن يكون لذلك أى تأثير ، ولم يستطع اقناعى بقبول العرض ، ولكن حالة الاستسلام التى وطدت نفسى عليها باعتبارى سجينا ومتهما جعلتنى أرضخ فى النهاية على أساس أننى يجب أن أهيىء نفسى لاحتمال كثير من الاذلالات التى يفرضها مجرد قيام الاتهام ٠

ودخلت الى حجرة رئيس النيابة ، حيث كان قد حشد بها عدد كبير من موظفى النيابة جلوسا على المقاعد فأخذت مكانا بينهم وجلست يائسا من هذه العملية مشفقا من هذه اللحظة السخيفة

عندما يشير الى الرجل ويقول هذا هو أحمد حسين ، ودخل الرجل ولم اكن أعرف عنه شيئا بطبيعة الحال ، وراح يتفرس فى الموجودين ويا لها من لحظات أدعو الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجنب كل قارىء لهذه المذكرات هولها ، لحظات حاسمة فى حياة الانسان عندما يقف فى عرض جنائى ليتعرف عليه شخص من الأشخاص ، ان هذا التعرف أول خطوة نحو المشنقة اذا كانت الجريمة معاقبا عليها باعدام ، فاذا لم يتعرف الشخص على الانسان فهى البراءة ، ولقد كنت يائسا من ألا يعرفنى الرجل ، ولكنه جال فينا جولة والتقت عينانا ووقف أمامى بعض لحظات وخيل الى أن كل شىء قد انتهى ، ولكنه تركنى الى غيرى وراح يتفرس فيه ، يا ربى العظيم أيكون الرجل لا يعرفنى ، أتتم المعجزة ؟! فانها لن تكون أقل من معجزة ، وعاد الرجل يستعرض الموجودين ثم وقف أمام أحد موظفى النيابة وقال هذا هو أحمد حسين وضحك كل من فى القاعة ، وتنفسوا الصعداء ، أما أنا فقد كان قلبى مغمورا فى التسبيح بالعظمة الالهية ، وأبى عبد الحميد لطفى الا أن يؤكد الانتصار فقال للرجل لا ، وهكذا انتهت هذه المحنة على خير ما يرام وتحولت الشبهة ضدى الى دليل براءة قاطع .

وعندما بدأ التحقيق معى ظهر أن هذا الرجل قال انه يعرفنى وانه كان معى فى مستشفى الدمرداش ابان اعتقالى بها وانه رآنى فى يوم الجمعة أشير الى بعض المحلات التى أحرقت يوم السبت وعندما سالنى عنه المحقق وعن معلوماته لم أزد فى ردى على أن عدم تعرفه على يهدم كل مزاعمه ، وشرعت بعد ذلك فى الادلاء بما لدى من أقوال وقد استغرق سردها وكتابتها بضع ساعات حتى اننا فرغنا منها فى الساعة الثانية صباحا ، وفى ختام التحقيق قال لى عبد الحميد لطفى : نحن لا نريد منك شيئا ولست مقبوضا عليك لحساب النيابة ، ولكن لحساب الحاكم العسكرى ، وقد كانت

هذه البداية بداية مشجعة جدا بددت أخر ما كنت اشعر به من قلق وأنا أسلم نفسى ٠

وبعد قليل أخذنا طريقنا الى سجن الأجانب ، ورأيت لأول مرة بطبيعة الحال جنود الجيش وهم يقطعون الطرق ويصيحون بالعربات قف من أنت فاعاد ذلك الى ذاكرتى جو القاهرة الرهيب وخطورة موقفى ، ولكن عندما أودعت فى احدى حجرات سجن الأجانب وأغلق على الباب وصليت الفجر استلقيت على الفراش كرجل سعيد اجتاز محنة من أكبر المحن ، ولم أكن أعرف أنه لايزال أمامى بحر ، بل محيط من المحن والويلات ٠

شـــاهد جديـد

استيقظت قبيل الظهر بعد أن أخذت حظى من النوم فعلمت أن النيابة فى انتظارى لاستئناف التحقيق فدهشت لهذه السرعة فى موالاة التحقيق ٠

وعندما وصلت الى النيابة وعلمت من عبد الحميد لطفى أننى استدعيت لاجراء عملية عرض جديدة بالنسبة لشاهد جديد انفجرت مراجل غضبى ، فقد شعرت أن البوليس سيبدأ فى تلفيقاته ضدى وسيغمرنى بطوفان من الشهود الذين يتصيدهم من هنا وهناك ، فرأيت أن أضع حدا لذلك بأن أرفض رفضا باتا عملية العرض ، وعبثا حاول عبد الحميد لطفى أن يقنعنى بالنتيجة الباهرة التى وصلنا اليها بالأمس ، عندما عجز الشاهد عن التعرف على ، ولكنى فى اعماق نفسى إدركت أنه ما كل مرة تسلم الجرة ، وان ما حدث بالأمس لا يمكن أن يتكرر ثانية ، فقد كانت معجزة والمعجزات لا تتكرر بسهولة ٠

وأصررت على موقفى فى رفض عملية العرض ، وطلبت منه أن يحضر هذا الشاهد وأن يسأله عما اذا كنت أنا أحمد حسين وهذا هو كل ما فى الأمر ، ولم يستطع عبد الحميد لطفى الا أن ينزل عند رأيى ، فأدخل الشاهد ، وكان نوبيا واذا كانت القاهرة لا يوجد فيها شخص يطلع على الصحف فانه لم ير صورتى فانه يكاد لا يوجد نوبى بصفة خاصة لا يعرفنى معرفة شخصية ، فقد نزلت الى الانتخابات وكان النوبيون هم أشد الناس حماسة لى ، وكان هذا الرجل قد ذكر فى أقواله أنه يعرفنى بالذات من أيام الانتخابات ، وأنه انتخبنى فكان من العبث الا يعرفنى الرجل على الفور ، ونظرت اليه وكزميله بالأمس لم أعرفه ، وسأله عبد الحميد لطفى عما اذا كان أحمد حسين الذى رآه فى الغرفة ، فابتسم الرجل ابتسامة الشخص الواعى الذكى مدركا أن رئيس النيابة يغرر به ، وقال على الفور لا ٠٠ أحمد حسين ليس هنا ، وذهل رئيس النيابة لهذه الاجابة وأسرع لتسجيل ذلك ، وبعد أن سجله أشار على وقال أليس هذا هو أحمد حسين ؟ وأسقط فى يد الرجل وبدا عليه الانزعاج أن يخطئنى الى هذا الحد ، وهم أن يتراجع بأن يقول اننى الآن أرتدى الطربوش ، أما عندما رآنى فلم أكن أرتدى طربوشا ، فطلب منى رئيس النيابة أن أخلع الطربوش ، ثم طلب منه أن يقرر الحقيقة فهو رجل طيب وكان هذا التوجيه قد رده الى صوابه فاذا بالفكرة العارضة تذهب من رأسه ثم يقول : « لا ليس هو الرجل الذى رأيت » ٠

وهكذا تمت معجزة أكبر من معجزة الأمس ، فقد كان شاهد الأمس أجنبيا أما شاهد اليوم فوطنى ، فالله أكبر ٠٠ الله اكبر ٠

وقال لى عبد الحميد لطفى : ان هذا هو كل ما عنده ، وان الأمر بالنسبة له قد انتهى عند هذا الحد ، ورجعت الى السجن وأنا أكاد أطير من الفرح ٠٠ لا الفرح بالبراءة فهذه مسألة لم أكن

أتشكك فيها ، ولكن الفرح بنعمة الله الكبرى التى تجلت على عندما جعل هذين الشاهدين لا يعرفانى :

كانت هذه الفاتحة للتحقيق بمثابة اجراء وضع فى بطنى بطيخة صيفى من ناحية التحقيق ، وقد ظلت هذه البطيخة الصيفى طوال شهرين كاملين عندما اكتشفت أنها لم تكن بطيخة صيفى ولكنهـا كانت قنبلة .. قنبلة لن تلبث تنفجر فى ذات اللحظـة التى أوشكت فيها أن اعتبر موضوع الاتهام قد انتهى نهائيا .

٥ مـن فبراير
مناوشات فى السجن

عدت الى السجن ظهر يوم الأحد ٣ من فبراير لأراهم وقد نقلوا حجرتى من الدور العلوى الى الدور الأرضى ، وأننى محاط بنظام دقيق وقاس من حيث الحراسة لم يسبق له مثيل فى كل تاريخ حياتى ، فباب حجرتى يجب أن يكون مغلقا طول النهار فلا يفتح الا بضع دقائق ريثما أذهب الى دورة المياه ، ولم يسمح لى لأول مرة فى التاريخ بأى كتب أو صحف ، بل ان المصحف ذاته رفض الضـابط أن يسمح به الا بعد أن كدت أتشـاجر معـه ، أما نطاق الحرس الذى يحيط بى فكان يتـألف من مأمور احـد الأقسام ويعاونه كونستابل ومخبر من القسـم السياسى ليكون رقيبا على هذين الضابطين ، وكان هؤلاء الثلاثة يتغيرون كل ثمانى ساعات ، وكان يعنى ذلك أن هناك ثلاثة مأمير من أقسام البوليس قد خصصوا للتناوب على حراستى داخل حجرة مغلقة داخل سجن، وكان هناك فوق ذلك ثمانيـة عساكر من رجال البوليس يحملون البنادق السريعة الطلقات ، وكانوا يستبدلون كغيرهم كل ثمانى ساعات أى أن عددهم ٢٤ جنديا ، وكان هناك فوق ذلك كله قوة من جنود الجيش تبلغ الخمسين جنديـا برئاسـة ضابط تحيط بالسجن من الخارج ، وكانت هناك دبابة ومصفحة تحت تصرف

رئيس هذه القوة ، وذلك كله لحراسة أحمد حسين ، وفور ان اكتشفت هذه الترتيبات أوجست خيفة من جديد لما فيها من شذوذ يفوق كل تصور ، على ان الذى كان يضايقنى أكثر من كل شيء آخر هو حظر المطالعة على وهى السبيل الوحيد لقطع الوقت ، ولذلك فقد رأيت أن أضرب عن الطعام احتجاجا على هذه المعاملة فامتنعت عن تناول الطعام ، ولكن خشيت أن أصفه بأنه اضراب عن الطعام فيتحدونى ولا يهتمون بأمرى فلا أقوى على الاستمرار ، ولذلك فكرت أن اعتبر نفسى مريضـا وأن امتناعى عن الطعام هو لفقدان الشهية الناشئة من هذا الحبس الانفرادى الذى لا يسمح لى فيه بمجرد المطالعة ، ولم أدرك فى ذلك الوقت ان هذا الأسلوب سيكون هو السلاح الوحيد الذى ساخوض به هذه المعركة الخطيرة ، وأنه اذا كان قد قدر لى أن أحيا وأن أعيش وأكتب هذه السطور ، فذلك بفضل هذا السلاح .. سلاح الامتناع عن الطعام .

وان هى الا أيام حتى انتج الاضراب تأثيره فنقلت من جديد الى الدور الأعلى فى حجرة تدخلها الشمس وتطل على الشارع ، وكان صعودى الى الدور الأعلى هو أحد طلباتى، فقد كانت الهواجس بدأت تساورنى وأنا أقيم فى هذه الحجرة الأرضية وجنود الجيش يحيطون بها من الخارج ، فما وقفت مرة للصلاة مديرا ظهرى لهذا الحارس الذى يقف محملا ببندقيته الا وتصورت أنه من الممكن الهاوب رأسى برصاصة ، ثم يقال بعد ذلك انها رصاصة طائشة ، ولذلك فقد أصبحت أصـلى وأنا جالس لأتفادى ظهور رأسى فى النافذة ، فعندما نقلونى الى الدور العلوى كان لذلك تأثير كبير من الفرح فى نفسى خاصة وأنه كان يوجد فى الدور العلوى زملائى فى الحزب حلمى الغندور واسماعيل عامر ومحيى الدين فهيم ، وكان يوجد به كذلك فتحى رضوان وسعد كامل ويوسف حلمى ، وكان فى وجودى معهم بطبيعة الحال ما يسـعدنى كل السعادة ويزيل من نفسى كل قلق أو اضطراب من ناحية التآمر على اغتيالى ،

على الرغم من أن ظروف الحراسة المشددة ظلت هى كما وصفتها من حيث غلق الحجرة بالليل والنهار باستثناء اللحظات القليلة الخاصة بالذهاب الى دورة المياه ، وصرح فى ذات الوقت بالكتب والصحف فبدأت حياتى تأخذ اللون العادى الذى تأخذه فى السجن وهو هدوء البال التام والتفرغ للصلاة والصوم والمطالعة ، واتجه كل همى ونشاطى الى التخفيف من شدة القيود التى تحول بينى وبين الاتصال بزملائى .

وفى هذه الفترة أعيد أحمد طلعت ليكون حكمدار للعاصمة وأعيد معه أخوه محمود طلعت فجاء لمقابلتى فى السجن ليشرع فى القيام بدوره كضابط من ضباط القسم السياسى ، ولابد أنه كان يتصور أننى سأقابله مقابلة سيئة لهذه الشهرة القظيعة التى كان قد حازها فى قضايا الاخوان المسلمين واتهامهم له وأخاه أحمد طلعت بتعذيبهم ، ولكننى اعتدت دائما أن استغل مجاملات ضباط القسم السياسى ، ولذلك فقد أسرعت بمقابلته ورحبت به وأعربت عن ارتياحى لوجوده نظرا لما بيننا من معرفة سابقة ، ورحت أذكره بجلساتنا خلال الحرب عندما كنت معتقلا وكان مكلفا بالاشراف على شئوننا ففرح لذلك كل الفرح ، ثم قال لى : انه موفد من قبل أخيه الحكمدار لتحقيق أى شكوى منى فاجبيه بأننى حصلت على مطالبى من حيث الاطـلاع على الصحف والقراءة ، ولكنى مازلت أشكو من حبس انفرادى ، حيث لا تفتح الحجرة على الاطـلاق ، فاسرع محمود طلعت طالبا من مأمور السجن أن أعطى حقى من الفسحة نصف سـاعة فى الصباح وأخرى بعد الظهر ، وعندما انصرف محمود طلعت كنت مغتبطا كل الاغتباط متصورا أن الأمور تسير فى طريق التطور الطبيعى ، وأنـه كما حدث فى كل مرة سابقة عندما كان السجن وقيوده يتلاشيان بالتدريج فانه سيحدث هذه المرة أيضا .

وسرعان ما علق الزملاء الأماني الكبار على هذه المقابلة ، حتى لقد انطلقت الاشاعات أن موعد الافراج عنا قد أصبح وشيكا ولكن هذا الاسراف في التفاؤل قد نفي رد الفعل سريعا جدا ، ففي المساء حدث أن تقابلت مع حلمى الغندور واسماعيل عامر مقابلة عابرة فى حجرة الصاغ المكلف بحراستى داخل السجن ، فعلمنا فى اليوم التالى أن ذلك كان محل تحقيق خطير ، وان هذا الضابط قد صدر الأمر بنقله الى أسيوط عقابا له على ذلك ، وفوجئت باجراء جديد في السجن لم يسبق له مثيل من حيث التشديد اذ جاء مامور السجن بدفتر خاص ليوضع فى الحجرة المجاورة لى ويرصد به الضابط المكلف بحراستى كل حركاتى وسكناتى ويسجل به الساعة والدقيقة التى فتح فيها باب حجرتى ولماذا فتح ، وكم دقيقة ظل مفتوحا وهكذا .

ومرة أخرى ثارت براكين غضبى وحنقى فكتبت خطابا شديد اللهجة لأحمد طلعت — الحكمدار — شخصيا وأبديت دهشتى أن هذا التطور عقب زيارة محمود طلعت لى ، وتساءلت : عما اذا كان هذا هو بدء الأساليب الملتوية التى اشتهر بها الشقيقان ، وأحدث الخطاب تأثيره ، فان الدوى الذى أثير حول أحمد طلعت ورغبته الشديدة فى الدفاع عن نفسه جعلاه يبادر بالحضور الى السجن بنفسه لينظر فى شكواى ، والحق أنه لم ينج أعضاء الحزب الاشتراكي من التعذيب والتنكيل الذى اتبع مع الاخوان المسلمين الا رغبة احمد طلعت وضباط القسم السياسى الذين كانوا قد اقصوا من المحافظة واعيدوا اليها بعد ٢٦ من يناير هؤلاء جميعا قد حرصوا على ألا يقعوا فى الخطأ الذى وقعوا فيه أول مرة فيتحاشوا التورط فى الضغط على المتهمين أو ايذائهم ، وقد التقفنا كل الانتفاع بهذا الظرف الخاص ، وذلك فى وقت كان فاروق يتمنى فيه لو وجد من يعذبنا بالليل والنهار كل صنوف العذاب .

جاءنى أحمد طلعت يسالنى : عما أشكو منه وأبدى استعداده لاحضار الكتب التى أريدها على نفقتهم الخاصة والح على أن أكتب له قائمة بأسماء الكتب التى أريدها لشرائها من المكتبة ، فكتبت لهم اسماء بعض مؤلفات تولستوى وهى « أنا كارنينا » و « البعث و « الحرب والسلام » ، ولكن عندما حدثته بصدد الحراسة المشددة وانها تضغط على أنفاسى أبدى اعتذاره عن امكان عمل أى شىء فى هذا الصـــدد .

وقال لى كيف أستطيع أنا الحكمدار ان أقول لمامور السجن ألا يشدد الحراسة ، وماذا تكون النتيجة لو فر أحد المســاجين غيرك ، ثم زعم أن هذه الحراسة المشددة ليست من أجلى ، ولكنها من أجل جميع المسجونين ، وقد كنت أعرف أن ذلك كذب صريح . ولكن لم يكن باستطاعتى أن أرد على ذلك ، وانتهت المقابلة عند هذا الحـــد .

ومضت الأيام والساعات بعد ذلك فى سجن الأجانب بين مد وجزر ، كانت الصحف تشير باستمرار الى أن التحقيق فى موضوع التحريض على حوادث ٢٦ من يناير ماض فى طريقه ، وأنه قد عهد به الى عبد الحميد أبو شنيف ــ رئيس نيــابة الصحافة فكان ذلك بمثابة نذير شر ، فاختيار رئيس نيابة الصحافة بالذات لتحقيق موضوع التحريض معناه أنه سيتخذ مما نشر فى الجريدة مادة لهذا التحريض ، فبدأت الهواجس تنتابنى فى هذه الناحية ، ولكن سرعان ما استبعدت هذا الخاطر .

وفى ذات يوم قابل محمود طلعت حلمى الغندور فى السجن فقال له عبارة لم تكد تنقل الى حتى كانت أشبه بالقنبلة ، وكانت هذه العبارة ردا على احتجاج الغندور لعدم تلقيه أى زيارة من الخارج،

فقال له محمود طلعت : زيارات ايه . ده فيـــه ثلاثة من أعضاء الحزب اعترفوا ضد الحزب ، وقالوا كل شيء ٠

اعترفوا ٠٠ ؟ اعترفوا على أى شيء ؟ ومن هم هؤلاء الذين اعترفوا ؟ هذه هى الأسئلة التى ظلت بغير جواب وظللت معها فى قلق متزايد ٠

ثم بدأت تأتينا الأسماء انهم بسيم السعيد ومحمد الحلو ، ومع ذكر الأسماء خف وقع النبأ فليس لأيهما أى خطر وماذا يمكن أن يقول بسيم السعيد ؟ وماذا يمكن أن يقول محمد الحلو ؟ ولكن اقوال بسيم السعيد لم تلبث أن أصبحت ذات خطر شـديد ، فقد قبضت النيابة على بضع وعشرين شخصا من بين المعتقلين وأودعتهم سجن مصر كنتيجة لاتهامات بسـيم ، وبـدأت الصحف تذيـع التصريحات لمرتضى المراغى أن الحكومة قد وضـعت يدهـا على المحرضين نهائيا ، وكان معنى ذلك أنه يعنينا نحن الاشتراكيين ٠

ولكن الخبر جاء بعد ذلك أن بسيم السعيد قد فر وهرب من يد البوليس ، وبهذا أصبحت أقواله معلقة فى الفضاء ، ان هذه الأقوال ذاتها قد كشف التحقيق عن تفاهتها وافلاسها وهكذا كان المد والجزر من يوم لآخر ومن ساعة لأخرى هى طابع الحياة فى هذه الفترة ، ومع ذلك فقـد كنت أشـعر بهدوء غريب وبثقـة بالمستقبل ، حتى أننى شرعت أتابع مذكراتى عن طفولتى ، وهى مذكرات كنت قد بدأتها قبل ذلك ببضعة أشهر فى سجن الأجانب، وكان ذلك آية هدوء أعصابى .

وقام نزاع بين سراج الدين وبين الحكومة حول المسئوليـة عن حوادث ٢٦ من يناير ، فنشر بيانا مدويا فى جريدة المصرى عرض فيه بمسئولية القصر ورجاله عن عـدم انزال الجيش فى

موعده لقمع هذه الحركات ، وقد رد عليه الجانب الحكومى ردا عنيفا ، وطلب من النائب العام تحقيق هذه الناحية فشرع فى تحقيقها ٠

ثم أصدر تقريرا ضخما حلل فيه حوادث يوم ٢٦ من يناير، وانتهى فيه الى ذات النتائج التى انتهيت اليها فى تقريرى عن حوادث هذا اليوم ، وهو أن حوادث الاسماعيلية كانت هى العنصر الفعال لاهاجة شعور الجنود والعساكر ، وأن مظاهرة عساكر البوليس وتمردهم فى صباح يوم ٢٦ من يناير هو السبب فى هذه الكارثة ، وأشار الى تقصير المسئولين وعلى رأسهم وزير الداخلية من علاج الأمر فى الوقت المناسب ٠

ولقد نزل هذا التقرير على قلبى بردا وسلاما ، فقد تصورت أنه فصل فى موضوع التحريض نهائيا ، وأرجع الحوادث الى أسبابها الطبيعية ، فمن المستحيل أن تعود النيابة بعد ذلك الى القاء المسئولية علينا ، وفاتنى كما يفوتنى دائما ان احسان الظن بالناس هو أحد أخطائى التى طالما سببت لى المتاعب ، ولكن الحوادث لا تزيدنى الا اصرارا على هذا الخطأ ، فسوف أظل أحسن الظن بالناس وليكن ما يكون ٠

تصورت أن النائب العام الذى كتب هذا التقرير لن يسمح له ضميره بعد ذلك أن يقول : ان سبب الحوادث فى يوم ٢٦ من يناير هو مقالات أحمد حسين ، ولكن ضميره قد طوع له ذلك كما سنرى ، بل طوع له ما هو أكثر من ذلك ، طوع له أن يصدع بأمر نجيب الهلالى ، عندما طلب منه أن يضيف الى قرار الاتهام مادة الاعدام ليتمكن حسنين طنطاوى قاضيه من تطبيقها ، ولكننى فى ذلك الوقت الذى أتحدث عنه أى فى أواخر فبراير سنة ١٩٥٢ م لم أكن أتصور ذلك ، ومن هنا فقد عادت الطمأنينة الى قلبى ، وفى

ذلك الوقت كان ضباط البوليس المخصصين لحراستي الذين ألفوني وألفتهم ، وكذلك ضباط الجيش ، وكان من بينهم ضابط رقيق يدعى راضى ، فكانت أحاديثنا فى الشئون العامة تتطور يوما بعد يوم ، بحيث أصبح بيننا ما يشبه الإلفة والصداقة فخفف ذلك من وحشة السجن والحوادث .

شهر مارس

واستهل شهر مارس وبحلول هذا الشهر بدأ الجو يكفهر ويتلبد وتتبدد عناصر التفاؤل والثقة بنفسى ، فقد سقطت وزارة على ماهر ، ولم أكن مغتبطا باستمرارها بعد أن رأيتنى لم أستفد فى قليل أو كثير بعلاقتى بعلى ماهر ، ولكن الوزارة التى خلفتــه وزارة نجيب الهلالى كان مقــدرا لها أن تكون لعبة للسراى أكثر وأكثر ، وبالتــالى ســبيلا للتنكيل بى بأشد مما كانت الوزارة الماضية ، ولم يتكشف ذلك فى بادىء الأمر ، بل لعل هذا التغيير الجديد وما يصاحبه من تصريحات جوفاء قد أدخل فى نفسى بعض التفاؤل أن تتحسن الأحوال ..

بيد أن مجرد التغيير فى حد ذاته كان يحمل فى طياته عنصرا من عناصر الأمل ، فقد دلنى ذلك على أن الأمور أبعد ما تكون عن الاستقرار وأن الصعوبات تتراكم يوما بعد يوم .

ولكن الأيام الأولى من وزارة نجيب الهلالى قد أثبتت ألا محل للتفاؤل وأن التشاؤم هو الذى سيكون سيد الموقف بعد قليل ، فقد بدأت تصريحات مرتضى المراغى من جديد تتوالى من أنه قبض على المحرضين الذين عاشت الجريمة فى رؤوسهم ، وقد ألقى بهذا التصريح الى مجلة المصور ، فشعرت بضيق شــديد وأنا أطالعه وأحسست أن المؤامرة تسير فى طريقها ضدنا .

وبدات إراجع الموقف من أوله الى آخره ، فوجدت استمرار الحراسة الشديدة بل ومضاعفتها من حين لآخر لا يحمل فى طياته غير نذير الشر ، وأضفت الى ذلك رفضهم مقابلة زوجتى لى وهو ما لم يحدث من قبل ، وكان اسماعيل عامر ومحيى الدين فهيم يدعيان من حين لآخر للتحقيق معهما ، فكان يحملان الى بعض الأنباء التى يفهم منها ان التحقيق مستمر وأن مقالاتى محل بحث ودراسة لجعلها مادة اتهام ، وهكذا تراكمت العناصر على •

ووصلنى فى ذلك الوقت اعلان لحضور المحاكمة عن قضايانا الخمس التى كانت مؤجلة من قبل وهى الخاصة بالعيب فى الذات الملكية والتحريض على قلب نظـام الحكم والتحريض على ما سموه جـرائم النهب والحرق والقتل وبغض الطوائف واهـانة الوزراء والحكومة والبرلمان •• عشرات من التهم تأخذ بعضها برقاب بعض وحدد لنظر هذه القضـايا يوم ٥ مارس بالذات ، ولم يكن هناك جو أسوا من هذا الجو يمكن أن تنظر فيه هذه القضايا ، ولذلك فقد تراكمت على الظلمات فوق بعضها ووجدتنى مدفوعا للاضراب عن الطعام من جديد •

وكانت مطالبى من وراء هذا الاضراب ضرورة تحقيق دفاعى الذى أبديته عند اعتقالى وسماع كل الشهود الذين طالبت بسماعهم وضرورة السماح لزوجتى بزيارتى ووضع حد لهذا الجو الارهابى الذى يحيط بى بصفة عامة ••

وجاءنى أبو شنيف ليخبرنى بأنه سيحقق الدفاع بالفعل •• ولكنى مضيت فى الاضراب •• فجاءونى بزوجتى تزورنى وكان موقفهم فى هذه الناحية طريفا ، فقد كانوا يرفضون التصريح لها بزيارتى ، وعبثا حاولت الحصول على هذا التصريح فاذا بها تفاجا

بهم وهم يطلبون منها أن تحضر لزيارتى ومع شدة لهفتها على رؤيتى فقد أحست بغريزتها أن هذه الدعوة لزيارتى لا يمكن أن تكون لمصلحتى ولذلك فقد اعتذرت عنها وأجلتها يوما بعد آخر .

ثم جاءونى بجماعة من الأطباء وعلى رأسهم الدكتور محمد ابراهيم والدكتور عادل الأزهرى ومعهم كبير الأطباء الشرعيين ، وذلك لكتابة تقرير عن حالتى الصحية وقد ظهر لى بعد قليل أن هذا الاهتمام انما يرجع الى رغبتهم فى حضورى المحاكمة التى حدد لها يوم ٥ من مارس ، فكتب الأطباء تقريرا يفيد بأن حالتى الصحية لا تسمح لى بالذهاب الى المحكمة ، وذلك بسبب امتناعى عن الطعام وأخيرا زارتنى زوجتى لأول مرة بحضور وكيل النيابة على نور الدين وابراهيم امام .. وكانت هذه أول مقابلة لنا منذ يوم ٢٦ من يناير ، ولم نستطع أن نتبادل أى كلام خاص بالقضية فاكتفيت بالأسئلة العامة عن صحتها وأحوالها ، وكان لابد وقد أجيبت كل طلباتى وسمع شهودى وسجلت أقوالى فى الاحتجاج على مرتضى المراغى والاشارة من طرف خفى الى مسئولية الملك عن هذه الحوادث فلم يكن هناك مبرر للمضى فى الاضراب خاصة وقد أصبح من المقرر الا أحضر جلسات المحاكمة يوم ٥ من مارس ، وعلى ذلك فقد كتبت للمحكمة معتذرا عن الحضور ، وطالبا تأجيل القضايا بعض الوقت على أن تنظر فى خلال الدور نفسه ، وعلى هذا فقد عدلت عن الاضراب وشرعت فى تناول الطعام ، ولكننى فوجئت بعد ذلك بأن القضايا قد تأجلت الى يوم ١٠ من مارس .. أى بعد خمسة أيام فقط وقد أخفوا هذا النبأ عنى فى بادىء الأمر كى لا أواصل الاضراب ، وقد صدمنى هذا الاجراء صدمة عنيفة وأحسست ما فيه من الكيد لى ولكننى قررت أن أواجه هذه المحاكمات بعزم وشجاعة وأن أحاول تصفيتها بأى ثمن من الأثمان وأن أوطد نفسى على احتمال بعض سنوات من السجن .

وجاء اليوم المحدد لنظر مجموعة القضايا وهى مجموعة ينخلع لها قلب أى انسان ولطالما تصورت اليوم الذى تتكدس فيه هذه القضايا فوق رأسى وتمسك بتلابيبى ولم أتخيل فى يوم من الأيام كيف سيكون المخرج منها وكان الحل الوحيد فى نظرى هو أن أمضى .. أمضى حتى النهاية حتى أنفجر وأتمزق اربا . ولكن الذى لم يطف بخيالى ولا دار فى حسابى فى أى يوم من الأيام أن تتجمع هذه القضايا وتنظر وسط هذا الجو الرهيب الذى أصبح يكتنفنى وهذه التهمة الشنيعة تهمة حريق القاهرة تلقى على ظلها الكثيف .

لقد نظرت هذه القضايا من قبل وسط جو صاخب ينبض بالحرارة وثورة الشعب .. كانت قاعة المحكمة تكتظ بأفراد الشعب وكانت المحكمة عندما تصدر أمرها باخلاء القاعة لنظر القضية فى جلسة سرية يبدو عليها أنها ترتكب أمرا ادا وكانت المحكمة لا تلبث أن تؤجل نظر القضية لتتخلص منها وتنجو من الحرج الذى يسببه الفصل فى القضية بالادانة أو البراءة .. أما الآن فقاعة الجلسة خالية خاوية على عروشها ليس هناك من يجرؤ على الاقتراب منها حتى المحامون ممنوع عليهم أن يحضروا الجلسة الا اذا كانوا ممن سيترافعون عنى بالفعل .. وحتى هؤلاء لا يسمح لهم بالاقتراب منى أو التحدث معى . وكان ذلك شيئا لم يسبق له مثيل فى تاريخ القضاء فى مصر أن لا يستطيع المتهم أن يخاطب محاميه حتى أمام المحكمة .. ولكن هكذا شاءت تنظيمات ابراهيم امام الذى كان يشرف بنفسه على هذه الترتيبات والذى صحبنى من السجن الى المحكمة بالاضافة الى مجموعة من ضباط البوليس الكبار ما بين قائم مقام وبكباشى وصاغ ويوزباشى ومع هؤلاء سيارة مليئة بالجنود المدججين بالسلاح .

وكان الذى يعنينى من ذلك كله أن لا تخدش كرامتى . بأن يفكروا فى وضع القيود الحديدية فى يدى أو أن يزجوا بى فى قفص الاتهام وكان وجود ابراهيم امام معى ضمانه كبرى لكيلا يحدث شيء من ذلك فهذه الحية الرقطاء تحب دائما أن تبدو ناعمة الملمس مع فرائسها ولقد رحبت دائما أبدا بهذه النعومة فكل الذى كان يعنينى هو أن أعامل معاملة طيبة خالية من الخشونة ولقد كان ظهوره على المسرح فى أى موقف من مواقف القبض على او تفتيش بيتى أو محاكمتى هو ضمان لحدوث ذلك .

ولذلك فعندما وجدت نفسى فى آخر الأمر مستقرا فى مقعد المحامين فى محكمة الجنايات وقد وصلت اليها معززا مكرما لم يعننى فى شيء هذا الشذوذ المحيط بى من حيث شدة الحراسة والحيلولة دون أى انسان والاقتراب منى . وقد بدأت محاكماتى فى ذات الوقت الذى بدأت فيه المحكمة العسكرية العليا برئاسة حسين طنطاوى فى نظر قضايا ٢٦ يناير وقد ضاعف ذلك فى الجو الارهابى المحيط بدار المحكمة فكانت ساحة باب الخلق أشبه بميدان حربى وكذلك المحكمة من الداخل بل وقاعة الجلسة ذاتها . وأخيرا عقدت الجلسة برئاسة هذا الرجل الطيب محمد صادق ، ولقد شعرت دائما أن هذا الرجل طيب القلب وقد أيدت الحوادث صدق احساسى .

ولم يكن معى من المحامين سوى عبد المجيد نافع ومحمد عصفور أما الأول فانه يحلو لى دائما أن أصفه بالأسد الغضنفر ولا شك أن فيه من الأسد منظره وعندما يهدر صوته فى المحكمة بهذه العبارات القوية المدوية فانه يشبه فى موقفه دائما أسدا يزأر فى غابة .

أما محمد عصفور ذلك الشاب الذى يوشك بعد قليل أن يصبح القانونى الأول فى البـلاد .. القانونى المدافع عن الحريات وحقوق الانسان وهو يجلس الآن ـ أى وقت كتـابة المذكرات ـ فوق منصة القضاء فى مجلس الدولة حيث صال وجال قبل ذلك فى صفوف المحامين مدافعا عن قضاياى التى شغلت مجلس الدولة طوال عام ١٩٥١ ٠

وحاول عبد المجيد نافع وعصفور أن يؤجلا هذه القضايا وكان من الواضح أنهما يقومان بمحاولة فاشلة فالعزم قد استقر على نظر القضايا (ودربكة) الدنيا فوق رأسى والخلاص منى ، وجلس فى كرسى النيابة على نور الدين ورئيسه عبد الحميد أبو شنيف يتحفزان للثورة على المحكمة ان لاح فى الجو امكان تأجيل القضايا ٠

ورأيت أن أخوض المعركة فى شجاعة واستسلام فى ذات الوقت فقررت أننى مستعد لنظر القضايا فورا وانه اذا كان حضرات المحامين غير مستعدين فسوف أتولى المرافعة عن نفسى ريثما يعدون مرافعتهم ٠ وازاء ذلك انفرجت الأزمة وقال القدر كلمته وبدأت المحكمة فى نظر القضايا الخمس ٠

واقترحت على المحكمة أن نبدأ تناول القضايا من حيث الترتيب الزمنى وهى تتألف من عدة جنح ما بين قذف وسب فى النحاس وسراج الدين والتحريض على جرائم القتل والنهب والحرق وبغض طائفة ٠ فاجابتنى المحكمة الى طلبى ثم دفعت دفعا قانونيا وهو وجوب أن يكون هناك شـكوى كتابية من المجنى عليهم فأسرعت النيابة الى قبول هذا الدفع وأعلنت تنازلها عن كل هذه التهم الموجهة الى النحاس وسراج الدين وعثمان محرم وحسين سرى وكريم ثابت وأصبحت التهمة مقصورة على التحريض على جنايات القتل

والنهب والحرق . وكان ذلك افتتاحا طيبا جعل شعاعا من التفاؤل يدب الى نفسى .. وبدأت المرافعة فى صوت منخفض فأشرت الى الظروف التى تحيط بى وشدتها ولكنى أكدت يقينى بالله عز وجل وأنه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا .. ومضيت فى المرافعة دون أن تقاطعنى المحكمة وكان من الواضح أنها متأثرة الى حد بعيد بالحق والصدق الذى تنطوى عليه كل كلمة تخرج من فمى .

وانتهى اليوم الأول من أيام المحاكمة وعدنا الى السجن لنعود فى اليوم التالى للمرافعة فى قضية أخرى من قضايا العيب فى الذات الملكية .

وفى اليوم التالى كانت المحكمة العسكرية العليا قد أصدرت أول أحكامها فى حوادث ٢٦ يناير ما بين اشغال شاقة مؤبدة وخمسة عشر عاما فانخلعت قلوب الناس رعبا وفزعا من هذه الأحكام الجائرة فقد كان كل انسان فى مصر يشعر أن هؤلاء الذين قبض عليهم ما هم الا أشخاص مظلومون قبض عليهم من عرض الطريق ليقال ان البوليس قد قبض .. ويحكم عليهم ليقال انه قد حكم على الفاعلين والمرتكبين . وانفجرت براكين السخط والغضب على حسين طنطاوى رئيس المحكمة العسكرية العليا ولم يعد هناك فى مصر شخص واحد لا يسب حسين طنطاوى ويصفه بالجلاد والسفاح .

وكان القائمقام عبد العزيز على المشرف على نقلى الى المحكمة يبدو عليه الاغتباط والارتياح لهذه الأحكام وكان يعبر عن سروره وابتهاجه لابراهيم امام الذى كان يبادله نفس السرور وان كان شديد الحرص على اخفاء هذا السرور فى حبات المسبحة التى كان يعبث بها كمظهر على التقوى والصلاح ونقاء القلب . وأبديت لهم

رايى فى هذه الأحكام وأنها أحكام جائزة وأن حسين طنطاوى لن يجرؤ على تكرارها ثانية بأى حال من الاحوال بعد هذا السخط والانكار الجماعى .

وسارت المحاكمة فى يومها التالى فى نفس الجو الذى سارت فيه فى اليوم الأول .. قاعة خالية خاوية على عروشـــها الا من المحكمة ومنى وضباط ابوليس المكلفين بحراستى وعندما جـــاء دورى فى المرافعة بدأتهـــا مواصـــلا مرافعتى فى اليوم السابق وشارحا الموقف بينى وبين الملك وبين سراج الدين وبين الحكومة ، وان حملتى فى حقيقتها هى على الفساد والانحلال ولست أقصد من ورائهـــا الا خير الجميـــع .. وبدا الجـــو يصـــبح مشـــبعا بالعطف على ..

وتمت المرافعات على وتيرة واحدة فى أربع قضايا واذا بى أفاجأ فى اليوم الأخير بطلب النيابة تأجيل القضية الخامسة قضية قلب نظام الحكم الخاصة بالمقال المعنون « الثورة الثورة الثورة » . وكان عبد الحميد أبو شنيف قد أنبأنى أنه سيطلب هذا التأجيل لارتباط هذه القضية بحوادث ٢٦ يناير فأزعجنى ذلك وكتبت للنائب العام بهذا الاتجاه فما علاقة مقال مضى على كتابته بضعة أشهر سابقة على حوادث ٢٦ يناير بهذه الحوادث . ولكن النائب العام كان قد بدأ كما أظهرت الحوادث فيما بعد يتنكر لى فلم يكن لاحتجاجى أى تأثير ولكن النيابة غطت مركزها فى الجلسة بأن جعلت التأجيل لاعادة اعلان سليمان زخارى المتهم معى فى القضية والذى لم يسبق اعلانه وهكذا تأجلت القضية على هذا الاعتبار .. وتأجل معها النطق بالأحكام الأربعة الى يوم ١٧ مارس ..

وكانت مرافعاتى قد جعلت الضباط المرافقين لى ينتمون لى ويقطعون بأن الأحكام ســتكون كلهــا بالبراءة .. وكنت عندما أعود الى السجن يتلقفنى اخوانى وضباط السجن بالسؤال عن

الحالة وعن الجو وعما أتوقع وعما ظهر من اتجاهات المحكمة وكنت ارد على الجميع بأنه يحسن بنا الانتظار فالقول الفصل قد اصبح قريبا ولكن الجميع كانوا يتفاءلون ويتمنون باحساسهم الطيب أن لا يكون هناك سوى البراءة أو على الأقل تقدير أحكام مع ايقاف التنفيذ وكان هذا الخاطر الأخير يلوح أحيانا فى رأسى كأعظم ما أتمناه أما البراءة التامة فقد كانت تشبه المستحيل لأن بعض المقالات كان صريح العيب فى الذات الملكية المصونة وخاصة فى مقال « حيدر • بوللى • كريم ثابت النقيب ينبغى تطهير البلاد من هذه العصابة » ، وفى هذه الفترة كانت أحكام حسين طنطاوى تتوالى كالمطر يوما بعد آخر ، وقد صح تقديرى من حيث انه أصبح يجنح الى تبرئة عدد كبير من المقبوض عليهم تحت ضغط استنكار الرأى العام وهبط بأحكامه من الأشغال المؤبده الى خمسة عشر عاما كحد أقصى ، وكانت هذه القضايا وما يدور فيها تؤكد ثقتى بنصوع براءتى من ناحية ، فكل هؤلاء المتهمين لا أعرفهم أو يعرفوننى ولا صلة بيننا وبينهم من أى نوع ، ولكن شدة الأحكام والسرعة التى كانت تتم بها (والكلفتة) التى كانت (تكلفتت) بها كان ذلك يزعجنى من ناحية أخرى ويملؤنى خشية من أن أقع فى براثن هذا الرجل على أى صورة من الصور .

وجاء اليوم المحدد لصدور الأحكام وكنت قد قررت ألا أحضر هذه الجلسة لأوفر على نفسى القلق ومرارة الانتظار والتطلع المستمر الى حجرة المداولة وترقب اللحظة الحاسمة ، ولكننى قدرت أن الانتظار فى السجن سيكون أشد مرارة ووجدت فى نفسى شعورا بالعزم والتصميم على مواجهة الأحكام أيا كانت ، ولذلك فقد ارتديت ملابسى فى آخر دقيقة وذهبت مع الجماعة الى المحكمة وجلسنا فى القاعة ننتظر ، وكان بعض الضباط يؤكدون أن الأحكام ستكون بالبراءة ، ولكننى لم أكن أشاطرهم هذا الاحساس وان كان التفاؤل يغمرنى ..

وهتف الحاجب بصوته الذى يبدو رهيبا فى هذه اللحظات « محكمة » ودخل القضاة ومن خلفهم عبد الحميد أبو شنيف واسرعت أتفرس فى وجوههم لمعرفة الحكم أو طلائعه فوجدت الصرامة تبدو لأول مرة على وجه محمد صادق ، فكان ذلك نذيرا بالشؤم ، وبدأ ينطق أحكامه ، فكان أولها يقضى بالحبس ستة أشهر حبسا بسيطا وهكذا صدر الحكم بالحبس أخيرا وسيكون على أن أقضى ليلتى فى السجن ، ولكنى مازلت أؤمل أن تكون الأحكام التاليا بالبراءة ، ولكن الحكم الثانى كان كسابقه ستة أشهر حبسا بسيطا ، ثم نطق بالحكم الثالث ستة أشهر حبسا بسيطا ، ولقد بدأت الأحكام تنهال على رأسى كما لو كانت مطرا مدرارا ، ولكن من حسن الحظ ان الأحكام فى حد ذاتها لم تكن شديدة أو قاسية مما خفف وقعها بعض الشىء وأخيرا نطق بالحكم الأخير فى قضية الجنحة وهو يقضى بالبراءة ، وكذلك تضمنت الأحكام السابقة بعض الأحكام بالبراءة فى تهم أخرى كان قرار الاتهام فى كل قضية يتضمنها ·

وغادرت هيئة المحكمة قاعة الجلسة وسط السكون العميق ، ولقد كنت أنا الوحيد المنشرح الصـــدر بعد انتهـاء هذه المحنه وانتهائها على هذه الصورة ، لقد كانت هذه القضايا كالكابوس يكتم على أنفاسى ، كانت أشباحا تنغص على نومى فى بعض الأحيان أما الآن فقد انتهت وصفيت وتمخضت عن عام ونصف من الحبس ، وهكذا تحدد الموقف وتنفست الصعداء ·

وأقبل على الجميع يواســـوننى ويظهرون الحمد على هذه النتيجة والبعض الآخر يظهر دهشته لهذا الحـــكم غير المتوقع · فالقضايا يجب أن يقضى فيها بالبراءة بعد مرافعاتى ، ولكنى وسط ذلك كله كنت أبتسم فى هدوء وكان كل الذى يشغلنى هو كيف

ننتهى من الاجـراءات بسرعة واجتـاز هذه المرحلة الثقيلة مرحلة الانتقال من سجن الأجانب الى سجن مصر ٠

وعدت الى سجن الأجانب لأخذ ملابسى وكان خبر الأحكام قد سبقنى الى السجن ، فوجدت جميع اخوانى فى انتظارى والجزع مرتسم على وجوههم ولن أنسى ما حييت صـورة اسماعيل عامر والحزن العميق الذى كان مرسوما على وجهه وأنا أشير له على البعد مبتسما ان « يشدوا حيلهم » وأن لا داعى للحزن ولن أنسى كذلك ما ارتسم على وجه فتحى رضـوان من الاشـفاق ان يكون مصيره كمصيرى ، فقد كان عبد الحميد أبو شنيف قد وجه اليه بدوره تهمة العيب فى الذات الملكية وكانت معروضة على نفس المحكمة التى حاكمتنى وحكمت على ٠

ونزلت سـلم سجن الأجانب فى الطريق نحو سجن مصر ، ولم أكن أعرف ما الذى يضمره لى المستقبل ، وهل هذه الخطوات التى أخطوها ستكون آخر ما يربطنى بهؤلاء الأشخاص الأعزة على قلبى أم انه يتعذر على أن أجتمع معهم بعد ذلك ٠٠

كان المستقبل يبدو وكأنه نافذة مغلقة لا يبدو من خلالهـا شىء ، ولكنى لم أكن أشعر بشىء من الكآبة ، وكان الهدوء والاطمئنان يغمران نفسى ٠

ووصلنا الى سجن مصر ، حيث كان يلازمنى ابراهيم امام وعبد العزيز على ، ولكننا لم نكد نقرع باب السجن حتى اطل علينا وجه بغيض هو وجه مأمور السـجن المسـمى جلال الجوهرى ، والذى طارت شـهرته كل مطار من حيث فظاظته وسماجته ، وقد فهمت من لهجته أن تعليمات جديدة قد صـدرت ونحن فى الطريق لتغيير مقر سجنى ، وقد كان هذا ما أخشـاه فقد كنت

شـديد اللهفة ان يكون سـجن مصـر هو سجنى ، وذلك لوجود جميع زملائى المتهمين فى قضية ٢٦ يناير بها وعلى ذلك فاستطيع ان اقف على مجريات القضـية ، ومن ناحية اخرى فان سـجن مصر من الناحية الصحية سـجن حسـن تغمره اشعة الشمس، وذلك بخلاف سجن الاستئناف الكئيب والذى لا تنفذ اليه الشمس اطـلاقا والمخصص لتنفيذ عقـوبة الاعدام ذلك المنظر الكريه الى نفسى .

ووقع ما كنت أخشـاه فقد رفض جـلال الجوهرى ان يقبلنى فى سـجن مصـر وأحتج بوجود زملائى فى السجن وأنه من الخير أن أودع فى سـجن الاستئناف ، وقد كان فقد عدت الى المحافظة الى سـجن الاستئناف ، وكان لهذا التغيير المفاجىء أثر سيىء جدا فى نفسى ، فقد أحسست بأن ذلك هو بدء الكوارث .

فى سـجن الاستئناف

دخلت سجن الاستئناف وصـدرى منقبض فلهذا السجن فى نفسى وحشة ذلك أنه كمـا قدمت هو السجن الذى ينفذ فيه على المحكوم عليهم بالاعدام ، وهى عملية بغيضـة الى نفسى ، وأنا حر طليق فما بالك وأنا سـجين يظله اتهام خطـير ، وكان فى السجن وكيله وهو يوزباشى يدعى عبد الرؤوف جودة فاستقبلنى فى هدوء وانصرف ابراهيـم امام ومن معـه من كبـار الضباط وصـغارهم ، وبقيت بمفردى مع هذا الضـابط الصغير فى جو يسـوده الهدوء ، وقد بدأت الاجراءات العادية اجـراءات تفتيش وسؤالى عما اذا كان لدى امانات نقدية او مواد ثمينة ولاحظ الباشسجان فى يدى خاتم الزواج فطلبه منى وظهر الألم فى نفس الضـابط ، وبدأ عليه أنه يوشـك أن يعترض على هذا الطلب ، ولكنى رايت أن أحسـم المناقشة فخلعت الخاتم واعطيته

له ولم يكن ذلك بغير ألم عميق فى نفسى ، ولكنى رأيت أن أروض نفسى فورا على احتمال صنوف مختلفة من المضايقات .

وكان الحكم على يقضى بالحبس البسيط ، والحبس البسيط يسمح للمحكوم عليه بأن يحتفظ بملابسه العادية ، وهكذا اعفيت من ارتداء ملابس السجن القبيحة ، وبدأت مشكلة معاملتى وهل تكون حسب الفئة فأعطى سريرا ويقدم لى غذاء مدنى يقدمه أحد المتعهدين أم أعامل حسب الفئة (ب) كمسجون عادى فأنام على الأرض وأتناول طعام السجن العادى ، ومعلوم أن جرائم النشر والصحافة تعامل معاملة خاصة ولذلك فقد أسرع مدير المصلحة اللواء عمر قودان فأصدر أوامره بأن أعامل معاملة الفئة (آ) بل زاد على ذلك أن قال لوكيل السجن عندما خاطبه فى هذا الموضوع أن اعامل معاملة الفئة (أ) ، وزيادة (شسوية) ولن انسى له هذا الجميل ، ولذلك فقد صرف لى سريرا ومائدة ومرآة وطبقا وملعقة وطشتا وابريقا من الصاج الابيض وقلة نظيفة ، ولم يكد يغلق على الباب لأول مرة فى سجن الاستئناف حتى بادرت بخلع ملابسى وارتداء ملابس النوم واستغرقت فى سبات عميق ، ولم يكن ذلك الا نتيجة الشعور بالراحة لاجتياز هذه المحنة بسلام وكرد فعل للتوتر العصبى الذى تملكنى منذ الصباح ، واستيقظت بعد حين لأرى مأمور السجن وقد جاء للمرور على فلما قلت له ان مدة الحكم على هى سنة ونصف اذا به يقول : « على الله أن ينتهى الأمر عند هذا الحد فيكون خيرا عميما » ، وكانت هذه العبارة تعكس صدى المؤامرات التى تدور حولى وانا فى غفلة ففى ذلك الوقت كان كل انسان يتحدث عن المصير المحتوم الذى ينتظرنى ، حيث كنت أعيش فى غفلة مما يدبر أو يحاك لى ، وكانت كلمة هذا المأمور البكباشى عبد المنعم موسى هى أول ما صدمنى بهذه الحقيقة .

وبت ليلى فى سـجن الاستئناف حامدا الله ، وعند الصباح طالعت الصحف فاذا بها تحمل نبأ الحكم على بدون اى تعليق باستثناء جريدة المصرى التى قالت عقب نشر الحكم « والمعروف أن الأستاذ أحمد حسين سيحاكم أمام المحكمة العسكرية العليا عن جريمة التحريض على حرق مدينة القاهرة » ، ولم أكد أطالع هذه العبارة حتى انتفضت من الغضب لهذه الأكاذيب التى تتعمد جريدة المصرى نشرها للاساءة الى فحتى ذلك الوقت لم يكن قد جرى معى أى تحقيق فى حوادث ٢٦ ينـاير باستثناء هذه الأقوال التى أدليت بها وسماع الشهود الذين اتصلوا بى فى يوم ٢٦ يناير وقد أيـدوا أقوالى ، فما تقوله المصرى من أننى سـأحاكم امام المحكمة العسكرية ليس سـوى تخرصـات جريدة وفدية تريد ايذائى ، ولكن الحوادث والأسفاه قد دفعت عن المصرى هذه التهمة . فقد كانت المصـرى تردد فى الحقيقة العزم الذى اسـتقر على محاكمتى حتى قبل ان يبدأ التحقيق معى .

وقد حاول ابو شنيف بعد قليل ان يحرمنى من المعاملة الممتازة فى السجن بدعوى ان المحكمة لم تذكر فى حكمها كيفية معاملتى .. والامتيازات المعطاة للصحفيين فى جرائم النشـر انما هى مقصورة على الجنح الصحفية لا الجنايات ، ولكنى رفضـت بشدة هذه المحـاولة وكتبت مذكرة قانونية أفند بها هذه الحجج واثبت احقيتى للمعاملة الممتـازة ومرة أخرى وقف عمر قودان ـ مدير المصلحة ـ الى جوارى وأقرنى على وجهـة نظرى وقد علمت منه فيمـا بعد بعد تغيير العهد انه كتب مـذكرة بهذا الخصـوص وعرضها على مرتضى المراغى باعتباره وزير الدفاع الذى تتبعه مصلحة السجون وانه وافق مدير المصـلحة على وجهة نظره ، وبذلك استقرت حياتى فى السجن على اساس معاملتى كحرف « أ » وعلى ذلك فقد أصبحت حجرتى تضاء بالكهرباء فى الليل وتقدم لى الكتب التى اطلبها كلها وكان على راسـها مجموعة كتب

ومؤلفات لتولستوى ، كما كنت أطالع الصحف والمجلات وأحلق ذقنى بواسطة حلاق خاص مرتين فى الاسبوع وكان متعهد الطعام يمتنى بطعامى عناية خاصة وبدأت علاقات الود تنشأ بينى وبين حضرات الضباط وعلى رأسهم مأمور السجن عباس قطب أما السجانون الطيبون ، فهؤلاء غمرونى بعطفهم وتشجيعهم ونقل تحيات أفراد من الشعب لى من حين لآخر .

وهكذا مضت حياتى هينة لينة خالية من كل ما يضايق أو ينغص ، وكنت اشعر أن كرامتى مصونة كل الصيانة ، وكان ذلك فى نظرى ليس الا نعمة من نعم الله الكبرى ، ففى الوقت الذى كان يترامى فيه الى سمعى من حين لآخر ان الشعب يتصور اننى قد دعيت لمقابلة الملك ، وأنه قد أعتدى على بالضرب والايذاء ، وأننى أعذب عذابا شديدا ، فى ذلك الوقت كنت أعيش فى سجن الاستئناف على أتم ما اكون من الراحة والكرامة لا اكاد اشعر بأنه ينقصنى شىء .

وقد كان منطق الشعب سليما عندما تخيل أن فاروق قد استدعانى ليعتدى على ، فكل من فى مصر يعلم مقدار الحرب الشديدة التى شننتها على الملك فاروق فاما وقد اوقعنى الله تحت براثنه فمن الطبيعى أن ينتقم الملك لنفسه بهذا الأسلوب المباشر ، ولكن الذى فات الشعب لأنه لم يكن يتصوره فى ذلك الوقت أن فاروق جبان رعديد وهو لا يستطيع أن يواجه رجلا يتحداه مثلى خوفا من أن أسبه أو اهينه أو أبصق فى وجهه ، ولذلك فهو يؤثر أن يتولى ذلك غيره ، وكان جهاز الحكم قد بلغ درجة من الانحلال ، بحيث لم يكن هناك موظف واحد على استعداد أن يرتكب مثل هذه الجريمة من أجل سواد عيون فاروق ، لقد وجد فاروق عصابة تقتل له من أشار بقتلهم ، ولكن هذه العصابة كانت محدودة الأفراد ولم يكن فى رجال مصلحة السجون

او بالأحرى فى سجن الاستئناف بالذات أحد أفراد هذه العصابة ، وبالعكس كان بها مجموعة من الضبط ذوى الأخلاق الكريمة وقد زادهم شعور مدير المصلحة الطيب من ناحيتى اطمئنانا على حسن معاملتى ، وكان كل يوم يمضى فى السجن دون أن استدعى الى النيابة للتحقيق فى حوادث ٢٦ يناير يزيد فى أملى أن المسالة فى طريقها الى الانتهاء وان الجميع قد اقتنع ببراءتى التامة ، وكنت مغتبطا بالذات بصدور الحكم على بالحبس لمدة عام ونصف ليطمئن الملك بعض الشيء وليخفف ذلك من حدة غضبه ، وكنت من السذاجة بحيث اتخيل ان فاروق يقنع بشيء أقل من رأسى .

ومع ذلك فقد مضت الأيام تلو بعضها ، بل تحولت الى اسابيع دون ان استدعى للتحقيق حتى اذا انتهى مارس اى اسبوعين بعد الحكم دون أن استدعى بدأ الأمل يتحول الى حقيقة فى نظرى ، حتى اذا بدأت الأيام تتوالى من شهر أبريل نفسه دون ان أستدعى للتحقيق تحولت الحقيقة الى عقيدة فبدأت اشعر شعورا عميقا أن موضوع اتهامى فى حوادث ٢٦ يناير قد انتهى نهائيا بعد أن اتضح للجميع بعد الحزب الاشتراكى عن هذه الحوادث الرهيبة . وقد غرقت فى هذه العقيدة الطيبة وبدأت حياتى فى السجن تصبح سعيدة كل السعادة وأنا بين عبادة الله ومطالعة فى كتب تولستوى وكتابة لتاريخ حياتى ، الى ان زارنى فى السجن الأستاذ محمد عصفور — المحامى — فاذا به يهز هذه العقيدة هزا ويزلزلها فى نفسى ، لقد حمل الى محمد عصفور ذلك الجو الذى حالت جدران السجن بينى وبين التاثر به جو التلفيق والتدبير الذى كان يحاك لى ، كان الالم مرتسما على وجه محمد عصفور وكان التشاؤم يسود كل كلمة من كلماته ، وكان يعيب على لماذا لم أستمع الى نصحه عندما طلب الى مغادرة القطر المصرى ، فلما أبديت دهشتى من تشاؤمه وقد انتهى موضوع ٢٦ يناير بالنسبة لى اذا به يبدى دهشته العجيبة

ولا يكاد يصــدق أذنيه وسألنى عما اذا كنت فى شك من انني سأحاكم أمام المحكمة العسكرية ؟ فقلت له : ليس عندى اى فكرة عن ذلك ولا يمكن ان احاكم امام محكمة عسكرية ، فينظر الى محمد عصفور نظرة اشفاق كما ينظر الانسان الى شخص مريض بمرض خطير يوشك ان يقضى على حياته ، وهو يجهل كل شيء عن ذلك ويعتبر نفسه فى تمام الصحة ، وكان عصفور يعرف من اتصالاته بمحمد زكى على وهو من رجال السراى ودكتور محمد هاشم ان النية مبيتة على اعدامى .

ولقد كان لعصفور بالذات الفضل فى أننى قررت أن أشرع فى تدوين مذكراتى يوما بعد يوم بعد أن أخرجنى من هدوئى وألقى بى فى بحـار الشك وظلام المستقبل ، فقد أحسست بعد زيارته أننى بدأت صفحة جديدة ، وقد كانت بالفعل صفحة جديدة ولنطالع الآن هذه الصفحة كما كتبت فى وقتها يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى .

١٩٥٢/٤/٦

كان اليوم موعد نظر قضية مقال « الثورة ، الثورة ، الثورة » وقد طلبت النيابة التأجيل لارتباط هذه القضية بالتحقيق الجارى عن حوادث ٢٦ يناير .. وهكذا أفصحت النيابة عن هدفها فى الزج بى فى حوادث ٢٦ يناير عن أى طريق ، ولو بايجاد صلة بين مقال كتب من ثلاثة أشهر سابقة على الحوادث .

وقد عارضت فى طلب النيابة وأصررت على نظـر القضية ، ولكن كان من المحال أن اجاب لهذا الطلب ، ولذلك فقد تأجلت القضـية الى دور مقبل لتتقدم النيابة ما يثبت ارتباطها بقضـية اخــرى .

ولقد كنت أتمنى ألا تخطو النيابة هذه الخطوة القاطعة فى اتهامى ، ولكن هكذا شاء الله ، وانى لحكم الله خاضـــع « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » ، اننى أشـعر اليوم بحزن تحت تأثير هذا التطور ، ولكن عسى أن تسفر الحوادث وتطوراتها عن أن ذلك كان خيرا .

١٩٥٢/٤/٩

بالأمس زارنى الدكتور حلمى مراد ، وقد خففت زيارته من نفسى بعض التشاؤم الشديد الذى كان يحمله محمد عصـــفور الذى زارنى يوم الخميس ٤/٣ .. وماهى الحوادث تثبت تشاؤمه ولكن الزمن وحده كفيل بترجيح كفة التشاؤم أو التفاؤل .. وليس لى من رجاء سوى رحمة الله وعنايته ، التى عشت طوال عمرى استظل بها واتعلق بها واستند اليها .

١٩٥٢/٤/١٣

هانذا لا استطيع أن أسجل مذكراتى الا بعد سبعة أيام كاملة من آخر مرة كتبت فيها .. وهذا وحده كاف لاظهـــار حـــالتى النفسية طوال هذه الفترة وانها لم تكن على ما يرام .. وأننى امضيت اسبوعا ثقيلا جدا على النفس .

بدا الضغط على اعصابى عندما اســـتدعتنى النيابة ، أو بالأحرى الاستاذ عبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة ، ليستانف التحقيق معى أو على الأصح ليشرع فى التحقيق معى ، وكان ذلك يوم الثلاثاء ٨ ابريل . ولم يزد التحقيق على متابعة مناقشة اقوالى التى أبديتها لاول مرة عندما تقدمت الى النيابة لسماع اقوالى منذ أكثر من شـهرين .

وقد اثبت فى بادىء الأمر هواجسى وتخوفى مما يحـــاك لى ويدبر ، وكيف ان الصحف تردد على سبيل الجزم ان محاكمتى لابد منها !! وتســاءلت عن جــدوى التحقيق اذا كانت النهاية محتومة ، سواء ظهرت براءتى أم ادانتى .. وسجلت موضــوع بسيم وجهود الجزار فى تلفيق التهم ضدنا ، وبعد ذلك شرعت فى الاجابة عن أسئلة النيابة والتى لم تزد على استيضاح موقفى قبل الحوادث فى مديرية الشرقية ، وعن فكرة الاعــتزال والاعتكاف ودار بحث حول القوى الروحية والتجرد والاخلاص .

وفى اليوم التالى — اى فى ٩ ابريل — استؤنف التحقيق فى جو اكثر ثقلا من اليوم السابق ، وذلك بســبب انشــغال بالى بقضية اعلنت بها للمحاكمة فى اليوم التالى — أى فى يوم الخميس ١٠ ابريل — وهى قضية قديمة اتهمت فيها منذ سنة ١٩٤٦ بتهمة تحريض الجند على الخروج عن الطاعة ، وذلك فى نداء اذعته ، ونشــرته جريدة « صوت الامة »، اهبت فيه بالشعب أن يقاطع الانجليز والا يتعاون معهم حتى يجلوا عن البلاد ورســمت هذا البرنامج الذى دعت اليه الحكومة فى سنة ٥١ .. وهكذا كالعادة اسبق البلاد فيعتبر كلامى جنايات واقوالا خطيرة .

وقد عجبت فى بادىء الأمر لســوء الطالع الذى جعل هذه القضية — التى كدت أنساها — تجىء فى هذه الأيام التى لا تنقضى فيها القضايا والأحكام ، وكنت قد طلبت من رئيس المحكمة أن يرسل الى دوسيه القضية فارسل الى وأنا فى التحقيق ، واكتشفنا أن القضية قد تكون سقطت بمضى المدة لمرور ثلاث سنوات على آخر اجراء خاص بها ، وتلطف عبد الحميد أبــو شنيف وطلب محضر الجلسة ، ظهر من محضر الجلسة جليا انه قد انقضى اكثر من ثلاث سنوات على آخر جلسة .. ويعنى ذلك سقوطها بمضى المدة باعتبارها جنحة .وكانت النيابة قد قدمتها للمحكمة على انها جنحة

صحفية ، ولكن الوصف الذى وصفته فى الاتهام ــ وهو تحريض الجند ــ هو جناية ، كما أن المادة ١٧٥ التى ذكرتها فى القيد هى جناية ، ولكن النيابة من ناحية اخرى لم تقدمها عن طريق قاضى الاحالة وقدمتها مباشرة لمحكمة الجنايات باعتبارها جنحة وهكذا كان الأمر لا يخلو من اشــكال ، فلو تمسكت النيابة بأن القضية جناية لما سقطت بمضى المدة ، ولطلبت اعادتها لتصحيح الاجراءات .. ومن هنا فقد داخلتنى الهواجس أن تتخذ النيابة منها ذريعة لمضايقتى ، ولكن لأمر ما تصرف عبد الحميد ابو شنيف تصرفا مستقيما ، فقال لى ان النيابة لا تهمها هذه القضية ولن تتمسك بها .. وقد بر بالوعد ففى اليوم الثانى يوم الخميس ١٠ أبريل ـ وقف ممثل النيابة الأستاذ على نور الدين وأثبت أن هناك خطأ فى قيد التهمة ، وطلب استبعاد المادة ١٧٥ ــ وهى الخاصة بالجناية ــ وعبارة تحريض الجند .. وبذلك لم تعد هناك شبهة فى أن القضية جنحة .. فلما طلبت اثبات سقوطها بمضى المدة لم يكن امام المحكمة ، الا ان تجيبنى الى طلبى . وهكذا تخلصنا من هذه القضية العارضة ..

وظهر ان الله الرحيم قد جاءنى بها هذه الأيام لتسقط .. وليدخل الى قلبى شعاعا من الرجاء والأمل .

وعدت سريعا الى السجن حيث كان مقررا أن تزورنى زوجتى واولادى لأول مرة منذ اعتقالى وجاءت زوجتى العزيزة الغالية التى ادعو لها بالليل والنهار أن يقويها الله وأن ينفخ فيها روحا من لدنه ويباركها . وجاء مصطفى وميمى وربرى وسنة الصغيرة . وكان تأثرى شديدا جدا لمرأى أطفالى وخاصة سنة التى كنت اخشى أن لا تعرفنى .. فاذا بها تبادر للتعلق بى وتقديم ما تحمله من الشيكولاتة لى .

وقد تحدثت طويلا مع زوجتى وكانت اخبارها مطمئنة من ناحية مجريات القضية ، فقد عرض جميع اعضاء الحزب المعتقلين والمقبوض عليهم بمعرفة النيابة على جميع شهود حوادث ٢٦ ، فلم يتعرف على أى واحد منهم .

وكانت (سنة) الصغيرة طوال الوقت كشعاع من النور .. كثيرة الحركة والمرح .. وعندما حان موعد انصرافهم ابت الا ان تتعلق بى ثانية مظهرة رغبتها فى عدم انصرافها ، فتأثرت لذلك تأثرا شديدا .

واستؤنف التحقيق فى يوم الجمعة ١١ ابريل ، وقد فاتنى ان اذكر ان فى جلستى التحقيق فى يومى ٨ ، ٩ حضر جزءا من التحقيق الأستاذ محمد عبد الله « الأفوكاتو » العمومى وقد كنت دائما أبدا اخشى من آرائه وتوجيهاته للتحقيق فسررت من فرصة مواجهته ، وقد طلبت الاطلاع على كتابه فاهدانى نسخة منه وهى خاصة بالتحريض .. وكنت أخشى من الاطلاع على هذا الكتاب ظنا منى انه مكتوب ضدنا من اوله لآخره . فلما اطلعت على الكتاب وجدته سلاحا لى سأعتمد عليه فى هذا الصراع بينى وبين النيابة .. وقد كانت مفاجأته عظيمة عندما وجدنى فى اليوم الثانى قد اطلعت على كتابه كله ، بالرغم من ان حجمه يبلغ خمسمائة صفحة ، وناقشته فيه مبديا سرورى واعجابى بالكتاب فظهر الاغتباط على الرجل .

وجاء النائب العام ليحضر التحقيق فى يوم الجمعة .. والتحقيق لم يخرج عن مناقشة آرائى وافكارى كما سجلتها فى البيان الذى اذعته على الصحفيين يوم ٢٤ يناير ، والذى انذرت فيه بقرب وقوع كوارث وجرائم وفتن اذا استمرت الوزارة فى الحكم .

وقد اغتبطت لرؤية النائب العام لأستطيع أن أناقشه وابين له وجهة نظرى .. وقد أثنيت على تقريره عن حوادث ٢٦ يناير وعجبت كيف انه مع هذا التقرير يتصور متصور أن لى علاقة أو للحزب الاشتراكى بحوادث ٢٦ يناير .. وسألته أين دور عساكر بلوك النظام الذين كانوا هم عود الثقاب الذى أشعل برميل البارود . فقال النائب العام ان محل موضوعهم هذا التحقيق الدائر .

وانهى التحقيق فى الساعة الثانية والنصف بعد اربع ساعات ونصف الساعة . وعند عودتى الى السجن وجدت نفسى متضايقا لاستمرار التحقيق على هذه الوتيرة وهى مناقشة اقوالى التى أقولها . وتخوفت من جديد أن تكون خطة النيابة هى عمل تحقيق ضخم من مجرد مناقشة آرائى ومعتقداتى ، ثم يقال هذا هو أساس التحريض . ولذلك فقد عولت على أن أقف موقف تصلب فى التحقيق .

يوم السبت ١٩٥٢/٤/١٢

ذهبت الى النيابة اليوم بنية الاحتجاج على المحقق .. ولم يكد يوجه الى سؤاله المعتاد مناقشا أقوالى عن اليوم السابق ، حتى أثبت فى المحضر ان هذا الطريق الذى سلكته النيابة ليس طريقا قويما ، وأن حوادث ٢٦ يناير قد اصبحت معروفة ومشهورة وسجلها النائب العام فى تقريره ، فاذا كان لدى النيابة ماتواجهنى به من أدلة أو شبه أدلة فعليها أن تفعل ، أما أن نظل نتناقش فى آرائى وفى أعمالى فهذه مسألة لن تنتهى . وقد غضب المحقق لموقفى هذا ولكنى تمسكت بأن تواجهنى النيابة بما عندها ، وجاء فى اقوالى اننى متعب فلم اكد اقول هذه الكلمة حتى اسرع رئيس النيابة الى ايقاف التحقيق لاعطائى فرصة للراحة وتأجيل

التحقيق ليوم الاثنين ١٤ ابريل . وهكذا اخذت يوما اجازة ، وهو ما خفف الضغط عن اعصابى بعض الشىء .. وهانذا اتمكن من كتابة هذه المذكرة عن هذا الأسبوع الحافل بالعوامل المثيرة .

والله وحده يعلم كيف كان يمكن ان اقطع وقت الفراغ لو لم تكن رواية تولستوى عن (الحرب والسلام) هى التى انكب على مطالعتها كلما خلوت الى نفسى ، فتشغلنى عما يحيط بى من هموم . وكانت الصلاة كالعادة هى مفزعى وخاصة صلاة الفجر ، حيث اصلى وادعو فى هدوء الليل ربى وخالقى ان يبدد من حولى الظلمات والغواشى ، وان ينجينى ويخلصنى من الكيد الذى يكاد لى ولاخوانى .

الأحد ١٣ ابريل ١٩٥٢

تبارك الله .. ما أعظم قدرته .. لقد صدر الأمر أخيرا بتأجيل الانتخابات الى اجل غير مسمى .. ولقد ضايقنى ذلك فى بادىء الأمر ، ولكننى بعد أن فكرت قليلا وجدت أن هذا الاجراء قد يكون مظهرا جديدا من مظاهر رحمة الله بنا . لقد كانت الانتخابات ستجرى والحزب الاشتراكى لا وجود له .. فنحن جميعا فى السجون والمعتقلات .. حتى ابراهيم شكرى يوجد فى السجن .. وقد كان ذلك يحز فى نفسى ، بل لقد جعلنى فى حالة يأس تام من ناحية مستقبل الحزب .. فقد كان غاية كفاحنا طوال العامين الماضيين أن نفوز برضا الشعب فى انتخابات جديدة .. وفيما جاء أوان الانتخاب اذ بنا فى السجون متهمين أشنع تهمة ومحرومين من حق المواطنين العاديين . وقد استسلمت لهذا الوضع ورضيته مادامت هذه هى ارادة الله .. ولمجاة يصدر مرسوم قبل قفل باب الترشيح بيوم واحد يلغى ما تم من اجراءات ، ويؤجل الانتخابات الى أجل غير مسمى . ولست أشك لحظة واحدة فى

أنه عندما تستأنف الانتخابات فسيكون النشـــاط قد عاود الحزب فلابد ان يكون فريق من الزملاء قد أفرج عنهم وتبددت الســحب والغواشى عن الحزب . وهكذا اعـــاد هذا الاجـــراء الى نفسى بصيصا من الامل بالنسبة لمستقبل الحزب ، وان كنت من ناحية أخرى اتوقع وقد تحررت الوزارة من فكرة البرلمان وأى تفكير فى الغاء الأحكام العرفية أن نحكم حكما ديكتاتوريا .. ولكنى لا أظن أنه سيكون هناك أسوأ مما حل بنا حتى الآن .. وعلى أية حـال فأنا لا أملك من الأمر شيئا لنفسى أو لاخوانى ، الا أن أرفع أكف الضراعـة الى الله وأن أهتف كل صـــباح ومسـاء : حســبنا الله ونعم الوكيل .

وغدا يستأنف التحقيق معى ، ولابد ان رئيس النيابة سيعد لى كل ما عنده من اشياء ضدى ، فالله المستعان على ما يصفون .

الجمعة ١٨ ابريل سنة ١٩٥٢

هانذا لا اجد فرصة من جديد للكتابة الا اليوم اى بعد مضى خمسة أيام من آخر مرة كتبت فيها وقد استؤنف التحقيق فى يوم الاثنين حسبما كان محددا وقد أتيح لى قبل البدء فى التحقيق أن اطلع على حيثيات الأحكام التى صـــدرت ضدى فى قضايا العيب فى الذات الملكية والتى صـــدر احـــدها بالبراءة وقد حمدت الله سبحانه وتعالى أن جعل عاقبة الاحكام سليمة وقد كانت هذه الحيثيات كأحسن ما تكون عليه حيثيات محكمة حكمت بالادانة فان المهم فى موضـــوع هذه الحيثيات انها اثبتت لى الاخلاص والولاء لجلالة الملك ، وجعلت ذلك فوق كل شك حتى لقد ذهبت الى حد الاستغناء عن سماع الشهود الذين طلبتهـــم وذلك لأنى « قدمت فى التحقيقات وفى الجلسة أدلة مادية على اثبات ولائى لجلالة الملك وهى جرائد ونشـــرات وكتب تنطق كلها بهذا الولاء وتواريخها

سابقة على تاريخ هذه الدعوى وهى فى الواقع أبلغ من شهادة الشهود » .

ولما كانت هذه هى النقطة الوحيدة التى تهمنى فى الموضوع كله فقد شكرت لمحكمة الجنايات تقريرها هذه الواقعة . وطالعت حيثيات حكمها بالبراءة فى اخطر هذه القضايا بالنسبة للظروف الحاضرة وهى القضية التى اتهمت فيها بالتحريض على جرائم القتل والنهب والحريق والاتلاف وذلك فى عدة مقالات كانت احدها بعنوان « الثورة آتية لا ريب فيها » وقد ذكرت المحكمة فى حكمها ان ذلك كله قد ورد على سبيل التحذير ولا يتضمن تحريضا على الثورة بل على العكس من ذلك يهدف الى تفادى وقوع الثورات والفتن كهذا الذى حدث فى ٢٦ من يناير . وهكذا عززت محكمة الجنايات وجهة نظرى فى هدفى من كل ما أكتب وجعلتنا فى مركز أحسن ألف مرة مما لو كانت حكمت بالادانة فى هذه الجنحة ولو بغرامة صغيرة فقد كانت النيابة ستتخذها تكأة فيما تنسجه الى من خيوط الاتهام بتهمة التحريض عن طريق الكتابة .

بقى الأمل أن تنقض محكمة النقض والابرام حكما من هذه الأحكام الثلاثة الصادرة بادانتى نظرا لوجود بعض تناقض فى حيثيات محكمة الجنايات فطالما أثبتت لى الاخلاص والولاء فان هذا فى حد ذاته ينفى وجود القصد الجنائى .

ولكن لا أؤمل كثيرا فى اجراء محكمة النقض فى هذا الموضوع فاذا حدث غير المنتظر ونقضت المحكمة بعض هذه الاحكام لمصلحتى فان ذلك سيكون مظهرا من مظاهر فيض الله وكرمه العميم .

استؤنف التحقيق على هذه الوتيرة المملة وهو أن يعرض على بعض فقرات من هذا البيان الذى أذعته على الصحفيين فى مساء الخميس ٢٤ من يناير وكالعادة رحت أسهب فى ذكر آرائى وافكارى وتصوراتى .

يوم الثلاثاء ١٥ من ابريل

استؤنف التحقيق فى هذا اليــوم وقد رحت أعزز بما نشر فى الجريدة الاشــتراكية اقوالى الســابقة وقبيل نهاية التحقيق اذا بالمحقق الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف يوجه الى احدى فقرات البيان الخاصــة بالمدنيين الانجليز فى مصــر وكيف انه فى الوقت الذى ينكل فيه الانجليز بالمصريين على ضــفاف القنال مستخدمين ابشــع الوان الهمجية حتى ليرموا للكلاب جثث الشــهداء ، يعيش المدنيون الانجليز فى القاهرة تحت حماية الحكومة ورعايتها بل وكرمها وترفيهها ؟! وســألنى عن المقصــود بهذه العبــارة فشــرحتها له وكيف اننا طالما نادينا بوجوب اعتقال هؤلاء الانجليز أو ترحيلهم على الأقل من البلاد ، فاذا به يفاجئنى بقوله : أليس فى هذه العبارة تحريض على الانجليز ؟! فرددت عليه بأن هذا البيان لم ينشــر وأن العبارات لا تحوى سوى النقد لتصرف الحكومة . وقد لاحظ المحقق أننى تضايقت من هذا السؤال فختم التحقيق فى الواحدة والنصــف على ان يستأنف فى اليوم التالى . وفى الحق لقد غضبت غضــبا شــديدا لهذا الســؤال ورأيت فيه طرفا من هذه المحاولة المنكرة لتوجيه الاتهام الى على أى صــورة من الصــور . فقد كانت مصــر كلها تحارب الانجليز وتحرض على الانجليز ويراد الآن تسقط بعض عبارات تافهة لنسبة التحريض الى . كانت الحكومة تحرض والصحف تحرض والاذاعة تحرض والحكومة تعد الكتائب لحرب الانجليز ، ويراد الآن نســيان ذلك كله وحصــر التحريض فى .. ولذلك فقد عادت الى كل هواجسى وكل الأفكار السوداء واعتزمت أن أقف موقفا آخر فى التحقيق .

وقد حدث حادث آخر فى هذا اليوم جعلنى اقف طويلا محاولا تدبر مغزاه . لقد رآنى شخص من الأشخاص وهو شيخ مدرس فسال عنى فقيل له انه أحمد حسين ، فاذا بالذعر يبدو على وجهه

ويرتفع صوته سبحان الله ومهللا ومكبرا ، فقد كان يعتقد اعتقادا جازما ان احمد حسين قد مات وقتل وانتهت ايامه ، وهاهو يراه يبعث من جديد امامه . لم تكن هذه أول مرة تبلغنى فيه أن الاشاعة السارية فى الشعب هو اننى قتلت بالفعل ، وقد علمت ان هذه الاشاعة بلغت حد التواتر وكان كل من يتصل بى فى هذه الفترة ينقل الى اجماع الناس على هذه الحقيقة .. ولكننى لم اقف امامها طويلا كما وقفت هذه المرة ، فان الانزعاج الذى ظهر على الشيخ جعلنى اشعر بعمق هذه الاشاعة وانها وصلت الى حد اليقين والحقيقة المقررة . ولقد قال الشيخ انه عندما يقسم للناس انه رآنى حيا فلن يصدقه أحد . قلت فى نفسى اذن هذا هو الموقف فأنا أعتبر عند الشعب ميتا ، اى اننى لو كنت قد مت او قتلت بالفعل لما زاد الموقف على ذلك .. مجرد فكرة يتناقلها الناس كخبر من الأخبار ، ولم يصل الشعب الى قبول هذه الاشاعة الا لأنه راى الموقف يتقبلها ورآها نتيجة منطقية للحوادث الجارية . ومعنى ذلك اننى اذا كنت لا أزال حيا حتى الآن فما ذلك الا بنعمة الله وفضله الذى حمانى حتى هذه الساعة من هذا المصير المقرر والذى اعتقده جازما .

وهكذا تضافرت على حالتى المعنوية عدة عناصر زادت فى قلقى ويعلم الله أننى لا أجزع من الموت أبدا ودليلى على ذلك أننى ما أويت الى فراشى كل ليلة الا وساءلت نفسى اذا كانت هذه آخر ليلة فى الحياة فلا أستيقظ بعدها أبدا فارى الفكرة لا تثير فى نفسى اى اضطراب أو قلق .. فما جزعى فى الحقيقة بما يدبر او يحاك لى الا الخوف من أن يكون الله سبحانه وتعالى قد تخلى عنى وسوف يسلمنى فى يد هؤلاء الظلمة وأن حياتى ستنتهى على هذه الصورة ، هذا هو مبعث الهم والقلق .. فالمسألة عندى هى مسألة رضاء الله أو عدم رضاه ، ولقد عودنى دائما الجميل عودنى أن ينقذنى من كل هم وضيق وماسرت فى الحياة ولا تحركت حركة الا وأنا استلهم الله

عز وجل ، وقد كنت أرى دائما أثار نعمته على ٠٠ فاصبح ما أخافه أن أحرم من هذا النعيم ٠٠ وهكذا أمضيت ليلة يشوبها القلق ٠٠ وكالعادة استغرقت فى مطالعة رواية الحرب والسلم التى استولت على كل الاستيلاء خاصــة وأن آراء الرجل تكاد تتفق فى كل شىء من آرائى ٠

يوم الأربعاء ١٦ أبريل

ذهبت اليوم للتحقيق مقررا أن أقف من التحقيق موقفــا سلبيا ٠ وقد سألنى أبو شنيف عما اذا كنت أريد ان أكمل اجابة الأمس فاجبت بالنفى ٠ ثم وجه الى سؤالا أو بالأحرى عرض على فقرة من فقرات البيان تدور حول وقوف الأغنياء موقفا سلبيا من حركة التحرير فلم يمدوها بالتبرعات أو الاكتتابات فأجبت على ذلك بأن العبارة واضحة لا تحتاج الى تفسير فسألنى أليس فيها تحريض فقلت لا وهنا شعر أننى لست فى حالتى العادية وأننى غاضب فسألنى عن السبب فقلت له لا داعى لذكر الأسباب ، فألح على فانفجرت مندداً بالتحقيق وطريقته وأسلوبه وأن المقصود منه هو عمل قضية لى بأى أسلوب من الأساليب ، وقلت له أنظر الى سؤال الأمس فأنت تتصيد عبارة بريئة لتجعل منها تحريضــا على قتل الانجليز حيث كانت مصر كلها وعلى رأسها جلالة الملك يحرض ضد الانجليز بل كان الوزراء رؤساء للكتائب التى تحارب الانجليز ٠٠ فلماذا اختص بهذا التحقيق ٠ وقد هدأ من غضبى وراح على عادته يخفف من وقع الموقف ويقسم لى أنه سيحقق دفاعى كلمة كلمة وأنه سيقوم بواجبه على ما يرضى الله ٠

وانتقل التحقيق الى مذكرة قدمتها للنائب العام مصورا فيها حوادث ٢٦ يناير وهى توشك أن تكون الأساس الذى استلهمه النائب العام فى وضع تقريره عن هذا الحادث ٠٠ أو هو الحق

كما انتهيت اليه من تحقيقاتى ؟ وكما انتهى هو اليه من تحقيقاته . وقد سرنى أن يدور الكلام حول هذه المذكرة التى تثبت كيف كنت أول من حاول ان يصـــور حوادث هذا اليوم ويحدد أسـباب والمسئولين عنه .

وقد انتهى التحقيق فى ساعة مبكرة لاتمكن من الاطلاع على محاضر جلسات محكمة الجنايات وذلك لاعداد أسباب النقض . وتأجل التحقيق الى يوم السبت وهكذا أتيح لى يومان للراحة .. بالأمس شغلت فى وضع مذكرة عن تطورات التحقيق وموقف الحزب الاشتراكى منه واثبت فى هذه المذكرة براءتنا بما لا زيادة بعده لمستزيد فعسى ان يكون لها أثر فى ايقاف هذا التيار المعادى لنا .

موضـــوع بسيم

وقد تلقيت فى السجن صورة فوتوغرافية من تقارير بسيم التى كتبها بعد هربه من يد البوليس وســـجل فيها كيف كان البوليس يغريه على تلفيق التهم الخطيرة لنا .. ولقد عرض هذا التقرير على النيابة بواسطة ادارة السجن قبل تسليم الخطاب الى، ولابد أنه وقع من النيابة والبوليس موقع الصاعقة فهو الشهادة الناطقة على التلفيق . حقا أن النيابة والبوليس بعد هروب بسيم كانا قد بدآ يفقدان الأمل فى هذا الدليل ومع ذلك فقد كانت أقوال بسيم لاتزال قائمة .. فجاء هذا التقرير الموقع عليه بخط بسيم يهـــدم هذه الأقوال بل ويثبت الغش والتلفيق والتزوير على رجال البوليس .

وليس لى ما أقوله الآن الا أن أواصل تضرعى وابتهالى الى الله عز وجل أن يظهر براءتنا وأن ينجينا من الهم والضيق وجقد التهمة الشنيعة .

الاثنين ٢١ من ابريل سنة ١٩٥٢ شم النسيم

استؤنف التحقيق يوم السبت ١٩ من أبريل كما كان مقررا وكان أحد الضباط الذين جاءوا لاصطحابى هو برتى مرقص الذى كان يشرف على سجنى فى سجن الأجانب ، وقد تحدثت عن شخصيته فيما سبق ولولا انشغال بالى بالتحقيق المقبل لكان استمتاعى (بتهريجه) أضعاف ما استمتعت به ٠

لم يكن فى الأسئلة التى وجهت الى شىء له قيمة الا سؤالا عن البيت الذى نزلنا فيه فى الاسكندرية وعما اذا كان هذا البيت يقع فى محطة بولكلى بشارع آلن وقد نفيت ذلك نفيا قاطعا ، فالبيت الذى نزلنا فيه لم يكن يقيم فيه أحد وهو يقع فى سيدى بشر ، ويظهر أن البوليس السياسى قد نسج قصة حول اقامتنا فى الاسكندرية ولكن النيابة لم تر أهمية لهذه القصة فاكتفت بهذا السؤال الذى نفيته ٠

وبعد ذلك جىء بما تصورت النيابة أنه احدى خطبى التى القيتها فى الدار قبل حوادث ٢٦ من يناير فلما عرضها على المحقق لم أعرف الشخص الذى كتبها ولما طالعتها وجدت فيها كثيرا من المعانى التى أنادى بها فى كل خطبى وفى كل كتاباتى من التزام الحزب الاشتراكى بالقانون واتباع الأساليب القانونية فى جهاده ٠٠ وبالجملة فقد سررت بأن تكون هذه الوثيقة التى تكشف عن روح الحزب وجهاده القانونى فى يد النيابة ٠ وقد سألنى المحقق عما اذا كانت هذه خطبتى فأجبته بالرد الطبيعى فى هذه الحالة وهو أننى لا يمكن أن أقبل نسبة أقوال مكتوبة بخط انسان آخر وليس لها تاريخ فأجعلها خطبة من خطبى أحاسب على كل حرف فيها ٠

ومع ذلك فقد أظهرت استعدادى لتحمل كل ما تضمنته هذه الأوراق من معان وقد رحت أشرح هذه المعانى باسهاب من كراهيتى للعنف فضلا عن الجريمة وكيف أننى أبشر وادعو للمحبة والسلام والتآخى واومن بمبادىء غاندى وتولستوى والمسيح والاسلام فى دعوته للمحبة والاخاء بل ذكرت خطبى فى الكنائس وشرحى لآية « الله محبة » . وانتهى التحقيق عند هذا القدر بعد اثبات تقرير بسيم وطلبى الشروع فى تحقيقه فورا . وقدمت لمحقق مذكرة طويلة كتبتها فى ١٧ صفحة وفيها استعراض لموقف الحزب الاشتراكى وموقفنا من حوادث ٢٦ من يناير وعدم جدوى توجيه أى اتهام لنا مع براءتنا براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

وقد تأجل التحقيق بناء على طلبى الى يوم الثلاثاء للراحة والاستجمام . وطلبت تصريحا للدكتور حلمى مراد لمقابلتى بخصوص أسباب النقض واعدادها .

يوم الأحد ٢٠/٤

لم يحضر الدكتور محمد حلمى مراد ولكنه أرسل اسباب النقض فى القضايا الثلاث كما وضعها الدكتور على راشد وبعد الاطلاع على هذه الأسباب غمرتنى موجة من الرجاء أن يتم الله نعمته وتحدث المعجزة الكبرى فتنقض محكمة النقض هذه الأحكام وتقضى بالبراءة فقد كتبت بطريقة رائعة ، وتمسكت بالتناقض الوارد فى هذه الأحكام التى تثبت لى الولاء والاخلاص من ناحية وتعاقبنى فى ذات الوقت حيث يتطلب القانون للعقاب ثبوت القصد الجنائى الذى يتعارض مع الولاء والاخلاص وقد دخلت المسجد القائم بالسجن ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يبارك فى هذه الأسباب وأن يملأ قلوب القضاة عند مطالعتها خشية منه وخوفا ورغبة فى احقاق الحق .

وقد قابلنى فى السجن أحد رؤساء اقلام الشهر العقارى والذى جاء بنفسه لاثبات توكيل صادر منى للمحامين عنى ... وقد كان الرجل فى أشــد الشــوق لرؤيتى ، وقد أبدى دهشته لأن يرانى ـ كما قال ـ فى حالة معنوية عالية ، وذلك يعكس الصورة التى ترددها الاشاعات ، والتى تذهب كما ذكرت من قبل الى حد القول بأننى قتلت ·

يوم الاثنين ١٩٥٢/٤/٢١

وهاأنذا اكتب هذه السطور فى يوم الاثنين يوم شم النسيم ، وهو يوم عطلة فى السجن فلا يسمح لنا بأى طوابير أو نزول الى ساحة السجن وتظل الحجرة مغلقة طول اليوم · ويخيل الى أن وكيل السجن يفتش الآن حجرات المسجونين · وهو ضابط جديد جاء بالأمس بدلا من الوكيل السابق الذى كان يسمى عبد الرؤوف جودة ، والذى كان شابا ممتازا من حيث الاستقامة ودماثة الخلق بحيث أسف الجميع على فراقه ولكن الوكيل الجديد يبدو كذلك انه رضى الأخلاق كريم النفس ·

وكالعادة أتطلع الى الغد حيث يستأنف التحقيق راجيا الله سبحانه وتعالى الا يحمل فى طياته مفاجآت منغصة أو شــيئا يزيد فى همومى وهواجسى ·

يوم الاحد ٢٧ من ابريل سنة ١٩٥٢

لم استطع ان اكتب شيئا قبل انقضاء هذا الاسبوع فاليوم فقط أى بعد انقضـــاء ستة أيام على استئناف التحقيق أجد فى نفسى مقدرة على كتابة شىء وبالها من فترة من اقسى الفترات التى مرت على فى هذه الثلاثة اشـــهر على قســوتها فى حد ذاتها ،

ويرجع عامل قسوتها الى المفاجأة التى فوجئت بها فبعد أن كان الأمل قد بدأ يداعبنى فى امكان تمخض التحقيق عن شيء جاءت هذه المفاجأة لتدلنى على أن العكس هو الصحيح ، وأن النية قد بيتت على الاسراع بتقديمى للمحاكمة بل والمحاكمة العسكرية على ارجح الظروف .

كنت قد ذهبت الى المحقق يوم الاربعاء بنية ألا امضى فى التحقيق الا بعد أن يحقق دفاعى او بالاحرى اقوالى فلم يكن فى التحقيق حتى الآن سوى اقوال .. وعندما واجهت عبد الحميد ابو شنيف المحقق وجدت مجلدات الاشتراكية وقضايا مكدسة امامه فاعلنت اننى متعب ولن استطيع المضى فى التحقيق على هذه الوتيرة وانني فى حاجة الى راحة طويلة الأمد يحقق فيها أقوالى فاذا به يقول لى وهو كذلك وكل ما ارجو أن أعرض عليك بعض الوقائع لترد عليها ولن يستغرق ذلك منا سوى بضع كلمات .. وهنا كانت المفاجأة الكبرى والتى تؤثر دائما لمجرد كونها مفاجأة غير متوقعة . ذكر لى أن شخصا سماه لى وهو مهندس ومن عجب اننى لم أستطع ان اذكر اسمه على الرغم من تكرره أمامى وعلى الرغم من أن الرجل جاء وواجهنى فى التحقيق .. هذا المهندس شهد أنه رآنى فى سيارة ستروين امام بار الانجلو المحترق فى الساعة الرابعة مساء السبت ٢٦ من يناير ، وأن السيارة كان يقف فوقها شخص يمسك علما اخضر وانها جاءت امام بار الانجلو حيث كانت مهماته وأدواته تحرق فى عرض الطريق ثم وقفت السيارة ونزل منها شخص ممسك بعلم فوقف امام هذه الانقاض المحترقة ورفع العلم ثم مضت السيارة بعد ذلك .. وأن هذا المهندس قد عرفنى على الفور . وسألت متى قدم هذا البلاغ وقيلت هذه الأقوال، فقيل لى فى ٥ من فبراير فكانت هذه المعلومات غير سارة بطبيعة الحال ولكن وقع المفاجأة لم يلبث أن اشتد عندما قال المحقق وقد تعرف هذا المهندس على جبر حسن باعتباره

هو الشخص الذى نزل من السيارة ممسكا بالعلم وجبر حسن هذا على ما تقول النيابة هو الحارس الخاص بى ، وكانت ردودى على هذه الأقوال كلمات موجزة جدا لا تعدو أن ذلك كله تلفيق أنزه نفسى عن الرد عليه واذا به يزيد الأمر الحاحا فيقول وقد تعرف على شخص يسمى ممدوح عبد المقصود وهو اشتراكى . وكانت هذه واحدة . وانتقل عبد الحميد ابو شنيف الى دوسيه آخر وقال وشهد الدكتور عزيز فهمى بأنه سمع من شخص اسمه جلال لطفى أنه رآك فى الساعة الرابعة والنصف امام محلات هيلمان للسيارات تحرض على حرقها ، وكنت راكبا سيارة جيب وقد عرفك لهتاف الناس من حولك الزعيم الزعيم ، ولما كان يعرفك من قبل فقد شهد بأنه رآك .. وكانت هذه مفاجأة جديدة أن يذكر اسم الدكتور عزيز فهمى على انه هو الشاهد ضدى ، ولم اعلق على الدكتور عزيز فهمى باعتباره يشهد بما سمع ، ولكنى تساءلت عن كيفية وصول ذلك الى علم البوليس او النيابة فقيل ان تقريرا قدم من اللواء ابراهيم امام يقول فيه انه علم ان الدكتور عزيز فهمى قد سمع من جلال لطفى هذا القول. فانفجر غضبى على هذا الابراهيم امام الذى تجعل منه الحكومة والدولة شيئا مذكورا وهذا هو منتهى جهده فى هذه القضية الخطرة ان يقدم فى يوم ١٠ من فبراير تقريرا يلخص فيه معلوماته انه سمع ان شخصا آخر قد سمع ، وعرفت ان يد التلفيق تعمل عملها ، وان النية قد بيتت على امر ، ولم أزد فى تعليقى على هذه الوقائع الا بهذه العبارة .

ثم ذكر ان أشخاصا سماهم وعلى رأسهم شخص اسمه نادرس قد شهدوا انه فى الساعة الثالثة والنصف تقريبا مرت عليهم سيارة فى شارع الملكة كانت الناس تصفق لهم ، ويقولون ان احمد حسين فى داخلها وسئل الآخرون فقال بعضهم كان يهتف بحياة أحمد حسين وحياة الاشتراكية ، وقال ثالث كانوا يهتفون

بحياة الوطن . واجبت عن ذلك كله بانه كلام لا يستحق عناء الرد .

وكان أبو شنيف قد أبقى مفاجأته الكبرى حتى النهاية فقد اعد الأمر كله ليكون مفاجأة فى الكل والتفاصيل .. استحضر اوراق دوسيه رابع ثم قال وشهد من يسمى سعيد وهو موظف بشركة ميتشل كونسى أنه فى تمام الساعة الواحدة والربع رآك امام محطة بنزين شل الملاصقة لنادى التيرف كلوب ، والذى كانت النار تشتعل فيه ومع ذلك فقد اشرت الى شخصين أن يزيداه لهيبا فالقيا عليه كرات ملتهبة فازدادت النار اشتعالا .. ويقول هذا الشخص انه عرفنى لأنه كان يرى صورى دائما فى الصحف وقد زاد على ذلك كله أن تعرف على من يسمى خليل عبد المنعم خليل وهو الشخص الذى قام بقيادة السيارة الستروين فى ذلك اليوم .. الله اكبر .. نادى التيرف كلوب حيث حرق الانجليز وماتوا اى ان الاتهام فيه هو اخطر تهم هذا اليوم على الاطلاق فهم يريدون عنقى وحياتى كلها . وسألت المحقق اذا كان لايزال هناك فى جعبته شىء فأجاب بأن هذا هو كل شىء فاجبت من هؤلاء الشهود بأن النيابة تعرف جيداً أين كنت فى هذا اليوم ، وقد ثبتت امامها هذه الواقعة بما لا زيادة بعده لمستزيد ولاحظت أن هذه الاقوال الجديدة قد تاخر عرضها على ، وانها لا تستغرب فقد كان لابد للبوليس أن يلفق . ثم طلبت ان تسرع النيابة فى تحقيق اقوالى السابقة كى أعطى فترة للراحة فوافق أبو شنيف على ذلك ، على أن يستدعينى فى اليوم التالى لمواجهة هؤلاء الشهود .

وعدت الى السجن مغمورا فى غمرة هذه المفاجاة الشديدة التى لم تكن لى فى الحساب ففى الوقت الذى كنت اتهيأ فيه للسماح بموجة من الأمل والتفاؤل أن تغمرنى من جديد اذا بهذا

التطور المفاجىء . وعدت مغمورا بالافكار الى السجن فاذا بخطاب النيابة على آثارى يدعونى فى اليوم التالى لاستئناف التحقيق او بالاحرى للمواجهة مع هؤلاء الشهود .. واحسست بشعور الانسان عندما يحس انه قد غدر به ، لقد غدر بى .. وانتفضت نفسى بالثورة على هذا الظلم وهذا الغدر ، ورأيت نفسى فى حالة اشبه ما تكون بالحمى ، ولم اعرف كيف انقضى النهار ولكنه انقضى ، وجاء وقت المغرب وقد كنت صائما فاذا بى لا استطيع ان افكر فى موضوع الطعام فضلا عن ان اقترب منه .. ولم استطع ان اطالع فى شىء او ان اقرا شيئا لقد كنت فى حالة اعياء وصليت المغرب وطلبت من الحارس ان يطفىء النور فى حجرتى فعجب لذلك ، فقد الف الا يطفىء النور الا فى العاشرة مساء .. ولكن النور كان يضغط على اعصابى ، وصليت العشاء واستلقيت اخيرا على الفراش وكنت اعرف ان النوم لن يعرف سبيله الى جفنى فاستسلمت للأرق كشىء طبيعى .. ورحت اتقلب كما يتقلب الانسان على الجمر .. الغدر .. الظلم .. الحقد .. كانت هذه هى الأشواك التى اتقلب عليها والنار التى تحرق صدرى .. انهم يحقدون على .. هم على استعداد للنيل منى ظلما وعدوانا .. حتى التحقيق معى قد أخذ صورة الغدر وكنت من حين لآخر كما تعودت دائما أنزع الى الله واهتف فى صوت مسموع من اعماق قلبى الى الله ان يدحض الباطل وان يخلصنى وان يحبط كيد الكائدين وان يرده عليهم .. وقد رحمنى الله فنمت قليلا وقد يكون ذلك ساعة او بضع ساعة واستيقظت وبدات أصلى ولعلى قد شربت كوب ماء .. وعندما طلع الضوء بدات اطالع اى شىء تقع عليه يداى لاقطع الوقت .

الخميس ١٩٥٢/٤/٢٤

وذهبت الى النيابة مصطحبا معى احد اعداد جريدة الاهرام الصادر فى ٤ فبراير وقد نشر فيه خبر اعتقالى وصورتى

وأن احدا لم يتعرفه على ، وقد رأيت فى ذلك النشـــر فى يوم ٤ التفسير لماذا تقدمت هذه البلاغات فى يوم ٥ اى فى اليوم التالى لتكون علاجا لما أحدثه هذا النشـــر من تبرئة ساحتى والدفاع عن شخصيتى .

وجاء المهندس وهو شخص يقطر حقدا ، وقال على الفور انه يعرفنى لانه هو الذى يبنى العمارة التى تواجه الحزب طوال العام المنصـــرم .. اذن فهذا هو التفسير لماذا عرف جبر حسن فهو يعرفه من الحزب ويعرف أنه يصاحبنى فى عربتى فمن يريد ان يلفق على يحســـن التلفيق ســـيما بالزج بجبر حســـن وهكذا فسـر ما بدا لى مصـــادفة غريبة ، وهى ليســـت سوى تدبير كما اجبت على المحقق عندما قال وقد تعرف على جبر حسن فقلت له « امعان فى التلفيق » وهكذا كان . وكرر أمامى اقواله الســـمجة الملفوقة من أنه رآنى وكنت فى داخل الســـيارة التى وقفت أمام كومة الأشياء المحترقة ونزل منها جبر حسن فرفع فوقها العلم لمدة خمس دقائق ثم انصـــرفت الســـيارة .. رواية فجة سخيفة لا معنى لها ، وســـألته كيف وصـــلت هذه المعلومات الى البوليس والنيابة فأجاب بأنه يبنى بيتا لطه عزت مســـاعد الحكمدار وانه قص عليه هذه الرواية فكلفه بالبلاغ فبلغ ، وهكذا عرف طريق التلفيق وانتهى أمر هذا الشخص الذى اكله الى الله ســـبحانه وتعالى ، أما بالنســـبة لجلال لطفى فقد قيل انه مســـافر فى فرنسا فلم يحضـــر ، فجىء بالشـــاب الســـودانى أو النوبى الذى يعمل فى ميتشـــل كوتسى ، والذى قيل أنه رآنى أمام التيرف كلوب . وقد تعرف على من خلال ثلاثة اشـخاص ، وقال انه كان يرانى دائما فى الصـــور . وبدأ يقص قصـــته ولفت نظرى فيها انه يقول انه نزل من مكتبه فى الشـــركة الســـاعة الواحدة بعد الظهر فكانت النار تشـــتعل فى جروبى وفى الدوللز ، وفى علمى أن اشـــتعال النار فى الدوللز كان فى ساعة متأخرة وكذلك جروبى

وان كنت لا اعرف بالضبط .. وتابع اقواله فذكر انه سار حتى وصل الى محطة البنزين فى الســاعة الواحدة والربع بالضبط فرأى الســيارة التى كنت فيها ، وكان هناك مخزن خمور قد بدأ يشــتعل ، وطلبت منه أن يكرر هذه الاقــوال فيحصى الحرائق التى مر بها منذ خروجه من المكتب حتى وصــل الى بيته فأعاد ذكر ذلك . ولما سألته عن كيف وصــلت هذه المعلومات للنيابة اتضــح من أقواله انه كان يدردش بهذه الأقوال فى بيته لاحــد ضــيوفه فذهب هذا الآخر وأبلغ محمد يوسف فى وزارة الداخلية، فاستدعى هذا الشــاهد بالليل الى الوزارة وطلب ان يكرر ما قاله لهذا الشــخص فاضــطر ان يكرر هذه الاقوال ، وان يشهد بها لينجو بنفســه .

ولو وقف الامر عند هذا الحد لما كان هناك ما اخذه على النيابة او بالاحرى على المحقق ، ولكنه فاجأنى بقوله تعقيبا على هذه الشهادات ان الشــهود الذين اســتشهدت بهم وقلت انهم خاطبونى او اتصلوا بى فى البيت لا تتعارض شــهادتهم مع شهود الاثبات فالاتهام قائم وليس هناك ما ينفيه ، وقد ذهلت لتلخيص الموقف هذا التلخيص العجيب المستنكر ، ولذلك فقد رددت عليه بقولى « هذه مهاترة لا ارد عليها » ، فلما زاد المحقق على ذلك سؤالا آخر فيه معنى الاتهام قلت له « وهو كذلك » ثم انفجرت فيه وفى المحضر ، واصفا هذا التعسف وهذه المحادثة المنكرة للكيد لى بما تستحق وامتنعت عن المضى فى التحقيق بعد ذلك الا أن يسأل جميع اعضاء الحزب المعتقلين والمسجونين اين كنت فى هذا اليوم وان يسأل بوليس الروضة جميع الناس فى منطقة الروضة فان البوليس اذا كان قد جاء بمافونين او ثلاثة يقولون انهم رأونى فان مئات والوفا يشهدون فوق كبار رجالات مصر الذين شهدوا اننى كنت فى بيتى فى ذلك الوقت .. وكان من العجيب أن المحقق وهو يعدد شهودى قال ان على ماهر قد شهد أنك كنت فى البيت الساعة

الثالثة وأن على الغاياتى قال انه خاطبك فى الرابعة . ولكننى لم اذكر اسم الغاياتى الا فى مرحلة متأخرة من التحقيق وذكرت انه خاطبنى الساعة الثانية . ومعنى ادعاء النيابة : اننى كنت انزل الى القاهرة بين كل مكالمتين تليفونيتين فأحرق بعض الأماكن ثم اعود الى المنزل لأتلقى المكالمة الثانية أو لأخاطب شخصا وليس وراء ذلك سفه او عبث كما ذكرت فى التحقيق بالذات .

وانفض مجلس التحقيق فى جو عاصف ، وقد وصل بى الغضب الى مداه ، ووجدت لذلك راحة فى نفسى ووجدتنى مستعدا لاسوأ الاحتمالات وانا فى هذه الحالة .. وهذا هو شأن النفس البشرية عندما تستفز وتتحدى فان كل قواها الغاضبة تثور لمستهين بكل شيء .. لقد وجدتنى وانا أتحدى عبد الحميد أبو شنيف او بالأحرى أتحدى القوى الظالمة التى يمثلها والتى ترغب فى الكيد لى وجدتنى اشعر بأننى أقوى منها وانها أحقر من ان تنال منى ، وأننى مستعد لكل الاحتمالات بعزيمة ثابتة بما فى ذلك الموت نفسه ، وقد ذكرت ذلك لأبو شنيف وأعلنته اننى سأرد على هذا التحدى بالتحدى مسلحا بايمانى بالله معتمدا على قوة الحق التى أمثلها والتى تملأ نفسى ..

وعدت الى السجن أحسن حالا من اليوم السابق فقد كان عنصر المفاجأة قد زال وكان أسوأ ما فى الموقف قد حدث وتم فقد علمت أنها ستكون قضية وسيكون اتهام ، وقد يحدث ذلك بأسرع مما كنت أتوقع فى أكثر الأوقات تشاؤما ، وعندما يوطد الانسان نفسه على وضع معين فانه يكون أهدأ بالا حتى لقد قيل ان اليأس احدى الراحتين ، وذلك حق فليس هناك ما يعذب الانسان اكثر من الامل ، فاذا لم يكن ثمة أمل فليس هناك عذاب وانما استسلام وتبلد ، وكان قد انقضى لى قرابة ثلاثة أيام بغير طعام ويومين بغير نوم ، فكنت فى منتهى التوتر والاعياء ولكن

كان من الواضح أنه سيكون بقدرتى أن آكل عندما تغرب الشمس ويحين وقت الفطور ، وكان ذلك فى حد ذاته هو علامة التحسن .

وهرعت الى صحفى ابحث فيها عن مواعيد حرق جروبى والدوللز والتيرف كلوب فوجدت تقرير النائب العام يحدد مواعيد الحوادث ، كان حريق جروبى بعد الساعة الثالثة والنصف .. وطريق الدوللز بعد ذلك ، وحريق نادى التيرف كلوب فى الساعة الثانية والنصف .. الله اكبر اذن فالولد كذاب فى صورة غريبة فهو يقرر اقوالا تخالف الوقائع المادية الثابتة ، فى الساعة الواحدة التى يزعم ان النار كانت تشتعل فيها فى جروبى والدوللز لم تكن قد اشتعلت اى نيران فى مصر كلها الا فى كازينو اوبرا واذن فالولد كاذب فى كل ما يقول .. وهذا تفسير ان النيابة لم تقم لاقواله اى وزن عندما ادلى بها منذ ذلك الوقت المبكر للتحقيق . فلو كان لأقواله قيمة لواجهتنى بها النيابة منذ اللحظة الأولى ولاعتبرتنى فاعلا أصليا فى حرق التيرف كلوب ولم يؤخرها عن ذلك الا مخالفة أقوال هذا الولد للواقع المادى والحقيقة المقررة عندها .. وعلى هذه الوتيرة لابد ان يكون لاقوال المهندس المزور الآخر شىء من الواقع المادى يكذب اقواله ، ولكن لا اعرفه .. لا قيمة اذن لهؤلاء الشهود والنيابة تعرف ذلك من غير شك .. ولكن من غير شك ايضا ان تصرفها على هذه الوتيرة معى معناه انها فى طريقها الى انهاء التحقيق وتقديم القضية الى المحكمة على اى صورة من الصور فقد اصبحت النيابة ترى نفسها فى اشد الحرج بعد هؤلاء الشهود الثلاثة فى تحقيق متصل عن المحرضين والتحريض ان تخرج على الملأ فتقول انه ليس هناك محرضون .. واذن فانا الضحية وانا كبش الفداء ، وبهذا التصور بدات اعد مرافعتى عن نفسى واعددت نفسى لمرارة الاتهام الظالم الذى سيظل معلقا على عنقى حتى تكون المحاكمة

ومرارة المحاكمة ومرارة انتظار الحكم ثم مرارة الظلم الذى قد يحيق بى فى نهاية الأمر ..

وعلى عكس اليوم السابق لم تثر هذه المخاوف آلامى .. لقد دخلت فى مرحلة الاستسلام التى يهون عندها كل شىء ..

يوم السبت ٢٦ من ابريل

كان اليوم محددا لأن تزورنى زوجتى ، ولم يكن هنـــاك ما يؤلمنى اكثر من وقع هذه الأخبار عليها ، ولقد ساورتنى نفسى بألا اذكر لها شيئا مما حدث ، ولكن ذلك كان مستحيلا فليس لى شريك الآن فى الحياة غيرها .. وهى كجزء من نفسى وما اعانيه لا يمكن الا أن تعانيه معى ، مسكينة « حسنية » .. لقد احتملت معى كثيرا جدا ، ويظهر أن كل الذى عانته فى الماضى لا يقـاس بما سوف تعانيه هذه المرة .

وبدا اليوم عاصفا شديد العصف كانت الشمس محجوبة عن الأنظار لا نتيجة السحب أو الغمام ، ولكن نتيجة امتلاء الجو بالرمال والتراب .. انها ريح الخماسين فى أسوأ صورها ، وكان الحر والقيظ يهدم الأجســاد والنفوس .. وحاولت أن اتباطأ فى ارتداء ملابسى حتى يأتينى النبأ السعيد أنها جاءت ، ولكنها تأخرت ثم تأخرت وبدأت الهواجس تنتابنى .. لقد خشيت بعد هذا التطور الجديد فى التحقيق أن تمنعها النيابة من الزيارة ليظل هذا الذى حدث مكتوما ، ولكن ادارة السجن لم تكن لديهـا أية فكرة عن ذلك ..

وعندما تأخرت اضطررت لارتداء ملابسى والنزول فى طابور الصباح ، ولم اكد انزل الى حوش السجن حتى فوجئت المفاجأة

الأولى فى هذا اليوم ، وكانت المفاجأة فى صورة اعلان قدمه لى أحد الموظفين ادعى فيه لجلسة محكمة الجنايات فى ٥ من مايو لأحاكم عن الجناية رقم ٨٤٠٠ ، وليس لى جناية احاكم فيها سوى هذه التى طلبت النيابة تأجيلها فى ٦ من ابريل ، والخاصة بقلب نظام الحكم فهل عادت النيابة لتحديد جلسة لها ٠ اسرعت مع الموظف المختص لأتأكد من هذه الحقيقة قبل ان اتعرف على مدلولها أو اسمح لفكرى بالاستنتاج ٠٠ وتأكدنا انها هى الجناية المقصودة . وهكذا بعد أن طلبت النيابة فى الشهر الماضى تأجيل هذه القضية لدور مقبل لتقديم تحقيقات تربطها بحوادث ٢٦ من يناير ، تعود قبل انتهاء هـذه التحقيقات لاعادة القضـية الى المحكمة . فما معنى هـذا ؟ ! اما أن يكون معنـاه ان النيابة أدركت أنه لا علاقـة لهذه القضية بحوادث ٢٦ من يناير فرأت أن تعدل عن خطتها وأن تعود القضية الى سيرها الطبيعى ، واما أن يكون معناه ـ وهو المعنى الأرجح الذى غلبته على المعنى الآخر ـ أن النيابة رأت أن ارتباط هاتين القضيتين سيجعل محكمة الجنايات هى المختصة ، ولما كانت تريد عرض قضيتى على المحكمة العسكرية فورا فقد رأت فصل القضيتين ، ومعنى هذا الاجراء الجديد انه نذير شؤم يدل على أن الفكرة قد استقرت على تقديمى للمحاكمة العسكرية ، على أن شعاعا من الرضا نفذ الى نفسى على الرغم من ذلك كله ، اذا كانت النيابة عدلت عن تصور ارتباط القضيتين ، وهو ما لن اعرفه الا فى يوم ٥ من مايو بالذات عندما اواجه النيابة واعرف ماذا ستقول ٠٠ فقد تقدم هذه التحقيقات التى تمت معى بالفعل ، ولكن على اى أساس تقدمها لم اكن اعرف ٠٠٠ كيفما كان الأمر لقد ادخلت هذه الحركة على نفسى شيئا من الراحة رغم رغبتى فى التشاؤم ، ورغم

انها كما تدمت قد تكون نذير شؤم وهى اننى ذاهب الى المحكمة العسكرية حما وسريعا وقد رحت ابحث عن اسباب هذا الرضا فلم اجده ينبع الا من فكرة واحدة وهى اننى تاصت فى ٦ من ابريل لكى لا تضم قضية « الثورة » .. الثورة » الى تحقيقات ٢٦ من يناير فتحدتنى النيابة وقالت انها ستقدم للمحكمة ما يثبت الارتباط فاذا عدلت عن ذلك الآن فهو مظهر من مظاهر الفشل ، وهو مظهر جديد من مظاهر تخبطها وانها تضع فى كل يوم خطة جديدة للنيل منى فاذا وجدتها لا تؤدى الى ذلك بحثت عن خطة جديدة وأسلوب جديد ·· على اية حال لن أستطيع أن أكيف الموقف الا فى يوم ٥ من مايو بالذات ومواجهة اقوال النيابة ·

وجاءت زوجتى فى النهاية لتضع حدا لهذه الخواطر الجديدة المتزاحمة المضطربة ، جاءت وكانت معها ابنتى الصغيرة (سنة) كان وجهها محتقنا يوشك ان يقطر دما وذلك تحت تأثير الجو العاصف الملتهب ، كانت كأنها وردة حمراء أو حمامة صغيرة تضطرب فى عشها خوفا من الزوابع والاعاصير وتعلقت بى وقدمت لى حلواها التى تحملها من اجلى ·

وبعد أن قبلت يد زوجتى جلسنا فى حجرة مأمور السجن الثانى لتتم الزيارة تحت اشرافه ولم يكد يستقر بها المقام حتى قالت لى خبرا مهما لا حد لأهميته ولكنه جاء على غير انتظار ، وفى وقت من أحلك الأوقات على .. وقالته فى هدوء .. كل ذلك جعل أهميته تتبدد فلا اقيم له وزنا مع شدة خطورته ·

لقد قالت لى ان الدكتور محمد ابراهيم شكرى قد اتصل بالدكتور حلمى وأخبره أن حافظ باشا عفيفى قد اتصل بشكرى

باشا وطلب مقابلته فلما ذهب اليه شكرى باشا اذا به يطمئنه على ابراهيم شكرى وانه يعتبره ابنه وأن قضية ٢٦ من يناير فى طريقها الى الحفظ ، لو أن هذا الخبر قيل لى منذ أسبوع واحد لفجر فى قلبى ينابيع من الفرح والابتهاج والشعور بالنصر والتوفيق الالهى ولما وجدت فيه أى غرابة أو شذوذ فلم يكن التحقيق يتجه أو يؤدى الا لهذه النتيجة المحتومة ، ولكن بعد هذه المحاولة الأخيرة المنكرة التى تنضح بالتعسف والكيد ومواجهتى باشخاص يقولون انهم رأونى يوم ٢٦ من يناير ووصف النيابة لهؤلاء الأشخاص بأنهم شهود اثبات وانهم فيما يقولونه لا يتعارضون مع شهودى ٠٠ كل ذلك جعلنى أستقبل الخبر الخطير ولا أكاد أفهمه أو أسيغه ٠

ولقد كانت زوجتى المسكينة فرحة بهذا الخبر سعيدة بأنها جاءت لتزف الى هذه البشرى ولذلك فقد كنت ارى الألم بعد ذلك يرتسم عليها حتى لا تكاد تتمالك أنفاسها وأنا أقص عليها ما حدث والقسم الأخير من مهزلة التحقيق ٠

ان هذا الألم الذى تألمته فى يومين قد تجرعته هى فى لحظات وكان عليها أن تظل متماسكة القوى أمام الضباط والا يبدو عليها جزع أو فزع وهو ما يجعلنى أكبرها الى الحد الذى لم تعد بعده زيادة لمستزيد لو أنها كانت تبكى أو لو انهارت أعصابها كما تفعل النساء فى هذه المواقف لما كان اكبارى لها يبلغ بعض هذا الاكبار والحب الذى أحسه نحوها ، وأنا أراها متجلدة تستمع لهذه الأنباء السيئة ، وعادت تتخبط محاولة الخلاص من هذه الأنباء المكدرة فراحت تكرر القصة التى بلغتها وأنه لم يكن هناك أى مبرر لأن يستدعى حافظ باشا عفيفى شكرى باشا ليقول له هذه الأقوال .. وعندما سمعت بآخر الأنباء وهو تحديد موعد

د من مايو لنظر القضية المؤجلة تشبثت بهذا الخبر كدليل يعزز هذه الأنبـاء ، ففجعتها بقولى ان هذا معنـاه انهم سيقدمونى للمحكمة العسكرية وقد يحفظون بالفعل القضية الواسعة النطاق التى حاولوا أن يزجوا فيها بالحزب كله وأن يقتصر الأمر على بمفردى . لقد كنت فى منتهى القسوة وانا اقول هذه الأقوال بل كنت اتصور أننى شبه متوحش وأنا احملها هذه الأكدار .. ولكن ماذا افعل .. ماذا أفعل وليس لى بعد الآن فى هذه الدنياالا هى .. هى وحدهـا التى لا أشـك فى اخلاصـها وانهـا ستقف الى جوارى حتى النهـاية .. هى وحدها التى ربطت حياتها بحياتى ، هى وحدها التى لا اشك لحظة انها تدعو الله من حشاشات قلبها بالليل والنهار أن ينقذنى وينجينى .. كان لابد أن تعـرف الموقف بكل هواجسه ومخاطره وأن تضم قلبها الى قلبى وعواطفها الى عواطفى وصلاتها الى صلاتى وآلامها الى آلامى ..

وانتهت الزيارة وبعد الظهر كانت جريدة الزمان تعلن أن تحقيق التحريض فى طريقه نحو النهاية السريعـة وأن عبد الله اباظة وفكرى اباظة وصادق الملا مدير الشرقية السابق وعبد الغنى باشا مرسى قد سمعت اقوالهم ، وعند الصـباح فى يوم الأحـد تابعت الصـحف اللغط حول التحقيق وأنه يوشـك ان يتم فى أسبوع . لا جدال ان هذه تخبطات من الصحف كما هى العادة فلا يزال المفروض أن تستدعينى النيابة ثانيـة لتناقشنى على ضوء هذا الذى سمعته من اقوال ، ولا يزال موضوع النشر فى الجريدة والموضوعات التى تريد النيابة أن تعتبرها تحريضا بغير سؤال .. وأعصابى بلغت من التهدم الى الحد الذى لا أستطيع معه مواصلة التحقيق الا بعد انقضاء فترة . وقد كشف على الطبيب وقرر ضرورة الراحة التامة لمدة أسبوع لا أخرج فيه الى جلسـات ، فما تقوله الصحف من أن التحقيق سينتهى فى خلال هذا الأسبوع ليس

صحيحا وانما هو دليل على وجود هذه الرغبة ، وهل يراد التحقيق ان ينتهى بهذه السرعة ليقدم قبل جلسة ٥ من مايو ياترى ، أم ليقدم فى قضية مستقلة امام المحكمة العسكرية قبل ان تنتهى أيام حسين طنطاوى فى المحكمة فقد قيل انها ستنتهى فى آخر مايو .. ؟! كل هذه هواجس جديدة لا أظن ايها ستنكشف بعض الشىء قبل ٥ من مايو موعد نظر القضية .

وانى اكتب الآن هذه السطور فى ظهر الأثنين ٢٨ من ابريل ولم يطرأ على الموقف اى تطور ، لقد ذكرت صحف الصباح ان عبد الفتاح حسن قد سمعت اقواله فى قضية التحريض ولست اعرف ماذا سيكون موقف عبد الفتاح حسن منى فى التحقيق لقد وضعتنى حكومة الوفد فى وضع سيىء جدا يحتم على ان ادافع عن نفسى ضدها ولقد قلت عن عبد الفتاح حسن بعض الأقوال التى لا تسره والتى سينفيها من غير شك اذا عرضت عليه .. وقد (يلبخ) ضدى ويحاول الاساءة الى مركزى .. وفيما خلا استمرار سماع هؤلاء الأشخاص والحاح الصحف على أن قضية التحريض فى مرحلتها الأخيرة فلم يظهر شىء رسمى بعد ، ولكن كل شىء يصيح ان المصير قد تقرر فى اذهان أولى الشأن وأنه سيتقرر بالكتابة بعد ايام او ساعات أو لعله قد تقرر ، ومرة اخرى على الرغم من ذلك كله يدخل الله على نفسى نسائم الأمل فأصرخ .. أصرخ هاتفا انقذنى يارب خلصنى يارب لا تخزنى يارب انصر عبدك المؤمن فأنت وحدك الذى تعلم من اكون وماذا اريد وماذا فعلت وماذا انتوى ان افعل .

يوم الخميس ٧ من مايو ١٩٥٢

قضى الامر ، ووجهت الى النيابة الاتهام المنتظر .. الاتهــام بحرق مدينة القــاهره من اقصاها لاقصاها .. مدينـــة القاهرة بدور ملاهيها وسينماتها ومؤسســاتها ومتاجرهــا وخماراتهــا وفنادقها .. انا المسئول عن حرقها بطريق التحريض بالنشر ، وهؤلاء الذين قتلوا من الانجليز فى التيرف كلوب وبنك باركليز .. انا المسئول عن موتهم بالتحريض بالنشر بل انا الشريك المباشر فى حرق ونهب محلات هيلمان للسيارات وبار الأنجلو .. هذا هو الاتهام الذى ينخلع له القلوب والذى وجهته الى النيابة .. هذه هى التهمة التى لا اظن انها قد وجهت الى مصرى من قبل ، أو انها ستــوجه الى مصرى واحد من بعد !! هــذا هو الكيد الذى يكيدونه له وهذا هو الهدف الذى كانوا يهدفون اليه منذ بداية الامر .. كم كنت ساذجا عندما صدقت هذه الأقوال التى قيلت لى من أن القوم يريدون الوصول الى الحقيقة وانهم لن يترددوا فى اعلان براءتى اذا وضحت لهم .. كم كنت ساذجا عندما تخيلت ان لهذا النفر من قوة الخلق ، ما يجعلهم ينصرون الحق .

اننى اعيش فى عالم آخر غير هذا العــالم الذى يعيشون فيــه ولذلك فما اسهل ان اخدع .

قضى الأمر وانا أعيش الآن فى ظل هذا الاتهام وفى ظل احلك التصورات ويالها من فترة قاسية تلك التى انقضت منذ اخر مرة كتبت فيها هذه المذكرات اى منذ أكثر من عشرة ايام . لم تكن فى اى قوة على الكتابة او بالأحرى اى ميل للكتابة .. فما جدوى الكتابة ولمن اكتب وقد كتبت عشرين عاما لا ابغى سوى الخــير فانقلب كل ذلك ضدى بهذه الصورة المخيفة .. ولست اعرف الآن

أستكون هذه آخر مرة اكتب فيها هذه المذكرات ام انه سيكون فى استطاعتى أن أواصل كتابة هذه المذكرات ·

اننى فى حالة لا أستطيع أن أسميها يأسا ولكنها نوع من الاستسلام والرضوخ فى غير حمق أو غضب أو ثورة أو شعور بالمرارة ، ذلك أن الحياة عندى كلها لا تساوى النضال فى سبيلها أو الطمع فى الوصول الى شىء منها ·· مادام الكائن الحى سيموت ·· مادام كل ما نحـاول تحقيقه فى هذه الدنيـا مصيره الى الزوال أو الفناء ·· مادام كل ما نحمله من عواطف من حب من بغض من تسامح أو انتقـام من انتصار أو انخذال ·· مادمنا سنفارق أولادنا حتما ، مادمنا سنفـارق أحبابنـا حتى مادمنـا سنترك مشروعاتنا بغير انجاز او اكمال ·· مادمنا لن نحقق أبدا ما نصبو اليه فى هذه الحياة .. فعلام الأسـف او الشـجن لانتهاء هذه الحياة بهذا الأسلوب او ذاك ، عند هذا القدر أو قبل ذلك او بعده .

هذا الادراك العميق لنهاية الحياة هو الذى يجعلنى فى حالة الاستسلام التى وصفتها ، والتى تجعلنى افقد كل شعور بالطموح أو الجهاد ·

يوم الثلاثاء ٢٩ من ابريل

لقد وصلت الى سجن الاستئناف وأنا أشهد منظرا كريها الى قلبى وهو منظر المحكوم عليهم بالاعدام والذين ينتظرون التنفيذ .. وكان على أن أراهم فى كل يوم وفى كل ساعة ، أراهم وأنا أذهب فى الصباح لأغسل وجهى وأراهم فى الفناء وأراهم دائما وأفكر فى أمرهم ويصور لى الخيال كيف أن مصيرى قد يكون مصير

واحد منهم فيدفعنى ذلك الى دراسة احوالهم أكثر وأكثر وعلى تعرف احساسهم ، ولقد جعلنى ذلك اشعر بشناعة هذا النظام .. وهو تعليق المحكوم عليهم بالاعدام فى انتظار الموت يوما بعد يوم .. ان هؤلاء قد قتلوا ضحيتهم على حين غرة ، قتلوها حيث لم تكن تتوقع الموت وليس فى الموت الا توقعه .. وربما لم تتعذب ضحيتهم فى ايديهم الا بضع ثوان . اما هم ففى كل صباح اذا فتح عليهم الباب أحسوا بلدغة الموت حتى يتبينوا أن الساعة لم تحن بعد وفى كل ليلة ينامون ولا يعرفون اذا كان هذا سيكون آخر ايامهم ، ويتكرر ذلك كل يوم . ان بعض هؤلاء المحكوم عليهم قد يمكث فى هذه الحالة اثنى عشر شهرا والبعض قرابة عامين وقد ذاقوا مرارة الموت واحسوها كلما نفذ على واحد منهم لأنهم لا يعرفون اذا أصبح الصباح وادركوا بأن سيكون فى هذا اليوم اعدام ، ليس فيهم من يعرف أنه لن يكون المقصود فالكل فى انتظار هذه الساعة . فتصفر الوجوه وتوشك القلوب أن تنشق ويصابون بالصاعة أو الصدمة التى تصيب المقبل على الموت . ثم يتبين أنه لم يكن المقصود وان جاره هو الذى اعدم وأنه لن يلبث ان يلحق به .. ويتجدد هذا من حين لآخر اي عذاب واى الام .. والمحكوم عليهم فوق ذلك يرتدون ملابس حمراء لتذكرهم فى كل لحظة بانهم سيعلقون على المشنقة ، وتذكر كل من يقع بصره عليهم بهذه الحقيقة المؤلمة . يالها من شدة ما بعدها شدة ويالة من نظام غريب ..

ان القاتل لا يقتل الا وهو مجنون من غير شك ، الا وقد خرج عن طبيعته البشرية ، اما الدولة أو بالأحرى المجموع الذى لا يفقد عقله ولا يفقد رشده فكيف يقتل بهذا البرود وبهذا التدبير ؟!

كان هذا هو الموضوع الذى فرض نفسه على ، فقد اتهمت فى هذه القضية ، وقد زكاه فى نفسى رواية طالعتهــا من تاليف ديوستوفســكى الروسى واسمها الأبله ، وقد راح يستعرض هذا الموضوع بشرح واسهاب · وقد كانت مطالعتى لهذا الكتاب فى سجن الأجانب عندما جئت الى سجن الاستئناف واصبحت جارا لهؤلاء المحكوم عليهم بالاعدام ، ووسط هذه الظروف التى تحيط بى ·· كل ذلك جعل هذه الأفكار تسيطر على ·

وقد كان اليوم هو موعد تنفيذ الاعدام فى بائسين من هؤلاء البؤساء · كان كل من فى السجن يعرف الا هما ·· كان الحارس الذى يقف الى جوارهما ويحادثهما كما يحادثهما كل يوم ويقــدم لهما السجائر كما يفعل كل يوم ·· كان هذا الحارس يعــرف انهما سيشنقان فى الصباح وهما لا يعرفان ·· ولقد كنت احدق فيهما فى روحتى وايابى فأراهما فى شأنهما العــادى كباقى الإيام ·· لقد لمحت عليهما انزعاجا واصفرارا منذ يومين عندما سئلا عن اقاربهما لكى يطلب منهم أن يزورهما ، فرأيا أن هذا الطلب نذير شؤم ولمحت عليهما فزع الموت ، ولكن بعد ان مر يوم وآخر دون أن يطرأ عليهما جديد بدأ ينسيان وعادا الى حياتهما ، فكانا فى أمسية اليوم الذى سينفذ الاعدام فى غداته فى حالتهما العادية ·· ولم اتمالك نفسى فى استخلاص العبرة من هذا الموقف ، فقلت لكل من يحيطون بى ان شأننا جميعا كشأن هذين الشخصين ·· انظروا كيف نسخر فى نفوسنا من جهلهما مما ينتظرهما فى الغد .. فنحن نعلم انهما سيموتان ، وهما ابعد ما يكونان عن هذه الفكرة وربما كانا فى هذه اللحظة بالذات قد انفتحت لهما الآمال العريضة فى أن نقض أحكامهما قد قبل وانهما سينجوان من الموت ، وربما راح أحدهما يتخيل عندما يتحول الاعدام الى أشــغال

شاقة مؤيدة وكيف انها لن تزيد على عشرين عاما يخرج بعدها فى سن الأربعين أو الخمسين أى لا يزال أمامه متسع من الزمن ليعمل وينتج ويصلح احواله .. كل ذلك يدور فى نفسه ونحن نعلم أنه سيموت فى الغد .. وذلك هو موقف كل انسان فلابد ان هناك من يعرف آجالنا ومتى تحين ، ولابد أن هناك من يرقبنا يطل علينا ويسخر منا عندما يرانا نتحدى ونأمل ونضع المشاريع ونفكر فى الانتقام أو فى المجد أو فى الغنى أو فى الحرية أو فى السلطان حيث ينتظرنا الموت بعد لحظات قليلة أو بعد ساعات كما هو شان هذين المحكوم عليهما بالاعدام .

وفتح السجن فى ساعة مبكرة وبالرغم من كراهيتى لأن اسمع شيئا أو اتتبع هذه المجزرة ، فان حجرتى فى السجن فوق باب السجن مباشرة فكان على أن أسمع رغم أنفى فتح الباب فى ساعة مبكرة والحركات غير العادية التى بدأت تغشى السجن .. والأصوات والتعليمات التى تعطى تمهيدا لتنفيذ اللازم .

وكان أخشى ما اخشاه أن أسمع أحد المحكوم عليهما وهو يولول أو يصرخ أو يتكلم .. واشنع من ذلك أن أسمع صوت سقطته فى المشنقة ولذلك حاولت أن أسد أذانى فلا أسمع شيئا .. ولكن المحكوم عليهما لم يتبسا ببنت شفة ولم أسمعهما وهما يقادان للمشنقة ، واذا كان السجن قد غمره بعض الهدوء والسكينة فان وجودى بحجرتى فوق باب السجن قد شغلنى بحركة السجن الأخرى وفتح البوابة وغلقها ودخول بعض الناس وخروجهم .. حتى اذا قضى الأمر وعادت للسجن حركته فتحت علينا الأبواب واستأنفنا نشاطنا اليومى كأن لم يكن شىء أو يقع شىء .. ما أسهل العملية وما أسرعها وما أعجبها بل ما أعجب هذا الذى لا يقف

مشدوها امام سر الموت . هذان شخصان كانا يفيضان بالحياة والقوة ·· كان فيهما كل ما ينطوى عليه الانسان من شعور واحاسيس .. كانا يضحكان ويأكلان ويسأمان ويتألمان ويأملان .. كانا يفكران ويتمتمان .. ثم يوضع على رقبة الواحد منهما حبل ·· وفى اقل من لمح البصر يسقطان متأرجحين فى الهواء فاذا بهما يتحولان الى جثتين هامدتين ·· لقد انتهيا ·· لقد راحا .. (خلاص) ما اعجب هؤلاء الذين يتصورون أن الحياة تنتهى عند هذا الحد والقدر ! ما أعجب هؤلاء الذين يتصورون انهم قد حلوا مشكلة الوجود بمجرد أن يقولوا ان الانسان ينتهى بموته ·· ما معنى هذا الانتهاء ·· اين يذهب هذا الفكر وهذه الطاقة التى كانت تعمل ؟! اين يذهب بريق الأعين وحرارة البدن وهذا السمع وهذا النطق وهذا الوجود ؟! أين يذهب أين يروح ؟! اما الجسم فها هو امامنا يتحول الى رمة عفنة سرعان ما تتحول الى تراب من نوع التراب الذى نعيش عليه وهذا مفهوم ، ولكن أين ذهبت هذه الابتسامات وهذه الضحكات وهذه الآمال وهذه العواطف وهذه الارادة وهذا العقل ؟! ·· اين تذهب هذه الحيوية وهذه القدرة وهذه الطاقة ؟ وفيم كانت هذه الفترة التى عاشتها ، والتى اضطربت فيها هذا الاضطراب .. فيم كانت هذه الحياة ولماذا · ؟! · فيم كانت ساعات الحزن وساعات الألم وساعات الفرح وساعات الكدح والعمل ؟! فيم كان ذلك كله وما أسبابه وما علته وما غرضه وهدفه ؟! ان هؤلاء الذين يحاولون أن يريحوا انفسهم فلا يشقوا انفسهم بهذا التفكير يصبح امرهم مفهوما ولا يدعو للعجب لو أنهم وقفوا عند هذا القدر فقالوا انه لا جدوى من التفكير فيما وراء الموت وانه خير للانسان الا يفكر الا فى هذه الحياة التى هو فيها ·· لو انهم وقفوا عند هذا القدر لكان امرهم مفهوما بل ومقبولا ·· أما أن يزيدوا على ذلك فيحاولوا ان

يسفهوا فكرة الحياة الآخرى بعد هذه الحياة ، وان يعتبروا هذا الموت الظاهرى هو النهاية النهائية لكل انسان .. هنا لا يتمالك الانسان نفسه من الدهشة والعجب ان يكون ذلك هو ما يتصوره انسان وان يزعم هذا الانسان فوق ذلك انه عالم او مفكر أو فيلسوف .

لم استطع ان اتمالك نفسى عندما مررت على هذا المحكوم عليه الذى لم ينفذ فيه الاعدام اليوم من ان أسأله عن حالته وشعوره فحدثنى انه استراب منذ الصباح المبكر لفتح السجن قبل موعده وان لديه تعويذة من الاستغفار اقبل عليها ثم راح يتجلد ويحدثنى انه لم يهتم بالأمر ولم يقم له اى وزن .. وكان وجهى يكذبه فقد كان ممتقعا .. فلما قلت له انه غير قادر على وصف شعوره قال انه شعر بان قلبه قد انسحب وأن نفسه قد غاصت بعض الشيء .. فتمنيت له السلامة والنجاة وتركته لشأنه .. ولكننى ظللت طوال هذا اليوم تحت تأثير هذه الصدمة .. صدمة ذبح رجلين بهذه البساطة وبهذا البرود وان يتم ذلك بواسطة ، وتحت اشراف هؤلاء الأشخاص الذين يحيطون بى وهم يفيضون جميعا بالطيبة والعطف كأى انسان آخر فى الوجود .. وكنت أسأل كل ضابط وكل سجان عن شعوره فكنت افرح لكل من يقول لى منهم انه لا يحتمل رؤية هذا المنظر ، ولذلك فقد حرصوا على الابتعاد عنه ، وعندما قال لى شاويش عملاق هذا القول زاد حبى له ، وعندما علمت أن مأمور السجن لم يستطع أن يكمل عمله اليومى من التأثر فاضطر للخروج ، كان ذلك يعيد الطمأنينة الى نفسى ، فهم فى نهاية الأمر لهم أحاسيس وعواطف رقيقة ، واذا كان الواجب قد حتم عليهم الوقوف هذا الموقف فان عواطفهم

وانسانيتهم قد تغلبت على كل شيء فكرهوا ان يشهدوا عملية القتل ونقموا عليها فى أعماق نفوسهم .

يوم الاربعاء ٣٠ من ابريل

فوجئت فى هذا اليوم بزيارة عبد الحميد ابو شنيف رئيس النيابة مصحوبا بعبد العزيز على رئيس قوة الحرس التى تصحبنى الى التحقيق أو المحاكمة ، وقد تظاهر ابو شنيف بانه جاء ليسأل عن صحتى وليهدىء من روعى وانه بمجرد استلامه خطابى قد جاء لزيارتى ، وان جلسة ٥ من مايو هذه لم تتم بناء على طلبهم وانما هى غلطة وسوف تؤجل القضية ، وانه ليس صحيحا ما جاء فى الصحف من أن التحقيق قد انتهى وانه مستعد لسماع كل أقوالى وتحقيقها .

وقد كان ابو شنيف فى ذلك يموه على ويخدعنى .. وكل ما كان يرجوه من وراء ذلك أن أذهب اليه ولو يوما واحدا لاستئناف التحقيق حتى يستطيع فى هذا اليوم أن يواجه الى التهمة التى اعدها ، والتى يؤثرون أن توجه الى فى وجهى لكى يكون محضرهم من هذه الناحية كاملا . ولكنى كما هى العادة خدعت لانى أريد ان اخدع تماما كهذا المحكوم عليه بالاعدام والذى يتعلق بأحبال الرجاء ، ولذلك فانه سريع التصديق لكل من يقول له انه بخير وانه سينجو . خدعت بأقوال الرجل وتصورت أن الأمر لم يبت فيه بعد وأن حبل الرجاء فى عدل القوم ونزاهتهم لايزال ممدودا .

يوم الاحد ٤ من مايو

ذهبت الى النيابة وانا فى منتهى الاعياء لكثرة الضغط والارهاق على أعصابى .. ومنذ اللحظة الأولى كان الجو متغيرا

وان لم ادرك ذلك الا فى النهاية .. وجه الى ابو شــنيف بعض اسئلة خاصة بالنشر فى الجريدة فقلت له ان موضوع النشر هذا أمر يختص به قاضى التحقيق ، فالنشر كان فى شهور سابقة على ٢٦ من يناير فهو من اختصــاص القاضى لا النيابة العســكرية ، وقاضى التحقيق هو الذى يقرر اذا كان هناك اى ارتباط او صــلة بين هــذا النشر وبين ما حدث .. فلم يعبأ ابو شنيف بهــذا القول ومضى فى توجيه عبارات منقولة من الجريدة الى فقلت له اننى لســت كاتبها ولا اسأل عنها ، بل ان بعضها كتب وانا فى السجن او خارج القاهرة .. ولكن ذلك لم يستوقفه ومضى فى طريقه حتى اذا وصــلنا الى حد معين طلبت ارجاء التحقيق لما اشــعر به من تعب .. فاذا به يمانع ثم يقذف قذيفته فى النهاية ويقول : دعنا نوجه اليك التهمة اولا لكى تستعد للرد عليها ، وراح يملى على الكاتب التهمة وهى التحريض على حرق واتلاف ونقل كل ما حرق او اتلف او نقل فى هذا اليوم .. وقد كان الاتهام من الضخامة بحيث اننى تلقيته فى هدوء بل باكثر من الهدوء فأمسكت بقطعة من الورق ورحت اكتبه وهو يمليه على الكاتب .

وبعد ان فرغ من هذا الاملاء سألنى اذا كنت اريد ان أرد ، فقلت له فيما بعد .

وعدت الى السجن وانا احمل الاتهام الذى يسعون لتحميلى اياه منذ اللحظة الاولى ، وقد تم لهم ما أرادوه أخيرا .

لم اكن فى حالة فزع كما كنت اتخيل .. بل لعلى وجدت نفسى اضحك وكان كابوساً قد أزيح عن كاهلى ، ولكنى لم أحاول ان أخدع نفسى ولذلك فقد تصــورت أننى كمن يقولون عنه « سارقاه السكينة » أو كالطير يرقص مذبوحا من الالم .. اما ضحكى فلا جدال فى أنه مما ينطبق على القول « شر البلية ما يضحك » .

ولذلك فقد أمضيت ليلة ليلاء ومرة أخرى اتجهت عواطفى الى زوجتى الحبيبة المسكينة ، ولقد فكرت ان أكتب اليها .. وشــعرت أن واجبى هو أن اكتب اليها لاهون عليها هذه الصــدمة ولابثها عواطفى وحبى لها ودعائى لها واصبرها واشجعها .

ولكنى حتى الآن لم أكتب هذا الخطاب فقد يكون اقسى عليها من عدم كتابته ، وقد يوحى اليها بأننى اودعها .. واذا كان لابد من ذلك فان هذا الاجراء الذى يحرمها من الأمل يجب أن يتأخر وماأنذا أكتب ذلك فى هذه المذكرة لتعرف اذا لم تقدر لى الحياة.. انه فى هذه المرحلة من حياتى لم يكن هناك من أفكر فيه وأتجه اليه دائما بعواطفى فى هذه الدنيا سواها والا اياها .

يوم الاثنين ٥ من مايو

كان اليوم هو موعد المحاكمة عن قضية قلب نظام الحكم .. وكنت قد فقدت الثقة بالنيابة فلم أعرف بأى شىء ستفاجئنى فى هذا اليوم رغم قسم ابو شنيف بشرفه بانه سيؤجل القضية . وقد كان محددا لنفس اليوم نظر قضية ابراهيم شكرى وقد حرصوا على الا نرى بعضنا ولكنى عندما دخلت قاعة الجلسة وجدت أخته واخوته واقاربه فابتسموا لى ابتسامة كريمة خففت بعض ما فى نفسى .. وفوجئت بوجود سليمان زخارى رئيس التحرير الذى كان هاربا حتى الآن والله وحده هو الذى يعلم اذا كان ظهوره فى هذه اللحظة بالذات هو لخيرى أم للاضرار بى .. وعلى كل حال فكل ما يفعله الله خير ولا ضرر فيه . وعندما نظرت الجلسة طلبت النيابة التأجيل لتنفيذ القرار الســابق ولم أمانع فى التأجيل على شــرط أن تتعهد النيابة الا تعود فى كلامها وان تضــم تحقيقاتها الجديدة لهذه القضــية .. وهنا ثار رئيس المحكمة واعلن انه من المســتحيل على النيابة أن تتراجع وأن محكمة الجنايات لابد أن تنفذ قرارها بضم هذا التحقيق ، فقلت له ان هذا التصريح

يسرنى ولكن ما اعنيه هو ان تقدم النيابة التحقيق الآخر للمحكمة العسـكرية كقضية منفصلة .. ولذلك فاننى اصـر على ضرورة البدء فى نظر هذه القضية وسـماع الشـهود الذين اخشى من سـفرهم بمناسـبة الصيف .. وقد صح ما توقعته فلم ترتبط النيابة بأى ارتباط وقالت انها لا تعرف حتى الآن ماذا سيكون مصير ما تجريه من التحقيق ، وهل تربطه بهذه الدعوى ام ينظر على سبيل الاستقلال ، وتأجلت القضـية لدور مقبل ولم تفصل المحكمة فى موضوع الشهود وعدت الى السجن وقد نال الاعياء منى مناله .. ولذلك فقد نمت نوماً عميقاً لأول مرة فى الظهر ودلنى ذلك على أن ما كنت فيه قبل ذلك هو حالة توتر اعصاب ، وان ما كان يبدو على من هدوء بل وضحك ومرح كان مظهراً يخفى هـذا التوتـر والـذى كـان يزيد فيه انتظار هذا القضية .. فلما انقضت على هذا الوجه وتحدد الموقف والغت فكرة الاتهام .. ارتاحت اعصابى بعض الشىء فكان هذا النوم .

يوم الثلاثاء ٦ من مايو

على الرغم من ان هذا اليوم هو عيد الجلوس .. اى انه أجازة .. فقد استدعانى المحقق ليسمع دفاعى الذى أمسكت عن ابدائه فى الجلسـة الماضية .. ومن جديد راح أبو شنيف يسمعنى هذه الطقطوقة التى يخدعنى بها الا وهى أن الأمر لم يفصل فيه بعد ، وان المسألة لا تعدو انهم يثبتون ما هو ضدى وما هو معى حتى تكون الظروف كلها أمام من سيفصل فى هذا التحقيق ، وانه على استعداد لأن يثبت لى كل ما أريده من أقوال حتى ولو كان ذلك باتهام النيابة بأنها تريد أن تسمع دفاعى لتستعد لافسـاده وابطاله .

ومرة اخرى قلت له اننى سأنخدع له ورحت ارد على بعض الاسئلة التى وجهها الى والخاصـة بسينما ريفولى .. وقد سردت

له من الوقائع المفصلة ما يدل على سلامة موقفنا بصورة كريمة تستحق الثناء والاعجاب .. وقد أبدى دهشته من هذه المعلومات وأعلن انه سيحققها ، ثم قلت له : لماذا لم تتيحوا لى الفرصة لاستعراض حالتى المالية ، ثم رحت استعرض ظروف المعيشة وحياتى المالية منذ تخرجت فى الجامعة سنة ١٩٣٣ .. وقد كان التأثر يبدو على نظر الضباط الذين كانوا يسمعون .. وكان التأثر يبدو على أبو شنيف شخصيا وأنا أسرد الحقائق الخاصة بى وزوجتى وأولادى .. وداعبنى الأمل فى ان يكون لأقوالى فى هذه الناحية ما يشعر القوم بإخلاصى وتجردى عن الأغراض الشخصية .. ولكن هيهات .. هيهات .

يوم الخميس ٨ من مايـو

كان التحقيق قد تأجل لليوم التالى لأرد على الاتهام الخاص بالتحريض ، وقد عدت بالفعل ورحت أعد هذا الرد وهو رد مفحم الى أبعد حد ولكننى عندما استيقظت لصلاة الفجر شعرت بما صرفنى عن فكرة الذهاب الى التحقيق والادلاء بهذا الدفاع ، فالى متى أقول لهم كل ما عندى فلا يعود هناك شيء جديد يقال أمام المحكمة .. والى متى اتعلق بالأمل الكاذب انه قد لا تكون هناك محكمة ، ولذلك فقد اعتذرت عن الذهاب يوم الأربعاء وعادنى الطبيب الذى قرر حاجتى للهدوء لمدة اربعة أيام .

ولكننى فوجئت بعد الظهر بما ينغص على الحياة من جديد فقد سمعت فى السجن أن النيابة قد استحضرت بعض المسجونين ممن حكم عليهم من المحكمة العسكرية وراحت تغريهم بان يعترفوا أنهم اشتراكيون لكى تخفف عنهم عقوبتهم ، وهكذا تريد النيابة أن توجد الدليل الذى ينقصها فى ادعائها على بالتحريض عن طريق النشر والذى يشترط فيه أن يكون الفاعل الأصلى قد طالع

المقال المنسوب اليه التحريض .. انهم يعملون بجد .. انهم يلفقون ويسعون بكل الطرق للنيل منى ، ولم يكن امامى الا ان اضرع الى الله أن يرد كيدهم .

وفى هذا الصباح طالعت فى جريدة الأهرام ان رئيس النيابة المحقق مصحوبا بمجاهد بك الافوكاتو العمومى الذى اشرف على تقديم قضايا ٢٦ يناير الى المحاكم ، والذى اشار فى مرافعته الى ان هذه الحوادث كانت ثمرة النشر والتحريض بواسطة الصحف، بل وكاد يلمح للاشتراكية بالذات ، ذكرت الأهرام انهما قابلا النائب العام بمناسبة انتهاء التحقيق فى قضية التحريض على حوادث ٢٦ يناير وان تحديد التهمة لكل متهم لن يستغرق سوى يوم او يومين ، وهكذا اقترب سريعاً من النهاية .. وهذا ما يجعلنى اقرر اننى لا اعرف هل سيكون باستطاعتى ان اعود لكتابة هذه المذكرات قريبا أم سانشغل عنها بتحضير الدفاع من ناحية .. (وبالقرف) والملل من ناحية اخرى ، فما هى جدوى هذه الكتابة ..

يوم السبت ١٠ من مايو

تجمع الصحف على ان قرار الاتهام الخاص بى سيعلن اليوم او غدا ونحن فى الانتظار . وانى لاتجه فى هذه الساعات بكل روحى الى خالقى ، لا اكاد أدعو دعاء معينا فالأمر قد بات فوق الدعاء .. اننى افكر فى ربى وخالقى وهذا كل ما اعيش فيه الآن .

يوم الأحد ١١ من مايو

بسم الله الرحمن الرحيم وبقوة الله العزيز المتعال لم تنشر الصحف قرار الاتهام المرتقب وانى أتصور أنه سيصلنى قبل ان ينشر ، ولذلك فقد ياتى من دقيقة لأخرى . ان الدنيا كلها تعرف الآن ان القرار النهائى قد صدر ومع ذلك فان الله اكبر . الله اعظم ، الله قادر على كل شىء .

كان الدكتور حلمى مراد فى زيارتى عند الظهر وقد اخبرنى انهم كانوا فى النيابة يكتبون قرار الاتهام وانهم قد وجهوا التهمة الى عدد كبير من رؤساء الحزب ومعنى هذا انهم فى آخر لحظة غيروا خطتهم وقرروا أن يضربوا ضـــربة واسعة النطاق ولكنى ارجو أن يكون ذلك لخير ان شاء الله .

يوم الاثنين ١٢ من مايو

الصحافة مسلطة على تحطيم اعصـــابى وكلما هدات نفسى وارتضت أسوأ الأوضاع جاءت الصحف لتعبث بى وتعيدنى الى القلق والاضطراب ، فبينما انتظر اليوم قرار الاتهام اذا بجريدة المصرى تقول ان اجتماعاً تم بين النائب العام وبين رئيس الحكومة ومعه محمد عبد الله وزير العدل وان الحديث تناول قرار الاتهام فى قضية التحريض وان الأمر يحتاج لمراجعته الى بعض الوقت . أما جريدة الأهرام فقد ذكرت أن النائب العام قد وقع بالفعل قرار الاتهام وسيبلغ الينا اليوم وستجرى المحاكمة يوم ١٨ من مايو أى بعد ستة أيام .

وهكذا تضطرب افكارى وينتابنى القلق مرة أخـــرى فاللهم يا ارحم الراحمين ، يا غياث المستغيثين يارب ياقوى كن فى عونى وشـــد ازرى . انصـــرنى ولا تخذلنى ، اكرمنى ولا تهنى ولا تخزنى يارب المستضعفين انظر الى ضـــعفى وقلة حيلتى وهوانى على الحاكمين والطغاة المتجبرين .. ما عشت حتى الآن الا على الايمان بك والاستنجاد بقوتك .. فلا تتخل عنى يارب .. لا تضـــيعنى يارب .. ما انا الا عبدك .

يوم الثلاثاء ١٣ من مايو

وجاء قرار الاتهام فى اعظم صورة من الضجيج والتهويل ، جاء منشوراً فى الصحف تحت عناوين ضخمة تتحدث عن الاعـــدام

الذى طلبته النيابة من اجلى . ولم يأت قرار الاتهام فحسب بل والدعوة الى الجلسة التى تحددت فى يوم ١٨ مايو امام الحسيب النسيب « حسين طنطاوى » وقيل انهم سيعملون بالليل والنهار لنسخ القضية قبل الجلسة ، وهكذا اجراءات « رائعة » تدل على الافتعال واللهفة فى القضاء على بأسرع وقت ، ومع ذلك فانى اشعر بهدوء واطمئنان وانظر الى المستقبل بثقة عميقة .

ان التحدى القوى بهذه الصورة قد رفعنى الى مستواه بل الى ما هو اعلى منه ، ولذلك فاننى اشعر اننى اكثر من ند واكثر من كفء لهذا التدبير الجهنمى .. اننى اشعر الآن بهذه القوة الخفية التى ترتفع بالانسان الى درجات لا حد لها : اهلا وسهلا بالمحاكمة .. أهلا وسهلا بالنتيجة أيا كانت .. بل لست أحس الا انها ستكون خيرا لم يسمع مثله من قبل .

يوم الخميس ١٥ من مايو

مادت الصحف كلها تؤكد ان القضية ستنظر يوم ١٨ اى بعد ثلاثة ايام ولست أعرف كيف تنظر قضية لم يطبع «دوسيهها» بعد ولم نطلع عليه أو نستعد ، ولكنها الرغبة الجامحة فى ان ينظر حسين طنطاوى القضية قبل احالته الى المعاش ، وهكذا يسجل الرجل على نفسه وتسجل عليه النيابة أنه الرجل الوحيد الذى يعلقون عليه الامل فى ان يحكم على .. اى انهم يعترفون ان اى شخص آخر غيره أو اى محكمة أخرى لا تحكم على .

ومع اننى ارى هذه المحاولات فان الهدوء يغمر نفسى بل ان الثقة التى اشعر بها الآن لم اشعر بها فى اى لحظة من اللحظات الماضية .

وساقدم على حسين طنطاوى بل سوف أقدم على الشيطان نفسه وانا ممتلىء بالعزم والقوة ، وسوف نرى ويرون « انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا » صدق الله العظيم فسوف يحبط الله كيدهم وسوف يخزيهم وان غدا لناظره قريب .

يوم السبت ١٧ من مايو

لم يبق على المحاكمة سوى يوم واحدا فغدا تقع الواقعة وتواجه المحكمة . والعجب اننى كنت منذ شهرين اشعر بجزع كلما تصورت موقفى وانا متهم مطلوب الحكم عليه بالاعدام ، اما بعد أن حدث هذا بالفعل فان حياتى تمضى عادية وهادئة . حقا ان فكرى أصبح مشغولا باعداد الدفاع فى كل لحظة بالليل والنهار ، وانا فى الصلاة وانا أطالع يعمل ذهنى على ترتيب أوجه الدفاع واستعراض أقوال الشهود وكيفية مناقشتهم وأوجه البطلان . ولكن فيما عدا ذلك فحالتى النفسية على خير حال ، وأصبحت فكرة الموت نفسها لا تفزعنى فى قليل أو كثير . بل اننى أتصورها أشبه الأشياء بعملية جراحية يقدم عليها الانسان ليتخلص من آلام شديدة يعانيها .

وكل ما قد يضايقنى فيها هو هذه الفترة التى تسبقها والتى يفرض فيها على المحكوم عليهم لون من الاذلال وارتداء ملابس سخيفة ، ولكنى مع ذلك لا أرتعد كلما مرت الفكرة فى نفسى ، ولقد زارتنى زوجتى يوم الخميس ١٥ من مايو وكان معها شقيقها الدكتور حلمى مراد وقد كانت زوجتى فى حالة شديدة من الجزع فبذلت جهدى لأخفف ما بها وحدثتها عن اطمئنانى واكدت لها اننا سننتصر . ولقد كانت حيويتى على اشدها ، وذلك لكى أدخل الهدوء على نفسها ولم تنته المقابلة الا بعد أن قلت لها كل المعانى التى اردت

ان اقولها لها لتساعدها على احتمال الشدة ، قلت لها ان تتخيلنى مريضاً بأحد الأمراض الخطرة ، وانهم اذا كانوا يريدون اغتيالى فلا حيلة لنا فى دفع الموت ، أما اذا كانت هناك محاكمة عادلة فلها أن تطمئن كل الاطمئنان ، فاذا لم تكن هنـاك محاكمة عادلة بل كانت هناك مؤامرة لقتلى فليس فى الأمر ما يحزن لأن ذلك كان يمكن ان يتم فى أى مكان وفى اى وقت .

وطلبت منها ان تحتمل الموقف بكل شجاعة فان هذه هى رسالتنا فى الحياة .

ولقد احتملت ولم تنصرف الا وانا ارى فيها المرأة التى افتخر واعتز بها والتى اطمئن كل الاطمئنان اذا انا مت اننى ساتركها أماً راعية لأولادى .

يوم الخميس ٢٢ من مايو

أكتب الآن تحت الشعور بأن كل شىء قد انتهى واننى اقترب من نهايتى قد يكون فى علم الله شىء غير ذلك وقد تكون هذه اللحظات فى قمة الأزمة التى لن تلبث ان تنفرج ، ومع ذلك فهذا علمه عند الله اما بالنسبة لشعورى الآن فانا اكاد اتهيأ للآخرة .

لقد بدات المحاكمة فى يوم ١٨ كما كان مقدرا ولقد ذهبت فى الجلسة وكنت شديد الحيوية مطمئن النفس وكنت أشعر بهدوء غريب ، حيث كان الجميع فى حالة عصبية . ولقد أرادت المحكمة وتأجلت الجلسة لليوم التالى . وعندما كنت أصـلى الفجر وفرغت منه شـعرت بخاطر يملأ نفسى الا اذهب الى المحكمة بعد اليوم فلست على استعداد أن يحاكمنى هذا الرجل الذى يسمى حسين طنطاوى .. لست على استعداد أن أساعدهم فى تصـوير أمر اعدامى فى صـورة شرعية . ان كل شىء يصيح بالمؤامرة التى

تدبر لى ، فعلى اى أساس استسلم لهم ؟ ولذلك فقد قررت عدم الذهاب وانقطعت شهيتى للطعام والشراب وأنا أكتب الآن وقد مضت على اربعة ايام كاملة لم اتذوق فيها اى طعام بل لقد مرت الثمانى والأربعون ساعة الأولى دون أن اشرب الماء ، ثم اقبلت على شربه بعد ذلك والحوادث كلها تعزز اصرارى على المضى فيما انا فيه ، فاليوم حكم حسين طنطاوى بأنه مختص بنظر الرد المقدم منى ضد المحكمة وذلك على خلاف القانون ، وكيف يكون هذا الرجل خصــما وحكما فى آن واحد ، ولكنه اختار هذا الأمر امعانا فى التحدى وســمى حكمه حضــوريا على الرغم من اننى لم اكن موجوداً ويعنى هــذا أنه سيمضى فى الاجراءات بالرغم من مرضى وتغيبى .. فليمض اذن فى اجراءاته كمــا يشاء ولكنى لن أكون هناك .. فليمض ولكنى سأضع نفسى بين يدى الله وحده . وهذا ما يخيل الى ان النهاية اقتربت ..

لســت أشــعر بحزن لمرور هذا الخاطر فى نفسى بل على العكس اننى شديد الترحيب بالخروج من هذا العالم الذى لم أر فيه الا الجحود والكنود والاتهام والانكار ومقابلة حبى واخلاصى بالحقد والغل والحسد ، ليس هناك ما احزن عليه سوى زوجتى الحبيبة التى اعرف كم تتألم وكم ستتألم ولكن هل الدنيا الا ألم .. وحتى لو لم اكن فى هذه المحنة هل كنت سأكون خالداً لها ، أم كنت سأفارقها يوماً من الأيام ، لها الله اذن .. لها الله هى واولادى . ولســت أعرف اذا كان سيكون باستطاعتى أن أكتب شيئا فى هذه المذكرة بعد اليوم ام لا ، ولذلك فأريد ان أقرر الآن أننى اذا مت فان دمى يقع على رأس الحاكمين فى هذه الفترة وعلى رأسهم النائب العام والنيابة وحسين طنطاوى وزملائه ، ومع ذاك فلســت أريد من أحد ان ينتقم لى فان ذلك لا يقدم ولا يؤخر بل ويسىء الى القضية أريد ان يأتى هؤلاء أمام الله مضرجة أيديهم بدمى وهو وحده صاحب الشأن فى حسابهم .

ان التفكير فى الانتقام والحقد والبغض كل ذلك لا يقدم ولا يؤخر وانما هى عواطف صغيرة ورخيصة وضررها اكثر من نفعها فلندع الامر لصاحب الأمر ولتملأ قلوبنا عاطفة واحدة هى الحب والتسامح وان نقول كما قال سيد الخلق رب اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

بقيت حكمة اخرى وهى ان تضحيتى لن تضيع هباء ، لقد عشت حراً واذا مت فسوف أموت موتة الأحرار .. لقد عشت من اجل الحق واذا مت فسيكون ذلك فى سبيل الحق ورفض الظلم وعدم الاذعان للطغيان . ولست اشك لحظة أن بلادى ستستفيد من هذا النموذج الذى اقدمه لها فى مكافحة الظلم وعدم الرضوخ للأحكام الجائرة .

٢٧ من مايو ١٩٥٢

هأنذا اعود للكتابة مرة اخرى وأنا طريح الفراش منذ تسعة ايام لم ينزل فيها الى جوفى طعام . ان حالتى خطرة حسب تقارير الأطباء ، ان نبضى هو ١٣٥ وأنا راقد والضغط ١١٠ وأصوات القلب خافتة لا تكاد تسمع وأعصابى منهارة ، والجميع ضدى والسلطات متحاملة متحالفة على حتى أن قانون استقلال القضاء يعدل بسرعة لتمكن حسين طنطاوى من الاستمرار فى نظر قضيتى بعد انتهاء مدته فى الخدمة وادارة السجن لا تريد نقلى الى مستشفى رغم سوء حالتى وانا طريح زنزانتى ، حيث لا سميع ولا مجيب اذا طرأ على أى طارىء .

اننى ملقى وطريح الفراش ليس من يسأل عنى او يهتم بشأنى الا القلة من اسرتى وأنصارى المعتقلين الذين لا يملكون شيئا . اننى أشعر أن النهاية تقترب بسرعة ومع ذلك فلست آسفا ولا نادما . بل بالعكس انى لفخور بجهادى الذى ان لم يقدر فى

هذا الوقت فستأتى اجيال تقدره حق قدره . اننى سعيد ومغتبط ، لقد عشت حراً واذا مت سأموت حراً . لقد عشت لا اخضع الا لارادتى واذا مت فسيكون ذلك متفقا مع ارادتى .. اننى انظر الى الحياة المقبلة بفرح وابتهاج . لقد حان الوقت لكى استريح بعد ان اديت واجبى .. اننى فرح مسرور .. فرح مسرور والحمد لله من قبل ومن بعد .

٢٨ من مايو ١٩٥٢

حاولت استطيع أن أجلس وانا اخط هذه الحروف . اليوم هو العاشر منذ بدات هذه الحالة النفسية التى صدتنى عن الطعام والعجيب أن صحتى العمومية اليوم خير منها بالأمس ، وقد كان الأمس خيرا من اول امس . لا تعليل لذلك فى نظرى الا ان الجسد يمر فى مرحلة اعتياد لهذه الحالة الجديدة .

وهو من ناحية اخرى يبذل آخر ما عنده للدفاع عن كيانه وهذا هو سر التحسن المؤقت والذى لن يلبث ان يعقبه انهيار من غير شك .

ولاتزال المحاكمة مستمرة ويتحدثون عن حالة مرضى ، وهل هو مفتعل ؟ او غير مفتعل ، ولست القى بالى لشىء من ذلك كله لقد وضعت نفسى بين يدى الله ، وأنا فى انتظار قراره ، اما أن يدعونى اليه واما أن يبعثنى من جديد والخيرة فيما اختاره الله .

يوم الاثنين ٣ يونيو سنة ١٩٥٢

هاهى ارادة الله تجعلنى أعاود الكتابة ، لقد مضى الآن على مرضى خمسة عشر يوما كاملة ولكن فى هذه الثلاثة الايام الاخيرة طرأ على تغيير ، فقد نقلت الى مستشفى سجن مصر بعد ان

ساءت حالتى وانتدب ثلاثة من الأطباء من مصلحة السجون للكشف على من بينهم وكيل القسم والدكتور عزمى مرقص والدكتور كمال قاسم فقرروا نقلى الى المستشفى فورا .

وقد عاصر ذلك تأجيل القضية الى يوم ٨ يونيو فأتاح لى ذلك فرصة التنفس ، وخفف ذلك بعض الشىء عن أعصابى ومع ذلك فان العمل يجرى على ساق وقدم لاصدار القانون الجديد الذى يعد فى اجل حسين طنطاوى فى العمل وسيعرض اليوم على مجلس الوزراء ونحن الآن فى انتظار هذه الضربة الجديدة والله المستعان .

وقد تناولت كثيرا من السوائل وصحتى اليوم احسن حالا وهذا ما جعلنى استأنف الكتابة .

يوم الاربعاء ٤ يونيو

الله اكبر ولله الحمد .. كنت أقول دائما لمحدثى وهم يروننى طريح الفراش ضعيف القوى منهوكها ، ان ذلك كله مرجعه الى الله وانه يحيى ويميت وبقدرته اذا شاء أن ينشرنى وأن يبعثنى من جديد حيا .

وهاأنذا فى يوم الأربعاء ٤ يونيو اجلس على فراشى فى مستشفى سجن مصر الى جوار نافذة ضخمة اطل منها على فناء السجن الكبير واستمتع بزرقة السماء وجمال النهار وعذوبة الهواء .. هأنذا وقد بدأت استرد صحتى وعافيتى وان هو الا يوم آخر أو يومان حتى اكون اذا شاء الله فى حالتى وصحتى العادية .

وكل ذلك تم بارادة الله وفى غمضة عين وانتباهتها .

ففى غمضة عين جاءنى الخبر الذى أشرت اليه فى مذكراتى السابقة من أن القضية قد تأجلت الى يوم ٩ يونيو أى ثمانية ايام كاملة وهو اجل طويل قد بشرنى بالخير . فقد كانت المحكمة تناضل عند كل تأجيل ولا تسمح به الا بمقدار يوم او يومين لكى تصدر فى النهاية حكما سخيفا قذرا يفيض بكل الوان السخرية بالقانون وبالحق وبالعدل . فهى تحاكمنى غيابيا وتعتبرنى لست غائبا وهى لا تعترف بقوانين ولا بعرف ولا تهتم بالذوق أو الرأى العام انها تريد أن تنظر القضية بجدع الانف .

وقد انهال الطرق عليها يوماً بعد يوم .. فهذا التأجيل الجديد لهذه المدة الطويلة كان علامة خير .. لقد أشبه فى نظرى عندما يطرق الانسان بشدة على قطعة حديد ليحركها أو قطعة صخر ليفلقها ثم يوالى الطرق ويواليه دون أن تظهر اى نتيجة ولكن فجاة تبدو بادرة أن قطعة الصلب ستتحرك .. ولقد كان هذا التأجيل هو من هذا القبيل فقد اشعرنى ان الصخرة فى طريقها الى التحطيم، صخرة حسين طنطاوى الذى يابى الا ان ينظر القضية .

وفى اليوم التالى اى أمس (الثلاثاء) فوجئت بما يشبه الانقلاب فى هذا الاتجاه الطيب ، فـ « المصرى » تعلن بخط عريض أن حسين طنطاوى سيحال الى المعاش فى يوم ٧ يونيو وأن دائرة عسكرية اخرى هى التى ستنظر الدعوى ..

الله اكبر لئن صح هذا فهى آية الله الكبرى .. لئن صح هذا فهو بدء الفرج وانقشاع الغمة .

وكانت جريدة الاهرام تشير الى نفس الخبر ولكن فى غير ضجيج جريدة المصرى .. وكانت هناك حقيقة بارزة تضفى على هذا القول شيئا من الاهمية وهى أن وزير العدل لم يعرض قانون

استقلال القضاء على مجلس الوزراء .. ومعنى ذلك هو نجاح هذا الجهاد الذى جاهده القضاة لايقاف هذا التعديل مؤقتاً والذى لو تم لظل حسين طنطاوى فى الخدمة خمس سنوات أخرى أو لتشبث بنظر القضية لمدة أشهر قادمة على الأقل . الله أكبر .. الله أكبر ولله الحمد وهكذا صدق الله العظيم « انهم يكيدون كيدا واكيد كيداً » ..

من الذى كان يتصور انه توجد قوة توقف تمام هذا القانون قبل ٧ يونيو فقد كان آخر ما يتصوره القائمون بالأمر ان يكون القضاة هم الذين يحتجون ويعترضون والقانون ملىء بالمزايا لصالحهم .. ولكن هكذا أراد الله وغضبت أغلبية القضاة واحتجوا واثار بعضهم من طرف خفى لموضوع حسين طنطاوى .. ويظهر أن وزير العدل غضب لذلك فأجل عرض القانون على مجلس الوزراء يوم الاثنين ، وطالعت اليوم فى الصحف انه لن يعرضه فى جلسة اليوم (الأربعاء) وهكذا ارجو الله ان يمضى يوم ٧ يونيو دون أن يعدل القانون القديم فيكون حسين طنطاوى محالا الى المعاش فى هذا التاريخ .

ولكن هل يرضخ حسين طنطاوى لهذه الحقيقة .. اغلب ظنى أنه سيمارى فيها ، واغلب ظنى انه سيقول انه قد شرع فى نظر القضية وان من حقه ان يمضى فى نظرها .. وهذا ما لم يصدر المرسوم باحالته الى المعاش بالفعل وهذا ما لا اظن ان الحكومة تقدم عليه .. ولهذا فالموقف فى نظرى وان كان قد انقلب الى صالحنا من الناحية المعنوية الا انه لا يزال معلقاً من الناحية المادية .

كيفما كان الأمر فقد كسبنا معركة .. واصبح موقف حسين طنطاوى رثا بعد كل هذا الجو الذى أحيط به وبعد أن أجمعت الصحف بالخط العريض أن خدمته تنتهى فى ٧ يونيو وبعد ان

رفض جميع القضـــاة قانون اســـتقلال القضاء حتى لا يستفيد منه حسين طنطاوى .

وكل ذلك قد تم بارادة الله فقد بعثنى الى الحياة من جديد ، وشحنت هذه البارقة فى قواى مرة اخرى .. ولما كان محددا لنظر الدعوى المقامة منى على النائب العام وعلى « ابو شنيف » يوم ٧ او ٨ فقد اعتزمت ان اخرج الى المحكمة للادلاء باقوالى فى هذه الدعوى الخطيرة .

ولقد حفزنى ذلك كله على العودة لتناول الطعام والشراب .

ويالهـــا من آلام تلك التى تكبدتهـــا لأنتقـــل من حـــالة الخمود والهبوط الى حالة النشاط والحيوية .. ما اعجب شـــان هذه الحياة .. ان الالم الذى نحسه لفقدها هو بعض الالم الذى نعانيه للدخول فى الحياة نفسها .

لقد كنت هادئا وانا راقد فى فراشى تتدهور صحتى يوما بعد يوم فلما بدأت فى تناول الأشربة الســـائلة وبدأ جســـدى يفيض بالحيوية انتابتنى الآلام وانزعج الطبيب وهو يرى ســـوء حالتى ورد الفعل الذى ظهر على ولذلك فلم استطع ان اكتب هذه المذكرة بالأمس لما كنت اعانيه من هبوط وليس ســـوى اليوم واليوم فقط حيث اســـتطعت ان اجلس وان اكتب . فالله اكبر الله اكبر ولله الحمد .

١٠ يونيو سنة ١٩٥٢

هاهى الامور تتطور حيثما يشـــاء الله لها ان تتطور ، أحيل حسين طنطاوى الى المعاش ، واصـــبحت هذه حقيقة فى ذمة

التاريخ ، وعين بدلا منه حسن عبد الوهاب يسن وهو رئيس محكمة الجنايات التى عرضت عليها قضية الثورة وطلبت النيابة تأجيلها وهو رجل يبدو عليه انه طيب ولكنه مريض من غير شك وضعيف ومندفع وقد تجلت لى هذه الصفات كلها عند نظره لقضيتى وهو يؤجلها .

وانا الآن اتناول طعامى بانتظام عند المغرب فقد شرعت من جديد فى صوم رمضان منذ اربعة ايام . وقد كتبت للمحكمة اننى سأحضر امامها يوم السبت المقبل لنستأنف الصراع فاذا كان حسين طنطاوى قد ذهب فان صلاح حسن عضو اليسار ومحمود مرسى عضو اليمين وهما بقايا حسين طنطاوى لايزالان كما لايزال الضابطان ومن الواضح أن هؤلاء الأربعة .

والمهم اننى وقد كنت ظننت أن الأمور قد انتهت فها هى تبدأ من جديد . . وهأنذا اعود الى المحكمة بعد أن كنت اتمنى ان لا اذهب ابدا . . ولست أفكر فى شىء ولست اؤمل شيئا . . اننى اضع نفسى وتفكيرى تحت رحمة الله يسيرنى كما يشاء .

ابراهيم شكرى الآن سجين فى نفس السجن بعد أن حكم عليه بالحبس لمدة ستة اشهر بتهمة العيب فى الذات الملكية وهكذا تبدد الأمل القريب فى أن يسترد حريته وان يخرج ليكافح عنى فلا امل لى فى الخلاص مما يكيدون الا اذا بذل نشاط حزبى فى الخارج . . ولله الأمر من قبل ومن بعد .

١٣ يونيو سنة ١٩٥٢

مرة اخرى اقف على عتبة مرحلة حاسمة فسوف أخرج غدا ان شاء الله لحضور دعوى المخاصمة المرفوعة منى ضد النيابة

ولحضور المحكمة العسكرية للنظر فى موضوع الرد ، لقد اعلنت المحكمة انها ستصدر حكمها فى موضوع الرد غدا بدون سماع مرافعة ، اكتفاء بتقديم المذكرات ولقد احتج الدفاع واحتججت انا وارسلت لرئيس المحكمة أطلب فتح باب المرافعة فاذا لم تفعل المحكمة واصرت على اصدار حكمها بدون سماع مرافعة وسيكون الحكم بالرفض طبعا والمضى فى نظر الدعوى فلست احسب الا أن حالتى النفسية ستعاودنى فى مرة أخرى .. ومرة اخرى لا يعلم سوى الله متى تنتهى وكيف تنتهى .

ولقد اذاع حسين طنطاوى فى مجلة آخر ساعة حديثا يفيض بالحقد الدفين ضدى كشف فيه عن خبيئة نفسه وانها لخبيئة مخيفة فما كان هذا الرجل ليحكم على باقل من الاعدام كما لمح فى حديثه فهل تكون ازالته من المحكمة العسكرية ايذانا من الله بتبدل هذا المصير .. الله وحده هو الذى يعلم .

١٦ يونيو سنة ١٩٥٢

اكتب هذه السطور وانا على ابواب دخولى فى مرحلة مرضية لا يعلم سوى الله كيف تنتهى ومتى تنتهى ، لقد عاودتنى حالتى النفسية السيئة وتحيط بى الهموم والاكدار وتوتر الأعصاب و « الترقب » .. لقد خرجت بالامس واول أمس وترافعت فى دعوى الخصومة وترافعت فى رد المحكمة .. اما المحكمة العسكرية فبالرغم من نصاعة الأدلة التى قدمناها على وجوب الرد اصدرت حكمها برفض طلب الرد وحددت لنظر الجلسة يوم ٢٨ من هذا الشهر واما محكمة المخاصمة فقد قررت اصدار حكمها يوم الأربعاء . وهكذا نقف على ابواب غيبة المجهول الذى يستطيع ان يقرر مصيرنا فى هذا الاتجاه او ذاك ، فلو قبلت المخاصمة فقد انهارت القضية ولو رفضت المخاصمة فقد تعززت القضية

واشتد ساعد النيابة .. وقد صاحب هذا الجو من القلق والتوتر ان اتخذ مدير السجن الجوهرى بك اجراءات شاذة لتزيد فى مضايقتى فقد جاء بقفل حديد ليضعه فوق الاقفال القديمة على باب الحجرة وهكذا أصبحت ظلمات تغشاها ظلمات .. وليس لهذا الاجراء من تأثير على الا من حيث دلالته النفسية .. وهكذا تحالفت الظروف لتجعلنى فاقد الشهية نحو الطعام من جديد فبالرغم من انى صائم فلم تمتد يدى الى الطعام امس .. وأجلس الآن مرة اخرى احدق فى الفضاء مستسلما لأمر الله وما يصدره من أحكام وقرارات .. ومرة أخرى يتكاثف الظلام امام وجهى ولا حول ولا قوة الا بالله .

١٧ يونيو سنة ١٩٥٢

لتكن مشيئة الله وليتم قضاؤه .. كلما حاولت أن أسترد شيئا من طبيعتى داهمتنى الحوادث .. وانا اليوم فى حالة سيئة فقد جاءت زوجتى لزيارتى فاراد الجوهرى بك مدير السجن ان يفتشها ثم اخذ منها حقيبة يدها ودخلت على وهى مصفرة الوجه لقد أزعجنى ذلك كل الانزعاج وصرفتها محتجا .. وهكذا بدأ هذا الرجل يطاردنى وبالرغم من أننى شكوت ذات اليمين وذات اليسار فلم يهتم أحد بهذه الشكاوى ..

وكل ذلك يجعل نفسيتى مريضة ومرة أخرى تضعف فى نفسى ارادة الحياة .. وانى اتوجس خيفة اذا رفضت المحكمة دعوى المخاصمة فان ذلك سيجعل النيابة والمحكمة العسكرية تتنمر ضدى .. واليوم طالعت فى الصحف أن رئيس المحكمة العسكرية الجديد قد طلب من النيابة ان تحقق مع عبد المجيد نافع لاهانته المحكمة .. وهكذا يعملون جاهدين على التخلص من عبد المجيد نافع ، كل ذلك يضغط على ..

فلتكن مشيئة الله .. ليتم قضاؤه .. انني راض ومستسلم فليفعل ما يريد أن يفعل بى .

١٨ يونيو سنة ١٩٥٢

مرة أخرى لا حول ولا قوة الا بالله .. الساعة الآن الثالثة بعد الظهر اى ان الحكم فى دعوى الخصومة المرفوعة ضد النائب العام وأبو شنيف ، لابد وأنه صدر ، ولابد انه صدر برفض دعواى فلو كان لصالحى لأبلغ الى ولحاول الدكتور محمد حلمى ان يوصله الى بأى ثمن ولجاءنى زائرا بتصريح خاص ليبلغنى اياه .

ولم يظهر اى أثر لهذه الشكاوى العديدة التى ارسلتها سواء ما كان منها لمصلحة السجون ، ام النيابة .. وهكذا ارقد على فراشى ناظرا الى سقف الغرفة — لا حول لى ولا قوة — مهددا فى كل دقيقة .. ومع ذلك فلسانى لا يفتأ ينادى يارب ولا حول ولا قوة الا بالله .

بعد الظهر

جاءنى رئيس نيابة جنوب القاهرة الاستاذ عبد الحميد لطفى ليستمع الى أقوالى فيما اشكو منه من معاملة فى السجن ، وقد جاء بناء على تكليف من النائب العام .. فأدليت له بأقوالى ولا يلوح انه سيترتب على ذلك اية نتيجة ، فلن يرفع القفل الذى وضع على الباب .. ومع ذلك فكل هذه مسائل صغيرة ليست هى فى الواقع التى تشغل فكرى .

١٩ يونيو سنة ١٩٥٢

صح ما توقعته وصدر حكم المخاصمة بالرفض ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل حكمت على المحكمة بثمانين جنيها غرامة

اى انها لم تهبط بالغرامة الى حدها الادنى ، بل صعدت بها الى حدها الأعلى للتشديد والتغليظ وهذا من أعجب العجب ، ولابد انهم فى الحيثيات سينمون على رفع هذه الدعوى .. وهكذا يسوء الموقف من جديد فلا حول ولا قوة الا بالله .

مازالت حالتى الصحية تتدهور ببطء فانا لا اتناول منذ خمسة ايام الا قليلا من السوائل عند الافطار وتتناقص شهيتى يوما بعد يوم ، واحسب انه فى نهاية رمضان أى بعد ثلاثة ايام فلن يكون بقدرتى الا تناول الماء فقط .

ان الكثيرين ممن يتصلون بى يحاولون ان يشرحوا لى الايمان بالله على صورة واحدة وهى أن أتوقع الفرج وهم لا يدركون أن ايمانى بالله أعمق غورا من ذلك فانا مؤمن به فى السراء والضراء مؤمن به مهما تجىء الحوادث .. فهو المدرك من الأمور مالا ندرك .. ما هذه الحياة كلها الا سر مغلق لا يعرفه الا هو .. ولذلك فان ايمانى بالله هذه الأيام يتلخص فى شىء واحد وهو الاستسلام التام المطلق لكل ما يجىء به الغد .

زارتنى زوجتى ومن الواضح انها تعانى .. ولم يكن عندها ما تقوله لى وقطعنا الوقت فى ترديد اقوال وآراء لا قيمة لها .

الجمعة ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٢

صباح جديد ويوم جديد على وتيرة الايام السابقة ، زارنى الطبيب وقال لى انك تأكل نفسك فقلت له : ان ذلك افضل من ان تختل اعصابى واصاب بالجنون ، وانتهت المناقشة عند هذا الحد . واذيعت حيثيات حكم المحكمة العسكرية الخاص برفض الرد وهو كالعادة ينتهى الى ان يضرب عرض الحائط بكل ما نقول

أو نثير .. ولا سند لهم فيما يقولون الا مجرد القول .. والحكم والتعسف ، ومع ذلك كله ففى نفسى اطمئنان الى النتيجة النهائية .. ولكن ما هى هذه النتيجة لا أعراف ولا متى ستصل وعلى أى وجه ستكون .

ما أنا الا عبد الله وخلقته وسيقضى فى أمرى بمكنون حكمته .

الظهـــر

جاءنى عبد الحميد بك لطفى رئيس النيابة والأستاذ عدلى نسيم وكيل النيابة الأول ولست أعرف لماذا جاءا ؟! وقد راحا ينصحانى بقبول الأوضاع القائمة ويهونان من شأنها على .. وقد اضطربت أعصابى فاذا بى أثور وأنفجر وأحطم كوب ماء وزجاجة حبر واقع فيما يشبه النوبة العصبية فانسحب حضرتهما ثم جاء الطبيب الشرعى وعقد الجميع مؤتمرا فى مكتب المأمور ثم انصرفوا .

فليفعل الله بى ما يشاء .

الأحـد ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٢

يارب .. يارب ما الذى اعددته فى مكنون علمك ؟ اليوم صدرت الصحف وهى تحمل حكم مجلس الدولة وقد قضى أن ليس من حقه التعرض لقرارات النيابة العسكرية وسقوط الحق فى المطالبة بالغاء الأمر العسكرى رقم ١٠ لسنة ١٩٥١ الخاص بتحديد اختصاصات المحكمة العسكرية لانقضاء أكثر من ٦٠ يوما ، وهكذا انقضى آخر أمل فى سلب ولاية المحكمة العسكرية .. وقد قرر مجلس الدولة وهو يقضى فى قضيتى حكما رائعا ضد الحاكم العسكرى وما أصدره من مرسوم بقانون يمنع مجلس الدولة من التعرض لقراراته فقد قضى بعدم دستورية هذا المرسوم بقانون ،

وهكذا سيفيد الشـــعب المصـــرى كله من هذا القرار من ناحيته العامة اما ناحيتى الخاصة بالقضية فلم أستفد شيئا .

ونشـــر فى نفس جريدة الأهرام الصـــادرة اليوم حيثيـــات محكمة المخاصمة القاضية برفض دعواى وقد جاءت الحيثيات مخيبة للآمال اكثر من الحكم بالرفض ذاته فقد امتدحت تصرفات النيابة ودافعت عنها ولم تجد عليها اى غبار وسايرت النيابة فى تعسفها من حيث تحديد المسئولية الصحفية .

وفى وسط ذلك كله لا أملك الا ان اضع نفسى بين يدى الله منتظرا منه العون والفرج .

ولكن حالتى النفسية تسوء وتضطرب وتتدهور صحتى تبعا لذلك والأمر لله من قبل ومن بعد .

الاثنين ١٣ يونيو سنة ١٩٥٢ — السادسة صباحا

اليوم يوم العيد ولا عيد لى ، ولا عيد لزوجتى وأولادى ، ولا عيد لاصـــدقائى واخوانى ، ولا عيد للمبادىء التى عشت من أجلها طول عمرى .. ان الدموع تغمر عينى من التأثر ، فكل من يحيط بى قد جاء يهنئنى بالعيد ويتمنى لى التمنيات الطيبة ، انهم أناس طيبون يعيشون فى دنياهم .. أما أنا فلا عيد لى الا ان يأذن الله ويرضى .

وبالرغم من اننى كنت بالامس شديد الالم والشعور بالقهر أمام القوات الغاشمة التى تحاول أن تنال منى فانى اليوم ابعد ما اكون عن التفكير فى هذه الافكار . وهذا هو الدليل على اننا لا نملك لانفســنا خيرا ولا نفعا حتى مجرد (المزاج اليومى) فهو نتيجة

عناصر لا نتحكم ولا نستطيع أن نتحكم فيهـا ، فنحن نتألم ونحن نشقى ، ونحن نسعد بدون ان يكون لنا يد فى ذلك . يخرج الانسـان من بيته ســعيدا مبتهجا فيصادف حادثا فى الطريق بل قد يســمع كلمة عابرة تحوله الى حزين كئيب .

فهؤلاء الذين يتشـدقون عن حرية الانسـان وارادته وعن قدرته على التصرف هم اشخاص سطحيو التفكير .

عندما تقول الأديان شيئا بمحض الالهام والوحى فان العلم لا يلبث ان يثبت ما تقول الأديان .

فقد قررت الاديان أن كل شىء مكتوب على جبين الانسـان منذ ان يولد ، وهل هو شقى أو سعيد . يقتضينا الايمان أن نقرر ان كل شىء فى هذه الحياة انما يتم بقضـاء وقدر ، وأن اللوح المحفوظ قد خط فيه منذ الأزل تصرفات الانسان وأفعاله .

وهذه الجبرية المفروضة على الانسـان قد اثارت جدلا كبيرا حول موضوع الحساب والثواب والعقاب ، ولست اريد الآن ان اتحدث فى هذه الناحية ، ولكن اقف عند حد هذه الجـبرية وان الانسـان مدفوع فى تصرفاته بقوة اقوى منه وانه مغلوب على أمره فى كل ما يقول أو يفعل ، مضطر لهذا القول أو الفعل .

ان العلم الحديث والمشاهدة بل ان فلاسـفة الاجتماع والتاريخ وعلم النفس قد انتهوا جميعا الى هذه النتيجة وهى ان الانســـان ليس ســوى ثمرة البيئة التى تحيط به وافعاله وتصرفاته هى نتيجة الظروف التى احاطت به فلم يعودوا يدرسون شاعرا او بطلا او فنانا الا بعد أن يدرسوا الظروف والعناصر التى كونت حياته والتى دفعته نحو فعل ما فعل .

انظر الى اى انسان على هذا الكون انه يولد مسلما او مسيحيا أو يهوديا او بوذيا او لا دينيا وليس له فى ذلك اى اختيار .

فهو مسلم لان ابويه مسلمان وهو مسيحى لأن أبويه كانا مسيحيين وهكذا .

وهو يرث عن ابويه شكلهما وطولهما ولون عيونهما وشعرهما ، بل ويرث صفاتهما ويرث ما بها من امراض ، وقد يكون والد الطفل عصبيا أو دمويا او فتاكا بطبعه فيرث الابن كل ذلك ولا صلة له فى دفع ما ورث .. ويولد الانسان فى بيئة فقيرة او بيئة جاهلة فيتكون مزاجه وشخصيته ويصب قالبه فى هذه البيئة الجاهلة او المريضة او المتحللة .

وقد يتعلم الانسان والانسان متأثر الى حد كبير جدا بما يتعلم فما هو هذا العلم الذى يتلقاه الانسان ، انه ليس من عمله وانما من عمل الانسانية ، ويتكيف الانسان بلون العلم والمعارف التى يتلقاها ، وكم من فتى صار مهندساً لأن الظروف ساقت له علم الهندسة وآخر طبيب لأن الظروف هيأت له دراسة الطب ، وانى اقابل الآن حولى فى مصلحة السجون ضباطاً حالمين هائمين كانوا يحبون ان يكونوا شعراء او ادباء او فنانين ولكن الظروف جعلت منهم ضباطا وفى مصلحة السجون بالذات .. وعلى هذا الأساس فكل اعمالنا وتصرفاتنا انما هى نتيجة الظروف المحيطة بنا ونحن دائما أبدا منفعلون بالحوادث لا فاعلون لها وهؤلاء الذين يتصورون الانسان فاعلا او متصرفا هم قوم لا يتعمقون فى دراسة الموضوع .

لقد اثبت العلم ان افرازات بعض الغدد هو الذى يكيف مزاج الانسان ومستقبله ، وتغير هذه الافرازات قد يحول الانسان من حال الى حال ومن صورة الى صورة وليس لانسان سلطان على افراز غدده .

كانت البشـــرية الى وقت قريب تتصور ان الأبطال هم الذين يكيفون حياة البشر وليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة من هذا الزعم ، فهم مثلا يتحدثون عن نابليون كخالق هذه النهضـــة التى تمت على يديه ولم يكن نابليون الا تعبيرا عن ارادة الشـــعب الفرنسى الذى تفجرت قواه وحيويته فى الثورة الفرنســية وكان لابد ان ينطلق شـــرقا وغربا حتى يرتطم ويهدأ، وحسب الانسان ان يطالع التاريخ لكى يرى كيف أن جيش الثورة قد اســتطاع فى معركة « فالمى » قبل ظهور نابليون أن يصمد لأعظم الجيوش مع أنه كان عاريا جائعا لا عهد له من قبل بالحروب . بل ان فرنسا الثائرة قبل نابليون هى التى شنت الحرب فى كل الميادين وظفرت بانتصـــارات أذهلت الجميع فليس نابليون الا مظهرا من مظاهر ارادة الشـــعب الفرنسى فى ذلك الوقت .

ومثل ذلك يقال عن محمد على فى مصر فما محمد على الا يقظة مصر التى أحدثها الغزو الفرنسى لمصر حيث قـــام الشـــعب يناضل عن حرياته وعن كيانه واستقلاله ووجد فى محمد على معبراً عن ارادته .. ولو ظل محمد على فى بلده « قوله » لما زاد أمره عن بائع دخان أو عسكرى فى الجيش التركى فالظـــروف والحـــوادث التى لا دخل لارادة محمد على فيها هى التى القت به الى مصر فى وقت معين وفى فترة معينة ومصر على أهبة وثبة معينة فكان محمد على ما كان . ويتصـــور أقوام حتى فى عصـــرنا الحديث بعد أن اتضحت هـــذه النظريـات وأصبحت حقـــائق مقررة أن امبراطور ألمـــانيا هو الذى اشـــعل الحرب العالمية الأولى وأن هتلر هو الذى اشعل الحرب العالمية الثانية مع أن هتلر العسكرى ما كان يستطيع فى بلاد جبابرة العسكرية .. أن يصل الى ما وصـــل اليه لولا ان الشـــعب الألمانى قد وجد فيه ضالته المنشودة والسبيل لتحقيق بغيته وهو الأخذ بالثأر واستئناف الحرب .

وما يقال عن حوادث العالم الكبرى وعن الابطال وعن كبار الشخصيات يقال عن أصغر انسان فى أى زاوية من زوايا الكون .. فهذا الذى ولد زنجيا هل يمكن أن يكون الا زنجيا ؟ هل يمكن أن يغير لون جسده وأن يغير من طباعه ؟؟

ومن هنا بدأ أساتذة العلم الجنائى يعيدون النظر فى مسألة العقوبة على ضوء هذه الحقائق التى ثبتت لهم . فالقاتل لا يقتل ، والسارق لا يسرق، والزانى لا يزنى، الا تحت تأثير عوامل اجتماعية وطبيعية لا حيلة للانسان فيها .. فالسارق قد يسرق تحت الحاجة وخوفا من الجوع فلو سددنا حاجة الناس ووصلوا الى درجة الاشباع او ما يقربها لما وجدنا هناك من يسرق .. والقاتل لا يقتل الا بعد أن يفقد عقله ، والزانى لا يزنى الا مغلوبا على امره بما أودع فى جسده من هرمونات يكفى ان تزيد على درجة معينة لكى يكون هذا الشخص مغلوبا على امره امام اى امرأة يصادفها .

والخلاصة ان الايمان بالله الذى يفرض علينا التسليم بالقضاء والقدر واننا لا نملك لأنفسنا خيراً ولا نفعاً ، وأن الحوادث تتم وتقع بقوة قاهرة لا قبل لنا فى دفعها هو ما يولده النظر العلمى الحديث عندما يجعل الانسان وكل افعاله هى ثمرة عناصر لا دخل للانسان فى تكوينها ولا حيلة له فى دفعها أو تعديلها .

فالجبرية هى التفسير الوحيد الذى لايزال مقبولا لتفسير حوادث هذا الكون فى عمومها وفى تفصيلها .

الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٥٢

ترى ما الذى يخبئه الغد ، وانى لأقف على بابه فى ظروف لم اكن اتوقعها ؟! لقد عشت خمسة عشرة يوما من رمضان

صائما ، وامضيت السبعة الأيام الأخيرة منه وانا لا اتناول فى الافطار الا بعض السوائل ، التى تقيم الأود ، وكانت تتناقص يوما بعد يوما حتى وصلت الى درجة العدم ، حتى اذا انتهى رمضان ودخلنا فى مرحلة الافطار اذا بنفسى تضيق عن اى طعام او شراب غير الماء فامضيت ايام العيد الثلاثة لا اتناول سوى الماء ، وقد كنت مرتاح النفس والفؤاد لذلك مطمئن الخاطر معتزما ان امضى ما استطعت الى ذلك سبيلا بملازمتى الفراش فى ضعف ووهن ، وهى وحدها التى تهدىء نفسى وتجعلنى أسخر من الظلم والاضطهاد ومن الحياة كلها .

وفجاة استيقظ بعد منتصف ليل الأربعاء ، اى فى صباح الخميس ، وأنا فى حالة شديدة من الضيق والألم ، كانت نفسى مضطربة وجسمى كله فى حالة ضيق ، وفى صدرى الم ، ولم اكن اعرف ماذا افعل او كيف أتصرف ؟

وحاولت ان اصبر ، وان اغض عن هذه الحالة ولكنها راحت تتفاقم حتى بلغ بى الضيق مداه ، فطلبت من الحراس ان يفتحوا الباب ، وجاء الضابط المختص ، وجاء « التمرجى » وظننت أن كوبا من شراب الليمون قد يساعدنى ويعيدنى الى طبيعتى ، فطلبت شراب الليمون ، ولكنهم لم يكادوا يجيئون به الى حتى زاد اضطرابى ، وتناولته بصعوبة ، ولم البث أن تقيأته .. وكان ذلك قمة الأزمة ، وكان جسدى ينتفض بالألم والضيق والاضطراب ثم هدات وانصرف الضابط ، ونمت بعض الوقت فيما لا يزيد على ساعة او ساعتين ، وطلع النهار ووجدتنى فى نفس الحالة من جديد ، وعندما جاء الطبيب وجدتنى فى حالة من الألم جعلتنى اقبل كل ما اقترحه من اسعاف وعلاج ، فاعطانى بعض حقن الكورامين والأدوية ، وجيىء لى بالشاى والعرقسوس كعلاج لما احس به من الم فى امعائى .

وهاندا الآن فى عصر يوم الجمعة ، وقد عدت أتناول بعض الاغذية ، بحيث استطعت ان اجلس واخط هذه الحروف ، وفى نيتى ان اجاهد فى سبيل تناول الغذاء دفعاً عن نفسى لهذه الالام .

وغدا السبت حيث تعقد المحكمة ، وقد طلبت التأجيل ، وطلب المحامون التأجيل ، فلو رفضت المحكمة التأجيل ، ولو رفضت ما طلبت ضمه من أوراق الى القضية يجب ان تضم اليها بمقتضى القانون لكان ذلك صورة بارزة من التعسف واهدار كل قواعد القانون والعدل .

كيفما كان الامر ، فلست أظن اننى سأذهب غداً ، ولكنى معتزم الذهاب — ان شاء الله — بعد ذلك كي افرغ من هذه المهزلة فان اعصابى لم تعد تحتمل ، ولا يجب ان تحتمل اكثر من ذلك ، فلتأت النتيجة ايا كانت ، ولننته من هذا الضغط المستمر .

وفى هذه اللحظات اتجه بكل ذرة من ذرات جسدى وروحى الى خالقى اسأله ان يكون عونى ونصيرى وان يهيىء لى من أمرى رشداً .

اسأله ان يهدى القضاة وعملهم غداً على تأجيل القضية اجلا طويلا ، بل اسأله ان يحدث من المفاجآت ما يؤخر نظر هذه القضية الى ان تلغى الاحكام العرفية .

الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٥٢

يارب السماوات والأرض ، يا من اعبدك بكل ذرة من ذرات جسدى ، يا من اعبدك بكل خفقة من خفقات قلبى وروحى ، يارب يا سر الوجـود ، يا سر الأسرار يا من حارت فيـك العقول ..

ماذا تريد بى .. الى اين ستنتهى بى .. هانذا مرة اخرى اقف على قدمى مصليا ، هانذا مرة اخرى وماء الصحة قد بدا يتدفق من شرايينى ، هانذا مرة اخرى وقد حلقت ذقنى بعد ثلاثة أسابيع تقريباً ، واجلس متحدثاً ، هانذا ارى وميض الأمل يتسلل رغم أنفى الى اعماق نفسى ، وهانذا ادعوك فى حرارة وفى قوة من جديد ان تخلصنى ، وان تنقذنى ، وأن تدفع عنى السوء والكيد ، وان تخرجنى من هذه المحنة مرفوع الراس موفور الكرامة ، كما عودتنى دائمـاً .

لقد تأجلت القضية الى ٨ يوليو ، أى بعد تسعة أيام مـن اليوم ، والظواهر تدل على ان القضية ماضية فى طريقها ، وانها ستنظر عقب هذه الفترة ، ومع ذلك فانى ارجو من الله الا تنظر هذه القضية أمام محكمة عسكرية ، والا تنظر فى هذه الأيـام .. كيف سيتم ذلك .. كيف يتحقق ذلك ؟ ان الله قادر ان يحدث فى هذه التسعة الأيام احداثاً تغير الدنيا من حال الى حال .

وفى نيتى ان احضر الجلسة المقبلة لأطلب من المحكمة التاجيل من جديد .

سرت بالأمس اشـاعة فى السجون أن الوزارة قد سقطت ، بل وان على ماهر هو الذى دعى لتأليف الوزارة ، وقد كان هـذا الخبر فوق احتمالى لو كان صحيحاً ، فذرفت الدموع شكراً لله ، ولكن سرعان ما تبين أن الاشاعة غير صحيحة ، وصدرت الصحف اليوم ، وهى أبعد ما تكون عن هذه الناحية .. ومع ذلك فلا يزال الأمل يداعب النفوس . ان تغييراً سيقع فى القريب ، والرجاء كل الرجاء الآن أن يكون تغييراً نحو الخير والأحسن لا نحو الأسوأ .

ولله الأمر من قبل ومن بعد .

ولاول مرة نشرت الصحف اليوم صورة ابنى مصطفى ، الذى حضر الجلسة ، وقد اثر ذلك فى نفسى .. وانقضت أكثر من عشرة ايام دون ان أرى زوجتى وقد بدأ ذلك يضايقنى .

اول يوليو ١٩٥٢ « الثلاثاء »

علمتنى الأيام الحذر ، وأنها تسير دائماً بين المد والجزر ، بين العسر واليسر ، بين الشدة والرخاء ويوما نساء ويوماً نسر ، وكذلك فلم أكتب هذه المذكرة بالأمس ، وآثرت التريث حتى اليوم حتى تستقر الأمور .

لقد قدم « نجيب الهلالى » استقالته منذ يوم السبت الماضى ، واقول قدم استقالته ، ولا أقول سقطت الوزارة ، ولو كنت اكتب هذه المذكرة بالأمس لقلت سقطت وزارة الهلالى ، والف حسين سرى الوزارة ، اما اليوم ، فقد ظهر ان الموقف لا يزال معقدا ، فلم يؤلفا حسين سرى وزارته ، بل قيل ان آخر الأخبار انه عدل نهائيا من تاليفها ، وقيل ان نجيب الهلالى لم يتسلم خطاب قبول استقالته بعد ، اى أن الموقف لا يزال معلقاً ، ولم يحسم بعد .

ولست اشك لحظة فى أن سبب تعثر تاليف الوزارة هو الاختلاف بين القصر وبين حسين سرى على الخطة التى يعتزم انتهاجها ، ولابد ان موضوع الأحكام العرفية قد عرض على بساط البحث ، ولابد أن فكرة التهيئة لانتخابات جديدة قد عرضت على البحث ، بل لا أستبعد أن موضوع قضيتى ومصيرى ، ومصير الحزب الاشتراكى قد عرض على البحث بالذات ، فالقوم لا يريدون ان يفاجأوا ببعث الحزب الاشتراكى من جديد ، وقد لا يعنى حافظ عفيفى من كل شئون مصر باكثر من عنايته بمصير احمد حسين .. على ان هذا الذى حدث هو خير من غير شك ، وكيفما كانت النتيجة

التى ستنتهى اليها هذه الازمة فان قلبى يحدثنى اننا نسير نحو الاحسن لا نحو الأسوأ .

ولو قد كتبت هذه الرسالة بالأمس لكتبتها فى جو من التفاؤل شديد ، فقد حضرت زوجتى والدكتور حلمى وجميع الأولاد ما عدا مجدى الصغير ، وامضينا وقتا طيبا يفيض بالآمال التى خلفتها إستقالة الوزارة .. أما اليوم فأنا أكثر تحفظا ، ولكننى غير متشائم وأردد دائماً : « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا » .

الجمعة ٤ يوليو سنة ١٩٥٢

وبودى لو كتبت باسم الله الرحمن الرحيم فى كل صفحة وفى كل سطر ، وقبل كل كلمة ، فباسم الله الرحمن الرحيم خرجت الى هذه الدنيا ، وباسم الله الرحمن الرحيم درجت وترعرعت ، وباسم الله الرحمن الرحيم سارت حياتى ، حيث أراد الله لها أن تسير ، وباسم الله الرحمن الرحيم أقيم الآن فى هذا السجن فى انتظار رحمة الله وفرجه .

اصبحت وزارة حسين سرى حقيقة مقررة ، فهى تلى الحكم منذ يومين ، ولم أشأ أن أكتب يوم تاليفها حتى تستقر الاوضاع ، وينقشع الدخان ، وتتضح النوايا ، وتتجلى الخطط ، وفى تاليف الوزارة حسنة واضحة ، وهى انها خلت من مرتضى المراغى الذى كان قد تخصص فى حربى وعدائى وقيل عند تاليف الوزارة ان حافظ عفيفى بدوره سيترك منصبه فى رئاسة الديوان ، ولو حدث ذلك لكان خيرا عميما ، ولكن الرجل عدل عن الاستقالة على الاقل فى الوقت الحاضر ، كما يقولون ، غير ان نفوذه قد أصيب

بصدمة كبرى عندما كلف بهى الدين بركات بتأليــف الوزارة ، ثم فوجىء بحسين سرى يؤلف الوزارة من وراء ظهره .

كيفما كان الأمر فقد سقطت الوزارة السابقة ، وها نحن ازاء وزارة جديدة ، ويعتبر الوفد ذلك التغيير انتصاراً له ، وسيفرج اليوم عن فؤاد سراج الدين .. اما انا فلا أستطيع ان اؤمل من وراء حسين سرى فى خير مباشر ، فوزير الداخلية هو محمد هاشم وهو لم يكن يخفى عداءه الصريح لى وللأستاذ محمد عصفور ، ولقد قيل كلام كثير عن أن الغاء الأحكام العرفيــة سيكــون أول ما يفعله حسين سرى ، ولكن الوزارة امسكت عن الخوض فى هذه الناحية ، وعين حسين سرى حاكما عسكريا ومحمد هاشم وزيراً للداخلية ورقيباً عاماً .

ولقد علمتنا الأيام ان الأحكام العرفية لا تلغى فى سهولة ويسر ، ولابد من ضغط شعبى ، ولن تكون هناك احكام عرفية بالنسبة للوفد بطبيعة الحال ، ولكنها ستكون للاشتراكيين ، ولذلك فقــد يسكت الوفد عنها ويهتم بالانتخابات ليكون الغاؤها على يده هو ، ومعنى ذلك ان الأحكام العرفية لن تلغى فى القريب .

وفى يوم ٨ يوليو المقبل ، تعرض قضيتى من جديد أمــام المحكمة العسكرية العليا ، وسأحاول ن احضر الجلسة ، وسأحاول تأجيل القضية ، فان تأجلت الى اجل واسع فقد انفتح امامنا أمل عريض فى الا تنظر القضية امام المحكمة العسكرية ، اما اذا لم تؤجل ، فقد ضاعت آخر فرصة فى حكم كريم ، ولكن الله الرحمن الرحيم ، الله الذى أحدث هذا التغيير وهذا الانقلاب فى طرفــة عين .. الله الذى فوضت كل أمرى اليه قادر على ان يخلصنى وينقذنى وينصرنى كما نصرنى دائماً فى كل هذه المحن والويلات .

السبت ٥ يوليو سنة ١٩٥٢

افرج بالأمس عن فؤاد سراج الدين ، وبهذا يعود الوفد الى كل قوته ، ويعرف كل الناس انه فى طريقه الى الحكم ، وهذا ما توقعته من طلائع التغيير الجديد ، وأنه سيكون للوفد ، ولكنه لن يكون للاشتراكيين .

وهذا قد جعلنى اتصور مقدار هول المعركة التى لا تزال تنتظرنى قبل ان اتخلص من المحكمة العسكرية .. لقد اعتزمت بعد جلسة يوم ٨ يوليو اذا لم تؤجل القضية ان انذر الحاكم العسكرى بالاضراب حتى الموت اذا اصروا على نظر قضيتى امام المحكمة العسكرية .

واعرف أن مثل هذا الانذار سيجعلهم يتشددون علىّ فى بادىء الامر على الاقل ، واعلم انهم سيحاولون ان يظهروا بمظهر المستخف بهذا الموضوع ، وكل ذلك سيكبدنى مشاق خطرة ، لاننى يجب ان أستمر وان اتمسك بقرارى ولا اعدل عنه الا عند تحقيق مطالبى ، وهكذا أشعر أنه لا تزال امامى آلام وآلام ومعارك تلو معارك ، والله المستعان .

ومن العجيب انه قد فاتنى ان أذكر فى مذكرة اليوم السابق ان مفتشاً من مصلحة السجون ، وهو اللواء فريد شكرى قد جاء الى السجن للبحث فى امر هذه الشكوى التى تقدمت بها منذ اكثر من اسبوعين ضد مدير السجن ، وقد تطور الموقف الى مصلحتى بصفة عامة حتى لقد وصل الأمر الى حد تهديد مدير السجن بالاستقالة ، وكان اخذ ورد وشد وجذب ، وتداخل الضباط لاصلاح ذات البين بينى وبين المأمور ، الذى كنت قد عنفته بشدة امام المفتش ، وقد انزعج مأمور السجن ، لأن المفتش لم ينصفه فى زعمه ، لقد أبديت استعدادى - بعد أن أبلغت مأمور

السجن — ان استرضيه بكل ما يرضيه ، فلست احب ان ازعج احداً او اسبب لأحد اى الم لا ضرورة له .

وقد طرب كل من فى السجن لما اصاب المأمور ، ولكنى حزنت ، فلست احب ان انتصر فى هذه المعارك الجزئية قدر ما اطمح الى الانتصار فى المعركة الكبرى ، وهذا ما جعلنى انسى هذه الواقعة على ضخامتها وانشغال السجن بها ، فلم اكتبها بمجرد وقوعها فى مذكرة يوم الخميس ، ولا فى يوم الجمعة ، ولم اذكرها الا اليوم فقط ، فرايت ان اشير اليها باختصار .

مساء الاثنين ٧ يوليو ١٩٥٢

هانذا من جديد اقف على ابواب الغد ، ما الذى يخبئه لى هذا الغد ؟ فى مثل هذه الساعة من مساء الغد بعد ان اكون قد رجعت من المحكمة ، واصدرت قرارها ماذا سيكون شعورى ، ماذا سيكون موقفى ؟! انا اليوم اهدأ ما اكون . هذا الهدوء الذى يسبق العاصفة .. ساذهب غداً تملأنى روح النضال لتأجيل القضية ، وقد اعددت الجزء الاكبر من مرافعة قانونية فى ضرورة ضم أوراق وتحقيقات وقضايا قبل الشروع فى نظر الدعوى .. الله وحده هو الذى يعلم .

ما أعمق اسرار الكون .. ما ابعد الانسان عن الاحاطة بالحوادث الكبرى فى حياته ما عليه الا ان يعمل ، وان يؤمل وان ينتظر .

وهانذا أنتظر .. انتظر النصر والفرج .

الساعة الرابعة بعد الظهر

يوم الثلاثاء ٨ يوليو سنة ١٩٥٢

انا قادم الآن من المحكمة ، قضى الأمر ، ورفضت المحكمة ضم الأوراق التى يجب أن تضمها ، وأجلت القضيـــة لليـــوم التالى ــ اى للغد ــ وذلك بعد أن ترافعت طويلا ، وبينت للمحكمة ضرورة هذا الضم لتستقيم العدالة .

ولذلك فقد وقعت الواقعة ، وقد كتبت الآن للحاكم العسكرى ولرئيس المحكمة العسكرية اننى مضرب عن الطعام حتى الموت ، او ان تحول القضية الى محكمة عادية .. وسابدأ منذ الآن هــذا الاضراب ، وفى هذه اللحظة اتجه الى الله عز وجل أن يأخــذ بيدى ، وأن يقوينى وأن ينصرنى فى هذه المعركة باحدى الحسنين .

الأربعاء ٩ يوليو سنة ١٩٥٢

وبدأت عملية الاضراب من تناول الطعام ، كمــا اكــدت بالأمس ، وانا اليوم فى اليوم التالى ، ولم اذهب الى المحكمـــة بطبيعة الحال ، وقد رفضت الكلام مع من ارادوا الكلام معى من الضباط . لا شك عندى أن وقع ذلك عند المحكمة سيكون هــو الغضب على وستحرص المحكمة على اظهار غضبها بسرعة السير فى الاجراءات ، ولكنى لا اشعر بشىء من التردد او الخوف ، بل ان كل ساعة تمضى تزيد فى عزمى ، فليكن الله معى .. عليه توكلت واليه انيب .

بعــد الظهــر

تطورت الأمور ــ كما كنت اتوقع ــ تطوراً عنيفاً ، فقــد انسحبت هيئة الدفاع عنى ، وهم الاساتذة : محمــد عــزمى ،

وعبد المجيد نافع ، ومحمد عصفور ، ومحمد الحناوى ، واحمد كامل قطب ، ومحمد طاهر الخشاب ، وابراهيم عبد النبى ، وابراهيم الشواربى .

وقد استدعت المحكمة الظاهر حسن احمد المحامى المنتدب ، وقررت السير فى نظر القضية بالرغم من كل شيء ، وقد بدأت تسمع شهادة شهود الاثبات فسمعت اقوال عبد الله فكرى اباظة ، ثم اجلت القضية لباكر ، وقد زارنى الظاهر حسن احمد فى السجن ، وقد أوصيته على عمل اللازم ، ولست أعرف هل سيفى بوعده ام لا ، والغد هو الذى سيكشف عن موقفه .

كيفما كان الامر ، فكل شيء يدل على اننا وصلنا الى قمة الخطر ، فالمحكمة أصبحت تعتبر الأمر غلا شخصياً ضدى ، وقد حرضتها النيابة علىّ وعلى المحامين ، فاصدرت حكمها بالغرامة وقدرها خمسون جنيها على جميع المحامين .

وفى وسط هذه الثورة العاتية بدأت أسوأ الافكار تعاودنى ، فالحكم قد يصدر وقد يصدر بالشنق ، ولكن هذا لا يخيفنى ، ولا يزيدنى الا عزة واصرارا على المضى فى طريقى متمسكا بسلاح واحد ، وهو أملى فى ربى وخالقى .

الجمعة ١١ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو رابع الأيام فى اضرابى وكالعادة لا يزال بقدرتى ان اجلس واكتب .

لا تزال الازمة فى اوجها فالمحكمة ماضية فى طريقها وقد بدأت تسمع الشهود ، وعلى ذلك فانى أزداد اصراراً على طريقى وسبيلى . لقد بلغ السخف بالمحكمة أن انتدبت بعض صغار المحامين ليتولوا

الدفاع عنى وهم لم يقراوا دوسيه القضية ولا يمكن ان يقراوه فهو اربعة آلاف صفحة . وهكذا تحكم المحكمة مؤامراتها .

وقد زارنى بالسجن بالأمس واول امس الظاهر حسن احمد المحامى الاول المنتدب عنى وهو يشعرنى بانه سيقوم بالواجب وسيعمل على تأجيل القضية ، ولكنى اتف منه على حذر فانى اعرفه من قديم وأعرف انه ناعم الملمس ويخفى دائماً خلاف ما يظهر ، وقد رشح نفسه ضدى فى الانتخابات فكرهت اساليبه ولست اعرف ماذا سيكون موقفه الآن . . ولكنى أسلم امرى لله .

السبت ١٢ يوليو ١٩٥٢

هذا خامس أيام الاضراب ولقد امضيت بالامس ليلة سيئة لم يزرنى فيها النوم الا غراراً ورحت انقلب ذات اليمين وذات الشمال فلم اكن اجد الراحة على اى وجه من الأوجه ولعلى اكون قد نمت بعض الوقت على فترات متقطعة ولكن احساسى كان يصور لى ان النوم لا يعرف سبيله الى جفنى .

وقد صح ما توقعته من أن الجميع سيضربون عرض الحائط باضرابى فلم يبد له اى صدى او اهتمام ولكننى سأمضى . . سأمضى غير متردد اياً كانت الآلام التى سأحتملها ، اياً كانت الاضرار الصحية التى ساتعرض لها . لقد قلت ان قضيتى يجب أن تنظر امام محكمة عادية او أن أواصل الاضراب حتى الموت وانى مصر على ذلك الا ان تحدث تطورات ليست فى الحسبان .

وذكرت الصحف ان النيابة استبعدت من وصف التهمة المادة ٤٨ الخاصة بالاتفاق الجنائى وعند المحامى المنتدب الظاهر حسن احمد امل فى أن نستطيع ان نحمل النيابة والمحكمة على استبعاد المادة ٢٥٧ الخاصة بحكم الاعدام وطلب منى وعداً ان هذه المادة

اذا رفعت ان احضر المحاكمة ، ولما كنت اعرف ان هذا الأمل فى حكم المستحيل فقد وعدته .

الاحــد ١٣ يوليو ١٩٥٢

ذروة المحنة اكتب وانا راقد على ظهرى . كانت هنا زوجتى والدكتور حلمى ومصطفى ابنى وقد اصروا على ان اقلــع عــن الاضراب اذ لا جدوى منه فالمحكمة ماضية فى طريقها وقد بـــدأت اليوم تسمع الشهود وهم يرون أن احداً لن يهتم بى وقـــد اضر بصحتى بل قد أموت وهو ما يتمناه خصومى جميعا .

ولكن ذلك كله لا يزيدنى الا اصراراً فان ايمانى بربى كبير وعميق وانا واثق انه سينجدنى قبل فوات الوقت فان لم يفعل فتكون حكمته قد اقتضت ذلك .

لقد تعبت كثيرا وبالليـــل لم يغمض لى جفن الا فى الصباح ولو اشتدت هذه الحالة فلست اعرف كيف ساحتملها ، ولـــكنى اتصور أن هذه الآلام لن تلبث ان تخف تبعاً لضعف الجســـد العـــام .

اننى ماض فى طريقى وحسبى الله ونعم الوكيل .

الاثنين ١٤ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو سادس أيام الاضراب ويبدو لى أن حالتى من حيث الآلام او المتاعب العامة الجسدية ليست اكثر من الأمس ان لم تكن أقل وقد يرجع هذا الى ما اتصوره من أعتياد الجسم ، او الهبوط الذى يجعل الاحساس فى اضعف صوره . اكتب الآن وانا راقد على ظهرى .

زارنى بالأمس فى سـاعة متأخرة على غير العـادة الظاهر حسن احمد واطلعنى على مجريات الجلسة ، وقد طالعتها بالتفصيل اليوم فى الصحف وهى كأسوا ما تكون . شهد ضدى وفيق بدر وجلال لطفى وقال عبد المجيد عبد الحق أقوالا سخيفة ، والكلمة الوحيدة الطيبة التى قالها وهى قوله : ان الانجليز هم الذين حرقوا مدينة القاهرة وهذه الكلمة لم تنشرها الصحف ، وعلى هذا فقد بدت صحف اليوم فى أسوأ ما تكون ، وكل ذلك لا يزيدنى سـوى عزم واصرار على المضى فى طريقى وليكن ما يكون .

أصبح من الواضح ان حكومة سرى لا تفكر فى الغاء الأحكام العرفية وهى بالتالى لن تقيم لحالتى وزنا والمحكمة لا تقيم وزنا ، والرأى العام لا يعرف من أمرى شيئاً فأنا أضرب فى أسوأ الظروف .. ولكن الايمان الذى فى قلبى هو الذى يدفعنى وهو الذى يزيدنى عزما واصرارا فليفعل الله بى ما يشاء .

الثلاثاء ١٥ يوليو ١٩٥٢

يتطور الموقف من سيىء الى أسوأ المحكمـة ماضيـة فى اجراءاتها بكل سرعة وبالأمس القى عبد الفتاح حسن قذيفة اذ زعم اننى قبضت نقوداً من المصاريف السرية وقد طبلت الجرائد لذلك وزمرت وضغطت ضغطاً شديداً على هذه النقطة وهذا اسوأ ما قيل فى المحكمة حتى الآن .

وقيل ان الجميع يرون ذهابى الى المحكمة لكى أدافع عـن نفسى ولكنى مصمم أن أمضى حتى النهاية .

ان كل ما اخشاه ان يحدث حادث من ناحية قوة احتمـالى الجسدية تجعلنى اعدل فما لم يحدث هذا فانى سوف امضى .. سوف أمضى حتى النهاية .

لقد أوشكت على التعب بالأمس ليلا ولكنى بعد قليل بدلت موضع نومى وفتحت النافذة فاستطعت ان انام وأن انام جيداً بل وحلمت حلماً سعيداً ، لقد حلمت فيما اذكر أن الأمور المعاكسة لى قد انقلبت الى النقيض وأن الذم قد انقلب مدحاً وان الاحـــزان قد انقلبت افراحاً .. ولعل هذا يصور كيف كان نومى سعيـــداً لاول مرة .

ومادمت استطيع ان أنام وأن أحتمل فسوف امضى .

ان زوجتى المسكينة التى زارتنى اليوم تبكى ولكنى لا استطيع ان افعل من اجلها شيئاً ، انهم يقولون ان احداً لا يهتم بى ولن يحرك احد ساكناً من اجلى وهذا وحده كاف لكى أزداد اصراراً .

لقد خدمت بلادى ثلاثين عاما ولقد وهبت الشعب كل شىء فاذا كان ذلك كله لا يعاون الآن على اعطائى محاكمة عادلة فليس هناك ما يربطنى بهذه الحياة . وثمة زاوية اخرى انظر للموضوع منها . لم يكن لى فى كل حياتى من معين غير الله فهو وحده الذى يعلم حسن طويتى واخلاصى وهو وحده الذى اخرجنى دائماً من الضيق وانا انتظر هذه المرة ايضا أن يخرجنى من الضيق فـــاذا لم يفعل لسبب يعلمـــه فليس هناك ما أبكى عليه فى هذه الدنيا او يربطنى بها .

يوم الأربعاء ١٦ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو ثامن أيام الاضراب وزارنى الدكتور اليوم فتبين أن وزنى ٦١ كيلو وقد كان عند بدء الاضراب ٦٩ كيلو اى اننى نقصت ثمانية كيلو فى هذه الثمانية ايام . وكان وزنى عند دخولى سجن الاستئناف ٧٧ كيلو اى اننى نقصت ١٦ كيلو ؛ لا شك ان حـــالتى

بدات تتدهور ومع ذلك فقد استطعت ان انام بالأمس جيداً وهو ما احمد الله عليه .

تاجلت القضية لمدة أسبوع وقررت المحكمة ضم بعض الأوراق التى كنت قد طلبتها وقد شهد امامها محمد الحلو بأن البوليس السياسى هو الذى حمله على تلفيق شهادته .

ظن « الظاهر » وظنت المحكمة أننى ساعدل عن موقفى ولكن هيهات لقد قررت وليس أمامى الا المضى والله وليى .

يوم الخميس ١٧ يوليو ١٩٥٢

تاسع ايام الاضراب وانى متعب لا استطيع ان أكتب شيئاً ، زارتنى زوجتى والدكتور حلمى وحاولا اثنائى عن الاضراب فلم يفلحا وازددت اصراراً ، وجاء محام منتدب ليزورنى فرفضت .

يوم الجمعة ١٨ يوليو ١٩٥٢

عاشر ايام الاضراب .. أتالم الما مادياً ومعنوياً .. اذ تمر علىّ الأيام فى ظلام دامس ... ليس من يسأل أو يهتم .. تكتب التقارير الطبية التى تدل على سوء الحال ولكن لا تحرك لدى المسئولين ساكنا . وكل أملى هو فى الله .

يوم السبت ١٩ يوليو ١٩٥٢

حادى عشر ايام الاضراب تزداد آلامى . زارنى الأستاذ محمد عصفور فلم اتمكن من الحديث معه . وزارنى بالليل رغم انفى الظاهر حسن احمد ولم أرد عليه سوى بكلمة واحدة وهى الا يترافع عنى وأن ينسحب .

يوم الاحد ٢٠ يوليو ١٩٥٢

ثانى عشر أيام الاضراب . سوف أتحدث عن حالتى الصحية وشعورى وآلامى اذا قدر لى أن اخرج من هذا الاضراب .

نشا فى نفسى شعور غامض محلت العقدة التى فى نفسى .. لم اعد اجد غضاضة فى ان اتلع عن الاضراب .. ولكن ما هو السبيل الى ذلك .. السبيل بطريقة تخرجنى منصورا .

ولاول مرة قبلت فى الليل ان اتناول نقطا من الكورامين لتقوية القلب وقطعة صغير من السكر .

يوم الاثنين ٢١ يوليو ١٩٥٢

بدات حالتى لا تطاق وانى أصرخ طوال الليل ان يأخذ الله بناصرى . جوفى يحترق .

استيقظت فى الصباح لاسمع نبا غريباً ، لقد استقالت وزارة حسين سرى . التى لم تؤلف الا منذ أسبوعين فقط .

وقد انعشنى النبا الى حد ما وبدأت اتعلق به تعلق الغريق بالقشة .

وزارتنى زوجتى والدكتور حلمى وقد قصا على أن سبب استقالة حسين سرى هو ازمة خاصة بالجيش فقد اصدر الملك امره باغلاق نادى الضباط وأصر الضباط على فتحه .

كان الدكتور حلمى متحمسا وكان يلح على أن اقلع عن الاضراب ولقد طمانتهما لأول مرة وافهمتهما ان العقدة التى فى نفسي زالت وانى على استعداد للعدول اذا تاجلت القضية .

اليوم الخامس عشر من الاضراب .. أصبحت نفسى تنازعنى

يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو ١٩٥٢

للعدول عن الاضراب ولكننى لا أعرف السبيل .

فوجئت بالهلالى يؤلف الوزاره من جديد وعودة مرتضى المراغى وسلطان حافظ عفيفى .

جعلنى ذلك فى حالة سيئة جداً وعدت الى تشبثى بالاضراب وحاول الأطباء بعد ان راوا سوء حالتى أن يغذونى بالوسائل الصناعية فتشاجرت مع الجميع وطلبت من الممرضين أن يغادروا الحجرة وأن يغلقوا علىّ الباب وقد ملئت بالغيظ . وعاودنى الاصرار على مواصلة الاضراب ولذلك فلن اتناول نقط الكورامين هذا المساء . وليكن الله فى عونى .

ان كل ما يحيط بى يدعو الى اليأس ولكنى أنظر دائماً الى السماء واهتف بالقادر ان يخلصنى وان يخرجنى مما أنا فيه من ضيق .

فى المساء :

طالعت فى الصحف أقوال شهود النفى وهم على ماهر وادجار جلاد وجلال ندا وعلى الغاياتى فرضيت بعض الرضا لشهادة على الغاياتى التى تفيض اخلاصاً ووفاء ، وشهادة جلال ندا الذى شهد بكل ما كنت اتمنى ان يشهد به . اما على ماهر فقد صدمنى صدمة شديدة بشهادته الملتوية والتى حاول بها ان ينكر معرفتى باكثر مما يعرفه بعض ابناء شمال افريقيا أو ابناء السودان .. ان على ماهر منافق عظيم فلا حول ولا قوة الا بالله .

يوم الاربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢

يافرج الله ويا قوة الله م هذه الاخبار التى فوجئت بها فى الصباح . انها رسالة الهية .. انها لفتة ربانية تصيح بى ايها النائم قم فقد نظر الله لآلامك وسمع لتضرعاتك .. ها هو يظهر قدرته ، ها هو يضرب .. يضرب بشدة على يد هؤلاء الطغاة الذين ظنوا انهم آلهة فى الارض .

فتحت عينى فاذا بى اسمع من الموظفين حديثاً يدل على ان شيئاً ما يجرى .. ثم قصوا علىّ انباء مثيرة .. انباء لا تكاد تصدق ولكنها حقائق ، ان الجيش قد قام بحركة واحتل مدينة القاهرة واذاع اللواء محمد نجيب نداء فى الاذاعة يعلن فيه بوصفه القائد العام للقوات المسلحة انه قد قام بعملية تطهير فى الجيش .

وكان ذلك يدل على ان شيئاً خطيراً سيقع .

واعلنت حالة الطوارىء فى السجن ولم يخرج المسجونون الى الجلسة .. وهكذا وقع الحادث الذى كنت اتصور دائماً امكان حدوثه ، ان تؤجل القضية بعمل مادى .. كان يمرض أحد الاعضاء فى المحكمة او ان يصاب بحادث .. كنت اترقب من الله من لحظة لأخرى أن يحدث شىء من ذلك .

ولكن لم يدر بخلدى ابداً ان يقع انقلاب ليكون هو سبب التاجيل .

وكانت حالتى الصحية قد وصلت الى اسوا حالاتها ، هبط ضغط الدم الى ٧٠/٩٠ وهى علامة جعلت الدكتور فى فزع ،وتحالف الاطباء على ان اغذى ولو بالقوة .. وكانت هذه التطورات قد جعلتنى مستعداً للعدول فعلا عن الاضراب ، ولكنى فى انتظار

ما يحدث في القضية ، فقد تواصل المحكمة النظر فيها حتى في غياب جميع المتهمين .

وفجأة دخل على الدكتور حلمي مراد وزوجتي وكأنهما هبطا على من السماء فقد كان آخر ما افكر فيه امكان ان يزوراني في هذا اليوم العصيب . وسألت عن القضية فقيل انها تأجلت اسبوعا وكان هذا هو آخر ما اريد لكي اعدل عن إضرابي وبدأت استمع الى تفاصيل ما يجرى في الخارج وكيف احتل الجيش الداخلية والحدود والاذاعة وهو يرابط في الطرقات واننا بصدد انقلاب شامل .

ولو كان باستطاعتي لسجدت لله شكراً ولكن قلبي كان يسجد وروحي كانت تسبح وتهلل بحمده .. انه شعاع من النور جديد يضيء لي الظلمات ويقوى في معنويتي .

وتناولت كوبا من الشاى وشربت وكان ذلك اشبه بالقنبلة ، لقد سرى البشر والفرح في وجوه الجميع اطباء وممرضين وسجانين واقبل الجميع يهنئون .. ويغمرونني بدعواتهم .

يوم الخميس ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢

انقشع الغبار وبدات معالم المعركة التى جرت بالامس تتجلى بكل تفاصيلها ونتائجها .

هانذا اجلس من جديد على فراشى لاكتب هذه المذكرات منذ يوم ١٧ حتى اليوم .

نجحت حركة الجيش نجاحاً كاملا ورائعا . سقطت وزارة نجيب الهلالى وتألفت وزارة على ماهر بناء على طلب الجيش .

الجيش الآن هو سيد الموقف هو الذى طرد حيدر وعين محمد نجيب قائداً عاما للقوات المسلحة وقد صدر امر الملك بتعيينه .

هزيمة القصر ساحقـة ليس فقط فى هذه الآونة . بل وفى المستقبل فقد كان الجيش هو آخر خطوط الدفاع وقد انهار الآن هذا الخط .

لقد أعلن قائد الجيش الجديد أنه سيكون فى خدمة الدستور وإن الجيش سيكون جيش الشـعب لم يشر الي الملك من قرب أو بعـد .

لا يمكن أن يسلم الملك بهذه السهولة .. على كل حال لقد احنى راسه هذه المرة للعاصفة ودعى علي ماهر لتأليف الوزارة .

المستقبل ملىء بالاحتمالات التى لا اول لها ولا آخر كل الذى ارجوه الآن من الله سبحانه ان يجعل هذا التطور الجديد نقطـة تحول فى قضيتى .

عجيب أمر علي ماهر .. خاطبته في التليفون يوم ٢٤ يناير ودعوته لأن يكون رئيساً للحكومة فاصبح رئيساً لها فى ٢٨ يناير ، وكان يشهد فى قضيتى فى يوم ٢٣ يوليو وفي يوم ٢٤ يوليو كـان رئيساً للوزارة .. انه لا يمكن ان يفكر في ذلك بطبيعة الحال .

اننى أستقبله فى وزارته فى كثير من التحفظ لقد علمتنى الالام والايام ان اتحفظ .

وانى اشعر اليوم بكثير من التحفظ وساجعل كل همى منـذ الآن متجها نحو القضية .

فليكن الله فى عـونى .

الجمعـــة ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٢

الله أكبر .. الله اكبر ، الى اى طريق نحن سائرون .. ماذا اعد لى الله فى مكنون علمه . ايكون هذا الذى حدث هو الفصـــل النائم ثم فقد نظر الله لآلامك وسمع لتضرعاتك .. ها هو يظهر أم أن الساعة لم تحن بعد ..

لقد نمت بالأمس لاول مرة منذ ثلاثة اسابيع تقريباً نومـــاً عميقاً حتى اننى لم اصل الفجر لاول مرة فى وقته ، ولم اسمـــع الآذان بل لم اسمع أجراس السجن ، وهى تدق ، وعندما فتحت عينى كان نور النهار يغمر المكان فصليت لله .. ودعوته وهـــو القادر .. دعوته وهو الذى أطعمنى بعد أن أجاعنى وانامنى بعد ان اسهرنى وشفانى بعد ان اسقمنى .. دعوته وهو الذى يردنى الى الحياة .. الى الأمل .. دعوته وهو الذى احدث هذه الاحداث وقلب هذه الانقــلابات .

وجاءت الصحف وكانت تحوى أجمل خبر طالعته منذ بـــدأ الانقلاب كانت تحوى نبأ اعتقال احمد طلعت وابراهيم امـــــام والجزار ، هؤلاء الذين لفقوا ضدى وعاشوا طـــوال عمرهم على الكيد لى وهم يتدرجون فى الرتب على حسابى ، جاء الوقت الذى اعتقلوا فيه .. جاء الوقت الذى احسوا فيه بلذعة الخوف والرعب وهم يساقون الى الاعتقال .

واذاع عنهم محمد نجيب بلاغاً أرى من حقه ان اثبته بنصه :

الى شعب وادى النيل ..

بعد ان تم بحمد الله للقوات المسلحة اقرار الأوضاع والأمن العام فى العاصمة نمى الينا من أوثق المصادر أن بعض ضبـــاط

القلم السياسى والقسم المخصوص بوزارة الداخلية يتآمرون على الاخلال بالامن العام — الذى تضامنا مع هيئات البوليس محافظة عليه ـ مما دعانا للقبض على الآتين بعد :

اللواء عبد المنصف محمود وكيل وزارة الداخلية .

اللواء احمد بك طلعت حكمدار العاصمة .

اللواء محمد ابراهيم امام رئيس القسم المخصوص .

البكباشى محمد الجزار من القسم المخصوص .

البكباشى محمد الجزار من القسم المخصوص .

ثم تحدث البيان بعد ذلك الى الشعب ، واذا علمت ان ابراهيم امام وان الجزار بالذات هما اللذان عملا على تلفيق هذه القضية ضدى ادركت مقدار رحمة ربى .. مقدار النـور الذى يرسله الى حياتى .. يارب .. يارب اجعل ذلك بدء الخير .. اجعل ذلك بدء الفرج .. اجعل ذلك بدء النصر .

ما انا الا عبدك . انت وحدك تعلم من انـا .. مـاذا فى جوانحى .. أنت وحدك الذى تقدر صدق طويتى ونواياى .

السبت ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

فى كل يوم نبأ مثير ، فى كل يوم نبأ خطير ، فى كل يوم وفى كل ساعة وفى كل دقيقة اسجد لله العلى القدير ان جعلنى اعيش حتى ارى تحقق الأحلام .

استبقال بالامس الباشا اندراوس وانطونيو بوللى وحلمى حسين ويوسف رشاد وحسن عاكف وكل هذه الطغمة من حاشية

الملك ، وان هى الا لحظات حتى كانوا يقلقلون ؟ وهكذا ما حوكمت عليه بالامس على انه جريمة عيب كبرى فى حق الملك قد اصبح هو فضيلة اليوم .

لقد حكم على بالحبس سنة ونصف لهجومى على هذا النفر وتلقيبهم بالعصـــابة والمناداة بتطهير البلاد منهم وها هم يستقيلون وها هم يقبض عليهم فالله اكبر الله اكبر الله اكبر .

وقيل ان حافظ عفيفى قد اســتقال وقبلت استقالته ... وهذا خبر اذيع اكثر من مرة ثم اتضح انه ســـابق لأوانه ولا جدال ان حافظ عفيفى فى طريقه الى الاستقالة . وضم الى المعتقلين من رجال القسم السياسى محمد يوسف ، وهؤلاء الثلاثة محمد يوسف والجزار وابراهيم امام هم اصحاب التقارير الثلاثة فى قضيتى .

واعتقل مصطفى امين وعلى امين وكان آخر العهد بهما محاولتهما استغلال اقوال عبد الفتاح حسن فنشروا فى الصفحة الاولى ان عبد الفتاح حسن يوجه الى اتهاما خطيرا .

لم افرح لاعتقالهما ولم أحزن وأن كنت أعتقد أن الشعب فى منتهى الفرح لاعتقالهما .

وافرج عن الأستاذ فتحى رضوان ويوسف حلمى وكنت اعتبر ان استمرار اعتقال فتحى رضوان هو مقياس لاستمرار سياسة القصـــر وخروجهما يدل على أن القصـــر على الاقل فى هذه اللحظات لم يعد له وجود .

ان الشعب فرح جدا بهذا الانقلاب ويشيد به وكعادة المصريين لا يعرفون سوى التعبير بالكلام ، ولذلك فان هذه الموجة

من الفرح والحماســـة لمحمد نجيب لن تغنيه شـيئا اذا بدات العناصر المفسدة تتحرك ضده .

وليس هناك ما اخشـاه الآن على حركة محمد نجيب اكثر من خشيتى من على ماهر شخصيا فهو رجل من رجالات القصر ومن رجالات الطبقة الحاكمة ، ولذلك فسيكون هـــو المعول الذى يهدم حركة الجيش بالتدريج ، انه يقابل الآن رجال الأحزاب ويتحدث عن جمع الصـــفوف ، والصـــفوف عنده هى هيكل وابراهيم عبد الهادى والوفد ، وهى ذات الدعوة السمجة التى طالما تحدث عنها ، الصفوف عند على ماهر ليســـت صفوف الشعب ولكنها صـــفوف الباشــوات والكبراء ومادامت هذه عقليته فانى فى خوف منه على هذه النهضة المباركة .

عدت الآن الى تناول الغذاء وما خرجت من حالة الأضراب فى مرة من المرات الا واحسست بمقدار الهوة التى كنت قد انحدرت اليها ، فانا الآن فى حالة شديدة من الضعف لا اقوى على الحركة الا بصـــعوبة وبالرغم من أننى اتغذى منذ اربعـــة أيام فلازلت اذهب الى دورة المياه محمولا على نعش متحرك ، ولقد حلقت ذقنى فافزعنى منظرى بعد الحلاقة ، لقد وجدت وجهى اشبه الأشياء بالكاريكاتور فيه فجوات نتوءات من العظام . وساعمل ان شاء الله على الذهاب الى جلســة يوم ٣٠ فعسى أن استرد بعض قوتى قبل هذا التاريخ .

انا الآن شديد الثقة .. أريد ان أواجه القضية باى صورة من الصور .

ولست استطيع ان اتخيل كيف ستمضى الأمور فى الجلســة المقبلة ، والأمور تتطور هذه التطورات الحادة .

منتصف ليل ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

الراديو يدوى على البعد بأنباء لم يكن هناك عقل يتصورها منذ ساعات قلائل .. الملك فاروق يتنازل عن العرش لولى العهد الطفل احمد فؤاد الثانى .. لقد أتانى الخبر منذ نصف ساعة بأن محمد نجيب يخطب فى الراديو وهو غاضب حانق والشعب يهتف فليسقط الملك عدو الشعب ، وكان هذا عجيبا من أعجب العجب . وبعد قليل جاء محدثى وهو منفعل ويصيح لقد تنازل الملك عن العرش .. وعلى الرغم من ضخامة هذا الخبر فلم يحرك فى نفسى ساكنا .. انه ككل الأنباء الضخمة جدا يقابلها الانسان بسكينة ، ومضيت أطالع فى احدى القصص كأن لم يحدث شيء .. ولكن صوت الراديو ارتفع حتى تخطى جدران السجن وبدأت أسمع نبأ تنازل الملك وصوت فاروق وهو يعلن ذلك وعلى ماهر وهو يعقب .. واذن فالأمر جد .

وما كان يبدو مستحيلا منذ ساعات قد اصبح حقيقة مقررة ، هكذا تطورت الأمور فى أقل من خمسة أيام من حركة صغيرة محلية فى الجيش الى حركة واسعة شاملة ادت الى نزول الملك عن العرش .

وفى هذه اللحظات .. ترى هل تذكر مصر أننى رهين السجن الآن متهما بهذه التهم الخطيرة لأننى كنت أول من تحدى فساد الملك فاروق . .هل يذكر الشعب أن الاشتراكية هى التى هتكت ستار هذا الملك المستهتر وتحدته حتى انتهى الأمر باقتلاعه ؟

ان فاروق نفسه لن ينسى ذلك ما عاش .. وكل بطانته قد أعلمته أن أحمد حسين هو الذى كاد له ولذلك فقد أناخ على بكلكله .

والآن ماذا سيكون مصيرى .. ما هو مصير قضيتى ؟ ان ذلك هو الذى يشغل بالى .. وما جدوى كل هذه الأحداث اذا لم تنته بوضع حد لسجنى واتهامى .. ومرة أخرى اتجه صوبك يارب .. أنت وحدك الذى تعلم من أنا وأين مكانى من هذه الحوادث .. فما تكلمت الا بقوتك وما كتبت الا بدفعك وما تظرفت الا بقدرتك ..

فأما وقد وصلت الأمور الى هذا الحد فاتم نعمتك على وأنقذنى .. خلصنى .. واخرجنى من هذه الغمة مرفوع الرأس موفور الكرامة كما عودتنى دائما ..

يوم الأحد ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير » .

هكذا راح المقرىء يرتل بصوت جميل هذه الآية فى هذا الصباح والدموع تنحدر من عينى وقلبى ملىء بالعواطف ، انها ليست آية ترتل انها تصف هذا الانقلاب الذى تم بالأمس والذى أصبح اليوم حقيقة .

نزل فاروق عن العرش .. وبالأمس بارح مصر الى ايطاليا فالأمر حق .. حق .. يا سبحان الله العظيم .. يا سبحان الله

التدبير .. هل كان هناك انســان يجرؤ على تصور امكان حدوث ذلك منذ أسـبوع واحد فقط والملك فاروق هو ذروة السـلطان والطغيان والجبروت !

ولكن فاروق ذهب .. ولكن فاروق رحل ورحلت معه الملكية في مصر الى الأبد .. حقاً لا يزال هناك ملك وهو هذا الطفل فؤاد الثانى ولكن من الذى سيقيم له وزنا .. من الذى سيحافظ له على الملك .. ان الكلمة اليوم هى للشعب ، ان الأمة مصدر السلطان ، السيادة اليوم هى للشعب .. وهو ما جاهدت من أجله ، وتعذبت من أجله وحبست من اجله .. واتهمت هـذا الاتهام من اجله ..

لقد انتصر كفاحى .. لقد تحققت نبوءاتى .. ولكنى لم أكن اتصــور ان النهاية تأتى بهذه السرعة وبهذه البسـاطة وبهذه التفاهة ، لقد اقتلع فاروق الذى كان يظن انه كالطود .. اقتلع فى بضع ساعات ولم تتحرك فى مصر كلها قطة واحدة لتدافع عنه .. كل من فى مصر انقلب ضده وخذله .. حراسه .. حاشيته الباعة .. لقد وجد فاروق نفسـه وحيداً ولم يجد إلا أن ينقذ نفسـه وينقذ جلدة وهذا هو ما وضع فيه همة فى آخر لحظة شأن كل جبان رعديد .

واليوم سوف تنفجر كل قرى مصر وخيوتها .. واليوم يسكر الشعب بخمر الانتصار .. ولكن ماذا سيحدث فى المستقبل ؟ ماذا سيجرى ؟ يقع كل ذلك علمه عند الله .

ونحن .. أين مكاننا وسط هذه الأحداث .. نحن الذين مهدنا لها وحرضـنا عليها ودفعنا أول المشتريين ثمنها من حريتنا وشلالنا .. ما الذى ينتظرنا .

لست اشعر بذرة من القلق فالله الذى احدث هذا الذى حدث هو الذى سيخرجنا بسلام ، هو الذى سيخرجنا فائزين .

ولأول مرة تلقيت تحية من بعض الزملاء من خارج السجن تحية الدكتور زيتون ، وطالعت فى الصحف اشارة الى مذكرة قدمها الحزب الاشتراكى الى محمد نجيب بعد الانقلاب .. الآن لقد بدا اخواننا يشـــعرون بوجودهم .. فلنؤمل خيراً .. لنسجد لله شكرا .. لنبتهل الى الله .. لنبتهل الى الله .

صدر في هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل في محكمة التاريخ .
د. عبد العظيم رمضان ، ط١ ١٩٨٧ ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

٢ ـ على ماهر .
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧ .

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة .
عبد السلام عبد الحليم عامر ١٩٨٧ .

٤ ـ التيارات الفكرية في مصر المعاصرة .
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧ .

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطىء المصرية في العصور الوسطى
د. علية عبد السميع الجنزوري ، ١٩٨٧ .

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ج١ ، لمعي المطيعي ، ١٩٨٧ .

٧ ـ صلاح الدين الأيوبي .
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧ .

٨ ـ رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية .
د. على بركات ، ١٩٨٧ .

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل .
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧ .

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية .
محمود فوزي ، ١٩٨٧ .

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية .
شكري القاضي ، ١٩٨٧ .

١٢ ـ هدى شعراوي وعصر التنوير .
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨ .

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصري للسودان : رؤية تاريخية .
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ١٩٨٨ ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

١٤ ـ مصر في عصر الولاة ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية .
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨ .

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الاسلامي .
د. على حسني الخربوطلي ، ١٩٨٨ .

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ـ ١٩٥٢) •
د• حلمى احمد شلبى • ١٩٨٨ •

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى •
د• محمد نور فرحات ، ١٩٨٨ •

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية •
د• على السيد محمود ، ١٩٨٨ •

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين •
د• أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨ •

٢٠ ـ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى •
د• محمد انيس ،ط٢ ، ١٩٨٨ •

٢١ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج١ •
• توفيق الطويل ، ١٩٨٨ •

٢٢ ـ نظرات فى تاريخ مصر •
جمال بدوى ، ١٩٨٨ •

٢٣ ـ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى •
د• توفيق الطويل ، ١٩٨٨ •

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) •
د• نجوى كامل ، ١٩٨٩ •

٢٥ ـ المجتمع الاسلامى والغرب •
تاليف : هاملتون جب وهارولد بروين •
ترجمة • د• احمد عبدالرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ •

٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة •
د• سعيد اسماعيل على • ١٩٨٩ •

٢٧ ـ فتح العرب لمصر ج١ •
تاليف الفريد • ج بتلر ،
ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩ •

٢٨ ـ فتح العرب لمصر ج٢ •
تاليف : الفريد ج • بتلر ،
ترجمة : محمد فريد ابوحديد ١٩٨٩ •

٢٩ ـ مصر فى عهد الاخشيديين •
د• سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩ •

٣٠ ـ الموظفون في مصر في عهد محمد علي :
د. حلمي أحمد شلبي .
١٩٨٠ .

٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية .
شكري القاضي ، ١٩٨٩ .

٣٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعي المطيعي ، ١٩٨٩ .

٣٣ ـ مصر وقضايا الجنوب الافريقي : نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية .
د. خالد محمود الكومي ،
١٩٨٩ .

٣٤ ـ تاريخ العلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ .
د. يونان نجيب رزق ،
محمد مزين ، ١٩٩٠ .

٣٥ ـ اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكي ،
١٩٩٠ .

٣٦ ـ المجتمع الاسلامي والغرب جـ٢ .
تأليف : هاملتون بوون ،
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠

٣٧ ـ الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن .
تأليف . د. سليمان صالح ،
١٩٩٠ .

٣٨ ـ فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني .
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .

٣٩ ـ قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ ـ ١٨٢٧) .
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠ .

٤٠ ـ الاسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨ .
د. عبد المنعم الدسوقي الجميعي ، ١٩٩٠ .

٤١ ـ محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية .
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١ .

٤٢ ـ تكوين مصر عبر العصور
محمد شفيق غربال ، ط٢ ،
١٩٩٠ .

٤٣ ـ رحلة في عقول مصرية .
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠ .

٤٤ ـ الاوقاف والحياة الاقتصادية في مصر ، في العصر العثماني .
د. محمد عفيفي ، ١٩٩١ .

٤٥ ـ الحروب الصليبية جـ١ ٠
تأليف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم : د٠ حسن حبشى ، ١٩٩١ ٠

٤٦ ـ تاريخ العلاقات المصرية الامريكية (١٩٣٩ :١٩٥٧)
ترجمة : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو ، ١٩٩١ ٠

٤٧ ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث ٠
د٠ لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١ ٠

٤٨ ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطي والعصر الإسلامى ٠
د٠ زبيدة عطا ، ١٩٩١ ٠

٤٩ ـ العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،
د٠ عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢ ٠

٥٠ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ٠
د٠ سهير إسكندر ، ١٩٩٣ ٠

٥١ ـ تاريخ المدارس في مصر الاسلامية ٠
(ابحاث الندوة التي اقامتها لجنة التاريخ والاثار بالمجلس الاعلى للثقافة ، فى ابريل ١٩٩١) ؛
اعدها للنشر : د٠ عبدالعظيم رمضان ، ١٩٩٢ ٠

٥٢ ـ مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر ٠
د٠ الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢ ٠

٥٣ ـ اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ٠
د٠ محمد كمال الدين عز الدين علي ٠ ١٩٩٢ ٠

٥٤ ـ الاقباط في مصر فى العصر العثمانى ٠
د ٠ محمد عفيفى ، ١٩٩٢ ٠

٥٥ ـ الحروب الصليبية جـ٢ ٠
تاليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د٠ حسن حبشى ، ١٩٩٢ ٠

٥٦ ـ المجتمع الريفي في عصر محمد على : دراسة عن إقليم المنوفية ٠
د٠ حلمي احمد شلبى ، ١٩٩٢ ٠

٥٧ ـ مصر الاسلامية واهل الذمة
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٣ ٠

٥٨ ـ احمد حلمي سجين الحرية والصحافة ،
د٠ ابراهيم عبد الله المسلمى ١٩٩٣ ٠

٥٩ ـ الرأسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصير الى التأميم (١٩٥٧ ـ ١٩٦١) .
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣ .

٦٠ ـ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣ .

٦١ ـ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث .
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ .

٦٢ ـ هؤلاء الرجال من مصر جـ٣ .
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣ .

٦٣ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية .
تأليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدها للنشر : د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣ .

٦٤ ـ مصر وحقوق الانسان ، بين الحقيقة والافتراء : دراسة وثائقية .
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٩٣ .

٦٥ ـ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ـ ١٩١٧)
د. سهام نصار ، ١٩٩٣ .

٦٦ ـ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى .
د. نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٣ .

٦٧ ـ مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الاصول التاريخية .
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان ، ١٩٩٣ .

٦٨ ـ الحروب الصليبية جـ٣ .
تأليف : وليم الصورى
ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ١٩٩٣ .

٦٩ ـ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ـ ١٩٥١) .
د. محمد أبو الاسعاد ، ١٩٩٣ .

٧٠ ـ اهل الذمة فى الاسلام .
تأليف : أ. س. ترتون ،
ترجمة وتعليق : د. حسن حبشى ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

٧١ ـ مذكـــرات اللورد كليـــرن (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) •
اعداد : تريفور ايفـــانز ،
ترجمـة : د• عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٤ •

٧٢ ـ رؤيـة الرحالـة المســلمين للاحوال المالية والاقتصادية فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ) •
د• امينـة احمد امـــام ،ـ ١٩٩٤ •

٧٣ ـ تاريخ جامعة القاهرة •
د• رؤوف عباس حـــامد ، ١٩٩٤ •

٧٤ ـ تاريـخ الطب والصــيدلة المصرية ، جـ١ ، فى العصر الفرعونى •
د• سمير يحيى الجمـــال ، ١٩٩٤ •

٧٥ ـ اهل الذمة فى مصـر ، فى العصر الفاطمى الاول •
د• سلام شـافعى محمود ، ١٩٩٥ •

٧٦ ـ دور التعليم المصـــرى فى النضـــال الوطنى (زمـن الاحتلال البريطانى) •
د• سعيد اسـماعيل على ، ١٩٩٥ •

٧٧ ـ الحروب الصليبية جـ٤ •
تاليـف : وليـم الصـــورى ،
ترجمة وتعليق : د• حسن حبشى ، ١٩٩٤ •

٧٨ ـ تاريخ الصحافة السـكندرية (١٨٧٣ ـ ١٨٩٩) •
نعمات احمد عثمان، ١٩٩٥ •

٧٩ ـ تاريخ الطرق الصـوفية فى مصر ، فى القرن التاســـع عشر •
تاليف : فريد دى يونـــج ،
ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٥ •

٨٠ ـ قنـاة الســويس والتنافس الاستعمارى الاوربى (١٨٨٢ ـ ١٩٠٤) •
د• السيد حسين جـلال ، ١٩٩٥ •

٨١ ـ تاريخ السياسة والصـحافة المصرية من هزيمة يونيو الى نصر اكتوبر •
د• رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ـ مصر فى فجر الاسلام ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية •
د• سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤ •

٨٣ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ١
احمد شفيق باشا ، ط٢ ، ١٩٩٤ •

٨٤ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ القسم الاول ·
احمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥ ·

٨٥ ـ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ـ ١٩٥٢) ·
د· حلمى أحمد شلبى ، ١٩٩٥ ·

٨٦ ـ تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ـ ١٩١٤) ·
د· احمد الشربينى ، ١٩٩٥ ·

٨٧ ـ مذكرات اللورد كليرن ، جـ٢ ، (١٩٣٤ ـ ١٩٤٦) ·
اعداد : تريفور ايفانز ،
ترجمة وتحقيق : عبدالرؤوف احمد عمرو ١٩٩٥ ·

٨٨ ـ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ··
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥ ·

٨٩ ـ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ·
د· عبد الحميد حامد سليمان ١٩٩٥ ·

٩٠ ـ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ·
د· نريمان عبد الكريم أحمد ١٩٩٦ ·

٩١ ـ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ·
تاليف : بيكر مانسفيلد ،
ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦ ·

٩٢ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ·
جـ٢ ، د· نجوى كامل ، ١٩٩٦ ·

٩٣ ـ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ـ ١٩٥٨) ،
د· نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،
د·سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ـ مصر وافريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الافريقية المعاصرة (اعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة) ،
اعداد أ·د· عبد العظيم رمضان

٩٦ ـ عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠) .
بتأليف : مالكولم كير . ترجمة
د. عبد الرؤف أحمد عمرو .

٩٧ ـ العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر .
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر .

٩٨ ـ هيكل والسياسة الأسبوعية .
د. محمد سيد محمد .

٩٩ ـ تاريخ الطب والصيدلية المصرية (العصر اليوناني ـ الروماني) ج ٢ .
د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ ـ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة
أ.د. عبد العزيز صالح
أ.د. جمال مختار ، أ.د. محمد ابراهيم بكر ، أ.د. ابراهيم نصحى ، أ.د. فاروق القاضى .
اعدها للنشر : أ.د. عبد العظيم رمضان .

١٠١ ـ ثورة يوليو والحقيقة الغائبة .
اللواء / مصطفى عبد المجيد نصير .
اللواء / عبد المجيد كفافى
اللواء / سعد عبد الحفيظ .
السفير / جمال منصور

١٠٢ ـ المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ .
د. تيسير أبو عرجة .

١٠٣ ـ رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره .
د. علي بركات

١٠٤ ـ تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢)
د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ السلطة السياسية في مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ ـ ١٩٨٧ .
د. أحمد فارس عبد المنعم .

١٠٦ ـ الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن) .
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ الأصولية الاسلامية .
تأليف : دليب هيرو : ترجمة :
عبد الحميد فهمى الجمال .

١٠٨ ـ مصر للمصريين ج ٤ .
سليم النقاش

١٠٩ ـ مصر للمصريين ج ٥ .
سليم النقاش

١١٠ ـ مصادرة الأملاك في الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ١ .
د. البيومي اسماعيل الشربيني .

١١١ ـ مصادرة الأملاك في الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ج ٢ .
د. البيومي اسماعيل الشربيني .

١١٢ ـ اسماعيل باشا صدقى .
د. محمد محمد الجوادى .

١١٣ ـ الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) .
د. عز الدين اسماعيل .

١١٤ ـ دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى .
تأليف أحمد رشدى صالح .

١١٥ ـ مذكراتى فى نصف قرن ج ٢ .
أحمد شفيق باشا .

١١٦ ـ اديب اسحق (عاشق الحرية).
علاء الدين وحيد .

١١٧ ـ تاريخ القضاء فى مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨) .
عبد الرزاق ابراهيم عيسى .

١١٨ ـ النظم المالية فى مصر والشام
د.البيومى اسماعيل الشربينى .

١١٩ ـ النقابات فى مصر الرومانية
حسين محمد أحمد يوسف .

١٢٠ ـ يوميات من التاريخ المصرى الحديث .
لويس جرجس .

١٢١ ـ الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ ـ ١٩٥٤) .
د.محمد عبد الحميد الحناوى .

١٢٢ ـ مصر للمصريين ج ٦ .
سليم خليل النقاش .

١٢٣ ـ السيد أحمد البدوى .
د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

١٢٤ ـ العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن .
د. محمد نعمان جلال .

١٢٥ ـ مصر للمصريين ج ٧ .
سليم خليل النقاش .

١٢٦ ـ مصر للمصريين ج ٨ .
سليم خليل النقاش .

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) .
ابراهيم محمد محمد ابراهيم .

١٢٨ ـ معارك صحفية .
بقلم / جمال بدوى .

١٢٩ ـ الدين العام (واثره فى تطور الدين المصرى) (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) .
د. يحيى محمد محمود .

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧) .
سمير فريد .

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢ .
ترجمة / د. عبد الرءوف أحمد عمرو .

١٣٢ ـ دار المندوب السامى فى مصر ج ١ .
د. ماجدة محمد حمود .

١٣٣ ـ دار المندوب السامى فى مصر ج ٢
د٠ ماجدة محمد حمود ٠

١٣٤ ـ الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى ٠
بقلم / عزت حسن أفندى الدارندلى ترجمة / جمال سعيد عبد الغنى ٠

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكية (فى ضوء وثائق الجنيزة)٠ (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧) د٠ محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ أوراق يوسف صديق ٠
تقديم / أ٠د٠ عبد العظيم رمضان ٠

١٣٧ ـ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى ٠
د٠ محمد عبد الغنى الأشقر ٠

١٣٨ ـ الاخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والارهاب فى مصر ٠
السيد يوسف ٠

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين ٠
بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الاحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥ هـ/ ١٨١١ ـ ١٨٤٨ م ٠
طارق عبد العاطى غنيم بيومى ٠

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك ٠
لطفى أحمد نصار ٠

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن ج ٢
أحمد شفيق باشا ط ٢ ، ١٩٩٩

١٤٣ ـ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق٠م ٠
د٠ منيرة محمد الهمشرى ٠

١٤٤ ـ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل ٠
د٠ عبد العليم خلاف ٠

١٤٥ ـ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ـ ٣٠٥ م) ٠
د٠ منيرة محمد الهمشرى ٠

١٤٦ ـ المرأة فى مصر المملوكية ٠
د٠ أحمد عبد الرازق ٠

١٤٧ ـ حسن البنا متى ٠٠ كيف ٠٠ ولماذا ؟
د٠ رفعت السعيد ٠

١٤٨ ـ القديس مرقص وتأسيس كنيسة الاسكندرية .
تاليف / د. سمير فوزى .
ترجمة / نسيم مجلى .

١٤٩ ـ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر .
حسام محمد عبد المعطى .

١٥٠ ـ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها) .
د. سمير يحيى الجمال .

١٥١ ـ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة .
السيد يوسف .

١٥٢ ـ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .
د. مجاسن محمد الوقاد .

١٥٣ ـ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) .
د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٤ ـ هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الاسلامية فى العصور الوسطى .
د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٥ ـ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر .
(١٨٠٥ ـ ١٨٨٣ م) .
د. عبد الحميد البطريق .

١٥٦ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الاسلامى .
الجزء الثالث .
د. سمير يحيى الجمال .

١٥٧ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الاسلامى والحديث .
الجزء الرابع .
د. سمير يحيى الجمال .

١٥٨ ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .
د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الأول .
د. محمد فريد حشيش .

١٦٠ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) الجزء الثانى .
د. محمد فريد حشيش .

١٦١ ـ السيف والنار فى السودان .
تاليف / سلاطين باشا .

١٦٢ ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣ م) .
د. تمام همام تمام .

١٦٣ ـ مصر والحملة الفرنسية .
المستشار / محمد سعيد الشماوى

١٦٤ ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (اعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقيـة بجامعة القاهرة « ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ » .
اعداد / د. عبد العظيم رمضان

١٦٥ ـ التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر (في القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم .

١٦٦ ـ مذكرات معتقل سياسي (صفحة من تاريخ مصر) .
السيد يوسف .

١٦٧ ـ الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي الى نهاية الدولة الاخشيدية .
د. صفي علي محمد عبد الله .

١٦٨ ـ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات .
يسري عبد الغني .

١٦٩ ـ مدن مصر الصناعية في العصر الاسلامي الى نهاية الفاطميين (٢١ ـ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١ م) .
د. صفي علي محمد عبد الله .

١٧٠ ـ القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م) .
مجدي عبد الرشيد بحر .

١٧١ ـ تاريخ الجالية الارمنية في مصر القرن التاسع عشر .
تأليف / محمد رفعت .

١٧٢ ـ تاريـخ اهـل الذمة في مصر الاسلامية (من الفتح العربي الى نهايـة العصر الفاطمي) الجزء الأول .
تأليف / فاطمة مصطفى عامر .

١٧٣ ـ تاريخ اهـل الذمة في مصر الاسلامية (من الفتح العربي الى نهايـة العصر الفاطمي) الجزء الثاني .
تأليف / فاطمة مصطفى عامر .

١٧٤ ـ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م .
د. أحمد عبد الحليم دراز .

١٧٥ ـ محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية .
عادل ابراهيم الطويل .

١٧٦ ـ الملاحـة الدوليـة في مصر العثمانية (١٥١٧ ـ ١٧٩٨ م)
د. عبد الحميد حامد سليمان .

١٧٧ ـ سياسة مصر العسكرية ازاء حروب الشرق الأوسط .
لواء دكتور / صلاح سالم .

١٧٨ ـ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر .
د. سحر علي حنفي .

١٧٩ ـ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ـ ١٦٠٩ م)
د. عفاف مسعد السيد العبد .

١٨٠ ـ الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس .
بقلم / د. عبد العظيم رمضان

١٨١ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد ج١)
ترجمة وتحقيق وتعليق /
أ.د. حسن حبشى .

١٨٢ ـ الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد ج٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق /
أ.د. حسن حبشى .

١٨٣ ـ شاهد على العصر .
مذكرات محمد لطفى جمعة .

١٨٤ ـ المنوفية فى القرن الثامن عشر .
ياسر عبد المنعم محاريق .

١٨٥ ـ تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصرى .
د.أحمد أحمد سيد أحمد .

١٨٦ ـ العقائد الدينية فى مصر الاسلامية (بين الاسلام والتصوف)
د. أحمد صبحى منصور

١٨٧ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م /٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) ج ١
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ ـ نيابة حلب فى عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م / ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) ج ٢
د. عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ ـ يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفه عبده على

١٩٠ ـ العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١ ـ ١٩٦٣ م) .
د. عبد الحميد عبد الجليل احمد شلبى

١٩١ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر ج ١
د. محسن على شومان

١٩٢ ـ اليهود فى مصر العثمانية حتى اوائل القرن التاسع عشر ج ٢
د. محسن على شومان .

١٩٣ ـ الامام محمد عبده (بين المنهج الدينى والمنهج الاجتماعى)
د. عبد الله شحاته

١٩٤ ـ تاريخ الالات الموسيقية الشعبية المصرية ·
د· فتحى المتقاوى ·

١٩٥ ـ مجتمع افريقيا فى عصر الولاة
د· نريمان عبدالكريم احمد

١٩٦ ـ تاريخ تطور الرى فى مصر (١٨٨٢ ـ ١٩١٤م)
عبد العظيم محمد سعودى

١٩٧ ـ القدس الخالدة ·
د· عبد الحميد زايد

١٩٨ ـ العلاقات السياسية بين الدولة الايوبية والامبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية ·
د· عادل عبد الحافظ حمزة

١٩٩ ـ المعبد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية ·
د· بهاء الدين ابراهيم ·

٢٠٠ ـ تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور (اعمال الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والاثار بالمجلس الاعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الاداب ـ جامعة الاسكندرية من ٢٢ـ ٢٣ ابريل ١٩٩٨) اعداد /
د· عبد العظيم رمضان

٢٠١ ـ امارة الحج فى مصر العثمانية (٩٢٣ـ١٢١٣هـ / ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م)
سميرة فهمى على عمر

٢٠٢ ـ المدويون الساميون فى مصر
د· ماجده محمد حمود ·

٢٠٣ ـ الصراع الدولى على عدن والدور المصرى
فتحى ابو طالب ·

٢٠٤ ـ العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥ ـ ١٩٤٥م)
مرفت صبحى غالى

٢٠٥ ـ تاريخ الغربية وأعمالها فى العصر الاسلامى (٢١ ـ ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ ـ ١١٧١م)
السيد محمد احمد عطا ·

٢٠٦ ـ مصر للمصريين ج ٩
سليم خليل النقاش

٢٠٧ ـ الظاهر بيبرس ·
د· سعيد عبدالفتاح عاشور

٢٠٨ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت ج ٥
لواء / د· كمال احمد عامر ·

٢٠٩ ـ الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت ج ٢
لـواء/د٠ كمال احمد عامر

٢١٠ ـ قبرص والحروب الصليبية
د٠ سعيد عبدالفتاح عاشور

٢١١ ـ امارة الرها الصليبية
د٠ عليـه عبد السـميع الجنزورى

٢١٢ ـ العامة فى مصر فى العصر الايوبى (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ / ١١٧١ ـ ١٢٥٠م)
شلبى ابراهيم الجعيدى

٢١٣ ـ الازمات الاقتصـادية فى مصر فى العصر المملوكى واثرهـا السـياسى والاقتصـادى والاجتماعى (٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
عثمان على محمد عطا

٢١٤ ـ الثغور البرية الاسـلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى
د٠ عليـه عبد السـميع الجنزورى ٠

٢١٥ ـ الفتح الاسـلامى لمدينة كابول (٣١هـ / ٦٥١م)
د٠ اصـلاح عبد الحميـد ريحان ٠

٢١٦ ـ الرأسـمالية الاجنبيـة فى مصر (١٩٣٧ ـ ١٩٥٧) ج ١
د٠ فرغلى تسن هريدى ٠

٢١٧ ـ العيب فى الذات الملكيـة (١٨٨٢ ـ ١٩٥٢)
د٠ سيد عشماوى

٢١٨ ـ اقليم الغربية فى عصـر الايوبيين والمماليك (٥٦٧ ـ ٩٢٣هـ / ١١٧١ ـ ١٥١٧م)
د٠ السيد محمد احمد عطا

٢١٩ ـ ثـورة ١٩١٩ فى ضـوء مذكـرات سـعد زغلـول (١٩٥٣ ـ ١٩٦١)
د٠ عبد العظيم رمضان

٢٢٠ ـ التنظيمـات السـياسية لثورة يوليو
د٠ حمـادة حسنى أحمد محمد

٢٢١ ـ حرب النهر
وتستون تشرشل ٠
ترجمة عز الدين محمود

٢٢٢ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عـام ٣٣٢ ق٠م الجزء الاول
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٣ ـ مصر الخالدة (مقدمة فى تاريخ مصر الفرعونية منذ اقدم العصور حتى عام ٣٣٢ ق٠م الجزء الثانى
د٠ عبد الحميد زايد

٢٢٤ ـ الدور الوطنى للكنيسة المصرية عبر العصور
(اعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الاعلى للثقافة)
اعداد وتقديم
أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان ٠

٢٢٥ ـ مصر ودول حوض النيل
د٠ سيد محمد موسى حمد

٢٢٦ ـ السخرة فى حفر قناة السويس
د٠ عبد العزيز محمد الشناوى

٢٢٧ ـ العلاقات المصرية العثمانية على عهد الاحتلال البريطانى (١٨٨٢ ـ ١٩١٤)
امل محمود فهمى

٢٢٨ ـ تاريخ العالم الاسلامى الجزء الاول
د٠ حسن حبشى

٢٢٩ ـ ذيل وليم الصورى
ترجمة د٠ حسن حبشى

٢٣٠ ـ تاريخ الجيش المصرى فى عصور ما قبل التاريخ
د٠ عز الدين اسماعيل احمد

٢٣١ ـ الشوام فى مصر منذ الفتح العثمانى حتى أوائل القرن ١٩
د٠ سمير عبد المقصود السيد

٢٣٢ ـ الراسمالية الاجنبية فى مصر ج ٢
فرغلى على تسن هريدى

٢٣٣ ـ الفيلم التاريخى فى مصر
محمود قاسم

٢٣٤ ـ العلاقات المصرية الاثيوبية ج ١
د٠ انتونى سوريال عبد السيد

٢٣٥ ـ العلاقات المصرية الاثيوبية ج ٢
د٠ انتونى سوريال عبد السيد

٢٣٦ ـ مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادى عشر والثامن ق٠م
د٠ احمد محمد عبد الحليم دراز

٢٣٧ ـ حكومة مصر عبر العصور
(اعمال لجنة التاريخ
والآثار بالمجلس الأعلى
للثقافة من ٢٢ الى ٢٣
ابريل)
اعداد/ د· عبد العظيم
رمضان

٢٣٨ ـ الوليد بن عبد الملك
(٨٦ ـ ٩٦ هـ/٧٠٥ ـ ٧١٥ م)
د· سيدة اسماعيل كاشف

٢٣٩ ـ عبد العزيز بن مروان
د· سيدة اسماعيل كاشف

٢٤٠ ـ هنرى كوربيل · الاسطورة
والوجه الآخر
د· حسين كفافى

٢٤١ ـ تجار القاهرة فى القرنين
السادس عشر والسابع
عشر
د· سليمان محمد حسين

٢٤٢ ـ عصر محمد على
دراسة وثائقية
د· عبد المنعم إبراهيم
الجميعى

٢٤٣ ـ محمد حسين هيكل ودوره
فى السياسة المصرية
١٨٨٨ ـ ١٩٥٦
مصطفى الغريب محمد

٢٤٤ ـ المغاربة والاندلسيون فى
مصر الاسلامية من عصر
الولاة حتى نهاية العصر
الفاطمى
جـ ١ الدراسة السياسية
د· احمد عبد اللطيف حنفى
محمد

٢٤٥ ـ المغاربة والاندلسيون فى
مصر الاسلامية من عصر
الولاة حتى نهاية العصر
الفاطمى
جـ ٢ الدراسة الحضارية
د· أحمد عبد اللطيف حنفى
محمد

٢٤٦ ـ حرب الاستنزاف جـ ١
عبده مباشر ـ اسلام توفيق

٢٤٧ ـ حرب الاستنزاف جـ ٢
عبده مباشر ـ اسلام توفيق

٢٤٨ ـ عبد الرحمن الكواكبى رائد
القومية العربية وشهيد
الحرية
السيد يوسف

٢٤٩ ـ معاهدة ١٩٣٦ جـ١
العلاقات المصرية البريطانية
د· محمد فريد حشيش

٢٥٠ ـ معاهدة ١٩٣٦ جـ٢
نصوص محاضر المفاوضات
د. محمد فريد حشيش

٢٥١ ـ تاريخ الفكر السياسى والاجتماعى فى مصر الحديثة
(١٨٣٤ ـ ١٩١٤ م)
د. عزت قرنى

٢٥٢ ـ انشاء جامعة الدول العربية جـ ١
سفير احمد محمود جمعة

٢٥٣ ـ انشاء جامعة الدول العربية جـ٢
سفير احمد محمود جمعة

٢٥٤ ـ انشاء جامعة الدول العربية جـ٣
سفير احمد محمود جمعة

٢٥٥ ـ العلاقات بين مصر ولبنان فى عهد محمد على
د. عرفت اسعد عطاالله

٢٥٦ ـ قناة السويس والاطماع الاستعمارية الدولية
د. السيد حسين جلال

٢٥٧ ـ الدواوين فى مصر خلال العصر الفاطمى
(٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ / ٩٦٩ ـ ١١٧١ م)
سمير عبد الله سليمان

٢٥٨ ـ مدينة الاسكندرية
د. محمد صبحى عبد الحكيم

٢٥٩ ـ تاريخ العالم الاسلامى جـ٢
د. حسن حبشى

٢٦٠ ـ رواد تاريخ العصور الوسطى
د. محمد مؤنس عوض

٢٦١ ـ الشرق الخالد جـ١
د. عبد الحميد زايد

٢٦٢ ـ الشرق الخالد جـ ٢
د. عبد الحميد زايد

٢٦٣ ـ مذكرات احمد حسين
تاليف أحمد حسين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب: ٢٣٥ الرقم البريدي: ١١٧٩٤ رمسيس
www.egyptianbook.org
E-mail:info@egyptianbook.org

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٦٤٢/٢٠٠٦

يعد أحمد حسين زعيم الحركة الفاشية فى مصر، وقد لعب دورا مهمًا انطلاقًا من هذا الاتجاه فى تاريخ الحركة الوطنية المصرية .

وهذه المذكرات ليست هى المذكرات الأولى التى كتبها أحمد حسين، فقد سبق له أن كتب عدداً من الكتب التى تضمنت اطرافًا من حياته من أهمها «إيمانى» ، «من وراء القضبان» وكذلك قصصه الثلاثة «أزهار» ، «واحترقت القاهرة»، و «الدكتور خالد».

وأخيراً يقول الكاتب أن قارىء هذه المذكرات سيدرك بعض الحقائق التاريخية كما استقرت فى ذهن مواطن عاش فى هذا العصر لا كما تصورها الكتب أو المقالات أو الدراسات.

Bibliotheca Alexandrina
0644424

الهيئة المصرية العامة